الفيصل

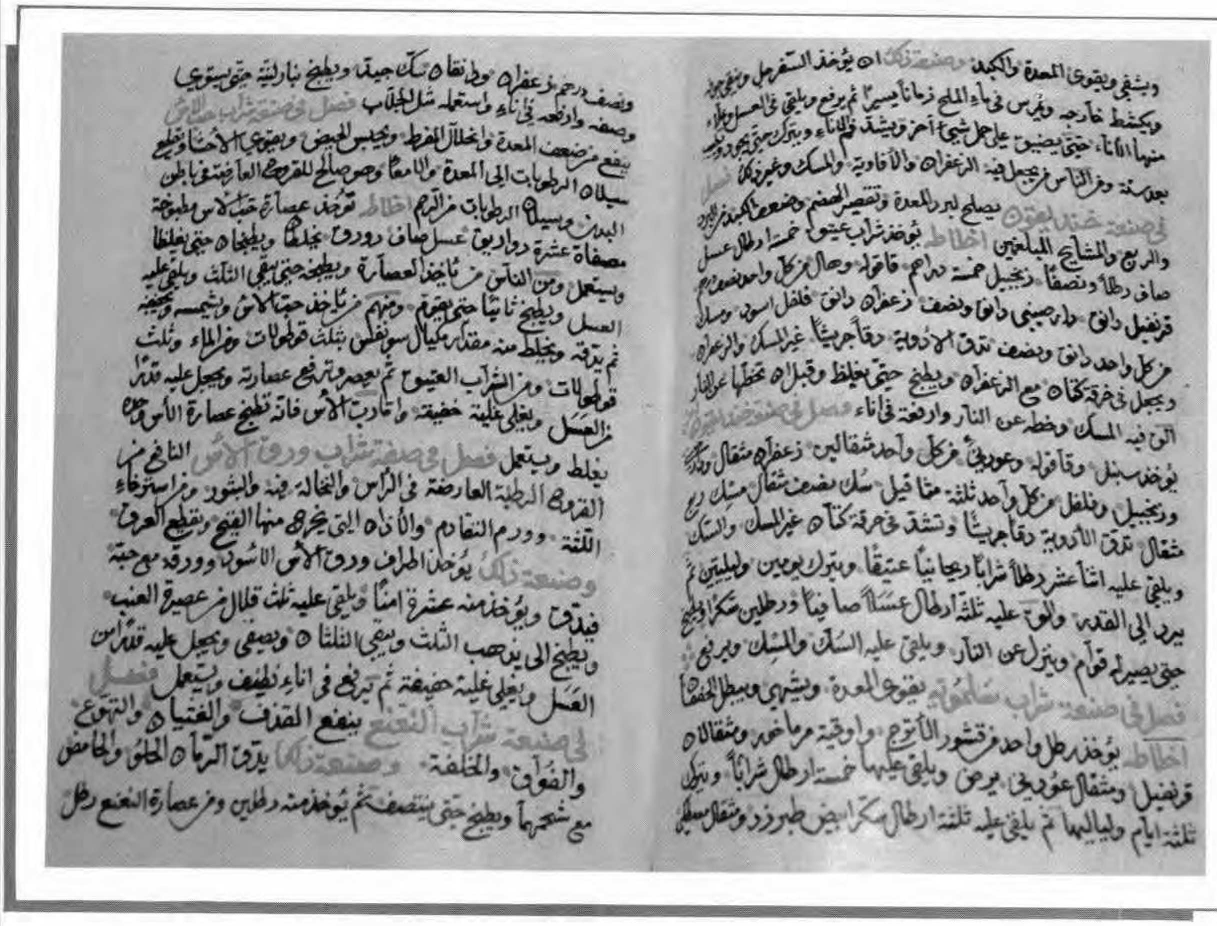
مجلة ثقافية شهرية - العدد (٢٠٨) - شوال ١٤١٤هـ (مارس/أبريل) ١٩٩٤م
ALFAISAL MAGAZINE ISSUE (208) MAR./APR. 1994



سكان أستراليا الأصليون

مواهب الناشئين الأدبية كيف ننميها؟

الخطر يحيق بالأرض!



ويشفي ويقوي المعدة والكبد وصنعة ذلك ان يؤخذ السفرجل وينقى حبه
ويكشط خارجه ويغرس في ماء الملح زمانا يسيرا ثم يرفع ويلقى في العسل ويطلى
منها الاناء حتى يضيق على حمل شيء آخر ويشد فم الاناء ويترك حتى يجود ويؤكل
بعد سنة ومن الناس من يجعل فيه الزعفران والافاوية والمسك وغير ذلك فصل
في صنعة خندريقون يصلح لبرد المعدة وتقصير الهضم وضعف الكبد من البرد
والريح والمشايخ والبلغميين اخلاطه يؤخذ شراب عتيق خمسة ارطال عسل
صاف رطلا ونصفا زنجبيل خمسة دراهم قاقلة وهال من كل واحد نصف درهم
قرنفل دانق دار صيني دانقا ونصف زعفران دانق فلفل اسود وسليخة
من كل واحد دانق ونصف تدق الادوية دقا جريشا غير المسك والزعفران
ويجعل في خرقة كتان مع الزعفران ويطبخ حتى يغلظ وقبل ان تحطها عن النار
القي فيه المسك وحطه عن النار وارفعه في اناء فصل في صنعة خندريقون
يؤخذ سنبل وقاقلة وعود نيء من كل واحد مثقالين زعفران مثقال ودار صيني
وزنجبيل وفلفل من كل واحد ثلثة مثاقيل سك نصف مثقال مسك ربع
مثقال تدق الادوية دقا جريشا وتشد في خرقة كتان غير المسك والسك
ويلقى عليه اثنا عشر رطلا شرابا ريحانيا عتيقا ويترك يومين وليلتين ثم
يرد الى القدر ويلقى عليه ثلثة ارطال عسلا صافيا ورطلين سكرا ويطبخ
حتى يصير له قوام وينزل عن النار ويلقى عليه السك والمسك ويرفع
فصل في صنعة شراب [illegible] يقوي المعدة ويشهي ويبطل الخفقان
اخلاطه يؤخذ رطل واحد من قشور الاترج واوقية من ماء ورد ومثقالان
قرنفل ومثقال عود نيء يرض ويلقى عليها خمسة ارطال شرابا ويترك
ثلثة ايام ولياليها ثم يلقى عليه ثلثة ارطال سكرا ابيض طبرزد ومثقال مصطكي

ونصف درهم زعفران ودانقان سك جيد ويطبخ بنار لينة حتى يستوي
ويصفى وارفعه في اناء واستعمله مثل الجلاب فصل في صنعة شراب عصارة الاس
ينفع من ضعف المعدة والاختلاف المفرط ويحبس الحيض ويقوي الاحشاء ويقطع
سيلان الرطوبات الى المعدة والامعاء وهو صالح للقروح العارضة في باطن
البدن وسيلان الرطوبات من الرحم اخلاطه تؤخذ عصارة حب الاس مطبوخة
مصفاة عشرة دوارق عسل صاف دورق يخلطا ويطبخا حتى يغلظا
ويستعمل ومن الناس من يأخذ العصارة ويطبخه حتى يبقى الثلث ويلقى عليه
العسل ويطبخ ثانيا حتى يتم ومنهم من يأخذ حب الاس ويشمسه ويجففه
ثم يدقه ويخلط منه مقدار مكيال [illegible] بثلث قوطولات من الماء وثلث
قوطولات من الشراب العتيق ثم يعصر ويرفع عصارته ويجعل عليه قدر
من العسل ويغلي عليه غلية خفيفة واما رب الاس فانه تطبخ عصارة الاس حتى
يغلظ ويستعمل فصل في صنعة شراب ورق الاس النافع من
القروح الرطبة العارضة في الراس والنخالة فيه والبثور ومن استرخاء
اللثة وورم [illegible] والاذن التي يخرج منها القيح ويقطع العرق
وصنعة ذلك يؤخذ اطراف ورق الاس الاسود وورقه مع حبه
فيدق ويؤخذ منه عشرة امنا ويلقى عليه ثلث قلال من عصير العنب
ويطبخ الى ان يذهب الثلث ويبقى الثلثان ويصفى ويجعل عليه قلة من
العسل ويغلي غلية خفيفة ثم يرفع في اناء نظيف ويستعمل فصل
في صنعة شراب النعنع ينفع القذف والغثيان والتهوع
والفواق والخلفة وصنعة ذلك يدق الرمان الحلو والحامض
مع شحمهما ويطبخ حتى ينتصف ثم يؤخذ منه رطلين ومن عصارة النعنع رطل



فيما ينفع من وجعها معجون هوفريوس دواء الكركم معجون الكاكنج الجوز [illegible]
دهن الميعة يسخنها فصل فيما ينقي الكلية والمثانة ديادريطوس
مثروديطوس انقرديا ايارجا جوارش العنبر ينفع منفعة بينة فصل في
استرخاء المثانة ايارج جالينوس اطريفل الخبث الاطريفل [illegible]
فيما ينفع وجع المثانة حب فصل فيما ينفع بول الدم [illegible]
معجون الكاكنج اقراص الكاكنج فصل في سلس البول وتقطيره معجون [illegible]
شليثا فيما يقال ايارج جالينوس نافع فصل في الحصاة ترياق [illegible]
ترياق عزرة امروسيا دواء الكك دواء الكبريت حب في المثانة [illegible]
الرمل في البول اقراص ارسطوماخس فصل في برد الرحم دهن الميعة
دهن الناردين دهن الكلكلانج دحمرثا فصل في [illegible] الكاكنج
فصل في اوجاع الرحم شليثا فيما يقال انقرديا دحمرثا [illegible]
خصوصا من الحوامل فيروزنوش ايارج اركاغانيس حب [illegible]
دواء الكركم فرزجة فصل في اختناق الرحم كلكلانج [illegible]
فصل في صلابة الرحم حب دواء [illegible] دواء الكركم دهن الزعفران
فصل في فساد الطمث يصلحه تيادريطوس كلكلانج اقراص [illegible]
معجون الخبث فصل فيما ينفع الحوامل ويحفظ الجنين [illegible]
مثروديطوس شليثا فيما يقال القفطاريغاه فيروزنوش اقراص [illegible]
فصل فيما ينفع اوجاع المفاصل والنقرس وعرق النسا [illegible]
شليثا فيما يقال معجون الفلاسفة معجون هرمس انقرديا معجون [illegible]
ايارج اركاغانيس تيادريطوس جوارش السفرجل [illegible] ضماد جوارش [illegible]
جوارش قيصر خصوصا من النقرس دهن الميعة يسخن المفاصل ويدفع عنها
الفضول خفقة

الفضول خفقة فصل فيما ينفع عرق النسا جوارش لعلل البلغمية
دواء قباذ الملك ايارج فيقرا دهن [illegible] دهن [illegible] دهن [illegible]
وخصوصا لعرق النسا كلكلانج وخصوصا لرياح المفاصل ايارج [illegible]
وخصوصا للارتعاد حب الشيطرج [illegible] فصل فيما ينفع وجع الظهر
ايارج اركاغانيس حب النجاح حب [illegible] دهن [illegible] دهن كلكلانج
دهن الاوفربيون حب الشيطرج حب [illegible] كلكلانج جوارش [illegible] معجون
الخبث الجوز المربى فصل فيما ينفع وجع الصلب [illegible] ذلك
فصل فيما ينفع وجع الحقوين حب الشيطرج [illegible] دهن [illegible]
معجون هرمس
الجملة الثانية من [illegible] اباذين
فصل في الادوية [illegible] في مرض مرض
هذه الجملة نورد فيها من الادوية المركبة ما هو اخص بمرض مرض بعد ان نعيد
ذكر ما قيل في الجملة الاولى ليكون لمن يقرأ هذا الكتاب احاطة بجميع المعالجات
او بالكثير منها جملة وذلك لانا [illegible] اذا اراد حصر معالجات المرض عدل الى الكتاب
الثاني وهو كتاب الادوية المفردة فيعرف في ساعة واحدة حصر جميع الادوية
الجزئية في الجداول ثم اذا انتقل الى ابواب كتاب الثالث والرابع طلب باب
المرض فحصر المعالجات المذكورة ثم انتقل الى الاقراباذين فحصر باقي
المعالجات المركبة فيكون له سبيل الى حصر المعالجات الجزئية كلها او جلها
وقسمنا هذه الجملة مقالات ثمان المقالة الاولى في احوال الراس
وما فيه الدماغ فصل في الصداع [illegible] للصداع
لانطونيس اخلاطه يؤخذ لبن [illegible] ستة عشر مثقالا لبن
الخشخاش وهو الافيون اربعة مثاقيل زعفران اربعة مثاقيل انيسون

الفيصل

مجلة ثقافية شهرية تصدر عن دار الفيصل الثقافية

رئيس التحرير

د. زيد بن عبد المحسن الحسين

مجلة الفيصل العدد (٢٠٨) ـ شوال ١٤١٤هـ ـ السنة (١٨) ـ مارس (آذار) / أبريل (نيسان) ١٩٩٤م

ملاحظات عامة

□ أن يتسم الموضوع المقدم للنشر بالجدّة والأصالة والموضوعية، مع توثيق المراجع إذا اقتضى الأمر ذلك.

□ ألا يكون الموضوع منشورًا من قبل، أو مرسلاً إلى أي جهة أخرى ناشرة.

□ حين تردّ المجلة على كاتب ما بأن موضوعه «غير مناسب للنشر» فإن هذا لا يعني أنه «غير صالح للنشر» في غيرها، وإنما يعني عدم مناسبته لسياسة النشر فيها.

□ أن يرفق الكاتب (الذي لم يسبق له الكتابة في المجلة) مع موضوعه الاسم والمؤهلات العلمية والإنتاج الفكري ـ إن وجد ـ وعنوان المراسلة، في ورقة مستقلة.

□ الموضوعات المنشورة في هذه المجلّة تعبّر عن آراء أصحابها، ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

ص. ب (٣) الرياض ١١٤١١ ـ المملكة العربية السعودية

هاتف: ٤٦٥٣٠٢٦ ـ ٤٦٥٣٠٢٧ ـ فاكسملي: ٤٦٤٧٨٥١

الأسعار:

السعودية ٨ ريالات ـ الكويت ٦٥٠ فلسا ـ الإمارات ٧ دراهم ـ قطر ٧ ريالات ـ البحرين ٧٥٠ فلسًا ـ عُمان ٧٥٠ بيسة ـ الأردن ٥٠٠ فلس ـ اليمن ٢٥ ريالاً ـ مصر جنيهان ـ السودان ٣ جنيهات ـ المغرب ٦ دراهم ـ تونس ٦٠٠ مليم ـ الجزائر ١٠ دنانير ـ العراق ٤٠٠ فلس ـ سورية ٢٠ ليرة ـ ليبيا ٨٠٠ درهم ـ موريتانيا ١٠٠ أوقية ـ الصومال ٢٠٠٠ شلن ـ جيبوتي ١٥٠ فرنكًا ـ لبنان ما يعادل ٤ ريالات سعودية.

الاشتراكات السنوية: للأفراد ١٥٠ ريالاً سعوديًا، للمؤسسات ٢٥٠ ريالاً سعوديًا.

الاعلانات: يتم الاتفاق عليها مع إدارة المجلة.

في هذا العدد

إطلالة

وعن عمره فيم أفناه؟

خلق الله سبحانه وتعالى الكون وفق نظام دقيق متسم بالكمال، ومن سمات هذا الكمال الرباني أن جعل لكل شيء أجلاً وميقاتا، لا يتأخر عنه ولا يتقدم، فتعاقُب الليل والنهار، وتوالي الفصول، وسير الأيام والشهور والسنين يتم في نسق مرتب دقيق تتجلّى فيه قدرة الله وعظمة إبداعه. وقد أقسم الله عز وجل بالليل والنهار والفجر والضحى والعصر في الكثير من الآيات، مما يوضح قيمة الوقت وأهميته، ذلك أن الله تعالى لا يقسم بشيء من خلقه ما لم يكن يريد التنبيه إلى عظيم منفعته وبالغ أثره.

ومن فضله سبحانه أن يسر لخلقه كافة تحديد المواقيت دون كبير عناء، إذ لا يحتاج ذلك إلى إمكانات مادية أو مؤهلات ذاتية. فالجميع في الحواضر والبوادي والأحراش يستطيعون حساب الوقت والسنين ومعرفة ما يرتبط به من تغيرات مناخية تؤثر - إيجابا أو سلبا - في أنشطتهم الحياتيةالتي يكيفونها تبعا لمقتضيات تلك التغيرات.

والإسلام - في إطار شمولية نظرته للكون، ولكل ما يرتبط بمصير الإنسان، ومسؤوليته في إعمار الأرض - قد حدد مفهوما دقيقا للوقت وقيمته، فالمولى تعالى يقول في محكم تنزيله : «والعصر. إن الإنسان لفي خسر. إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر» سورة العصر. فالإنسان يخسرفي كل لحظة تمر أجزاء من عمره، ولكن يستثنى من هذه الخسارة أولئك الذين يستغلون لحظات عمرهم في كل عمل خيّر، لأنهم سيثابون عليه في الدنيا والآخرة.

ففلسفة الإسلام للوقت ترى أنه ثروة نادرة، يحتاج استثمارها تخطيطا مدروساً، يعتمد على وعي ناضج وعلم بصفات هذه الثروة وسماتها التي تتحدد في أنها تتميز من غيرها من الثروات بعدم وجود بديل لها، مما يجعلها غير قابلة للتعويض حين تتسرب من الأيدي، ومن ثم فإن الخيار المتاح هو الاستثمار أو الإهدار، كما أن خيار الاستثمار وفق الفلسفةالإسلامية ممتد الأثر، فعائده ليس ماديا دنيويًا فحسب، وإنما هناك عائد آخر أينع ثمارا ينتظر الإنسان، لهذا فإن المفهوم الإسلامي للوقت يلح على أنه قصير مهما طال وامتد، وأن على الإنسان أن يسارع في الخيرات ، ويستغل هذا الوقت استغلالا طيبا مثمرا قبل أن يأتي يوم لا بيع فيه ولا خلال. وهذا ما جعل بعض العلماء يرون أن إضاعة الوقت ذنب يستلزم التوبة العاجلة.

وقد جعل الله الضرب في الأرض والابتغاء من فضله عبادة من العبادات، مما يعني أن العمل بما فيه من بذل للوقت والجهد، لا يعد سبيلا لتوفير متطلبات الحياة فقط، وإنما هو وسيلة أيضا لنوال رضى الخالق سبحانه. أي أن نظرة الإسلام للعمل واستثمار الوقت ليست نظرة اقتصادية ضيّقة، وإنما هي نظرة تكتسب بعدًا إيمانيا وأخلاقيا، يبرز تفرد الإسلام في نظرته للحياة.

وهذا البعد الأخلاقي للرؤية الإسلامية للوقت هو الذي يقرن ضرورة استثماره في العمل المثمر بوجوب الإجادة والاتقان في هذا العمل، فالرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».

ويتضح تفرد المفهوم الإسلامي للوقت جليًا من خلال ارتباط العبادات في الإسلام بأوقات محددة، إضافة إلى أن هناك أجلاً شرعيًا للمعاملات في المجتمع الإسلامي.

وقد قدمت المارسة العملية في ظلال النبوة، وعهد الخلافة الراشدة، نموذجًا حيًا لهذا التفرد الإسلامي، تطابق فيه القول مع العمل، وهذا ما يجعل للتصور الإسلامي للوقت مصداقية لاتملكها أحدث النظريات العلمية التي تطرق هذا الباب، فها هو الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم يؤكد على أن العبد مساءل يوم القيامة عن عمره فيم أفناه، كما نبه صلى الله عليه وسلم إلى وجوب اغتنام الشباب قبل الهرم والصحة قبل السقم، مما يمثل دعوة صريحة إلى ضرورة الوعي الدائم بأسلوب التعامل مع الوقت وعدم إهداره فيما لا يجدي، حتى لايكون الندم بعد فوات الأوان، ولاشك أن الوعي بقيمة الوقت لايدع مجالاً لارتكاب المعاصي كاللغو والغيبة والنميمة، فعباد الرحمن في التصور القرآني لاوقت لديهم لمثل هذه الممارسات الدنيا، فهم إذا مروا باللغو مروا كرامًا.

وغياب الوعي بقيمة الوقت له مخاطر جمة على المجتمع، فالفرد العاطل الذي لايجد عملا مفيدا يقضي وقته في أدائه، لابد أنه واجد في المعاصي وإيذاء الخلق بديلا، وهذا ما نجد له أثرًا في كتاب علي بن أبي طالب كرم الله وجهه إلى واليه في مصر، إذ يقول فيه : «يا هذا : إن الله خلق الأيدي لتعمل، فإذا لم تجد في الطاعة عملاً التمست في المعصية أعمالاً، فاشغلها بالطاعة قبل أن تشغلك بالمعصية».

وبالرغم من هذا المنظور الإسلامي الواضح لمفهوم الوقت وقيمته الذي يمتزج فيه البعد الاقتصادي والأخلاقي، إلا أن مجتمعاتنا العربية والإسلامية في عصرنا الحاضر لاتتعامل معه بالجدية ذاتها التي كانت عامل ترجيح في سيادة الحضارة الإسلامية.

وقد تفاقمت ظاهرة الاستهتار بالوقت وإهداره تفاقما مرضيا أسهم في تشكيل صورة نمطية مشوهة لشخصية المسلم وقيم الإسلام في أذهان العالم، وصار تعامل المسلم مع الوقت موضع سخرية، من ذلك أن بعض غير المسلمين يرون في عبارة «إن شاء الله» التي تعني التسليم بالقدر والإيمان بمشيئة الله، مماطلة وتسويفا، وتدعم هذه الصورة من خلال ممارساتنا الخاطئة والدعايات المغرضة التي تحاول إقناع الآخرين بأن هذه الصورة الممسوخة هي حقيقة الإسلام ومنسجمة مع جوهره.

وهذه الظاهرة على خطورتها لم تجد اهتماما بحثيا أو إعلاميا عميقا يتناسب وحجم تأثيرها السلبي في مسيرتنا الحضارية، لذلك كان احتفائي كبيرا بمقالة عنوانها «أهمية الوقت في حياتنا» في العدد رقم ٩٣٦٤ من صحيفة الرياض، كتبها الأستاذ مسلم بن عبد الله مسلم - وهو اسم مستعار لأحد كتابنا - الذي استطاع بجاذبية قلمه وثراء فكره أن يكون محط إعجاب كثير من المثقفين. وتكتسب مقالاته أهميتها من كونها تعبيرًا صادقًا عن واقعنا الثقافي والاجتماعي، إلى جانب أنها تعكس دور الصحافة في التناول الأمين لهموم المجتمع وقضاياه. وهو يبين في هذه المقالة أن الوقت في حساب البشر له أهمية قصوى لا بالنسبة للمسلم في عباداته، وإنما بالنسبة للفرد في كل حالاته من حيث كونه إنسانا يحيا فوق هذه الأرض ويسعى في جوانبها.

ولأن قضية الوقت كثيرا ما تُلح عليّ لارتباطها بمفهوم العمل والإنجاز، ومن ثم مستقبل الوطن والأمة، رأيت أن أشارك كاتبنا الرأي، وأسهم معه إسهامًا متواضعًا بالكتابة في هذا الموضوع، آملاً أن يكون ذلك صدى لصوته وتأكيدًا لدعوته.

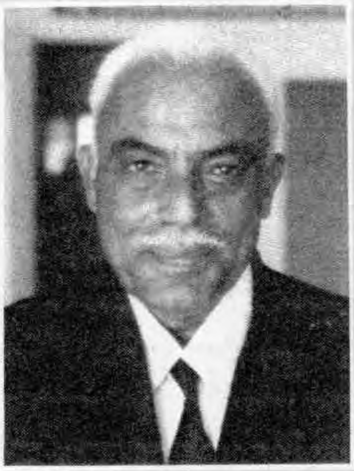
في اعتقادي أن تفاقم ظاهرة إهدار الوقت مرده إلى بعدنا عن قيم عقيدتنا وتوجهاتها، وطغيان عادات وتقاليد سلبية تتصادم مع هذه القيم والتوجهات الأصيلة وتتعارض معها، مما أدى إلى اضطراب مفهوم الوقت وقيمة العمل لدينا.

ويمكن توكيد ذلك من خلال طرح نماذج لهذه الظاهرة السلبية. فالعمل الذي يعد في المفهوم الإسلامي عبادة يُترك الآن جانبًا في سبيل مجاملة زائر لم يراع حرمة العمل وأهميته، كما أن هذا العمل الذي لم يكن يقبل التأجيل إلى الغد، صار يؤجل إلى غد غير محدد، أضف إلى ذلك الحجج الواهية للزوغان، والمماطلة في إنجاز أعمال الناس الرسمية، بل إننا بسوء استخدامنا للوسائل التي يتيحها لنا هذا العصر التقني نميل بها عن مقاصدها، فالتلفاز الذي هو وسيلة مهمة للتثقيف والترفيه، لم يبق من أهدافه غير الترفيه الذي يصل إلى حد قتل الوقت، والقنوات الفضائية التي ينظر إليها العالم المتقدم كجسر لمعرفة أعمق لهذا العالم، نتلهف إليها لممارسة عادة قتل الوقت التي أدمناها، وبخاصة أن بعضا من هذه القنوا ت الفضائية حادت عن دورها التثقيفي، وصارت تقدم للناس ما يريدون من ترفيه رخيص، بدلاً من أن تكون وسيلة للتواصل الثقافي والتبادل الفكري. وقد وصل بنا الحال إلى ممارسة عادة قتل الوقت في شهر مبارك مثل شهر رمضان، فنجد أجهزة الإعلام قد حشدت فيه طاقاتها كلها لإعداد وتقديم برامج تسطو على وقت المشاهد، وقد تلهيه عن العبادة ، وتعمق فيه السطحية، ولا اعتراض على تقديم برامج تلفازية ترفيهية، لأن الترفيه وظيفة رئيسة للتلفاز - وإن لم تكن الوحيدة -، ولكن يجب أن تكون تلك البرامج هادفة إلى تحقيق التوازن النفسي للمشاهد بإزالة توتره وتجديد حيويته ليقبل على العمل بهمة ونشاط، ويمكن أن يكون ذلك من خلال برامج جادة تجمع بين المتعة والفكر.

لقد أدرك الغرب - من خلال استقرائه التجارب الحضارية - الارتباط الوثيق بين مبدأ احترام الوقت والرقي الحضاري للمجتمعات، فاستنبط علما أطلق عليه «إدارة الوقت» time management يعد الآن من أهم العلوم الإدارية التي يُعنى بتدريسها في أعرق الجامعات، لارتباطه بعناصر الإنتاج والاتقان والسرعة التي صارت أجزاء الثانية تتخذ كوحدة لقياسها. وأصبحت نتائج تطبيقات إدارة الوقت من الجوانب المهمة لاستكشاف مستويات العمالة ودرجة تأهيلها في مختلف ميادين العمل. وهذا العلم بنظرياته وتطبيقاته لا يخرج عن مبادىء المفهوم الإسلامي للوقت، وإن كان يفتقد البعد الروحي والأخلاقي الذي يميز فلسفة الإسلام. ورغم قصور نظرة الغرب للوقت والعمل مقارنة بالمفهوم الإسلامي، فقد استطاعوا هناك بلوغ طورٍ حضاري راق، حفل بالإنجازات العظيمة التي كان أساسها احترام الوقت ومراعاة حرمة العمل، حتى ظهرت وحدة الزمن المستخدمة في هذا العصر التقني وهي الـ (Nanosecond)، التي تعادل «جزء من الألف» من الثانية.

إن قضية اضطراب مفهوم الوقت وغياب الوعي بأهميته لا تلقى الاهتمام الذي يتناسب وخطورتها من أجهزتنا التربوية والتعليمية. وفي رأيي أن أساليب إعداد الطفل داخل الفصول الدراسية وتنشئته وتوعيته بأهمية احترام الوقت وتنظيمه تكون غير مجدية لنشء يظل حائرًا بين مثالية مناهج التعليم، وواقع مريض لا أثر فيه لتلك المثالية. بل إن هذا الانفصام بين ما ينبغي أن يكون وما هو كائن بالفعل سلبي الأثر في نفس الطفل، إذ يُولّد فيه روح اللامبالاة، والإحساس بالاغتراب عن المجتمع، مما يؤدي به في النهاية إلى الاستهتار بكل قيمه ومعتقداته، والانسلاخ التام عنها. لذا فإن علينا لدرء هذا الخطر، الذي يهدد كيان المجتمع المسلم وقيمه، العودة إلى الإرث الحضاري والتراث العملي للسلف الصالح المتبع للنهج القويم الذي علّمنا أن إخلاف الوعد علامة من علامات المنافق.

د. زيد بن عبد المحسن الحسين



وثنيات قديمة في الصهيونية الحديثة!

بقلم: د. حسن ظاظا

في أواخر القرن الميلادي الماضي، كان زعيم الصهيونية العالمية ـــ تيودور هرتسل ـ يدقّ أبواب أثرياء اليهود في أوربا الغربية، ليتبرّعوا له بما يعينه على نشر كتابه (دولة اليهود)، وعلى تنظيم مؤتمر سياسي يهوديّ عالميّ، لأول مرة في التاريخ، هو المؤتمر الصهيوني الأول. ولم يكن الرجل من المؤمنين المتديّنين، ولا من العلماء بتاريخ اليهود، ولا من الباحثين في معتقداتهم وشرائعهم، بل كان يجهل اللغة العبرية، لذلك صاغ كتابه باللغة الألمانية ! وأتصور الصديق القارئ يتساءل: ولماذا هذا العناء؟ لا سيما إذا عرف أن صاحبنا كان يكتب من باريس لصحيفة نمساوية، تصدر في فينا بالنمسا، اسمها (الصحافة الجديدة الحرّة). ولم يكن يوافيها إلا بمسامرات ترفيهية خفيفة: ثوب الفنّانة الفلانية ما هيأته، وألوانه، ومن أية دار لتصميم الأزياء هو؟ وكيف كان قوامها يُحبس فيه؟ وما آخر نكتة لاذعة سمعها في البرلمان الفرنسي؟ وآخر فضيحة شغلت الرأي العام وأحدث صرعة في مسارح التمثيل؟ وكان هو نفسه كاتبا مسرحيا (من الصفوف الخلفية!) إلى ما يشبه هذا من الأخبار. ولكي يحصل الرجل على مادة إنتاجه، فإنه كان من أبناء الليل، تعرفه الحانات والمواخير والأندية الليلية الخاصة جدا، ولا يعرفه المعبد ولا الحاخام ولا ندوات العلم ولا قاعات المحاضرات. حتى دراسته في القانون ـ على الرغم من الدكتوراه التي نالها في النمسا ـ لم تكن تعني له شيئًا، ولم يفكر في العمل بها. وكان يحبّ باريس؛ لأنها بلد الحرية، إلى يوم حاسم رجع فيه إلى مسكنه في ساعة متأخرة من الليل، سكران كعادته، فاستسلم للنوم. وأفاق من نومه على هتاف مظاهرة تهتف في الشارع: «الموت لليهود»!

وأحس صاحبنا بهياج جنوني عارم ضد هذه (اللاسامية) في قلب باريس، مهد الثورة الفرنسية، وحقوق الإنسان، وسيادة القانون، وحرية العقيدة والتفكير والتعبير. ويقول في يومياته: «إنه شعر بأجنحة (ملائكة) تخشخش على شباكه، وكأنها توحي إليه بأن يحلّ مشكلة عداوة الغرب لليهود حلاً جذريا، بإنشاء (وطن قومي) لهم في أرض الميعاد (فلسطين)»! وكان صاحبنا كاذبًا في ما كتب، يسير على سنّة (أنبياء) كذابين كثيرين، كانوا يظهرون دائما في الأزمات، هم ومن اتبعهم من القادة والرؤساء والحكام. وكثر التحذير منهم في الكتاب الذي يتعبّد به اليهود، واختصر نبيّهم إشعياء وصف هذه الظاهرة بقوله: «فسيقطع الربّ من إسرائيل الرأس والذَّنَب، الجريدَ والسعف، في يوم واحد. أما الرأس فهو الشيخ والزعيم، وأما الذَّنب فهو النبي الذي يوجّه الناس بالبهتان، المرشدون لهذا الشعب هم يُضِلُّونه، والراشدون هم الذين يُبادون». (سفر إشعياء ١٤ : ١٥، ١٦). وأكثر من ذلك اختصارًا قول نبيهم إرمياء: «لأن النبي والكاهن كافران، وقد شهدتُّ جرمهما في بيتي» (إرمياء ٢٣ : ١٠). ويشرح النبي إرمياء قوله في نفس هذا الفصل بتفصيل نختار منه قوله: «يقول الله إنني ضدّ الأنبياء الذين يطلقون ألسنتهم قائلين، إنني أقول: إنني ضد الذين يتنبأون بأحلام كاذبة، يقول الله، ويقصّونها فيضلّون شعبي بأكاذيبهم وغرورهم، وأنا لم أرسلهم، ولم آمرهم، وهم لا ينفعون هذا الشعب في شيء، يقول الله». (إرمياء ٢٣ : ٣١ ـ ٣٢).

ولم أقف هذه الوقفة إلاّ لأن كثيرًا من أدباء اليهود قد دأبوا على وصف هرتسل بأنه (نبيّ الصهيونية)، كما أن سلوكه في الدعاية والإقناع كان يذكرنا

وثنيات قديمة في الصهيونية الحديثة!

بأولئك المتنبئين الكذّابين القدمـاء . كما كانت هيأته عند النظر إليه تـذكّر أيضا بالصورة المطبـوعة في خيال الناس عن أولئـك المتنبئين، لدرجة أنه، عنـد مثوله أمام السلطـان عبد الحميـد العثماني صاح العـاهل التركي ضـاحكا : إنـه يشبه المسيح! ومع ذلك لم يـوافق السلطــان على منح اليهـود أيـة حقــوق في أرض فلسطين، متمسكا بأنها أرض إسـلامية مقـدسة، وأنها وديعـة في عنقه بـوصفه خليفة الإسلام في ذلك الـزمان، ومن المستحيل أن يفرّط في هذا البلـد . وعندما دخل هرتسل للقاء رجل المال والأعمال اليهودي (البارون موريس دي هيرش) في باريس، وذكر مشروعـه عن دولة اليهود، سأله البـارون باستخفاف : وأين هي دولة اليهود هـذه؟ فأشار إلى الحقيبة التي بيده وقال : إنها هنـا! . ثم أخرج منها مسودّة كتابه (دولة اليهود)، وكيسًـا من التراب من مدينة القدس، وراية عليها النجمـة السداسيـة، ونشيد (الأمل) للشـاعر اليهـودي الشاب نَفْتَـالِي هِيرتسْ إيمْبَرْ، وقال للبارون : بهذا الكتاب، وهذه الحفنة من تراب أرض الميعاد، وهذه الرايـة التي تحمل نجمة داود، وهذا النشيـد الصهيوني الذي كتبه شـاعر يهودي مهاجـر إلى فلسطين ليكدّ في مـروجها وحقـولها رغم فقره ومـرضه، أستطيع أن أجمع ورائي كل يهود العــالم، وأسير بهم إلى فلسطين! ولم يقتنع البــارون دي هيرش، فهو يتبرَّع لمنظمات الإحسـان اليهودية، أمـا مشروع هرتسل فقد بـدا له مشروعـا سيـاسيـا خطيرًا، وصـاحبـه ـ وإن كـان يهوديـا ــ فهـو هنغـاري من بودابست، وليس مواطنـا فرنسيا، وتورُّط البارون معـه قد يجني على مصالحه في المجتمع الفرنسي . فأحـاله إلى موظف إداريّ عنـده، وأوصى له بصكّ (شيك) عادي من المؤسسة . وهكـذا تخلص منه . وخابت آمال هرتسل عنـدما وجد أن الصك لا يأمر له إلاّ بمبلغ زهيد جدا .

وأعظم الخطر على أيّ دين من الأديان أن يستـولي فيه جـاهل على الزعـامة والإمامة، إذ يكـون إيمانه الروحي ضعيفا، وإيمانـه المادّي عميقا متأصّلا، ومن ماديتـه هذه تـأتي وثنية مضحكـة تقوض ما في الـروح من معـان ساميـة . وكان هرتسل جـاهلاً بكل شيء في دينه، إلاّ أنه يهودي، وأن السعداء مـن أبناء هذا الـدين في الغـرب هم الأغنيـاء فقط، الـذين قطعـوا صلتهم بأمّتهم، بل ارتـدّ بعضهم واعتنق النصرانية تقليدا لسادته، في حين يعيش عوام اليهود في التخلف والفقر والقذارة والاحتقار، فإذا عطف عليهم بعض الأثـرياء، حوّلوهم إلى أمة من المتسوّلين الأذلاّء . وقـد كتب في رسالـة بعث بها للجمعية اليهـودية لمقـاومة (اللاسامية) : هل يجوز لي أن أترك لولـدي حياة تعسة عديمة الفائدة من نمط حياتي أنـا؟ بل ستكون أتعس منهـا! وهل يكون الحل في الارتـداد عن الشريعة اليهودية إلى الدين المسيحي حتى يولد أبناؤنا فيه، ويذوبوا في الكتلة الكثيفة من المسيحيين؟ لا ثم لا! . وليتهم بعد كل هـذا يتركوننا بسـلام! لا. فأنا على يقين من أنهم ـ حتى بعـد هذا ـ لن يتركـونا بسلام! . وقديما وصف النبي إرميـاء هذا النـوع من الأنبياء الكـذابين بقـوله : «لأنهم جميعـا، من صغيرهم إلى كبيرهم، يحرصون على السُحْت، وهم جميعا، من النبيّ إلى الكـاهن، يقترفون البُهتان، ويداوون كَسْر عامة شعبي باستهتار، قائلين سلامٌ! سلام! ولا سلام» . (إرمياء ٦ : ١٣ ــ ١٤) . وكانت الـدعوة إلى استخـدام القـوة، تحت ستار خـادع من البحث عن السـلام، لعبـة في يد الكـذابين من أنبيـاء إسرائيل، يكشف عنهـا إرمياء نفسه بقـوله : «إن الأنبياء الذين كـانوا قبلي وقبلك منذ الأزل، تنبّأوا على أوطـان كثيرة، وممالك عظيمـة، بالحرب والبـلاء والوبـاء . أما النبي الـذي تنبّأ بالسـلام، فإنه ـ عند تحقق كـلام هذا النبي ـ يتبيّن أن ذلك النبي قـد أرسله الله حقًـا» (إرمياء ٢٨ : ٨ ــ ٩) . وهـو كلام من صميم الكتـاب الـذي يؤمن بـه اليهود، وعليهم أن يتذكـروه ويتدبّروه . ولكن لماذا توجّه هـرتسل بصهيونيته إلى اليهود، على أنه مدفوع بقوة خفية روحانية، فيها جميع متطلبات (المعجزة) حتى الملائكة؟ ذلك لأن هذا الشعب على كثرة من فيه من العقلاء والحكماء، عاطفي متطـرف متهوّر، يضحك ويـرقص لأتفـه المنـاسبات، ويبكي وينـوح لأوهى الأسباب، ويقتنع ويؤمـن أحيانا . ولكن واقع الأمر أن تيـودور هرتسل جاء في وقته تماما، وأنه كان يراقب الحوادث في صلتها بـاليهود منذ أعوام طويلة قبل أن يتخذ قراره هذا، حين سنحت له الفرصة النادرة التي لا تعوّض .

فهو لم (يخترع) الصهيونية، إذ ظهرت قبلـه بنصف قرن من الزمان منظمات كثيرة ــ في أوربا الشرقيـة خصوصـا ــ تـدعو إلى الهجـرة إلى فلسطين، وإقامـة «مستعمـرات» أو «مستوطنـات» يهودية فيهـا، وأشهـر هذه المنظمات «أَحِبّـاء صهيون» . وفي أوربا الغربيـة كان أثرياء اليهود يمدّون أحبـاء صهيون بالمال . ثم عصفت موجة من التطلـع الاستعماري الأوربي بالشرق الإسلامي . ذلك أن تركيا قـد بدأت الدولة العليـة العثمانية فيها تضعف . على إثـر حروبها المستمرة ضد روسيا القيصرية، وفي مستعمراتها في البلقان وجزر البحر الأبيض المتوسط، وسعي مستعمـراتها في الشرق الأوسط إلى الاستقــلال . فعنـدئذ تنبـه الاستعمار البريطـاني والفرنسي والإيطـالي إلى تمزيق إمبراطـوريـة آل عثمان ـ التي اشتهـرت باسم «الرجل المريض» ــ واقتسامها فيما بينهم . ومع نشاط الاستعمار الأوربي، ووصـوله إلى الهنـد والشرق الأقصى، ظهرت طـائفة من رجـال المال والأعمال، واسعة الثراء والنفوذ، فيها نسبة عـالية من اليهود : هيرش، روتشيلد في فرنسا، مونتيجو، مـونتفيوري في بريطانيـا، وكثير غيرهم في سائر بلاد أوربـا الغربية . وتمكن هؤلاء من السيطـرة على الصحافـة، والفوز بعضويـة المجالس النيـابية . فالنائب الفرنسي المحامي أدولف كريميه كان عضوا في مجلس النواب، والثرى اليهودي الإيطـالي الأصل مونتفيـوري فاز بعضـوية مجلس اللـوردات في لندن، ولأن عيونهم كـانت مشدودة إلى استعمار فلسطين لصـالح اليهود، فقـد جعلوا فريستهم المستقبلة هي بلاد المسلمين، فأثار كريميه حملة ضد محمد علي باشا، الوالي العثماني على مصر والشام، بسبب «فتنـة الدم» في دمشق، عام ١٨٤٠ م،

عندما اختفى الأب الراهب الفرنسيسكاني توما، رئيس ديرهم في دمشق، واتهم الجمهور الجالية اليهودية بذبحه واستعمال دمه في طقوس سحرية في إعداد خبز عيد الفصح. فأمر محمد علي عامله على الشام «شريف باشا» بالتحقيق في هذه التهمة، وقام كريميه بتحريض الصحف الأوربية على محمد علي، وعلى الأساليب الوحشية المتبعة في التحقيق مع المتهمين في بلاد المسلمين. وكانت إنجلترا منذ ذاك الوقت تطمع في حكم مصر وفلسطين، لتأمين طريقها البحري إلى الهند عبر قناة السويس. فإذا بها أيضا تخوض هذه الفتنة مع المحامي البرلماني اليهودي كريميه. وتراجع محمد علي أمام هذه الكتلة المعادية له، وآثر اللين والتفاهم، ودعا كريميه الفرنسي للمفاوضة في قصر رأس التين بالإسكندرية، فحضر هو واللورد مونتفيوري البريطاني، وبصحبتهما المهندس الزراعي شارل ينيّر والمستشرق سالومون مونك، وهما يهوديان أيضا. وأمر محمد علي بإطلاق سراح المتهمين، وإعطاء منحة من بيت مال المسلمين تعويضا عن الأضرار التي لحقت باليهود أثناء هذه الفتنة، بل حصل كريميه على إقرار كتابي من محمد

> ○ بمسودة كتاب، وكيس من تراب مدينة القدس، وراية، ونشيد لشاعر يهودي، سعى هرتسل لأن يجمع خلفه يهود العالم.

علي بتبرئة اليهود من تهمة الدم، وأخذ مونتفيوري هذا الإقرار وسافر به إلى إستانبول حيث اعتمده السلطان العثماني، ثم مرّ في طريقه بمقر البابوية في الفاتيكان، فأعطى منحة دسمة لرئيس رهبانية الفرنسيسكان، مقابل أن يأمر بإزالة لوحة حجرية على حجرة الراهب توما في دمشق تقول إنه قتلته يد يهودية أثيمة لإدخال دمه في إعداد خبز الفصح، وتم له ما أراد. أما ينيّر فذهب إلى فلسطين وخطط فيها لأول مستوطنة يهودية زراعية في منطقة المجدل، على الطريق إلى غزة، في حين قام المستشرق سالومون مونك بإعداد وصف موسوعي مفصّل لفلسطين، نشره في باريس. وعند وصول كريميه إلى باريس مارس نشاطًا يهوديًا لاستعمار فلسطين، فأنشأ هو وزملاؤه الثلاثة، وعدد كبير من وجهاء اليهود في بريطانيا وفرنسا، «الاتحاد الإسرائيلي العالمي» للعناية بالصحة والتعليم والتغذية في الأوساط اليهودية في العالم كله. وبدأ بتعليم اللغة العبرية والدين والقومية اليهودية وتاريخ اليهود في تلك المدارس، وكانت منها عشرات في مصر والعراق وسوريا وفلسطين ولبنان والجزائر وتونس والمغرب وغيرها.

كل هذا حدث قبل صهيونية هرتسل (العالمية) بنصف قرن من الزمان. أما في أوربا الشرقية، حيث كانت الكثافة الكبرى للجاليات اليهودية، فقد كثرت الطرق الصوفية، وكانت كلها تبشر بقرب ظهور المسيح المنتظر، الذي ينقذ اليهود، وينتقم من أعدائهم، ويقيم لهم مملكة مثل مملكة داود وسليمان! كما نشطت القومية اليهودية بنشاط القوميات الصغيرة على طول القرن التاسع عشر الميلادي: استقلال اليونان، تمزيق إمبراطورية النمسا والمجر وتشيكوسلوفاكيا إلى قوميات بحسب لغاتها، استقلال بلغاريا، ثم رومانيا ثم ألبانيا، ثم البوسنة والهرسك والصرب والكروات ومقدونيا وكوسوفو، وأخيرا ظهور كتاب تفصيلي في تاريخ اليهود، من تأليف هاينريش (حاييم) غريتس، أول أستاذ لهذه المادة من اليهود في جامعة من جامعات ألمانيا الشرقية (بروسيا)، وهو كتاب (تاريخ اليهود) الذي يقع في أحد عشر مجلدا، تمّ نشره بالألمانية من عام ١٨٥٣ إلى ١٨٧٦ م ثم تُرجم إلى جميع اللغات التي يقرأ بها اليهود في العالم.

وإذا كان لكل فعل ردّ فعل كما قرر علماء الطبيعة وعلماء النفس والاجتماع، فإن هذا التحرك النشط، وهذا الازدهار المالي والسياسي، قد تمخض عنه استيقاظ نفور عام من اليهود، هو ما يعرف باسم (اللاسامية). واليهود إذا تحدثوا عن اللاسامية ـ منذ فرعون موسى إلى هتلر وموسوليني ـ يصورون اليهودي على أنه الضحية البريئة، والهدف للوحشية والزراية والتعذيب، فهم دائما ملائكة، وبقية البشر شياطين! وهي مغالطة سياسية مستحيلة الوقوع في قوانين السياسة والاجتماع والاقتصاد. فمثلاً اليهودي الفرنسي (كريميه) عاصر احتلال فرنسا للجزائر عام ١٨٣٤ م، ثم أصبح وزيرا للعدل في باريس فأصدر قانونا يجعل للمستعمرين الفرنسيين الحق في الاستيلاء على الأراضي الزراعية، وإنشاء المتاجر والمصانع ووسائل النقل البرّي والبحري بلا قيد ولا شرط، ويحرم السكان الأصليين من هذه المزايا، لكن تبين أن السكان الأصليين كانت فيهم نسبة عالية من اليهود يعيشون مع المسلمين في سلام. وإذا به يصدر تشريعا يُعرف تاريخيا باسم (قانون كريميه) يمنح اليهود جميعا الجنسية الفرنسية، حتى يتمتعوا بامتيازات السادة المستعمرين، وهو القانون الذي طبّق بالنص على يهود المغرب وتونس أيضا، على الرغم من معارضة قادة عسكريين فرنسيين، وصفوا القانون بأنه سيقيم سورًا من الحقد والغضب عند المسلمين، إذ يُشعرهم بالذلّ والمهانة. لكن الوزير الصهيوني لم يعرهم أذنا صاغية. وهكذا كثر بين اليهود البذخ والغنى في وقت كانت فيه الطبقات العاملة في أوربا تعيش على الكفاف. وهذا الوضع هو الذي أوجد اللاسامية ومعها ـ في الخط الموازي ـ كارل ماركس وشيوعيته.

وإذا كانت اللاسامية في أوربا الشرقية قد ظلت عاملة في الظلام، وبشكل انتفاضات ضد فقراء اليهود ومماليكهم، فإنها في أوربا الغربية ظهرت بشكل حركة فكرية واجتماعية راسخة القواعد، تزعمها مفكرون مثل الفرنسي (إدوار دريمون) الذي تولى وزارة الثقافة في فرنسا بين عامَيْ ١٨٧٢ ـ ١٨٧٤ م، واشتهر بكتابه «فرنسا اليهودية» الذي يعتبره أنصار اللاسامية من القراءات الأساسية. وتلاه الأديب (شارل موراس) الذي طالت حياته من أواسط القرن الماضي ١٨٦٨ م إلى أواسط القرن الحالي ١٩٥٢ م وكان يمينيا متطرفا.

وتزعم المناقشة المتعقلة المعتدلة الصحفي اليهودي (برنار لازار) في كتابه (اللاسامية) وحاول فيه أن يشرح الفعل ورد الفعل، أي أن يحدد مسؤولية كل

وثنيات قديمة في الصهيونية الحديثة!

طرف في تشييد هذا الحصن من الحقد والتعصب. ولا ننسى المقال الذي كتبه دفاعا عن اليهود، الأديب الفرنسي (إميل زولا) في قضية الضابط الفرنسي اليهودي ألفريد دريفوس، الذي اتُّهم بالتجسس لصالح الألمان، وصدر عليه حكم بالإعدام والتجريد من الألقاب العسكرية، ثم خُفف الحكم إلى السجن المؤبد. وكانت مقالة إميل زولا من أسباب إعادة محاكمة دريفوس وتبرئته وردّ اعتباره. ونشرتها صحيفة (الفجر) يوم ١٣/ ١/ ١٨٩٨ م أي بعد أربعة أشهر تقريبا من اجتماع مؤتمر هرتسل للصهيونية العالمية في مدينة (بال) بسويسرا (من ٢٩ إلى ٣١ أغسطس ١٨٩٧ م). أما عنوان هذه المقالة في جريدة الفجر (أنا أتهم) فقد وضعه رئيس التحرير (جورج كليمانصو) الذي رأس الحكومة الفرنسية بعد ذلك في أثناء الحرب العالمية الأولى. فالصراع كما هو واضح بين التعصب اليهودي واللاسامية الأوروبية كانت له أسبابه المباشرة القريبة إلى جانب جذور قديمة متأصلة منذ العصور الوسطى الأوروبية.

وتحقق لهرتسل تخطيطه للصهيونية، بجمع عوامّ اليهود حول رموز وثنية مادية لا علاقة لها بموسى ولا بالتوراة: نجمة يقال لها «درع داود» وكيس من تراب مدينة القدس، وكتاب ادّعى هرتسل أن (الملائكة) أشارت عليه بكتابته، وقصيدة من شعر شاب متحمس من (أحباء صهيون)!

والوثنية من الأمراض المزمنة في إسرائيل: عبدوا العجل وموسى ما زال على قيد الحياة، كما شهدت بذلك التوراة والقرآن الكريم. وما كاد موسى وهارون يموتان، ويلحق بهما خليفتهما النبي يوشع بن نون، حتى انغمسوا بسرعة في عبادة الأصنام: «فارتكب بنو إسرائيل الشر في عينَيْ الله، وعبدوا الأصنام، وتركوا الله إله آبائهم الذي أخرجهم من أرض مصر، واتّبعوا آلهة أخرى من آلهة الشعوب المجاورة لهم، وسجدوا لها، فأسخطوا الله، إذ تركوا الله وعبدوا بَعْلَ وعَشْتَرُوت» (سفر القضاة ٢ : ١١ ــ ١٣). وجرائم الكفر والردّة والشرك والتجسيم والعبث بالشريعة والعقيدة، وما أوصى به أنبياؤهم من العدل والإحسان والتقوى ومكارم الأخلاق، تحتاج لإحصائها في كتبهم إلى سجلّات طويلة. فإذا رأينا الصهيونية اليوم تتبرك بالنجمة السداسية (درع داود) حتى أصبحت عندهم بمثابة الصليب في النصرانية، فإن لها في قديم الزمان سوابق لا حصر لها! عبدوا الحجارة والأشجار والآبار والينابيع، وكثر تنديد أنبيائهم بهذه الألوان من الانحراف، كما أن الصوفية اليهودية الحديثة في وارسو (بولندة) وفيلنا (لتوانيا) أوجدت مقدّسات كثيرة ما أنزل الله بها على موسى من سلطان، مثل تعليق سمكة من الفضة في غرفة المولود الذي اجتاز الختان في اليوم السابع من مولده، وتقبيل (المِزُوزَة) أي بَرَكَة الباب وهي علبة أسطوانية من البوص أو المعدن توضع فيها آيات من التوراة، من العجيب أنها تبدأ هكذا: «اسمع يا إسرائيل! الربّ إلهنا! الربّ واحد!». ولا بأس بعد ذلك من عبادة الدولار، والسخرية من أركان الدين، والاستهزاء بالنصوص التي تعتبر عندهم مقدسة. وقديماً نَعَى عليهم أنبياؤهم هذا الانفلات والإلحاد، فنبيّهم هوشع يقول إن الله أمره أن يذهب فيتزوج بامرأة من المومسات «واتَّخِذْ لك منها بنين من أولاد الحرام؛ لأنّ البلد تزنى زنًى في حق الرب!» (هوشع ١ : ٢) والنبي حزقيال يلجأ إلى أبشع الصور في زجره لقومه، حتى يقول إنه جاءه أمر بأن يصوم ثم يفطر على خبز ملوث بروث البقر والبشر؛ لأن السامرة وأورشليم ارتكبتا الزنَى في حق الله، منذ أن كان إسرائيل في مصر، ثم مع أشور «لذلك جعلتها في أيدي عشاقها، في أيدي بني أشور الذين ضاجعتهم. هم كشفوا سوأتها، وأخذوا بنيها وبناتها، وقتلوها بالسيف، فصارت عبرة للنساء، وتحكموا فيها»، (حزقيال ٢٣ : ٩ - ١٠). ومن المذهل أنه منذ ذلك الوقت وحتى الآن ما تزال إسرائيل الصهيونية منغمسة في هذا الكفر، لا تشعر بالتقزز من أكل (سندوتش حزقيال!) فهي تحلم بحركة (تنظيف عنصري) في فلسطين، صرح به ــ أكثر من مرة ـ قادة حزب (ليكود) ابتداء من مناخم بيغن إلى إسحق شامير إلى أرييل شارون إلى جئولا كوهين، وغيرهم من المتطرفين من الطرف الأيمن من المروحة السياسية للأحزاب الصهيونية، بل إن حزب العمل نفسه لا يخلو من كثير من المنافقين.

ففي خيال هؤلاء جميعا أن تعميق هوة الجوع والبطالة والفقر والمرض في الفلسطينيين سيضطرهم عاجلا أو آجلا إلى الهجرة من البلاد. وهم لا يتدبرون في أنفسهم، وأنهم تمّ تهجيرهم من فلسطين قديما. وبعد ألفي عام، قام فيهم هرتسل بوثنية صهيونية سياسية كانت أساسا لقيام دولتهم هذه. وليس إخلاص الفلسطينيين العرب، مسيحيين ومسلمين، لربهم وعقيدتهم بأقل عمقًا وقوّة من صهيونية هرتسل، وكرنفاليات الصهيونية المضحكة في إسرائيل، ولا ننسى هنا أن نشير إلى أن دعوة هرتسل الاستعمارية لفلسطين وجدت رفضًا قاطعا من الأتقياء في الشريعة اليهودية، بل وجدت شكًّا من كثير من العامة. فالصحفي الفرنسي (ألبير لوندر) أثناء إعداد كتابه عن الصهيونية بعنوان «اليهودي التائه رجع» قام بشبه استفتاء في حارات اليهود (الجيتو) في أوربا الشرقية وباريس ولندن، فوجد أن أكثر اليهود كانوا يتهربون من الذهاب إلى فلسطين، بعضهم لكبر سنه، وآخرون لكثرة الارتباطات المالية والعائلية في الغرب، وغيرهم لأن الدنيا في الغرب بخير، والمعيشة فيها أسهل وأكثر أمنا، وسواهم يخشى أن تكون القيود السياسية والدينية في (دولة اليهود) صعبة الاحتمال على من اعتادوا الحرية في الغرب، وكانت الخدمة الكبرى للصهيونية منحة من اللاسامية، أوّلا على إثر حركات اضطهاد لفقراء اليهود في أوربا الشرقية، ثم في الفلسفة الفاشيّة والنازية في إيطاليا وألمانيا بقيادة موسوليني وهتلر، التي تقول بإبادة اليهود، وما أعقب ذلك من (معسكرات الموت) النازيّة التي دفعت اليهود إلى الهجرة إلى فلسطين فزعًا من التفرقة العنصرية والتعذيب والموت. ووجد عرب فلسطين أنفسهم ـ تحت الانتداب البريطاني ـ مرغمين على دفع أغلى ثمن لجريمة لم يرتكبوها، بفقد وطنهم وأمنهم وحريتهم وسيادتهم

أمام أبشع غـزو في تاريخ العالم الحديث، وكـارثة سياسية واجتماعيـة من أفدح الكوارث وأكثرها تعقيدًا .

وترعرعت الوثنية القديمة في الصهيونية الحديثة، إذ أصبحت اللغة العبرية صنمًا من الأصنـام، بعـد أن شـوّهـوهــا من حيث الأداء الصـوتي، والمعجم، والاشتقاق، والتركيب، والأسلوب . وكـانـت وثنية اللغة العبرية قـد بدأت منذ القرن الخامس قبل الميلاد أثناء فترة السبي في أرض بابل بالعراق، وفي إقليم على نهر الخابور ـ أحد فروع الفرات ـ فقد زعم الذين كتبوا التوراة بعد هذا التاريخ ـ أي بعد موسى بألف سنة ـ أن حروف هذه اللغة الاثنين والعشرين قد رسمها الله ـ تعـالى عن ذلك علّـوا كبيرا ـ وكتــب بها اللوحين الحجـرين اللذيـن سلّمهما لموسى . جاء في التـوراة التي بين أيديهم الآن : «ولمّا فرغ من مخاطبـة موسى على طور سينـاء، دفع إليه لَـوْحَيْ العهد، لَـوْحيْنِ من حَجَر مكتـوبَيْن بإصبع الله» (التوراة، سفر الخروج ٣١ : ١٨) . وفي موضع آخر نقرأ هذا النص المنسوب إلى

> ○ عرب فلسطين وجدوا أنفسهم تحت الانتداب البريطاني مرغمين على دفع ثمن جريمة لم يرتكبوها، بفقد وطنهم وأمنهم وحريتهم وسيادتهم

موسى عليـه السلام : «حين صَعَدْتُ الجبل لأخـذ لَوْحَيْ الحَجَر، لَـوْحَيْ العهد الـذي قطعه الـربّ معكم . فأقمتُ بـالجبل أربعين يـوما وأربعين ليلـة، لم آكل خبـزًا، ولم أشرب مـاءً . ثم دفع الرب إليّ لَـوْحَى الحجَـرَ المكتـوبين بإصبع الله» (التوراة ـ سفر التثنيـة ٩ : ٩، ١٠) . وكان بنو إسرائيل في أسفل الجبل يعبدون العجل الذي صنعوه من ذهب سرقوه من المصريين ! .

هذا بـالإضافـة إلى الوثنيـة التي خلعوهـا على هيكل سليمان بعـد تدميره، يبكون عليه، ويتمسحون بما يتخيلون أنه من أنقـاضه، ويصومون، ويدخلون في حداد في اليوم الـذي يذكّرهم بهدمـه ـ التاسع من شهر آب ـ ويتشاءمون من هذا اليوم؛ لأنهم يظنون أن بختنصّـر الكلـداني ثم بعده بخمسمائة سنة تيتوس الروماني قد قاما بإحراقه وتهديمه، حتى بعد أن أعيد بناؤه بجهود نبيّهم نحميا، ثم بفضل ملك اليهود الأردني المتهوّد هيرودس الذي وُلد عيسى المسيح بن مريم في عهده . بل تصـوِّر الصوفية أن هيكل سليمان ومدينة أورشليـم (القدس) قد صنع الله لها منذ الأزل نموذجا مجسّما من الجواهـر والأحجار الكريمة في السماء، مازال كثير منهم يعدّها الأصل، ويتجه إليها، لا إلى الصورة الأرضية .

وما يـزال البكاء على أورشليم الأرضية مستمـرا إلى الآن . وقد قامت الـدولة الصهيونيـة بإزالة المباني العـربية المحيطـة بحائط المبكى، وإيجاد ساحـة واسعة أمامه يبكي فيهـا اليهودي ما شاء ! . لكن لماذا؟ لقـد كان يبكي على دولته التي محاها الكلـدانيون وأجهز عليها الـرومان . وها هي ذي قد أقيمت من جـديد . لكن المهم عنده هو أن يبكي، وأن يخاطب هذا الحائط . لدرجة أن شركة يهودية قـد أعلنت أن أي يهودي يـريـد أن يخاطب الله عنـد حـائط المبكى يستطيع أن يكتب إليه رسـالة، والشركة تقوم بحشر الـرسالة بين حجارة الحائط لقـاء أجر ماليّ معلوم . وهكــذا أصبح لله ـ تعالى ـ صندوق بريـد في القدس، وفي حائط المبكى ! وعلى ذكـر حـائط المبكى فقـد اشتهـر البرلمان الإسرائيلي بكثـرة التراشق باللعنات والسباب المقذع بين أعضائه، وقد نشرت صحيفة «معاريف» اليومية الإسرائيلية أخيرا قائمة مختارة مـن الشتائم المتبادلة في جلسات البرلمان الإسرائيلي تحتوي على ثمانية وثلاثين من تلك القذائف الكلامية، تناقلتها صحف الغرب، وانتخبت صحيفـة «لِبراسيـون» مـا يسمح القانـون بنشره منهـا، وعنهـا نقلتْ صحيفـة هزليـة، واستـوحت (حائط المبكـى) فوصفت البرلمان الإسرائيلي بأنـه (حائط البـذاءة) . ومن الألفاظ التـي سجِّلت هنا : أبلَـه! . زبالـة! . رِمّة ! . قذر! . متخلف! . متوحّش! . لُـوطيّ! . مسخ مضحك! . بشع! . إرهابي! . نازي هتلري! . أما أتباع الأحزاب الدينيـة من الحاخامات فيصيحون : كافر! . منحلّ الأخلاق! . أبيقوري يوناني شهـواني! . من فرسان سَدُوم وعمّورة! . وهما القريتـان اللتان دمـرهما الله . وأمام هـذا الطوفـان من النعوت أتـذكر مشـاجرة حدثت في إحـدى جلسات هيئـة الأمم المتحدة بين مندوب بـريطانيـا ومندوب روسيا، وصاح البريطاني : إذا كان ما تقوله حقا فلابد أن أكون أنا ثورًا أو حمارًا . وابتسم المندوب الروسي قائلا: أنـا يا سيدي دائب على مخالفتك فيما تقول حتى الآن، فـاسمح لي أن أوافقك على ما صـورتَ به نفسك! وسكت الـروسي وسط عاصفـة من الضحك . فليسمح لنـا البرلمان الإسرائيلي بموافقته في كل مـا نُقل عنه، وما تعففت الصحافة العالمية عن نقله أيضا!

لقد ملأت الصهيونية أرض فلسطين بالأنصاب، واشتهر من بينها نصب في القدس اسمـه «يَدْ وَشِم» يـرمز إلى المقاومـة وتخليد الذكـر لليهود الـذين راحوا ضحية الصراع بين الصهيونية والـلاسامية، والأغلبية العظمى من أولئك القتلى لم يكونوا من أتباع الصهيونية، ولكنها فرضت على العالم أن تكون الناطق الوحيد باسم اليهود أحياء وأمواتـا، وأن تجبي التعويضات عن القتلى منهم، لصرفها في قتل فلسطينيين فيما يسمـونـه السـامرة (الضفـة الغـربيـة) ويهودا، أو أورشليم (منطقة القدس) وكأنهم لم يقرأوا كلام نبيهم القديم إرمياء : « ففي أنبياء السامرة شهـدتُ حماقــة، إذ تنبأوا بـاسم (بعل) وأضلـوا شعبـي إسرائيل . وفي أنبيـاء أورشليم رأيت ما يقشعرّ منه البدن من فِسْق وإيغال في الكذب . إذ قوّوْا سواعد فـاعلي الشرّ حتى لا يتوب أيّ واحـد عن إجرامـه . فصاروا كلهم مثل سـدوم وأصبح سكـانها كعمّورة» (إرميـاء ٢٣ : ١٣، ١٤) . والآن، مع هـذه البارقـة الخافتة من السلام في فلسطين، سـلام الشجعان الشرفاء كما يصفونـه، ما تزال أسلحة الجيش الإسرائيلي الـذي وصف نفسه كثيرا بأنه (لا يُقهر) تتصيّـد صبية الانتفاضة ولا تتذكر غضب الله من العبـث في أرواح الناس وبلادهم بالفساد : «ففي ذلك اليوم ينفض الرب شجـره من مجرى النهر (الفرات) إلى وادي مصر، وأنتم تُلْقطون واحدا فواحدًا يابني إسرائيل» (إشعياء ٢٧ : ١٢) .

مهرجان الجنادرية والقيمة الحضارية الإنسانية

د. سعد أبو الرضا

لقد أصبح مهرجان التراث والثقافة الذي يقام كل عام في الجنادرية بالمملكة العربية السعودية معلمًا ثقافيًا بارزًا، نظرا لما يعرضه من تراث، وما يُناقش فيه من قضايا فكرية وأدبية ونقدية، تشكل أهم اتجاهات الثقافة خلال الفترة الزمنية التي يصبح فيها المهرجان ميدانا تتجلى فيه أهم معالمها، كما يسهم في إثراء المناقشات حولها، مفكرون مسلمون من كل أنحاء العالم، ذَوُو اتصال وثيق بهذه المعالم على المستويَيْن العربي والإسلامي.

من أهم محاور مهرجان العام الماضي

لقد كان من أهم المحاور الفكرية للمهرجان الثامن في العام الماضي: «الهوية الثقافية للأمة العربية»، و«أدب الطفل»؛ المحور الأول كان على المستوى العام، بينما كان المحور الثاني على المستوى المتخصص.

لكن المحورين كليهما لهما أبعادهما اللصيقة بحاضر العرب والمسلمين اليوم، بالإضافة إلى تشكيلهما لبعد إنساني حضاري، يتمثل في الاتصال المعرفي بين الثقافة ومنظومة العلوم والمعارف الإنسانية بصفة عامة.

كما يرتبط المحوران كلاهما برباط وثيق، عندما يتجلى الإسلام بقيمه ومبادئه مسهمًا في تشكيلهما، فاعلاً فيهما، مع بقية العوامل الأخرى المجلية لهما.

ولعل من أهم العناصر المشكلة للهوية الثقافية للأمة العربية: الإسلام واللغة والمتغيرات. وقد نوقشت في المهرجان هذه العناصر مناقشة علمية جادة، أضاءت حركة «المد الإسلامي» اليوم، التي


الجنادرية
خادم الحرمين الشريفين يرعى افتتاح المهرجان الوطني الثامن للتراث والثقافة ويسلم الجوائز للفائزين في سباق الهجن السنوي الكبير
اهتمام ورعاية خادم الحرمين الشريفين وسمو ولي عهده الأمين بالمهرجان هو تشجيع ورعاية للثقافة والتراث
الافتتاحية

من مطبوعات المهرجان

تجاوزت المفهومات الضيقة، فأكد هذا النقاش قيمة التعدد في إطار الوحدة، بما يحقق التعاون والتآزر بين كل العرب والمسلمين. وما يدفع بحاضرهم ليكون خير امتداد لماضيهم، فتتعايش كل الأديان، والإسلام ضامن للعدل والحرية والإيجابية، دون عصبية ضيقة تقيد فاعلية الإنسان العربي المسلم، في عالم تملؤه المتغيرات. وقد أكد أحد المتحدثين وهو الشيخ يوسف القرضاوي ذلك المفهوم: التعدد في إطار الوحدة، ليؤكد سماحة الإسلام وإيجابيته، وذلك ملمح حضاري يمكن أن يكون أساسا لمجتمع متقدم، وأمة متحضرة وعالم راق، بفضل هذا الوعي الإنساني الثقافي المتميز لمفهوم التعدد في إطار الوحدة.

ومن خلال المنظور الشامل السابق انتظمت عدة لقاءات أخرى على المستوى العام بما يدعم التوجه العربي المسلم المستنير، وما يضيء كثيرًا من جوانب الموقف الحضاري الإسلامي اليوم، كالندوات التي عقدت تحت عنوان: الإسلام في العالم الغربي، والنفط والفكر في منطقة الخليج العربي، ومستقبل الإسلام في منطقة البلقان، والحركة الإصلاحية في الجزيرة العربية، وكتابة التاريخ الإسلامي، وغيرها، لتربط بين الواقع المحلي والمستوى الدولى لعالم اليوم، في حركة واعية تدرك دور العرب والمسلمين في بناء الحضارة أمس واليوم، كما تحاول أن تضيء ما يبذل في هذا المجال، وترشيد هذه الجهود.

وليس محور الاهتمام بالطفل وثقافته وأدبه إلا ركيزة لتشكيل المجتمع والأمة التي يناط بها هذا الدور الحضاري المنشود، لذا كان هذا المحور أحد جناحي هذا المهرجان على المستوى المتخصص، وتعددت اللقاءات حوله، وقد تمثل ذلك في ندوات تحت هذه العناوين: «السير الشعبية في أدب الطفل، ونظرة مستقبلية إلى أدب الطفل، والقصة

والمسرح في أدب الطفل، والطفل ووسائل الإعلام. والشعـر والأغنيـة في أدب الطفل، والمنعطفـات الرئيسـة في تطور أدب الطفل». وقـد كشفت هذه اللقـاءات، ومـا دار فيها من نقـاش عن جـوانب العنـايـة والاهتمام بالطفـل وثقافتـه وأدبـه، لإيجاد شباب واع واعـد قادر على البناء، والقيـام بما يناط به من تبعات، وثمة ملحوظـة مهمة جديرة بمزيد من الـرعاية كي يحقـق أدب الطفل وثقافتـه الدور اللائق بهما في تنشئة أطفالنا تنشئـة صالحة، وتربية أذواقهم، وصقل مواهبهم: ألا وهي تحديد المرحلة السِّنِّيَّـة لكل نتــاج أدبي أو ثقــافي يــؤلَّف لهؤلاء الأطفال، حتى تقدم لكل مرحلـة سنية ما يلائمها دينيًـا وعقليًـا ونفسيًـا ووجـدانيًـا، وبـذلك يتيسر لـلأسرة وللمدرسـة اختيار المادة المعـرفية الصـالحة



ندوة «كتابة التاريخ الإسلامي» (٢٤/ ١٠/ ١٤١٣ هـ) - (واس).

المنـاسبة للطفل، تلك المادة التـي نحن أحوج مـا نكون إليها، مع تعـدد المؤسسات التي تولي الطفل رعـايتهـا على المستويين المحلي والعـالمي، كما أننـا بحاجة إلى الكاتب المؤهل للتصدي للإبداع في هذه المادة؛ لأن اللغة التي يكتب بها للطفل، والوسائل التعبيريـة التـي تـوظف في مثل هـذا النتـاج ذات صفات فنيـة خاصـة، وهي وإن اختلفت عن لغة أدب الكبار، لكنها نوعيا ذات فنية خاصة. من ثم فإن كاتب أدب وثقافة الطفل بحاجة إلى مزيد من الاتصالات بـالدراسات الفنيـة والتربوية والنقـدية وغيرهـا من العلـوم والمعـارف التي تعمل على رفع كفاءته، وتهيئته للإبداع في هذا المجال.

ولعله قد وضح أنه بالتآزر بين هذين المحورين ـ الهويـة الثقافية لـلأمة العربيـة وثقافــة الطفــل وأدبه ـ، وتوثيــق الاتصال بينهما، يمكن أن نحقق لمجتمعنا وأمتنا، وعالمنا ما نرجوه من خير، وبذلك تتأكد قيمة المهرجان الحضارية، وفاعليته في التغيير والتنمية الثقـافية للحيـاة العربيـة، والمد الإسلامي الواعي، فكرًا وبشرًا.

وتأتي معـارض الفنون الشعبيـة والتراث، التي أُحسِن عرضها وتشكيلها في قرية الجنادرية وافتتاح المهرجان، حاملة لعبق التراث الذي يضوع أريجه في وجـدان زائرها، عنـدمـا يتمثل له الماضي متصـلاً بالحاضر سواء في مشاهد الحياة العادية (كالسواني) وسبــاق الهجن، أو معــارض الكتب، وأنشطــة المؤسسـات المختلفة، ونماذج لبعض مـا يوجـد في مدن المملكة من آثار، وتطـور، شاهدة على ازدهار النمو اليوم، كما كانت حياة الأمس مشرقة بالعطاء والخير، الـذي يـرمي إلى ترقيـة المجتمع السعـودي والأمـة الإسـلاميـة، حتى لقـد كـان نشيـد أرض الرسالات للدكتور غـازي القصيبي، الذي أخرجه الفنـان محمـد عبـده، وأداه بـالاشتراك مع الفنـان طلال مداح خير معبر عن الماضي والحاضر إخراجا وأداء.

ولقـد استطاعت المنشـورات والكتيبـات التي رافقت المهرجان، وأجهزة الإعلام المختلفة أن تصور كل مـا سبـق خير تصـويـر، وأن تقــدم للقـارئ والمشـارك والزائر صـورة مشرقة للقيمـة الحضـاريـة الإنسانيـة لهذا المهرجان، ومـا بذل فيـه من جهود حقيقية مخلصة.

وهكـذا بكل مـا سبق تتأكـد قيمة المهـرجـان الحضـاريـة، وفاعليته في التغيير والتنمية الثقـافية، للحيـاة العـربيـة والمد الإســلامي الـواعي، فكـرًا وبشرًا.

تطلعات لمهرجان هذا العام

إننا نتمنى لمهرجان هذا العام مزيدا من الارتقاء في بـرامجه وفعاليـاتـه، ليتضـاعف عطاؤه المتميـز، وينتشر تأثيره في الفكـر والثقــافـة على المستـويين المحلي والعالمي أكثر وأكثر، وهي الرغبة التي أكدتها اجتماعات النشاط الثقافي يومي ١٣، ١٤ من ربيع الآخر الماضي، برعاية صاحب السمو الملكي الأمير بدر بـن عبد العزيـز، نائب رئيس الحرس الـوطني رئيس اللجنـة العليـا للمهـرجـان الـوطني للتراث والثقــافــة، ويمكن أن تتحقق هــذه الأمنيــات والطمـوحـات بـاتسـاع رقعـة النشـاط الإعـلامي للمهرجـان، فلا يكفي أن تـوزع مطبوعـاته داخل قـاعات المهـرجـان، بل يجب أن تزود بها مكـاتب الصحف المنتشرة في أرجـاء المملكــة، ويمكن أن تقدم للجماهير العـريضة بأسعار رمزيـة، أو توزع على الأنديـة الأدبية بـالمملكة يـوميا، وبـذلك يتم الاتصـال المبــاشر، وتتـوثق عـراه، بين قــاعـات المهرجان وفعالياته وكل أرجاء المملكة، بل حبذا لو تجاوز التوزيـع لهذه المطبوعات إلى مكـاتب الحرس الوطني خارج المملكة، ومراكزها الثقافية يوميا.

ويمكن أن تتضـاعف البرامـج التي تقـدمهـا الإذاعـة المرئيـة والمسمـوعـة بـالمملكـة حـول هـذا المهـرجـان، خاصـة عنـدمـا تستضيف المفكـرين السعوديين والضيـوف في لقاءات فكـرية ثقـافية، تكشف عن جوانب هذا الملتقى الحضاري.

وأتصور أن المسرح الملتزم يجب أن يكون له دور في جلاء فعاليـات هذا المهرجان، سـواء بالعروض التي يمكن أن تقدم، أو البحوث والدراسات التي يمكن أن تغطي فكريا هذه المساحة، وبخاصة إن المملكة تشهد بدايات جادة في هذا المجال.

وإذا كــان استقبــال الضيــوف والمشــاركين ووداعهم يتم في حفـــاوة وكـــرم عـــربيين آسرين بمطـاري الملك عبد العـزيـز بجـدة والملك خالـد بالريـاض، وإقامتهم بفندق الرياض بـالرياض، وفنـدق الحمـراء بجدة عنـد المغـادرة.. فإن هـذا الفنـــدق الأخير يحتـــاج إلى حضــور مـن بعض المسؤولين حتى تتم المغادرة بصورة تتناسب وعظمة المهرجان وما يقدم فيه من فعاليات راقية.

بذلك تتآزر كل الجهـود المبذولة في إخلاص، لتقديم وجلاء الصورة الكريمة الرائعة لهذا المهرجان العظيم وفعالياته، وسوف يظل هذا المهرجان وجها مشرقًا من وجـوه المملكة المضيئـة، اللافتـة للنظر، ومعلمًا حضاريًا خالدًا.

منهج التوجيه الإسلامي للعلوم وخطة عاجلة

د. جودة محمد عوّاد

تمهيـد تـاريـخي

قامت الحضارة الإسلاميـة على أساس أن «طلب العلم فريضة على كل مسلم»، وكـان المسجـد هو المـدرسـة والجامعـة لكل العلوم النـافعة للكبـار والصغار، يبغـون بالعلم وجـه الله، علماء ومتعلمين، وتفجرت ينـابيع المعرفة الصافيـة في كل أرض وطئتها قدم مسلمـة، واشتهر المسلمـون بأنهم حملةعلم وحكمـة وعدل ورحمة، في أيديهم وقلوبهم كتاب الله ـ أبجدية العلوم والمعارف كلهـا ـ حيث عـاش الجميع ـ من عـارفيه ومنكـريـه ـ حضارتـه وثقافته، وتأثروا بتراثه الحافل بالمحامد والأمجـاد.

واندlاحت «**دائرة المعرفـة القرآنية**» حتى وسعت المعمورة كلهـا في قصة طويلـة رائعة وموثقة رواها مؤرخو الحضارة، وراصدو حركـة الإنسان النشيطة على الأرض.

ونشأت «**دائرة المعارف الإسـلامية**» التي كتبهـا وأعـان عليهـا رجـال لا يحصـون عـددًا من المـؤلفين والمحققين والـدارسين في كل فنـون الثقافـة وآدابهـا.

نقطة التحول في تاريخ العلم

قامت الحضارة الحديثة على أساس المدنية اليونانيـة القديمة وفلسفتها المادية، وكانت تقاليد اليونان تحب كثرة الأفراح والأعياد والألعاب والتماثيل والغناء، وجعلت لتلك الأشياء علوما تـدرس باسم «الفنـون»، ولهـج الأدباء والمؤلفـون بالحرية الشخصية التي تصل إلى إباحـة الزنى والشذوذ الجنسي!

وحظيت «**المكتبة العربية**» بحصـاد هائل بهـر العالـم قديمـه وحديثـه، وأذهـل الدنيا! لكنهم بعد ذلك تجاهلـوها، بل وضعوها في «قفص الاتهام» بحجـة أنها لـم تعد قادرة على العطاء والنماء والتقدم، وأن لغتها لا تستوعب مصطلحـات العلم المتجـددة، وكذبوا على أنفسهم، وكذبـوا على الناس، وكانت الكارثة!

أما الغرب، فقام بـدور «اللص الذكي» الذي يسرق تراثنا ثـم يبيعه لنا مرة أخرى في صورة «مـذاهب معاصـرة»، وبقينا نحن بـلا «تراث حضـاري» ولا «مذاهب معاصرة».

وأما الشـرق، فقد اكتفى «بتحفيظ التراث» وإطلاق البخـور حولـه، دون أن يقوم بنشره والاستفـادة منه، وما أحوجه إليـه لحل مشاكلـه، والقضاء على عقده ومخاوفه!

أما شعائرهم الدينية فكانت محـاكاة لأساطير الإغريق، حيث اتخذوا من الدين صـورة توحدهم فقط، وإن كـانوا لا يسمحون (للآلهـة) بالتدخل في حياتهم العملية والتشـريعية. حيث كانوا يعبدونها في المعـابد ويهزؤون منها في دور السينما والمسارح.

وهكذا ظهرت المادية في شتى العلـوم:

فهم يفسرون الأخـلاق تفسيرًا مـاديًا، ينشـرون الفلسفـة النفعية، واللذة الأبيقورية، وتقسيـم الأخلاق إلى شخصية واجتماعيـة، وأن رجـال السيـاسة لا بد أن يتخلقوا بأخلاق الثعالب، ولا يحتشمـوا من الكذب والخيانة ونقض العهود.

وأصبح دين أوربـا الجديد هو «عبادة المال».

وكنائسه «المصانع الضخمة والمختبرات ومراكز توليد الكهرباء»، وكهنته

«رؤساء الصيارف ونجوم السينما وأقطاب التجارة».

وظـهـر «مـاركس» اليهـودي ليصوغ النظرية الاقتصادية الاشتراكية (الشيوعيـة)، و«فرويـد» ليصـوغ النفس المـاديـة بـرغبتها وأحـلامهـا، و«داروين» ليصوغ - مع آخرين - نظرية التطور العضوي ونشأة المخلوقات بعيدًا عن الدين وأصبح ذلك كلـه علوما تدرس في الجامعـات.

وهكذا بدأت الحضارة من نقطة الإلحـاد والمادية، وصيغت الأخلاق في قالب الشهوات والربا والإبـاحية، وسلط على المعيشة سلطان الأثرة والشح، ودُس في عروق «الاجتمـاع» وشرايينـه سموم عبـادة النفس والأنانيـة والإخلاد إلى الراحـة والتنعـم! ولطخت السيـاسة «بـالجنسيـة والوطنيـة وفروق اللـون وعبادة إلـه القوة».

ووقف رجـال الدين النصـارى من هذا كلـه يبيعون المنـاصب والوظائف كـالسلع، ويؤجـرون أرض الجنة بـالوثـائق وصكوك الغفـران، ويأذنون بنقـد القـانون، وتبـرج النسـاء وشرب الخمـر وأكل الربـا ولحـم الخنـزير وعـزف الموسيقى والغنـاء مباح حتى في دور العبادة!

بل وصل الأمر إلى إباحة الشذوذ الجنسي في وثيقة زواج.

بعد هذه الجولة نتأكد من حدوث انحراف خطير في مسيرة العلم، وخلط كبير بين العلوم النافعة والعلوم الضارة.

والانحـراف لـم يلـوث «العلوم الاجتمـاعية» فقط، لكنـه امتد إلى العلـوم الهندسيـة والطبيـة والطبيعية كافـة، بل وإلى العلوم الشرعيـة أيضا، التي لم تسلم من التشويه على يد بعض «المستشرقين» الذين انبهرنـا بكثرة علومهم، وابتليت أمتنا بإرسال رجال دينها لنيل الدرجات العلمية في العقيدة والشريعـة وعلـوم اللغـة العربية ممن لا يدينـون بها، كأنما أنزل القرآن عليهم من دوننا، حتى إن أربعة من مشايخ الأزهـر يحصلـون على شهـادتهم العالية من جامعة «السربون» بفرنسـا.

لقـد حـرص الاستعمـار على تـرسيخ لغـاتـه ومنـاهجـه في المـدارس والجامعات في بلادنـا حتى إذا رحل بعسكـره، اطمأن تماما إلى دوام اتصالنا بـه، وحاجتنـا إليه، وفي بلادنـا من ينفذون خططه بدقـة، ويمجدون لغته في التعليم والإعلام.

والبـداية كـانت من أيـام «محمـد علي» والي مصـر، الـذي أبعد علمـاء الإسلام وغدر بهم، وسفـك دمـاء المئات في مذبحة القلعـة الشهيرة، وولى وجهه شطـر أوربـا، فكـانت كعبته من دون البيت الحـرام، وبـدأ باستقـدام الأجانب بكثرة إلى مصر ومصادقتهم وتوليتهم المناصب، ثم تلا ذلك بترجمة الكتب، ثم إرسال البعثـات إلى أوربـا، وأخيـرًا افتتاح المـدارس الأجنبية في مصـر التي بـدأت سنة ١٨٣٨ م بمـدرسـة الأرمن ثم المـدارس اليونـانيـة ثم الإرساليـة الكاثوليكيـة (الفرنسيسكان)، ثم الإرساليـة التبشيرية الإنجليـزية.

واستمر النشاط التبشيري والمدارس الأجنبية في مصر بعد **محمد علي**، حتى إن عهد حفيده (**سعيد باشا**) يُعَدُّ عهد المدارس الأجنبية.

ولم يتوقف بنـاء المدارس الأجنبيـة في مصر حتى الآن، وقـد قامت وزارة التربية والتعليم نيـابة عن الدول الأجنبية ببناء هذه المـدارس باسم «المدارس التجريبية للغات»؛ لمزيد من التغريب ومحو الهوية الإسلامية.

ولمعرفة الأعداء بخطورة التعليم والإعلام، فإنهم يخططون بهدوء وذكاء، لإفسـاد ديننـا بشتى الطـرق، ولا شك أن الأصـابـع الخفيـة التي تقف خلف سيـاسـة تطويـر التعليم في هـذه الأيـام تسعى لطمس عقيـدة الأمـة بشكل تدريجي!

وإذا كنا نعـاني من الـزيادة المستمـرة في المدارس الأجنبيـة (اللغـات) والدعاية المستمرة لها في وسـائل الإعلام حتى أصبح راسخًا في عقول الناس أن المدارس الأجنبية (اللغـات) أهم من المدارس الإسلامية ومدارس التعليم العام، فإن معاناتنا من كلياتنا الجامعية أشد، وإنك لتتخيل وأنت في إحدى كليـات الطب أو الهنـدسة أو العلـوم أو التـربية أو الاقتصـاد مثلاً، أنك في مقاطعة أمريكية، أو في إحدى المستعمرات الإنجليزية.

المنهج نفسه! اللغـة نفسها! الأسلوب نفسه!

ولم يتـوقف عدونـا عند هذا الاستعمـار التعليمي والإعلامي والثقـافي، وإنمـا وصل إلى بنـاء جامعـات تبشيـرية مثل/ جـامعـة سنجـور والجامعـة الأمريكية وغيرهمـا.

المفهـوم والأهـداف

الدين من عند الله، والعلم من فتح الله على الناس، والإسلام الذي جعل الإيمان بالغيب علامـة للتقوى، جعل استخدام العقل أساسا لطلب المعرفـة والتعامل مع الكون، والاعتبار من التاريخ وسير الشعوب والأمـم.

وقـد مضى زمن طويـل في محاولات التـوفيق بين الـدين والعلم، أو بين العقل والنقل، كأنما أحدهما من عند الله، والآخـر من عند الشيطان.

وقد آن الأوان لكي نطوي هذه الصفحة.

ولا يوجد ما يسمى بـ «العلم المحـايد» الذي لا دين لـه ولا وطن، فتلك أكذوبـة يروجهـا من لا يفهم الحكمة من وجـوده في الكون، أو ذلك الـذي ينكر وجود الله.

والطـريقة الإسـلاميـة لتدريس العلـوم، تعني بـذل جهـد لإضفاء صبغـة الإسلام على علـوم تبدو أنها غيـر إسلامية، وهـي تعيد العلوم إلى مكـانها في كنف الإيمان والتوحيـد، لتؤدي دورها في إصلاح النفـوس، وتهذيب السلوك الإنساني، وإلا صارت العلوم كلها خطراً، وحفرت للبشرية قبراً.

وتعتمد هذه الطريقة على الطفل (الدارس)، والمعلم (الأستاذ) والمنهج والمكـان والإمكـانـات. ولكل عنصـر تفصيل، وذلك لصياغـة الشخصيـة

منهج التوجيه الإسلامي للعلوم وخطة عاجلة

الإنسانية صياغة إسلامية عقيدة وفكراً وسلوكاً، ليحسن علاقته بالله وعلاقته بالكون وعلاقته بنفسه وعلاقته بأخيه الإنسان.

ومن أهم ما تهدف إليه الطريقة الإسلامية لتدريس العلوم: البركة في العلم، والبركة في العمر من الله سبحانه وتعالى، ونحن ندرس العلم بعيداً عن الله، فتقل بركته ونفعه، ويكثر خطؤه، ونجني ثمارًا مُرة، فلا استفادة من نتائج البحوث والرَّسائل، ولا تقدير للخريجين، الذين يقصدون بعلمهم مجرد الحصول على «شهادة التخرج»!

وتضيع الملايين من الأموال في دعم التعليم، كما تضيع أبهى سنوات العمر في علوم تافهة. وتطول فترة الطفولة عندنا، (إلى قرابة خمسة وعشرين عاما).

والمناهج الإسلامية تقصر عمر الطفولة عمليا، وتفتح آفاقًا جديدة للعمل الحلال والبحث والاستثمار الحلال، وتسخير الجبال والبحار والصحارى، مع انتشار الأخلاق الإسلامية من الحب والإيثار والصدق والقدوة والإتقان وغيرها. وتوفيق الله سبحانه وتعالى يختصر الوقت والجهد، ويحمينا من كثير من التجارب الفاشلة (كالأمم التي نقلدها في مناهجها)، فنحن ــ بغير الله سبحانه وتعالى ـ نتخبط من خطأ إلى خطأ، ومن منهج مستورد إلى آخر. **وآن الأوان لتكون مناهجنا ذاتية، مستمدة من أصولنا الشرعية.**

منهج إجرائي تنفيذي

ويشمل عناصر التربية الأربعة بالإضافة إلى جيل الرواد الذين سنبدأ بهم التجربة.

العنصر الأول: جيل الرواد:

ويقصد بهم الصفوة الذين يبدؤون تجربة «**أسْلَمَةِ العلوم والمعارف**»، وهؤلاء مع تقديرنا التام لحسن نواياهم ـ وبعضهم قد أعد فعلا كتبا في «**الاقتصاد الإسلامي**»، و«**الاجتماع الإسلامي**»، و«**نحو طب إسلامي**»، و«**النظرية الهندسية في المباني**» وغيرها ــ فإننا ندعو أنفسنا وإياهم إلى دورات منظمة لتعرف ملامح العقيدة الإسلامية وأركان الإيمان ومبادئ التجويد وعلم مصطلح الحديث وأصول الفقه، وكم يحزننا ذلك الأستاذ الذي لا يُحسن قراءة القرآن، ولا يعرف الحديث الصحيح من الضعيف ثم يتحدث في «الإسلاميات».

وهذا مطلب أولي، أي إنه للمشاركة في إعداد المناهج يجب أن يشترط فيمن يشارك إتقان هذه العلوم الأساسية (القرآن والسنة).

أما الخطوة الثانية في إعداد الرواد: فهي دوام اتصال بعضهم ببعض، والتعاون في ندوات علمية منتظمة (أسبوعية أو شهرية)، بعضها تخصصي (في علم واحد)، والآخر عام (في العلوم كلها). كذلك الندوات التي تعقدها جمعية الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، وفيها دعوات مستمرة لأساتذة الجامعات في فروع العلم كافة للمشاركة في إلقاء محاضرات «إسلامية» في تخصصاتهم، نجذبهم لهذا العمل، ونشجعهم عليه في جلسات تحل الفصام بين الدين والعلوم، وتقلل من جفاف المادة العلمية حيث يبدأ الأستاذ بعرض الآيات والأحاديث الصحيحة ــ التي تتناول علمه، أو تشير إليه، ثم يعرض ما عنده من أفلام ووسائل إيضاح، يتبع ذلك العرض بشرح جميل سهل مبسط، وفي النهاية يُفتح الباب للمناقشة والحوار الهادف.

ومن دون هذه الجلسات لا يمكن إعداد الأُطُر (الكوادر).

فإذا كان ثمة خطأ أمكن تدارسه، قبل أن تعمم التجربة.

أي إننا نتعلم الضوابط والمعايير من التجربة والخطأ ... واقتحام التجربة خير من وضع شروط كثيرة نظرية لا تطبق غالبا.

فإذا أتقن (الأستاذ الجامعي) القرآن وصحيح السنة، وحضر هذه الندوات، سينقل التجربة حتما إلى طلبته في الكلية، وبالتدريج سنجد الأمر وصل إلى جميع الكليات الجامعية (التي تخرج المدرسين) ومن ثم إلى جميع المدارس.

المهم أن نجذب أكبر عدد من الأساتذة المسلمين في التخصصات كافة، ونغريهم بالعمل، ونحببهم فيه، ونقوّم أخطاءهم برفق حتى تتولد عندهم الثقة في أنفسهم، وتقل المخاوف من عملية الإقدام.

وبغير هذا الأسلوب لا تنجح التجربة.

العنصر الثاني: المدرسون والدعاة:

وأقصد بالمدرسين تلامذة الرواد، وبالدعاة أي العاملين بالدعوة الإسلامية بالمدارس والمساجد.

وإذا كنا بصدد تجربة، **فلا بد من اختيار أفضل العناصر من الطلاب الجامعيين والمعيدين بالكليات.**

إذ لابد من اشتراط حفظ أجزاء من القرآن الكريم كشرط للالتحاق بأية كلية جامعية كما يشترط النجاح في القرآن الكريم قبل التخرج في الكلية ذاتها، حتى يمنح الخريج شهادة التخرج. (الواقع أن بعض الكليات تشترط على الطالب النجاح في اللغة الأجنبية كشرط لحصوله على الشهادة، دون أن يكون هناك ارتباط بين نوعية التخصص واللغة، اللهم إلا لتأكيد سلطة الاستعمار في بلادنا. وآن الأوان لكي يحل القرآن الكريم ـ كتاب الله ـ محل اللغة).

ولا بد، لاختيار المدرسين والدعاة، من اختبارات أخرى بجوار القرآن الكريم، مثل قوة الشخصية والثقافة العامة وسلامة الأعضاء وغيرها.

وعند تعيين المعيدين (أو المدرسين) لا يكتفى بالتقدير (جيد جدًا أو

امتيـاز)، بل على العكس يمكن قبـول الحـاصلين على تقـديـر (مقبـول أو جيد)، مثـلاً، مع توافـر الشروط الأخـرى من الشخصية والقبول وفـن توصيل المعلومة.

ذلك لأن جمعًـا غفيرًا مـن أساتـذة الجـامعات (والمعيـدين) رغم كثـرة علمهم وتفـوقهم لا يحسنـون تـوصيـل المعلـومـات، وليس لهم قبـول عنـد الطلاب، من هنا يجب تلافي هذا العيب في التجربـة الإسلامية، على أن نترك فـرصة سنة دراسية مثـلا لاختبار كفاءة المعيد (أو المـدرس) وقدرتـه في التـدريس، وبعدهـــا إمـا أن يبقى ويستمـر وإمـــا أن يُفصل، ويكـون رأي الطلاب هو الحكم.

أما الدعاة والوعاظ في جميع المسـاجد والمدارس فيجب أن يشاركوا في هـذا المجال، ويمكن تكليفهـم بدورات دراسيـة منتظمـة في الجامعـات،

○ آن الأوان لكي يحلّ القرآن الكريم محلّ اللغة الأجنبية كشرط للنجاح قبل التخرج في الجامعة.

تتناول بعض المواد التي تساعدهم وتعدهم، ونهيب بجامعـة الأزهر أن تأخذ زمام المبادرة فتبدأ بهذه الدورات ثلاثة أسابيع في كل عام مثلا.

وهذه المواد هي:

أولاً: مادة تدريس العلوم وتاريخها وتطورها للدعـاة:

هـذه المـادة تـزود الداعيـة بقـدر معقـول من العلـوم المختلفـة، وأهم المفـاهيم العلمية للمخترعـات الحديثـة وفوائدهـا وأضرارهـا أيضـا، وذلك حتى لا يقع الدعـاة في أخطاء جسيمة قـد يتلفظ بها بعضهم على المنـابر، كالـذي يُفسر حـدوث الزلزال بأن الأرض يحملهـا ثور على قرنــه، فإذا نقلها على القـرن الآخـر حـدث زلـزال، وذلك الـذي يُنكر كـرويـة الأرض؛ لأنهـا تتعارض - في رأيه - مع قوله سبحانه ﴿والأرض مددناها﴾، وذلك الذي يُنكر معرفة نوع الجنين بالأشعـة؛ لأنها تتعارض مع معرفة الله للغيب.

والأمثلة كثيرة، وقـد آن الأوان لكي يكون الـداعية من أكثـر الناس علمـا وثقافــة ووعياً، وذلك حتى إذا قصـر المدرسـون في المدارس، وجـد النشء التوجيه الإسلامي الصحيح للعلوم في المسـاجد.

هـذه المـادة تقسم إلى فصـول، كل فصل يتحـدث عن علم من العلـوم الطبيعية والحيوية والكونية: كيف نشأ وإلام وصل، وبالطبع فكل فصل يؤديه أستاذ متخصص في عدد من المحاضرات المحددة خلال الدورة.

ثانيا: مادة التربية الإسلامية المقارنـة بمناهج ومقررات التربية الحديثة:

هـذه المادة خـلاصات لـلأقسـام الرئيسـة (علم النفس وأصـول التربيـة والمناهج). ونحن في حاجـة لبعض هذه المعـلـومـات مقَارَنـةً بما عندنـا من القرآن والسنـة والتراث، وذلك لتقريب المسـافة بين الدعـاة والمدرسين، حتى لا يعمل كل فـريق منعـزلاً عن الآخــر، فإذا قلنـا إن المـدرس يجب أن يدرس تربية إسـلامية من مصادرهـا (تفسير وحديث وفقه وسيـرة) فإن الداعية يجب أن يعرف شيئًا عن مقاييس الذكاء، وخصائص النمو في كل مرحلـة من مـراحل العمر، ومظـاهر الصحـة النفسية واعتلالهـــا، وأثر الفـروق الفرديـة والاجتماعية في عمليـات التلقي، وأن يعرف الجذور التاريخيـة لكل ما يدور الآن إلى جانب التجارب التـربوية الموجودة في العالم حـولنا، حتى لا نكون في معزل عن العالم.

ثالثًا: وسائل التبشير الحديثة وكيفية مواجهاتهـا:

وفي هـذه المـادة يجب أن نعــرف كيف تعمل الجمعيـات المشبوهـــة والجامعـات المشبوهـة ومدارس التبشير ونشاط التبشير عموما. والإجراءات الواجب اتخاذهـا لوقف هذا النمو.

رابعًا: الـروايات الضعيفـة في التفاسيـر والحديث والتحذيـر من إذاعتها وبخاصة الروايات المشهورة التي تسببت في تخلف الأمـة زمناً.

العنصر الثالث: الطفل أو المتعلم:

قبل أن ندرس له العلوم بطريقة إسلامية، لا بد من إعداده بعقلية إسلامية بالعنـاصر التـالية، التي يتعـاون في توصيلهـا وتثبيتها عنـده المسجد والبيت والمدرسة ووسائل الإعلام.

وبغيـر هـذه العناصـر، نكـون كمن يحـرث في البحر، وتضيع جهـودنـا سُدى. ويمكننا أن نلخص هذه العناصر أو المبادئ ونكتبها في ورقة نعلقها أمام مكتبه، ليراجعها كل حين، ويدرك ما فاته منها. هذه المبادئ هي:

١ ـ أن يعلم أن الدعـوة إلى الله أشرف الأعمـال جميعا، وأن علوم القرآن والسنة من أعلى العلوم، وأنه لا غنـى للمسلم عنها، ولا بد للمسلم أن يكون داعية إلى الله في مكانه وفي تخصصـه، فالطبيب داعية، والمهندس داعية، والصانع داعية وهكذا. وأن القرآن قد شمل العلوم جميعا، كما شمل الشرائع الأخرى قبلنا (اليهـودية والمسيحية) فلا داعي للبحث فيهـا، وأن العلماء هم ورثة الأنبياء إلى يوم القيامة.

٢ ـ التأكيد على معـاني الربـوبية والعبـودية، وتقـديم أمر الله على أمـر الناس، والإسراع في مرضاة الله سبحانه، حتى يُسرع في إرضائنا.

﴿ **وما تقـدموا لأنفسكم من خير تجـدوه عند الله هو خيـرًا وأعظم أجرا**﴾ المزمل: ٢٠.

والمسلم يطلب من الله على قدر رصيده من الصالحات عنده، وللدعـاء آداب تجب مراجعتها.

٣ ـ كثـرة ترديد الأذكار اليـومية البسيطة والانشغال بهـا، والنفس إذا لـم

منهج التوجيه الإسلامي للعلوم وخطة عاجلة

تشغلها بالحق والخير شغلها الشيطان بالوساوس والباطل، وأن يُذكّر بعضنا بعضاً إذا نسي، والأذكار تكون من الصباح إلى المساء، وفي جميع الأماكن تقريباً فيجب أن نراجعها، ونعيد ما فاتنا منها.

٤ ـ التربية على التفكير للجماعة والتخطيط للجماعة (المسؤولية الجماعية) ولا يصح أن يحلم كل منا لنفسه، ويخطط لنفسه في معزل عن أسرته وبلدته، وهذه نقطة في غاية الأهمية.

٥ ـ التربية على حب الجهاد والقوة والشجاعة والبطولة. وأن نبث في المسلم أنه أقوى الناس وأعز الناس وأكرم الناس على قدر طاعته لله (مصدر القوة الداخلية)، وأن الضعف والخوف والمرض والبلاء يكون على قدر معصيته لله.

٦ ـ التربية على الكرم وصناعة المعروف والمسارعة في الخيرات، وأن تعمر البيوت بالضيوف، وأن ندربهم على ذلك فعلا، ونجعل مسابقة أسبوعية أو شهرية في كل مسجد ومدرسة وبيت لأحسن عمل للخير بين الصغار، وأن الشح فيه هلاك للفرد والمجتمع، وأن تعود الوليمة والعقيقة والنقيعة وغيرها.

٧ ـ أن الأذان جعله الله سبحانه وتعالى لتنظيم وقت المسلم، والمسلم يخطط برنامجه اليومي على أساس الأذان وليس دقات الساعة وحدها. والمسلم يتميز بهذا النظام. فهو ينام بعد العشاء مثلا، ويصلي الفجر في المسجد جماعة، ويخرج لعمله أو مدرسته في الصباح الباكر، ويتغدى بعد الظهر. وهكذا يذكر ذلك في حديثه. والترديد خلف المؤذن واجب على المسلم في أي مكان (ما عدا الحمام) وتدريب الشباب على الأذان في المساجد والمدارس وغيرها يجب أن يعود.

٨ ــ التحذير من الذنوب والمعاصي؛ لأنها مصادر ضعف المسلم، وعدم التسليم التام للشيطان، والتحذير من إذاعتها وإشاعتها، فما دام الله قد سترك فلا تفضح نفسك، وتكشف عن عيوبك وأخطائك ونقاط ضعفك. ومن أكبر الذنوب تأخير الصلاة عن وقتها، وإهمال المصحف بتركه دون قراءة يومية.

والذنب ذنب، وإن فعله الناس جميعا (مما عمت به البلوى)، فلا حجة للانسياق مع الناس.

٩ ــ التحذير من النوايا الفاسدة في التعليم والعمل والسفر وغيرها. والمسلم يتعهد نيته دائما قبل أيّ عمل يبغي وجه الله به.

من هنا يجب أن نؤكد على المنابر وفي المدارس أننا نتعلم لنتقرب إلى ربنا ونستحق خلافة الأرض، ونقيم العدل وننشر الخير بين الناس، أما التعليم من أجل الشهادة والوظيفة وإظهار المواهب فهو من النوايا الفاسدة التي تسيطر على عقول بناتنا وشبابنا، وهذه النية تفسد العلم، والنتيجة أنه لا علم ولا شهادة، ولا وظيفة.

١٠ ـ حسن الظن بالله دائما، وعدم التشاؤم، وعدم اليأس من رحمة الله مهما أظلمت الدنيا، وانقطعت الأسباب، وعدم التسليم للمتشائمين والفاشلين واليائسين بما يثونه في الناس من استحالة الأشياء.

فالله قادر على أن تطبق الشريعة الإسلامية في البلاد الإسلامية (وهم يثون فينا استحالة ذلك).

والله قادر على أن ينتصر الإسلام على أمريكا وكل قوى الأرض (وهم يثون فينا استحالة ذلك).

والله قادر على شفاء المريض وإن قطع الأطباء بموته وهكذا.

١١ ـ الإيجابية والتعامل مع المجتمع مهما كان أفراده، والناس على أخلاق زمانهم، وحسن الخلق يتضح من معاملة مختلف النوعيات من البشر، والمسلم الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم خير من المسلم الذي لا يخالط الناس، والمؤمن آلف مألوف يحب الناس ويحبونه، أما التعلل بفساد الناس، وهجرهم وقطيعتهم فلا يصح، والعاقل لا يعادي الناس جميعا، ويشترك مع الناس فيما يهمهم، ولا ينفصل عنهم.

١٢ ــ التحذير من الإعلام الفاسد للمدارس الأجنبية (اللغات)، وللأعمال المسرحية والغنائية والسينمائية الساقطة، ولمنتجات الاقتصادالفاسد الذي يضر بالصحة والمال (كالحلوى الملونة والعصائر والشيبسي والمياه الغازية ومرق الدجاج والصلصات واللحوم المطبوخة . . . إلخ) وقد ثبت بالتجارب أن جميع المواد الحافظة، وتلك التي تكسب اللون والطعم والرائحة كلها تضر الصحة، وتسبب أمراضاً كثيرة، فيجب أن نكرر التحذير للأطفال كلما تكرر الإعلان وشاهدوه.

١٣ ـ المسلم يتحرك بالإسلام، وله في كل موقف فقه مميز . . . الإسلام في عقله وقلبه وعلى لسانه يلازمه، فلا ينفصل عنه، وليس كما يتصور البعض أن الإسلام صلاة وصيام وحج وصدقة فقط، إنما الإسلام في الأفراح وفي المآتم والأحزان، وفي التعامل مع الربا والأغاني والزنى والسرقة، وفي البيع والشراء «فالدين المعاملة». «والدين النصيحة». ويتضح صلاح المسلم من معاملته لا من عبادته.

١٤ ــ المسلم يعمل على ترقية ذوقه، (تهذيب الذوق العام)، فإن الله سبحانه خلق لنا الحواس لنتمتع بها لا لنفسدها بكثرة الأشياء، فالمسلم لا يأكل جميع الفواكه والحلوى في وجبة واحدة، حتى لا يفسد التذوق في لسانه، وحتى لا تفسد أمعاؤه من كثرة الطعام، بل يختار لكل وجبة نوعًا واحدًا من الفاكهة مثلا.

والمسلم لا يسمع جميع النغمات والألحان دفعة واحدة، حتى لا تفسد حاسة السمع عنده، ويصاب بالإرهاق والصداع والجنون والأرق والكابوس!

إنما إذا أراد، فنغمة هادئة، وآلة واحدة، وصوت جميل يتمتع به.

ويجب توجيه الذوق العام لهذا في الأفراح والأعياد والمناسبات وغيرها قبل أن يصاب الشباب بالجنون.

وهكذا مع بقية الحواس (النظر والشم). والإسلام لا يحرم الترويح وإنما يضع له ضوابط حتى لا تفسد النفس.

وفي المسلم انسجام بين حاجات الروح وشهوات النفس بلا تفريط ولا إفراط.

١٥ ــ اللغة العربية الفصحى جزء من عقيدة المسلم، فهي مادة

○ المناهج الإسلامية تفتح آفاقًا جديدة للعمل الحلال، وتحمي من كثير من التجارب الفاشلة

الإسلام، ومحاربتها أو إهمالها أو تفضيل لغة أخرى عليها في التعليم والتخاطب نقص في الدين.

والتفاخر باللغات الأخرى مع إهمال اللغة العربية خيانة لا تغتفر.

وقد قال علماء اللغة والتربية، إنه يجب أن يكون التعليم حتى سن العاشرة بلغة واحدة تكون هي لغة الفهم للعقل، وإن ازدواج اللغة فيه إرباك لعقل الصغار.

ويجب أن يفيق الناس من هذا، فيفتخرون بحفظ أطفالهم للقرآن بدلاً من حفظ لغة غربية، ! والمسلم يعتز بلغته أكثر مما يعتز الإنجليز بلغتهم!

١٦ ـ الموروث الآن عن المرأة المسلمة لا يمثل الإسلام، والروايات الضعيفة التي ردها علماء الحديث هي الأثيرة عند بعض المتحدثين عن الإسلام، ويرفضون أمامها عشرات الروايات الصحيحة في القرآن والسنة، نقصد بهذا ما يتعلق بزيّ المرأة وعملها ومكانها في المساجد وخدمة المجتمع.

وبغير تصحيح هذه الأوضاع تفسد جميع العمليات التعليمية.

والبداية بالحجاب قبل العقيدة والعبادة ترتيب معكوس يؤدي لنتائج سلبية، وبخاصة مع المرأة البعيدة عن دينها.

والحجاب يزيد جمال المرأة ولا يُفسده، كما يزيد من نشاطها البناء (بشروط) ولا يحبسه، ونحن بحاجة لنساء كاللواتي بايعن الرسول والصحابة وشهدن معه الغزوات، ليدافعن اليوم عن الإسلام بدلاً من هذا العداء الواضح من المتعلمات للإسلام، اعتقادا منهن أن الإسلام يحارب المرأة ويحط من قدرها. (من جهل شيئًا عاداه).

١٧ ـ ما لا يدرك كله من الطاعات لا يترك جُلّه، يُطبق هذا على صلاة الجماعة في المسجد مثلاً، فإذا لم يستطع المسلم أن يصلي الصلوات الخمس في المسجد، فلا بد من صلاة فريضة أو اثنتين يوميا على الأقل. أما ترك المسجد كلية فنقص في الدين، وكذا مع القيام ومع تلاوة القرآن، فإذا لم يستطع المسلم أن يقرأ جزءًا كل يوم، فما تيسر، فإذا لم يستطع فليستمع المهم ألا يمر عليه يوم إلا وقد استمع أو قرأ شيئاً من كتاب الله.

١٨ ـ العلاقة بين الداعية المخلص وجمهور المسلمين يجب أن تتخطى حاجز الإعجاب، وأن تمتد إلى تعاون مثمر، وفكر جديد لإنقاذ الأمة، يجب أن تترجم إلى محبة في الله وتعاون وتزاور، وعهود ومواثيق، لتكملة الرسالة على خير وجه، يجب أن تكون حبلاً متينًا ورباطًا قويًا.

أما الإعجاب اللحظي المؤقت فلا خير فيه.

وأن تعود سلطة الداعية في القلوب كما كانت، ليكن قائدُ الدين هو قائدَ الدنيا، أذكى الناس، وأقوى الناس، وأعلم الناس وأكرم الناس.

١٩ ـ القرآن الكريم معجزة من عدة وجوه، ووضع المصاحف في البيوت والسيارات دون القراءة فيه إثم. وكذا قراءته في المآتم. وفي القرآن قصص يجب استخراجها لنستغني بها عن قصص الأفلام والسفهاء وهي بلا شك أحسن القصص. وللقرآن آداب يجب أن تتعلم في حلقة قراءة، والمسلم لا بد له من حضور حلقة القراءة في المسجد (أو في البيت) ليتعلم قواعد التجويد وإلا فقد التمتع بالقرآن، والمسلم يأخذ البشرى والفأل من القرآن، وينصت إلى الآيات أينما تُليت كأنها أنزلت عليه هو من السماء، وهو المقصود بكل آية، وكأن الله سبحانه يخاطبه هو فيجب أن ينصت إلى القرآن في الشارع أو المسجد أو البيت.

وثواب الله لمن يقرأ القرآن عظيم في الدنيا والآخرة، وهو دستور السعادة لمن أراد.

العنصر الرابع: المنهج أو الكيفيّة:

بعد إعداد الأُطر (الكوادر) (جيل الرواد الذي ذكرناه)؛ أي بعد التأكد من أسلمة عقول العلماء، بمعنى أنه لا يتعرض لموضوع الأسلمة إلا من درس الأصول (قواعد التجويد ــ وعلم أصول الفقه ــ ومصطلح علم الحديث...)

يمكن إجراء الأسلمة على النحو التالي:

أولاً: خطة عامة

١ ـ يبحث المتخصص عما ورد في القرآن وصحيح السنة فيما يخص

منهج التوجيه الإسلامي للعلوم وخطة عاجلة

مـادتـه العلمية، أو يشير إلى بعض أجزائها، ويذكر الآيات بترقيمها، والأحاديث بتخريجها. (البعض يُصدّر الكتاب بآية أو حديث، ويظن أنه قد أدى واجبه تجاه التدريس بطريقة إسلامية).

٢ ـ في الفصل الثاني يكتب ما ورد في مادته من جهود علماء المسلمين عبر السنين مع ذكر أهم مراجعهم ونظرياتهم وبحوثهم التي استفاد العالم منها مع مراعاة التسلسل التاريخي، وهذا يقتضي البحث في تراثنا ومخطوطاتنا العلمية.

٣ ـ يكتب مادته العلمية باللغة العربية الفصحى، ويمكن أن يبدأ ترجمة تدريجية لبعض الأجزاء من المقرر، مع إمكان الاحتفاظ بالمصطلحات العلمية (باللغة اللاتينية) كما هي إذا تعذر إيجاد البديل من لغتنا.

٤ ـ يشير في هامش الصفحات إلى الربط الإيماني للحقائق والنظريات التي يذكرها، مع التنويه باتفاق ما يقول أو اختلافه مع الآيات وجوهر الدين الحنيف.

٥ ـ يُفرق بين النظري والتطبيق، ثم يذكر التوجيه الإسلامي لنتائج البحوث التجريبية.

٦ ـ الترجمة الحرفية للكتب العلمية الأجنبية، ونقل أبوابها بالترتيب نفسه قد لا يتفق واللغة الفصحى، فيمكن إعادة الترتيب، وكذا التصرف بالإضافة أو الحذف أو الاختصار بما يقتضيه الموقف.

لا بد أن يظهر الفرق في التناول بين المسلم وغير المسلم.

ثانياً : خطة عاجلة

حتى يتيسر ظهور مثل هذه الكتب الإسلامية للعلوم المختلفة التي قد تأخذ فترة زمنية تطول أو تقصر فإنه يمكن البداية في الكليات الجامعية على وجه السرعة (كمرحلة انتقالية) بمواد دراسية مختلفة، تضاف إلى المناهج الموجودة فعلا، وهو مشروع كان قد أُعد في مصر لتدريس الدين بالجامعات باسم «الثقافة الإسلامية» وهي ثقافة تختلف باختلاف الكلية.

فمثلا، في كلية التجارة : يجب تقرير فقه البيوع والمعاملات والحلال والحرام ليتميز الخريج في البلاد الإسلامية من غيره.

وفي كلية الطب : يجب تقرير الطب القرآني والنبوي، والطب الوقائي في الإسلام والطب النفسي الإسلامي.

وفي كلية الاقتصاد : يجب تقرير الاقتصاد الإسلامي وتطوره عبر القرون.

وفي كلية التربية : يجب تقرير مادة التربية الإسلامية كمقرر منفصل وليس كجزء من مادة.

وفي كلية العلوم : يجب تقرير مادة تطوير دراسة العلوم المختلفة عند المسلمين.

وفي كلية الهندسة : تدرس الهندسة الإسلامية، وتطور الهندسة والعلوم الهندسية عند المسلمين وهكذا.

العنصر الخامس : المكان والإمكانات :

لا بد هنا من دخول المسجد كشريك في العملية مع المدرسة، والتعاون بينهما واجب، والربط بينهما أمر حتميّ، بمعنى أن تكون هناك حصص بأكملها في المسجد الجامع القريب من المدرسة، بالإضافة لحصص المدرسة العملية وتقرير إمام المسجد عن التلميذ وحضوره الصلاة وأخلاقه يضاف لشهادة التخرج التي تمنحها المدرسة.

> ○ الإسلام ليس شعائر فقط، وإنما منهج متكامل يشمل كل مناحي الحياة : دقيقها وجليلها.

والورشة أو المزرعة هي المكان الثالث، فلا بد أن يُتقن الطفل حرفة أو صنعة بالإضافة للمواد الدراسية.

وعدد ساعات الدراسة تُقسم إلى نصفين، نصف نظري، ونصف عملي. واليوم الدراسي كامل (١٢ ساعة).

وهذا النظام هو الوحيد الذي يُمكّن من اختصار زمن الطفولة، وإعداد رجال في زمن مبكر، قادرين على مواجهة الحياة وأعبائها، من دون اعتماد على مصروف الأسرة ونفقاتها.

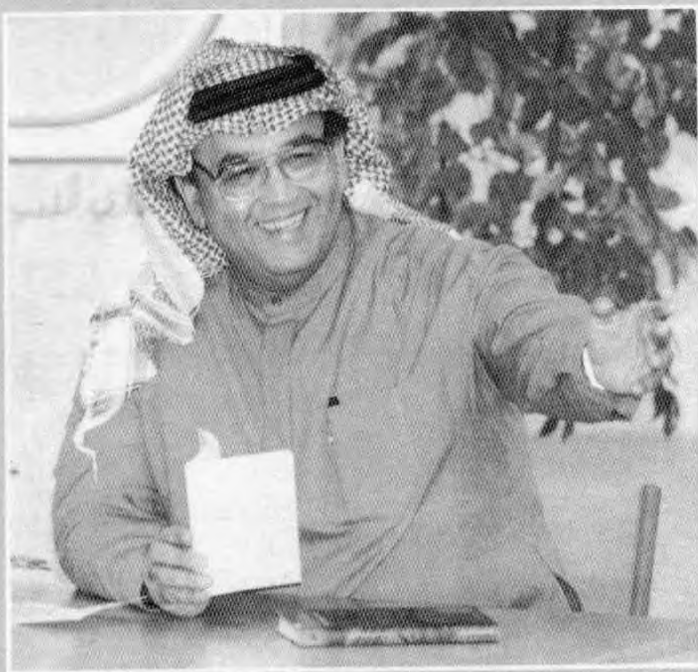
وقد سبقت إلى هذا النظام دول كثيرة في العالم . . . وآن الأوان أن تكون مدارسنا من هذه النوعية، ليتخرج التلميذ في الثامنة عشرة فقط وهو رجل قادر على الكسب.

وتبقى الجامعة لنسبة قليلة تساوي المطلوب للوظائف، بدلاً من تأخير سن التخرج، ثم لا يجد الخريجون مكاناً للعمل بتخصصهم. وبالله التوفيق.

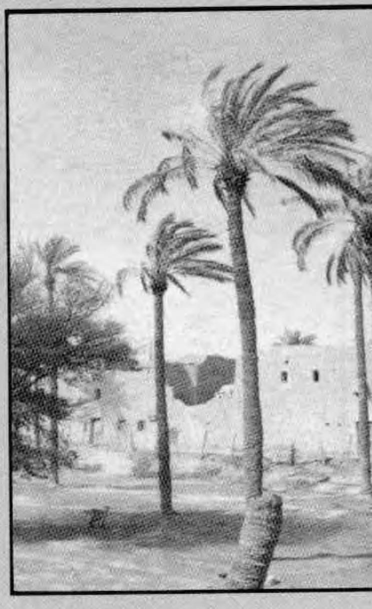
المدينة والشاعر

دراسة تحليلية في شعر غازي القصيبي

بهاء الدين رمضان



غازي القصيبي



تُعَدُّ رؤية الشاعر لما يدور من حوله، وإعادة تكوين العناصر الخارجية في قصيدته من أهم ما يصنعه، فهو يجرّب في بيئة ماديّة متشابكة الأبعاد، معقدة. والشاعر، ككل فنان، يحاول أن يخلق نوعًا من التوافق النفسي بينه وبين العالم الخارجي (١)، والمدينة، كعنصر خارجي، موضوع قديم جديد، نشأ في القصيدة العربية من خلال وعي متزايد بالمكان، ويظهر ذلك واضحًا وجليًا في رؤية الشاعر المحدث، وقد دخل موضوع شعر المدينة حيِّز الدراسات النقدية في العقود الأخيرة من هذا القرن، لكنه من حيث هو موضوع شعري يشغل بال الشعراء المبدعين قديم قِدَمَ المدينة ذاتها، وقد أصبح الاهتمام به الآن لدى العالم المتقدم جزءًا من الاهتمام بالبيئة الحضارية وما تفترضه من أسئلة بعضها متصل بالمجتمع، وكيف يتطوّر بالعلم والتقنية (التكنولوجيا) وكيف يبنيان وكيف أيضا يدمّران (٢)، وقد كتب جون هـ. جونسون كتابًا حول هذا الموضوع The Poet and City، وقدّمه من خلال منهج تاريخي تحليلي.

والشاعر **غازي القصيبي** واحد من شعراء الحداثة المعاصرين الذين لهم اهتمام خاص بالمدينة، **ويُعَدُّ نموذجًا مثاليًا للشاعر الحديث في اهتمامه بها؛** ففي شعره نجد (المدينة المثالية) التي يعشقها ويراها دائمًا أمامه، كما نجد في المقابل المدينة الضائعة المنهمكة في رذائل التقدم الخادع، والمدينَة الزائفَة؛ **والإنسان عنده محور المدينتين،** فقد ينغمس في مدينة الضياع، لكنه كثيرًا ما يحنّ إلى مدينته الفاضلة. ومن أهم المدن التي تشغله «**الصحراء**»، كما أن للمدن الأخرى تأثير خاص على حياته الشعرية، ولكي نفهم ذلك ينبغي أن نقف طويلاً عند التجارب التي عاناها شاعر ولد سنة ١٩٤٠ م، وبين الرياض والبحرين ومصر وأمريكا، وأخيرًا لندن، عاش **القصيبي** مراهقته ويفاعته ومراحل حياته المختلفة(٣)، فتغلغلت المدينة داخله وأصبحت جزءًا لا يتجزأ من حياته؛ ومدينة مثل القاهرة قال عنها في كتابه «سيرة شعرية»: إن سنوات الدراسة في القاهرة كانت أخصب فترات حياتي الشعرية على الإطلاق.

الصحـــراء

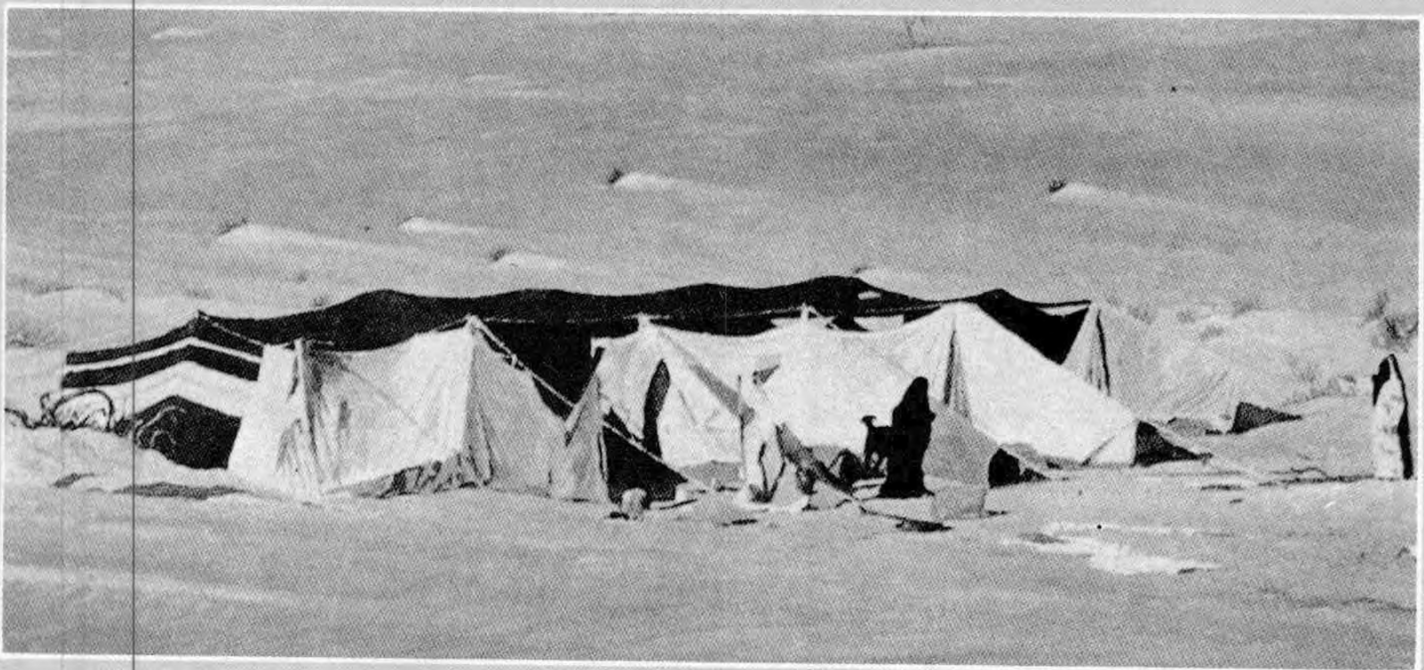
لكلٍ منا طابع ذاتي وميسم شخصي يدفع به في كل عمل يخرج من بين يديه، وطريقة التعبير اللفظي (الشعر، مثلاً) جزء من هذا الطابع، لكنه جزء تابع لطريقة الشعور ولتصور الأديب للكون والحياة(٤)، وكل ما يحيط به. والصحراء هي تلك المدينة الفاضلة التي يبحث عنها القصيبي، وطابعه الذي يحيط به وميسمه الخاص، فتتحول دائمًا عنده إلى فعل شعري درامي، يستخدم فيه المكوّنات الأساسية للصحراء (الجدب، الطهر، العنف، الغبار، الريح، الشمس..) من خلال شاعرية مرهفة، حتى إننا لا نجد أحدًا من شعرائنا له

المدينة والشاعر[1]

اهتمام بالصحراء مثل **غازي القصيبي**، فهي مُؤثِّر عام من المؤثرات الحسِّيَّة التي يستجيب لها استجابة مُعَيَّنة، وقد قال عنها: «أنا ـ ككل عربي ـ أحمل الصحراء في أغوار عقلي الباطن، أحمل هذا التراث الشاسع مع الغيلان والسعالي، والسراب والواحات، والذي كثيرًا ما يطفو على سطح القصيدة» ثم **يؤكد أنه يحمل في أعماق صدره الصحراء بمعناها المباشر**. فقد وُلِدَ وترعرع في أحضانها، انقلبت هذه الغربة إلى غربة ثورية على واقع المدينة المعاصرة ـ كما سوف نرى ـ والشاعر طفل للصحراء مهما طاف في بلاد الله فهو في النهاية يلقي بمرساته على رمالها وكأنها تناديه دائما: ارجع أيها الطفل المدلل:

وعدت إليك ألقي بمرساتي على الرمل
غسلت الوجه بالطلّ
كأنك عندها ناديتني، وهمست في أذني
«ارجع إليّ يا طفلي»

ثم يبين لنا صراحة أن **هذه المدينة الفاضلة الجميلة هي (نجد)** وليست مدينة خيالية رومانسية، وإن كانت لياليها الساحرة التي هي سر من أسرارها وأقمارها



وهو كائن صحراوي على حد تعبيره[٥]:

وطفتُ الكـون لم أعثـر — على أجـدب من أرضك
على أطهـر من حبـك — ولا أعنـف من بغضك

ويرسم الشاعر هذه المدينة الصحراوية، التي طاف العالم ولم يجد مثيلها، فالغبار يَغْسِل شعرها والريح تعبث بملامحها، والشمس تطوف فوق جبينها، وتبقى المدينة في النهاية، كامرأة جميلة لم تعرف المساحيق ولا أدوات الزينة الحديثة:

أيتها المدينة الصحراوية
يغسل الغبار شعرك
يدخل الرمل في أجفانك
تغرس الشمس مساميرها في جبينك
وتبقين مع ذلك مليحة
كامرأة بدائية لم تعرف المساحيق.

وللغربة تأثير واضح في ارتباط الشاعر **القصيبي** بالمدينة الصحراوية. فقد وصحراؤها، كل ذلك جعلها مدينة أسطورية رغم وجودها العياني، وجعله عاشقًا أسطوريًا لها:

وعـدت إليك يـا صحـراء
ألقي جعبـة التسيـار
أغـازل ليلك المنسـوج من أسراري
وأشق في صَبَـا نجـد طيوب عـرار
وأحيـا فيك للأشعـار والأقمار

وتظل المدينة الصحراوية هي الرمز والجمال وهي الحب الأوحد للشاعر **القصيبي**، ونرى ذلك واضحًا في مجموعاته الشعرية المختلفة، فكلها تشي بذلك وبحبّه لوطنه وبلاده وأمّته.

مدينة المدنيّة

المدينة البكر ـ الصحراء ـ التي أحبها **القصيبي** جعلته يُحَدِّق بعينين ناقدتين لتلك المدينة الزائفة التي يراها في كثير من رحلاته، فهذا التطوّر الذي شمل الحياة، وذلك الزحام والضجيج والمدنيَّة التي تساوي الرجعية والانحلال،

"رغم أن الشاعر طاف العالم، إلا إنه لم يجد مثيلًا لحبه الأوحد: مدينته الصحراوية"!

والعودة إلى العصور الجاهلية، ورغم واقعيّة هذه المدينة مثل المدينة الصحراوية تمامًا؛ إلاّ أن الشاعر آثر ألاّ يُحَدّد لنا مدينة بعينها؛ لأن أغلب هذه المدن، هي هذه المدينة التي تمثل الوحشية والضياع والحزن؛ فالناس فيها يواجهون الحياة القاسية، فتترسب في نفوسهم المرارة، وتظهر من خلال العزلة، فينطبع الحزن على كل شيء؛ حتى على لياليها التي هي تخالف ليالي المدينة الصحراوية:

أنـا يـا صـديقي مـن الضـائعين
مـن التـائهين
هجـرت المدينـة
وأقبلت أدفـن بين الـدروب
بقـايـا الليـالي الحزينـة

هذا الإيقاع الشعري الذي يعكس الضياع والحزن واللامبالاة يذكرنا بأن نقابل هذه الليالي عند الشاعر بتلك الليالي التي صوّرها في مدينة «نجد» من قبل، والشاعر في هذه الحالة مهزوم؛ لأنه يخوض معركة الحياة بإحساسه المرهف:

رجعت إليك مهـزومًـا
لأني خضت معـركـة الحيـاة
بسيـف إحسـاسي

وكما قلنا إن غربة الشاعر أصبحت غربة ثوريّة على التمدين أينما وُجِدَ؛ حتى وإن امتدّ إلى حيّه الذي نشأ فيه، فهو يخشى على الحيّ من هذا التمدين والتطوّر الذي ربما يكون تطوّرًا زائفًا، شكلاً بلا مضمون، فيغيّر تلك الملامح الجميلة التي توارثها الحي:

غَيَّرت لمسة التطـوّر حيِّي فهـو شكل فخم ولا مضمـون
أيها الحيُّ إن عتبـت فقـل لي داس قلبي وداسك التمـدينُ

ويحاول الشاعر أن يتخلّص من غربته، ومن مدينة النفاق والزيف واللاأخلاق، وذلك بتذكره المدينة الصحراوية وشوقه لها:

أيتهـا المدينـة الصحـراويـة
ذكـرتك حيث لا رمـال ولا جفـاف
فـاشتقـت إليـك

الإنسـان والمدينـة

الشاعر **غازي القصيبي**، الإنسان يختلف إحساسه من مدينة إلى أخرى، **فالرياض مثلا ونجد** عامّة تمثل الطفولة والصبا، والمدينة المثالية، أما **القاهرة** فتمثّل عنده الإلهام، وتحاصره المدن الأخرى بالغربة، فيثور على الأوضاع من خلال مستوى التأمّل والحلم، ومن خلال تراكيب تعطي دلالات محدودة مزدوجة المفهوم إذ هي تأتي مرتبطة بواقع المدينة الخارج، بكل ما يحتويه، ومن جانب آخر ترتبط بالبعد النفسي الذي يتحرك داخل الشاعر، فيتحوّل الشاعر بعيدًا عن عالم هذه المدينة إلى عالم آخر مسحور ربما هو الصحراء:

رأيـت أني نجمـه
مسحـورة في عـالم مسحـور
مـزروعـة بين الشمـوس والبـدور
فـانتـابني الحبـور

ثم يحاول الشاعر أن يتوحّد، وعناصر المدينة الفاضلة (الصحراء) من النخيل، والتمور، والطيور.. فيحلم أنه أصبح نخلة دفّاقة بالخير والعطاء:

رأيـت أني نخلـة
تنبـت من أكتـافهـا التمـور
تـأكـل من تمورهـا الطيـور
فـانتـابني الحبـور

ولأن الشاعر في اغتراب جسدي فقط عن وطنه الحقيقي، الصحراء، فهو سرعان ما يفيق من حلمه بالعالم المثالي، ليرى من حوله ما يحيط بالإنسان من هوان واغتراب:

ثـم أَفَقْـتُ مُثْقَـلاً
بِغَصَّـة الهوان
لأننـي إنسـان

ويظل الشاعر الإنسان يحلم بعالم مثالي ومدينة فاضلة ويصطدم حلمه بالواقع، فينقشع الوهم؛ لكنه لا ييأس ويظل يحلم بمدينته، **ويظل كائنًا صحراويًا حتى النخاع**، يعشق كل شيء، وينجح في أن يعيش إنسانيّته كاملة. وأقوى، أو أروع ما فيه أنه لم يتورّط في خرافة الانطلاق الحر، **وظلَّ حتى في إبيقورياته مخلصًا لحدود بلده وقيم مجتمعه**، فلم يحترق في ليالي الطيش المتوهّجة أو المدن الماجنة[٦].

ورغم اهتمام الشاعر **غازي القصيبي** بالمدينة، وكثرة الشعراء المهتمين بها، إلاّ أنّا لم نجد كاتبًا عربيًا واحدًا يدرس المدينة من خلال الشعر، باستثناء بعض الدراسات والمقالات المُتَنَاثرة هنا وهناك، فلابُدّ إذن من وقفة جادة لدراسة هذا الموضوع المهم.

الهوامش:

١ - د. عزالدين إسماعيل: التفسير النفسي للأدب، ص ٦٤، ط دار العودة، بيروت.

٢ - د. محمود الربيعي: الشاعر والمدينة، مجلة عالم الفكر ص ١٣٠، مج ١٩، ع ٣، الكويت ١٩٨٨م.

٣ - د. أحمد كمال زكي: دراسات في النقد الأدبي، ص ٢٩٨ ط ٢، دار الأندلس ١٩٨٠م.

٤ - سيد قطب: النقد الأدبي أصوله ومناهجه ص ٢٣، دار الشروق ط ٦/ ١٩٩٠م.

٥ - حوار «وجهًا لوجه» مع الشاعر القصيبي - مجلة العربي سبتمبر ١٩٩١م - الكويت.

٦ - د. أحمد كمال زكي: دراسات في النقد الأدبي، ص ٢٩١.

أعظم العظماء بأقلام الغربيين

محمد عبد الشافي القوصي

في فجر يوم الاثنين الثاني عشر من شهر ربيع الأول الموافق ٢٠ آب أغسطس سنة ٥٧٠م بزغ نجم في سماء مكة أضاء جنبات الدنيا، وبدد ظلامها الدامس إلى نور اهتدت به البشرية جمعاء، ذلكم هو مولد أكرم مولود وأنفس درة تلألأت على لوحة الوجود، وأعظم منحة من رب السماء إلى أهل الأرض؛ لأنه كان - ﷺ - اللبنة النهائية التي أتم الله بها قصر الأنبياء الشامخ وصرحهم المشيد.

الكـــــون أشرف نضرة ونعيما ... هـــذا مكـــانـك فـاتخذه كــريما
حنَّ الـزَّمـــان إليك حتى جئتــه ... فطـوى الحنيـــن وردد التسليـــما
خـذهـا من القوم الألى هـامـوا بها ... واشرح لهم نهج الحيـــاة قـــويما

لقد جمع الحق تبارك وتعالى لشخصية الرسول - ﷺ - ما جعله الشخصية الأولى في تاريخ الإنسانية، حيث غيّرت حياته - ﷺ - ودعوته مقاييس الحياة وعدلت اتجاه التاريخ، وأمدت البشرية بفيضها الإنساني الضخم الذي لا يزال يدفعها إلى اليوم و إلى الأجيال الطويلة المدى . . .

ولا شك أن حياته - ﷺ - قبل أن يأذن الله له بالرسالة كانت حياة إنسانية تمتاز عن حياة من حوله بالنقاء والبعد عن الفوضى والاضطرابات في تلك البيئة الوثنية الحمقاء. . وفي ذلك يقول الإمام البوصيري - المادح الأعظم للرسول:

أَلِفَ النسك والعبـــادة والخلـــــوة طفــــلاً وهكــــذا النجبـــاءُ
وإذا حلّت الهدايــــة قلبــــاً . . نشطت في العبـــادة الأعضـــاءُ

وأبت عظمة شخصيته أن يختلط بها تقليد غير رشيد إلى أن نزل الهدي الإلهي والوحي السماوي ليضيف إليها إشراقاً بعد إشراق، ويحمل شخصيته مسؤولية التبليغ ﴿كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد﴾ [سورة إبراهيم/ آية: ١].

فبعد العظمة الشخصية كان اصطفاء الله له ﴿الله أعلم حيث يجعل رسالته﴾ [سورة الأنعام/ آية: ١٢٤]. لقد أنقذ صاحب هذه الرسالة - ﷺ - الجزيرة العربية والبشرية جمعاء من مآسي الجاهلية وظلامها، وغيّر وجه التاريخ فأزال الظلام الحالك وكان غيثاً في الجدب والقحط، حيث أرسى قواعد العدل والإنصاف ونشر الصدق والوفاء والأمانة وشهد له بذلك من آمن به ومن لم يؤمن به . .

ماذا يقولون عن الرسول الأعظم . . ؟

في كتاب «القادة الدينيين» للمؤلفين الغربيين: هنري توماس، ودنالي توماس يقول المؤلفان عنه - ﷺ -:

«في القرن السابع حين بدا على الدنيا أنها قد أصيبت بالجفاف، وحين فقدت اليهودية مولدها، واختلطت المسيحية بموروثات الأمم الرومانية والبربرية، ينبع في المشرق فجأة ينبوع صاف من الإيمان، ارتوى منه نصف العالم».

أما المؤرخ الغربي «ول ديورانت» صاحب الموسوعة التاريخية الكبيرة «قصة الحضارة» فيقول عن الرسول - ﷺ -:

«إذا حكمنا على العظمة، بما كان للعظيم من أثر في الناس، قُلنا إن رسول المسلمين أعظم عظماء التاريخ، فقد أخذ على نفسه أن يرفع المستوى الروحي والأخلاقي لشعب ألقت به في دياجير الهمجية حرارة الجو وجدب الصحراء، وقد نجح في تحقيق هذا الغرض نجاحاً لم يزاحمه فيه أي مصلح آخر في التاريخ كله، وقلَّ أن نجد إنساناً غيره حقق ما كان يحلم به من إصلاح، واستطاع في جيل واحد أن ينشئ دولة عظيمة وأن تبقى إلى يومنا هذا قوة ذات خطر عظيم في نصف العالم».

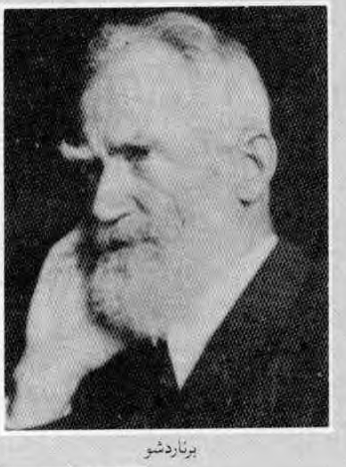
الشاعر الفرنسي «لامارتين»

ولنترك أيضاً الشاعر الفرنسي الكبير «لامارتين» - يحدثنا عن عظمة الرسول - ﷺ - حيث يقول:

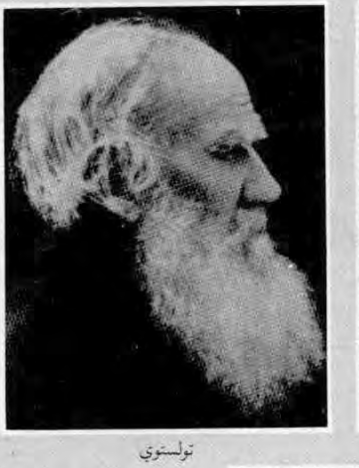
«إن حياة مثل حياة «محمَّد» وقوة كقوة تأمله وتفكيره، وجهاده ووثبته على خرافات أمته وجاهلية شعبه، وشدة بأسه في لقاء ما لقيه من عبدة الأوثان، وإيمانه بالظفر وإعلاء كلمة الله، ورباطة جأشه لتثبيت أركان العقيدة الإسلامية، إن كل ذلك أدلة على أنه لم يكن يضمر خداعاً، أو يعيش على باطل، فهو فيلسوف وخطيب ورسول، وناشر العقائد المعقولة الموافقة للذهن واللب، ومؤسس دين لا فرية فيه، ولا صور ولا رُقًى، ومنشئ عشرين دولة في

برنارد شو:

لو أن "محمدًا" بيننا في هذا الزمان لَحَلّ جميع مشكلاته وهو يحتسي كوبًا من القهوة!



برناردشو



تولستوي

تولستوي:

يكفي هذا النبي فخرًا .. أنه فتح الطريق للتقدم والرُّقي.

ميشيل هارت:

"محمد" الرجل الوحيد في التاريخ الذي أحرز نجاحًا منقطع النظير في كل من الدين والدنيا



لامارتين

لامارتين:

لم يكن "محمّد" يضمر خداعًا لأحد، وبلغ مرحلة عظيمة من الكمال.

الأرض؛ فأي رجل أدرك من العظمة الإنسانية مثل ما أدرك، وأي إنسان بلغ من مراتب الكمال مثل ما بلغ».

ويقول العالم الانجليزي وأستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة لندن الدكتور «ألفريد جليوم» عن نبي الإسلام:

«علينا في المبتدأ أن نقرر أن «محمّداً» كان واحداً من أعلام التاريخ العظماء، وكان يقينه الغالب أنه لا إله إلا الله، وأنه يدعو إلى ملة واحدة، وكانت قدرته على التدبير بين المشكلات المعقدة التي كانت تواجهه قدرة خارقة دون سواه، فما استطاع عربي بقوة الجيوش والشرط والدواوين أن يجمع شمل قومه كما فعل. فإن قيل إن العالم الإسلامي عند وفاته كان عالماً صغيراً فالجواب عن ذلك إن عوامل الشقاق كانت كامنة في بلاد العرب أيام حياته فلم يظهر منها شيء حتى فارق الحياة».

ثم يقول في موضع آخر عن الرسول - ﷺ -:

«كان رجلاً لم يخذله الرأي السديد قط ومن أنكر عليه ذلك فإنما يلج في إنكاره على الرغم من الدلائل البينة على رجاحته وفطنته وفهمه الصحيح للآخرين، ولما كان يجري حوله في العالم».

برناردشـــو

أما «برناردشو» فيقول:

«إني أومن بأنه لو كان بيننا «محمّد» في هذا الزمان لقاد العالم إلى مرفأ الأمان، ولقاده إلى الخير، وحل جميع مشكلاته على وجه يحقق للعالم السلام والسعادة المنشودة».

ومن «برناردشو» إلى الفيلسوف والأديب الروسي المشهور «تولستوي» الذي يقول عن النبي - ﷺ -:

«لا ريب أن هذا النبي من كبار المصلحين، الذين خدموا الهيئة الاجتماعية خدمة جليلة، ويكفيه أنه هدى أمته برمتها إلى نور الحق، وجعلها تجنح للسلام، وتكف عن سفك الدماء، ويكفيه فخراً أنه فتح طريق الرُّقي والتقدم، وهذا عمل عظيم لا يفوز به إلا شخص أوتي قوة عظيمة وحكمة. وإن إنساناً مثله جدير بالاحترام والإجلال».

ويقول «بوسورث سميث» في كتاب «محمد والإسلام» طبعة لندن سنة ١٨٧٤ ص ٩٢:

«إنه لمن المستحيل لأي شخص درس حياة محمّد العربي العظيم وشخصيته وعرف كيف عاش وكيف تعلّم غير أن ينحني لهذا الرسول المبجل (الموقر) القوي الذي هو واحد من أعظم رسل الله، ومهما أقل لكم فإني سأقول أشياء كثيرة معروفة للجميع ولكن حينما أُعيد قراءتها أشعر بمزيد من التقدير والإعجاب، أشعر بمشاعر جديرة من الاحترام والتبجيل لهذا المعلم العربي العظيم».

وأعظمهم محمّد ﷺ

ويقول ميشيل هارت صاحب كتاب «الخالدون مائة وأعظمهم محمد ﷺ»:

«اختياري لـ «محمّد» ليكون أول قائمة عظماء العالم قد أدهش بعض القراء لكنه كان الرجل الوحيد في التاريخ الذي أحرز نجاحاً منقطع النظير في كل من الدين والدنيا في نفس الوقت».

إن هذه العبارات التي قدمتها واقتبستها من المراجع التي أشرت إلى بعضها، وهي لمجموعة من علماء الغرب وفلاسفته وأدبائه الذين تعمقوا في دراسة الإسلام، تعبر عن عميق الأثر الذي أحدثه رسولنا العظيم - ﷺ - في تغيير نظم الحياة والعقائد في الأرض. وإنه لأكبر دليل على عظمته - ﷺ -.

متى تنضج الذاكرة الخصبة إبداعاً خالداً على مرّ الزمن؟

بقلم: د. حسن فتح الباب

يختلف الباحثون والنقاد في تعريفهم للشعر بحكم اختلافهم في ذائقتهم الأدبية وفي مصادر ثقافتهم والمدارس الفكرية التي ينتمون إليها والتيارات الحضارية التي تؤثر في تكوينهم والمرحلة الزمنية التي يعيشون فيها، لكنهم يتفقون على أن الشعر مهما تعددت أوطانه وتباينت أزمانه فهو ذلك النسق من الألفاظ الذي يشكل ما يخرج على الكلمات النثرية وما يستهوي النفس ويثير الخيال، محققًا بذلك وظيفة جمالية ومضمونًا ساميًا، مصداقًا للقول المأثور: «إنّ من الشعر لحكمة وإن من البيان لسحرا».

جوهر الإبداع الشعري

ويقول الأديب الناقد الروائي **إبراهيم عبد القادر المازني**: «إن الشعر الحقيقي يزيد الإنسان عراقة في إنسانيته». كما يقول الفنان الناقد الفرنسي **جان كوكتو**: «الشعر ضرورة». فلولا الشعر لانطمس الإحساس بالجمال تحت ركام المتغيرات المادية التي لا تنتهي، ولخمدت مصابيح الوجدان، وخبا وميض التواصل البشري، فلم يعد الإنسان قادرًا على الإبداع والعطاء، إذ يغدو كل منا بغير الشعر خاصة والفن عامة جزيرة منعزلة عن الآخرين.

إن الزهرة البشرية التي خلقها الرحمن في أحسن تقويم تتطور ملامحها مئات المرات عبر الزمن، والشعر هو عبيرها الذي لا يتغير ولا يذبل، هو رحيقها المصفى، والجوهر الذي يمنحها البقاء والتفرد والاستمرار، وهو صوت الطبيعة الصامتة. والصلة بينها وبين الإنسان، صلة تنظّم الكون كله في وحدة، واحدة. ومن ثم قال **بيكون** منذ أربعة قرون: إن الفن ليس إلا مزيجًا من الإنسان والطبيعة، وقال الفلاسفة المحدثون: إنه ثمرة لقاء بين الذات والموضوع، بين الداخل والخارج، بين الوجود لذاته والوجود في ذاته أو الوعي وموضوعه.

وإذا كان جبروت الآلة قد هز عرش الشاعر المنذور للأرض من السماء، فمازالت، وسوف تظل دائما، للفن ضرورته رغم تلك السطوة الآلية، بل بسببها سيبقى، تحديا لها وتساميا عليها، كي تبقى للإنسان إنسانيته، وتتعمق هذه الإنسانية التي يندثر العالم إذا اندثرت، ويحيا ويتطور إلى الأمام وإلى الأفضل إذا ازدهرت فتبقى للشعر قدسيته؛ لأنه يحقق الإبداع وهو الفرح الأسمى للنفس البشرية، إذ يطلقها من إسار النزعة الحيوانية وعبودية الغريزة العدوانية، منيرًا لها الطريق، مانحًا إياها ترنيمة الحب والصفاء والتجدد الربيعي الحي، وهو لذلك مستودع الحضارة وسر تجاوز الفناء:

ولد الشاعر العظيمُ ملاكا ... طبع الوحي قبلة فوق ثغره
فتغنّى ما شاء أن يتغنّى ... بخلود قد ضلّ عن مستقره
فإذا شَدْوُه وَليدُ أساه ... وإذا حُلْوُه عصارة مُرِّه

والشرط الموفي بتحقيق هذه الغاية هو الصدق؛ لأنه الكاشف عن الجوهر بين ركام الأضاليل، والمضيء للظلمات المتراكبة حولنا. ولذلك يقول الشاعر الأندلسي (**لوركا**): «إن الشعر والصدق لا يموتان مع الزمن»، بل إن الصدق توأم الشعر: اثنان في واحد، ولا أصالة من دونه، ومن ثم لا بقاء ولا خلود إذا فقد الشاعر هذه الصفة؛ لأنه بهذا الفقد يتحول إلى دَعِيّ مهما أوتي من براعة اللعب اللغوي أو النغمي. ويغدو مثل المهرج المأجور لدغدغة حواس المترفين والأطفال بأسماله المصبوغة المرقعة، لا المهرج الفنان الذي تكمن الحكمة في سخرياته والإيقاع الإنساني في تعبيراته الحركية أو القولية.

زمن الإبداع

إذا كان جوهر الشعر خاصة والإبداع في شتى أنواعه عامة لا خلاف عليه بين الدارسين والنقاد من حيث النظرية، فإن التطبيق قد يثير خلافًا، ويتمثل ذلك في الإبداع المستوفي للشروط التي بيناها آنفا، إذا كان يعبر عن حدث جَلَل. والسؤال المطروح هنا هو كيف نقيّم المستوى الفني **إذا كان التعبير معاصرًا للحدث مقارنًا بمثيله إذا كان التعبير بعد وقوعه بزمن يقصر أو يطول، أيها يمثل جوهر الإبداع؟**

والرأي الراجح لدى المبدعين والنقاد أن العمل الأدبي سواء أكان في صورة قصيدة أو قصة أو رواية أو غير ذلك يحتاج إلى وقت بعد انتهاء الحدث كي يستوعبه الأديب ويتمثله، فيخرج الحدث إلى الحياة مكتملاً وناضجًا في لحظة غير محددة ينبثق فيها الينبوع الكامن، هي التي تسمى لحظة الإشراق أو توهج الإبداع أو بدء مولده، فإذا انطلقت الشرارة الأولى متوهجة تدفق ذلك الينبوع واضطرم لهيب الإلهام، وقد يستغرق العمل بعد الانبثاق ساعة أو يوما كما في القصيدة، أو يطول حتى يبلغ العام والأعوام، مثلما نعرف في الملحمة والمسرحية والرواية، الأمر الذي يختلف باختلاف طاقة الأديب وظروفه ومساحة العمل نفسه.

فمن الصعب أن يكتب المبدع ساعة الحدث، وإلا أصبح إنتاجه رد فعل ورجع انفعال مؤقت، ولا يبقى منه إلا أصداء خافتة تزول بمرور الأيام، وذلك

على عكس الإنتاج الذي يولد بعـد فوات زمن على وقوع الحدث إذ يظل محتفظًا بكثير من سمات التـوهج بعـد أن يتركـه صـاحبـه للتـاريخ بعشرات أو مئـات السنين، وربما يخلـد الأثــر الفني آلاف السنين. ويقف وراء هـذه الظـاهـرة عاملان:

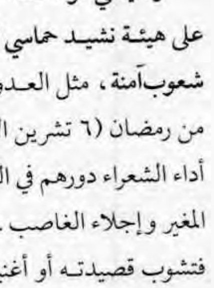
(أولهما) أن الفن تنظيم للعـواطف الجامحة والانفعـالات الجياشـة، أمـا «الطرطشة» العاطفية - إذا استعملنا تلك اللفظة العامية نقلا عن **الدكتور محمد مندور** - فهي ليست من الإبداع في شيء.

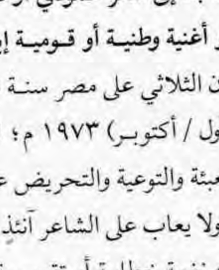
(ثانيهما) أن العمل الأدبي الذي يُنتج في لحظـة الحدث أو في أعقابها مباشرة لا يحتوي إلا على العناصر الـذاتية ذات النظرة العارضـة الجزئية، في حين تُثري العمل العنـاصر الموضوعيـة وتجعله أبعد آفـاقا وأرحب رؤيـة وأعمق إحسـاسا وفكرا؛ لأن الفنان في هذه الحالة ينظر إلى الحدث الذي أثاره من بعيد مما نطلق عليه النظـرة المجسمة الشـاملة «البـانوراميـة»، فيرى ما لم يكن يـراه حين وقع الحدث، ويستجمع الخبرات التي اكتسبهـا، والتجـارب التي مر بها الآخـرون جنبـا إلى جنب مـع تجربتـه، مستخلصـا من كل هـذه العنـاصر عبرة الماضي والحاضر ومستشرفا المستقبل. ومن ثم يصبح الشعر أو الرواية ذا جوهر إنساني يـؤثـر في المتلقي في كل مكـان وفي كل زمـان، بمعنى أنـه يتخطى المحليـة إلى العالمية، وروح الفرد إلى روح الجماعة البشرية.

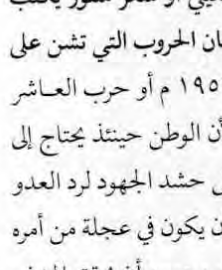
فالكتابة الإبداعية ليست انفعـالا بواقعة مؤثرة في نفس الفرد أو الشعب أو الأمة أو العـالم بأسره، لكنها تفاعل مع هـذه الواقعـة يتطلب مرور وقت يكفي للتأمل بعـد زوال الأثر العـارض، وترك السطح الخارجي للتـوغل في الأعماق.

وهكـذا تنجح قصيدة لعمقهـا وتخفق أخرى لفجـاجتها. وصـدق الله العظيم **﴿فَأَمّا الزَّبَدُ فيذهبُ جُفاءً وأمّا ما ينفعُ الناسَ فيمكثُ في الأرض﴾ الرعد ١٧.**

ولا ينفي قولنا هذا الحاجة إلى شعر عمودي أو تفعيلي أو شعر منثور يكتب على هيئة نشيـد حماسي أو أغنية وطنيـة أو قـوميـة إبـان الحروب التي تشن على شعوب آمنة، مثل العـدوان الثلاثي على مصر سنـة ١٩٥٦ م أو حرب العـاشر من رمضان (٦ تشرين الأول / أكتوبـر) ١٩٧٣ م؛ لأن الوطن حينئذ يحتاج إلى أداء الشعراء دورهم في التعبئة والتوعية والتحريض على حشد الجهود لرد العدو المغير وإجلاء الغاصب. ولا يعاب على الشاعر آنئذٍ أن يكون في عجلة من أمره فتشوب قصيدتـه أو أغنيته نغمة خطابية أو تقريـرية، وحسبه أن يحقق الهدف منهـا. ويختلف المستوى الفنـي بطبيعة الحال بين شـاعـر وآخر، فكلما كـانت الموهبة غنية بقي أثر القصيدة في النفس زمنًا طويلاً، أما إذا خلت القصيدة من


جان كوكتو


المازني


لوركا

> **الكتابة الإبداعية ليست انفعالاً بواقعة، لكنها تفاعل معها، وتوغل في أعماقها.**

ومضة الشاعرية فإن أثرهـا في القارئ أو المستمع ينقضي بانقضاء المناسبة التي أوحت بها.

فقصيدة الشاعر المرحوم **عبد الله شمس الدين** لا يربطها بعـالم الشعر إلا الوزن والقافية؛ لأنها جاءت خلوًا من الصور ومن تعمق الفكر، لكنها نجحت ووَفَت بغـرضها في إثـارة الحماسة في نفوس الجماهير أيـام العدوان الثـلاثي على مصر؛ لأنها قامت على ترديد العبارة الخالدة **(الله أكبر)** التي يكفي ذكرها لتفجير روح المقـاومة وإرادة التغلب على العـدو وردعه مهما كـانت التضحيات. أمـا قصيدة الشاعر **كمال عبد الحليم** في الغرض ذاته فكانت أكثر غنى بالصور الفنية الموحية وأعمق معنى، ولم تفسد اللهجة الخطابيـة التحريضية والمباشرة وهجها الإبـداعي، فما زال يبهرنـا حتى اليوم. لقـد اعتمد مطلع القصيـدة الأولى على الصيغة النثرية التقريرية وإن كان المعنى ساميا:

الله أكبر فـوق كيد المعتـدي … والله للمظلـوم خيـر مؤيـد

في حين اعتمد مطلع القصيدة الثانيـة على صيغة الأمر الموجه إلى العدو في نسيج تصويري:

دع سمائي فسمائـي محرقـه … واحذر الأرض فأرضي صاعقه

ليس شعر مناسبات بل شعر مقاومة إنساني

يخلط بعض النقـاد بين شعـر المنـاسبـات الـذي يُكتب في حينهـا فينقضي بانقضائها كما ذكرنا آنفا، وشعرِ المقـاومة والنضال دفاعًا عن الوطن والعقيدة، فيسوّون بين أمرين لا يتفقان، ذلك أن الأول نظم يعوزه الجوهر الشعري، وهو اصطناع مفتعل أما الثـاني فهو صناعة شعرية كما كان القـدامى يصفون إنجاز أصحـاب الموهبـة. وليـس أدل على ذلك من قصـائد **المتنبي** في الحروب التي خاضها **سيف الدولة** لدحر الروم، وقصيدة **أبي تمام** في (عمورية). ومن الخطأ أن نطبق معايير النقد الحديث من حيث ضرورة استعمال التقنيات المتطورة للشعر، أو الصدور عن الـوجدان وحـده مما كـان يسميه النـاقد الكبير **الدكتور مندور** بالهمس، أو نفـي شعر الحكمة مثل كثير مـن أبيات **المتنبي** عن مملكة الشعر، فالعصر غير العصر. ومع ذلك فإننـا مازلنا حتى اليوم نستسيغ بل نبهـر بروائع هذين الشاعرين وأمثالهما مثل **النواسّي وابن الرومي وأبي العلاء المعري** لما ينم عنه شعرهم من إبداع وتجديد ورهافة جمالية. إنما يشين الشاعر أن يغتنم فرصة عيد ميلاد الحاكم أو ذكرى تنصيبه ولايتـه أو مولـد ابن له، فيصطنع من النظـم ما يتألف به قلب هـذا الحاكم للفوز بعطاياه، فـذلك امتهان لرسالـة الشعر التي

متى تنضج الذاكرة الخصبة إبداعا خالدا على مر الزمن؟


أحمد شوقي


حافظ إبراهيم


د. محمد مندور

أوضحناها في صدر هذا المقال، ومثل هذا الشعر يفتقد غالبا جناحي الإبداع وهما، الصدق النفسي والصدق الفنّي. أما المدائح فليست كلها من هذا القبيل، بل إن منها ما يرقى إلى ذروة فنية فلا يُنسى جيلا بعد جيل. والنموذج الأوفى لذلك هو مدائح **أبي الطيب** لسيف الدولة، إذ كانت تمجيدًا للفروسية العربية. ومن ثم **قال شاعر قديم**:

ولولا خصال سَنَّها الشعر ما درى — بُناةُ العُلا مِن أيـن تُؤتى المكارم

وهو بيت منظوم نثري الصياغة لكنه ذو دلالة بيّنة على أثر الشعر في ترقية الفرد والجماعة. ومن هذه المكارم التي يشير إليها البيت السمو الأخلاقي والإنساني وبث القيم النبيلة في النفوس والحث على بلوغ المثل الأعلى.

وهكذا يختلف شعر المناسبات عن الشعر المستوحى من الأحداث الجسام كالحروب والأوبئة والكوارث مثل الزلزال والفيضان وانفجار البركان، وكل ما من شأنه أن يهدم الحضارة ويدمر ما شادت ويهلك البلاد والعباد. فليست حروب الحمدانيين وتضحيات العرب والمسلمين دفاعًا عن الأرض والعرض والدين مناسبات عارضة؛ لأنها لا تعبر عن عاطفة ذاتية وإنما تصور وقائع بالغة الأثر في حياة الناس وفي مصيرهم الاجتماعي. وقد تكون منعطفاتٍ ونقاطَ تحوّل في التاريخ على المستوى القومي أو العالمي.

أصداء الأحداث الجسام في شعر حافظ وشوقي

إذا تساءلنا عما يبقى خالدا من قصائد أمير الشعراء وشاعر النيل في الزلازل الفاجعة التي عاصراها والتي تماثل حدث الزلزال المروع الذي أصاب مصر في الثاني عشر من شهر تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٩٢ م أي بعد رحيل هذين الشاعرين الرائدين بستين سنة، فإن عرض هذه القصائد على ميزان النقد الفني الموضوعيّ يكشف لنا أنهما قد استوعبا تلك الفواجع وإن جاءت كتابة القصائد قريبة من وقت وقوع الكوارث، فذهب منها القليل وبقي الكثير، بالنظر إلى تمكنهما وخبرتهما وثقافتهما. فالقليل الواهن فنيا من الأبيات هو ما كان تقريريا ومباشرا أو خطابيًا مصوغا بأسلوب يقترب من الأسلوب الصحفي، والكثير هو ما التمع فيه الفكر العميق والصور الأخاذة واتسم بالنسج اللغوي المحكم وبالإيقاع الموسيقي المؤثر.. **يقول شوقي** في نكبة اليابان بالزلزال الذي وقع بعاصمتهاطوكيو:

قف بطوكيو وطُف على يوكهامه — واسأل القريتين كيف القيامه
دَنَتِ الساعة التي أُنذِرَ الناسُ وحلَّتْ أشراطُها والعلامه
وتأمل مصارع القوم وانظر — هل ترى من ديار عادٍ دعامه
خُسفت بالمساكن الأرضُ خسفا — وطوى أهلها بساط الإقامه
طَوّفتْ بالمدينتين المنايا — وأدار الردى على القوم جامه
لا ترى العينُ منهما أين جالت — غيرَ نقضٍ أو رِمّة أو حطامه
حازهم من مراجل الأرض قبر — في مدى الظن عمقه ألف قامه
تحسب الميِّت في نواحيه يُعيي — نفخة الصور أن تلم عظامه
أصبحوا في ذرا الحياة وأمسوا — ذهبت ريحهم وشالت نعامه

ففي هذه الأبيات نشهد الصورة الخارجية لحدث الزلزال، ونتبين أن الشاعر استقى قاموس مفرداته من مظاهر هذا الحدث، معتمدا في المعاني على الآيات القرآنية التي تصور زلزال الأرض وما عليها يوم القيامة، وهي قوله تعالى في سورة الزلزلة: ﴿إذا زُلْزِلَتِ الأرضُ زِلزالها. وَأَخْرَجَتِ الأرضُ أَثْقَالَهَا﴾ ولاشك أن أول ما برق في ذهن أمير الشعراء حين بلغه نبأ الكارثة التي حاقت بالعاصمة اليابانية هو زلزال يوم القيامة، فجعل من القيامة قافية ورويًا في البيت الأول ثم نسج سائر الأبيات على غرارها، مما أدى به إلى استعمال كلمات وتعبيرات مهجورة مثل (شالت نعامه) إذعانا لسطوة القافية الصعبة، واستعمال صور مما يوحيه الحدث دون تجديد. لكن براعة **شوقي** وحنكته رفعتا مستوى بعض الأبيات.

أما **حافظ إبراهيم** فقد كتب إحدى قصائده الرائعة في الزلزال الذي وقع في (مسينا) تلك البلدة التي تقع في جنوب إيطاليا وذلك عام ١٩٠٨ م. وجاءت قصيدته من نفس الوزن الذي استعمله شوقي وهو البحر الخفيف:

نبّئاني إن كنتما تعلمان — ما دَهى الكونَ أيُّها الفرقدان
غضب الله أم تمرَّدت الأرض فأنحت على بني الإنسان
ليس هذا سبحان ربي ولا ذاك ولكن طبيعة الأكوان
غليان في الأرض نفَّس عنه — ثوَران في البحر والبركان
رب أينَ المفرُّ والبحر والبرُّ — على الكيد للورى عاملان
كنت أخشى البحار والموت فيها — راصد غفلة من الربان
سابح تحتنا مطل علينا — حائم حولنا مُناء مدان
فإذا الأرض والبحار سواء — في خلاق كلاهما غادران
ما لِمسِّينَ عوجلت في صباها — ودعاها من الردى داعيان
ومحت تلكم المحاسن منها — حين تمَّت آياتُها آيتان
خُسفت ثم أُغرقت ثم بادت — قُضِيَ الأمر كله في ثوان
وأتى أمرها فأضحت كأن لم — تك بالأمس زينة البلدان


همنجواي


البيركامي


دوستويفسكي

لقد كان **شوقي وحافظ** فرسَيْ رهان في مضمار الشعر، وطالما فاق الأول الثاني، لكن شاعر النيل في قصيدته عن زلزال (مسينا) كان أقوى وأوقع أثرا وأعمق رؤية. فهو لم يقف عند وصف الظاهرة وصفًا خارجيًا، وإنما نظر نظرة كونية وعلمية كما نرى في البيت الثالث، ورسم لوحة للمفارقات تتسم صورها بالحركة والومضات المتتابعة في تصوير الزلزال والفيضان الذي واكبه، إذ تحول البحر والبر معا إلى طوفان وجحيم في آن واحد. ولا ريب أن تفجر البحر هو الذي أوحى لشاعر النيل بهذا التصوير، أما زلزال طوكيو فلم يصحبه ـ في أكبر الظن ـ تفجر المياه من البحر.

وضمير (الأنا) أو المتكلم الذي استعمله **حافظ** في البيت السادس دلَّ على أن المأساة العامة التي حاقت بأهل المدينة المنكوبة هي مأساته أيضا، فكان بذلك أقرب إلى نفس القارئ وأشد تأثيرا في وجدانه. ويرجع ذلك إلى أن **حافظ إبراهيم** شاعر حزين يتألم، ومن ثم برع في التعبير عن المآسي والكوارث كتصويره حريق ميت غمر في دلتا مصر، كما برع في المراثي حتى تمنى **شوقي** حين رحل **حافظ** لو كان هو الراحل قبله ليخلده **حافظ** بقصيدة رثائية، معترفا له بالعبقرية في هذا الغرض من أغراض الشعر:

قـد كنتُ أؤثـر أن تقـول رثـائي ... يـا منصفَ الموتى من الأحيـاء

أما أمير الشعراء فكان مغنيًا مصورًا ظواهر الحياة في المقام الأول. وعلى الرغم من أنه أغزر من حافظ ثقافة وأكثر اطلاعا على الأدب الغربي، فقد بزّه شاعر النيل في قصيدته لا فكرًا فحسب وإنما تصويرًا فنيًا أيضا كما نلحظ في البيت السابع وفي الأبيات الثلاثة الأخيرة التي تتسم بالدرامية، وبالتضمين الرائع للأسلوب القرآني في بيت الختام، وبالقدرة الفائقة على اللعب على وتر التناقض (الطباق): الأرض اليابسة والبحار المتفجرة ـ السابح والمطل ـ النائي والداني ـ المدينة العروس في زينتها والمنيّة الكالحة ـ الخسف والإغراق.

وقد اتخذ **حافظ** من هذه الثنائيات المتفارقة وترا يعزف عليه أغنية شجية عنوانها: القدر القوي المسلّط والبشر الضعفاء التعساء. فجاء النص آية في البيان والتبيين، في الدهشة والإثارة، في الإمتاع الجمالي والإشباع النفسي والعقلي، ونسيجًا مضفورًا من صخب البحر الهادر والأرض الموارة وصمت الموت المبين.

ويخيل إليّ أن الشاعرين الخالدين بعطائهما الفني لم يكتبا قصيدتيهما ساعة علمهما بالحدث الفاجع، لكنهما تأملاه مليا واختمر في مشاعرهما وفكرهما حتى حانت لحظة مولده في قصيدة. ولا يمكن تقدير الزمن الفاصل بين العلم بالنكبة والتعبير عنها، لكنه على أية حال قصير، نظرا لما عرف عن **شوقي وحافظ** ومعاصريهما من الشعراء من تنافس في سبيل إحراز قصب السبق في النشر على صفحات وسيلة الإعلام التي كانت متاحة في زمانهما وهي الصحافة وفي مقدمتها (الأهرام). أو في الندوات التي كانت تعقد في تلك المناسبات، بهدف الحثّ على التبرع بالمال للمنكوبين، وما إلى ذلك من الأغراض التي تختلف باختلاف المناسبة: وطنية كانت أو قومية أو عالمية.

كم من الوقت يمضي حتى يتدفق نهر الإبداع الروائي؟

(١) في الآداب الأجنبية:

إذا كانت القصيدة تحتاج إلى زمن لتأمل الحدث وسبر أغواره وأعماقه والتحليق في آفاقه كي يُخرج الشاعر عملاً لا يفنى بفناء هذا الحدث، وإنما يبقى لأزمان آتية، ويخاطب الإنسان أيا كان موقعه في هذا العالم وأيا كان عصره، فإن الرواية في حاجة إلى وقت أطول لبدء الكتابة، وهذا الوقت يختلف بالضرورة من روائيّ إلى آخر مثلما يختلف بالنسبة للشعراء تبعا للعوامل التي عرضناها في هذه الدراسة. والشواهد لذلك من الأدب العالمي لا تقع تحت حصر لكثرتها. فقد استوحى **ليوتولستوي**(١٨٢٨ ـ ١٩١٠ م) رائعته **(الحرب والسلام)** من الحرب التي وقعت بين روسيا وفرنسا بقيادة نابليون، لكنه أمضى أربع سنوات في كتابتها (١٨٦٥ ـ ١٨٦٩ م). وكذلك الأديب الروسي **فيودور ميخايلوفيتش دوستويفسكي** (١٨٢١ ـ ١٨٨١ م)، وإن كان قد كتب روايته الذائعة الشهرة **(الإخوة كراما زوف)** خلال عام واحد (١٨٨٠ م) وكأنه كان يحس بدنو أجله، فقد كانت الحرب من المحاور التي أدار عليها الأحداث ورسم الشخصيات أو كانت الخلفية للوحات تصوير النوازع البشرية من حقد وحب وجشع وأهواء جامحة وما تخلفه الحرب من تشوّه في ملامح الإنسان الذي ولد سَويًّا. ومن وحي كارثة الحرب أيضا كتب الروائي الألماني **أريك ماريا ريمارك** رائعته (**كل شيء هادئ في الميدان الغربي**).

والأمر بالمثل إذا تذكرنا رواية **(جسر على نهر درينا)** للكاتب اليوغوسلافي البوسنيّ **إيفو أندريتش** المولود سنة ١٨٩٢ م ـ حسب مقدمة المترجم **الدكتور سامي الدروبي** ـ فقد أبدع هذا الروائي عمله بعد وقوع الأحداث التاريخية التي تخللت النص بزمن طويل. وبدا الجسر الذي تدور حوله الأحداث والشخصيات المحور الرئيس لها أو البطل حسب المصطلح الروائي. ونلتقي

شعر المدائح يرقى إلى ذروة فنية حين يكون تصويرًا لمنعطفات تاريخية

متى تنضج الذاكرة الخصبة إبداعاً خالداً على مر الزمن؟

بهذه الظاهرة الأدبية في الفن الروائي الفرنسي قديمه وحديثه، ويكفي أن نشير إلى أن الكاتب المسرحي الروائي والفيلسوف الوجودي **ألبير كامي** (١٩١٣ - ١٩٦٠ م) صاحب الروايتين الشهيرتين: **(الغريب) و(الطاعون)** والحائز على جائزة نوبل ١٩٥٧ م، قد استوحى حدث الزلزال الرهيب الذي وقع في مدينة وهران الجزائرية وهي مسقط رأسه في أوائل هذا القرن. وعن هذا التأثر يقول الكاتب الروائي المصري **بهيج إسماعيل**: إن **كامي** تصور في إحدى مسرحياته وباءً ما يصيب بلدًا ما، ثم يدخل هذا الوباء إلى ذلك البلد متجسدا في هيئة رجل يقتل من يشاء متى شاء دون إبداء الأسباب. ويخرج إليه الملك غاضبا بعد أن مات كثيرون. يقول الملك:

- كيف تجرؤ على دخول بلدي وقتل شعبي هكذا؟

فيتساءل الوباء في عجرفة:

● أأنت الملك؟

- نعم

● ولكنني أنا الذي أحكم الآن.

ويحكي الكاتب الأمريكي **إرنست همنجواي** (١٨٩٨ - ١٩٦٠ م) مبدع الرواية الذائعة الصيت **(العجوز والبحر)** عن عجوز آخر حدث في مدينته زلزال كبير فأسرع بمغادرة بيته قبل أن ينهار، وما إن وصل إلى الجسر (الكوبري) عند النهر وجلس بعيدًا عن البيوت المهدمة حتى تذكر أنه ترك قطته وحدها في البيت وكذا عصفور الكناريا، فحزن، وأخذ يعزي نفسه بأن القطة لابد أن تنجو بنفسها، إذ هي قادرة على التحرك، لكن ماذا عن العصفور الحبيس؟ لقد أيقظت مواجهة الموت في نفس العجوز طفولة الحياة، فأحس بقيمتها لا لنفسه فقط ولا للإنسان فقط، وإنما للحيوان والطير أيضا. ولقد استوحى **همنجواي** في قصصه أحداثًا واقعية مثل الحرب العالمية والحرب الأهلية الإسبانية كما نرى في رواياته: **(ستشرق الشمس ثانية)، (لمن تقرع الأجراس)، (ثلوج كلمنجارو)**.

ولا حاجة بنا للتذكير بأن المؤلف المسرحي الكبير **وليم شكسبير** (١٥٦٤ - ١٦١٦ م) قد أقام البنية الفنية لرواياته على أساس من الوقائع التاريخية، وأعاد صياغتها بعد زمن طويل من وقوعها ومزجها بالأساطير التي ترسبت في ذاكرة الشعوب ليقدم روائعه التي لا تنسى، والتي مازالت تأسرنا حتى اليوم، لبراعته في تصوير نقائص الإنسان فردا وجماعة، ملوكا ورعايا، فقراء معدمين شرفاء وأثرياء أشرارا.

(٢) في الأدب العربي

أما إذا عرجنا على الأدب القصصي والروائي العربيّ الحديث، فإننا نجد أن **محمد حسين هيكل** رائد القصة الطويلة قد كتب روايته **(زينب)** وهي حكاية واقعية ريفية بعد أن عاش في الريف حينا عقب عودته من أوربا، فغاص في أعماق النماذج البشرية التي صورها من خلال جماليات الطبيعة ومآسي عمال الأرض. وجاء من بعده جيل من المبدعين الذين طوروا رؤيته الفنية والاجتماعية، واستوحوا أحداثا واقعية أيضا، وعلى رأسهم **عبد الرحمن الشرقاوي** الذي كتب الرواية الواقعية متكئا على التاريخ العربي الإسلامي، فكانت الشخوص والرموز والأحداث الإسلامية الماضية اسقاطاتٍ على أحداث وقضايا عصرية تهز الوجدان وتزلزل الرواسب الجامدة، بقصد تغيير الواقع المتردي واستشراف أفق جديد يقوم على الحق والعدل والشرف كما نتبين في مسرحياته: **(مأساة جميلة)** من وحي ثورة الجزائر و(الحسين ثائرا) و(الحسين شهيدا) وغيرها.

واستوحى الشاعر **صلاح عبد الصبور** مسرحيته **(مأساة الحلاج)** من حَدَث واقعيّ جرى منذ عدة قرون وهو محاكمة الحلاج المتصوف بتهمة الإلحاد ثم صلبه. وروايات **علي أحمد باكثير** لم تخرج عن هذا النمط، فهي إعادة صياغة أحداث تاريخية وقعت في عصور سحيقة. وقد يجعل الكاتب محور عمله الإبداعي قصة دينية أو أسطورة مثلما فعل **توفيق الحكيم** في **(أهل الكهف) و(بجماليون)**، أو أحداثا عاصرها مثل **(يوميات نائب في الأرياف) و(عودة الروح)** وقد استوحى في الثانية ثورة ١٩١٩ م المصرية. كما استقى **يحيى حقي** من نبع الواقع الشعبي روايتيه: **(قنديل أم هاشم) و(البوسطجي)**، فصور وقائع جرت وأحداثا من مخيلته حسبما يقتضي الفن الروائي. وكان من الطبيعي أن تاريخ البدء في الكتابة أعقب الحدث الواقعي الذي أثر في الكاتب وأثار مخيلته بزمن قصير أو طويل، ولو أنه كتب في وقت معاصر للحدث لما بلغ ذروة إبداعية، فالاختمار هو الذي يلد الإبداع الكامل.

وتتجلى الأعمال الروائية والقصصية لشيخ الروائيين العرب المحدثين **نجيب محفوظ** نماذج مثالية في هذا الشأن، فهو قد صور حدث وباء الكوليرا - من دون ذكر اسمه - وكان قد اجتاح مصر سنة ١٩٤٧ م، بعد وقوعه بثلاثين عاما، إذ ضمّنه القصة الأولى من ملحمته **(الحرافيش)** التي صدرت أولى طبعاتها سنة ١٩٧٧ م، وقد أطلق محفوظ على الشخصية الرئيسة اسم (عاشور الناجي) كما سمّى به تلك القصة، ويشير الاسم إلى أن المسمى هو الوحيد الذي نجا من الوباء. وقد مزج الروائي الواقع بالخيال بطبيعة الحال، وأضفى على الحكايا مسحة أسطورية سحرية. ومن قبل هذه الرواية الطويلة أبدع محفوظ ثلاثيّته **(بين القصرين، قصر الشوق، السكرية)** مُوَظِّفًا حدث ثورة ١٩١٩ م المصرية

محمد حسين هيكل


يحيى حقي


عبد الرحمن الشرقاوي


مرور الزمن يُكسب رؤية المبدع للأحداث عمقاً وصدقاً وواقعية

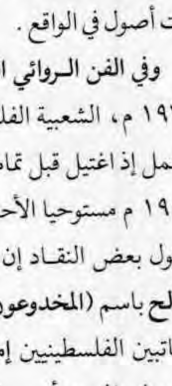
الشامخة في (بين القصرين) التي صدرت سنة ١٩٥٦ م، جاعلا من شخصية (فهمي) طالب الحقوق نموذجا لشهداء تلك الثورة التاريخية التي كان في مقدمة ضحاياها الأبطال الطلاب والعمال ثم سائر الفئات الشعبية.

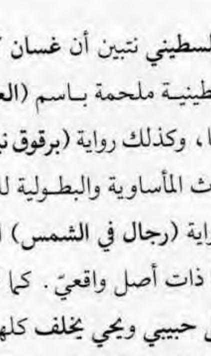
وينسج **نجيب محفوظ** روايته **(اللص والكلاب)** ــ كما في جل أعماله ــ من خيوط حدث واقعي ثم يمدها لتصوير الواقع المكاني والزماني كله في رؤية فنية متوهجة بالأدب والتاريخ والفلسفة، معبرة عن صراع القدر والبشر ومأساة الوجود الإنساني في رحلته المضنية لامتلاك مصيره بين يديه، فاللص في تلك القصة هو (محمود) في الواقع، وهو سعيد زهران في المعالجة الروائية. ومن ثم نرى أن إبداع **محفوظ** الثَّرّ والمتتابع له أصل واقعي، كما كان له أصل تاريخي حقيقي أو أسطوريّ في رواياته الأولى التي استمدها من التاريخ والميثولوجيا الفرعونية: **(رادوبيس ـ كفاح طيبة ــ عبث الأقدار)** قبل أن يتحول إلى رصد تاريخ الشعب المصري الحديث عبر مختلف المراحل.

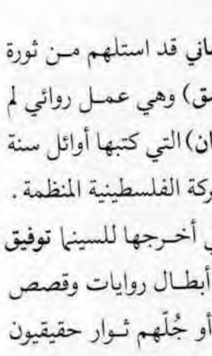
ولا يختلف **يوسف إدريس** في قصصه القصيرة ورواياته ومسرحياته عن **نجيب محفوظ** ومن سبقهما في هذه الظاهرة الإبداعية، وهي الصدور عن الواقع أو التاريخ كما نرى في قصص **(أرخص ليالٍ)** والقصة الطويلة **(النداهة)** ورواية **(البيضاء)** ومسرحيّتيه **(الفرافير ـ البهلوان)**. وقصص **يوسف القعيد (يحدث في مصر الآن)** وقصة **جمال الغيطاني (حكايات الغريب)**، التي تحولت إلى فيلم، ذات أصول في الواقع.

وفي الفن الروائي الفلسطيني نتبين أن **غسان كنفاني** قد استلهم من ثورة ١٩٣٦ م، الشعبية الفلسطينية ملحمة باسم **(العاشق)** وهي عمل روائي لم يكتمل إذ اغتيل قبل تمامها، وكذلك رواية **(برقوق نيسان)** التي كتبها أوائل سنة ١٩٦٦ م مستوحيا الأحداث المأساوية والبطولية للحركة الفلسطينية المنظمة. ويقول بعض النقاد إن رواية **(رجال في الشمس)** التي أخرجها للسينما **توفيق صالح** باسم **(المخدوعون)** ذات أصل واقعيّ. كما أن أبطال روايات وقصص الكاتبين الفلسطينيين **إميل حبيبي ويحي يخلف** كلهم أو جُلّهم ثوار حقيقيون يرمز لهم المبدع بأسماء مختلفة، ولا يختلف عن ذلك **الأديب السعودي عبد الرحمن منيف** صاحب **(مدن الملح)**، فهو يستمد رؤيته من ينابيع الواقع والتاريخ.

فإذا تطرقنا إلى **الأدب الجزائري** الحديث وجدنا أن كتاب القصة والرواية والمسرحية وعلى رأسهم: **عبد الحميد بن هدوقة والطاهر وطار ورشيد بوجدرة ومرزاق بقطاش** يستلهمون رؤاهم من ثورة التحرير الجزائرية وذكرياتهم إبّان اندلاعها أو بعد انتصارها؛ لأنهم أدباء ملتزمون للتعبير عن الحقيقة، مهمومون


غسان كنفاني


عبدالرحمن منيف


الطاهر وطار

بقضايا شعبهم ووطنهم بعد الاستقلال، ومحنته قبله. ومن أبرز الأعمال الفنية رواية **(الزلزال)** **للطاهر وطار**، وأهم سمات التجديد فيها أن معمارها الفني على نسق الطبيعة الجغرافية لمدينة قسنطينة التي وقعت فيها أحداث الرواية. فكل فصل من فصولها بعنوان جسر من جسورها السبعة، فالمدينة مشيدة فوق صخرة ضخمة، والأسلوب في تموجاته من خلال التصوير يشبه ما يتخيله المؤلف من اهتزاز قسنطينة فوق الصخرة وترنح الجسور التي تصل بين أحيائها عبر الوديان. وقد استوحى **الطاهر وطار** رؤيته من الزلزال الذي وقع في هذه المدينة قبل أحداث القصة. فالجزائر ـ كما هو معلوم ـ منطقة زلازل آخرها زلزال مدينة الأصنام الواقعة وسط البلاد في ١٠ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٨٠ م، ثم زلزال مدينة تيبازا ذات الآثار الرومانية سنة ١٩٨٨ م وأخيرا زلزال سنة ١٩٨٩م، بالمناطق الشمالية القريبة من العاصمة. ويصور الروائي الآثار النفسية الناجمة عن الزلزال القديم وخشية حدوثه مجددا في المقطع السردي الآتي على لسان بطل الرواية (بو الأرواح) الناقم على السلطة التي تولت زمام البلاد بعد الاستقلال وأممت الإقطاع فأضيرت تلك الشخصية:

(يبدو أن التجارة رائجة.. لعل إحساس الناس المتواصل بالزلزال يدفعهم إلى إنفاق كل قطعة نقود تقع بين أيديهم، وإلى التهافت على كل بضاعة تنزل.. إنهم ينهبون.. يسابقون الوقت لربح الدقائق التي لا تزال لهم، كالمحكوم عليهم بالإعدام. الشعور بالزلزال لا يفارق هؤلاء الناس أحبوا أم كرهوا) ويستطرد الكاتب على لسان الشخصية الرئيسة:

(هاه.. رائحة التراب، الحمد لله.. أخيرا رائحة الأرض، المدينة أشبه ما تكون بباخرة في محيط عظيم، توحي في كل خطوة بالوحشة، وبالشعور بالاغتراب والانقطاع عن العالم.. من هنا الهدوء التام.. إنهم يهربون من مواجهة مصيرهم، بل إنهم يتحاشون الوقوف والسير هنا حتى لا تفقد الصخرة المسكينة توازنها)!!

تلك إشارات متلاحمة عجلى إلى أشعار وآثار قصصية وروائية كتبها مؤلفوها من وحي أحداث حقيقية بعد وقوع تلك الأحداث بزمن يطول أو يقصر حسب فترة المخاض أو التخمر واكتساب المبدع رؤية أشمل حين ينظر من بعيد، ومزيدا من الخبرة والتجربة لتعميق الرؤية وإضاءتها بالمقارنة بين الماضي والحاضر وتوقع ما هو آت، وإسقاط أحداث ولّت على أحداث جدّت، حتى يتجاوز الكاتب النطاق المحلي إلى الأفق العالمي الإنساني، فيبقى عمله يزود الجيل بعد الجيل بالجمال الفني والحكمة وإن فني صاحبه؛ وتلك هي غاية الأديب المبدع ورسالته الحقة.

بمناسبة مرور عام على وفاة

عمر بهاء الدين الأميري: أمير العاشقين

شعر: د. جابر قميحة

وعشتَ غـريبـاً . . ومت غـريبـا ... ولكنمـا مـا فقـدتَ اليقينْ
فليستْ بِسُكني الـوكـورِ النسورُ ... وليستْ أسـودُ الشَّرى بـالعـرين
فقـد يعتلي البـومُ شُمَّ الجبـال ... ويـؤوي النمـالَ العـرينُ الـركينْ
وتمضي أبيّـا ، فـأنّى انتقلت ... ففي بُـرْدِكَ المجـدُ نـورٌ مبينْ
ومـادت جبـالٌ وذلت رجـالٌ ... وقلبُـكَ بالحـق . . لا يستكينْ
وهيهـاتَ مثلُكَ أن يُستـذَلَّ ... فمثلك يـؤثـر قطعَ الـوتينْ
ومن عـاش جبهتُـهُ في السمـاءِ ... تَـرفَّعَ أن ينحني أو يهـونْ
فللـهِ عـزتُـه . . . والـرسـول ... وعـزَّ بِعـزَّتـه المـؤمنـون
وقـالـوا بأنك ضـدّ الـولاءِ ... وضـدُّ الحضـارة و «المنقـذين» !!
وتنكـرُ « قـوميـةَ » المخلصين ... ومـا هي إلا انتصـار مبينْ !!
وفهمُكَ للـدين فهمٌ عتيقٌ ... يُـدمِّـر عقـل الشبـابِ الفطينْ !!
أيـا عمـرَ الخيـرِ أنت الصدوقُ ... وزمرتُـهُـم زُمْـرةُ الكـاذبين
فمـا كـان جُـرمُك إلا الـولاءَ ... لـربِّك لا للطغـاةِ العمين
ومـا كـان إثمك إلا النقـاءَ ... وإيقـاظَكَ النُّـوَّمَ الغـافلين
وشعـرًا يـؤرِّقُ ليلَ البُغـاةِ ... ويخلعُ قلب الغَـويِّ اللعينْ
ودعـوتُـكَ «الـدينُ حكمٌ وجنسٌ ... وروحٌ وجسمٌ ودُنيـا وديـنْ
وخيـرٌ وخيلٌ وحـبّ وعلمٌ ... ونفسٌ تمـوتُ وتـأبى تهـونْ»
ولكـنَّ « قـوميـةَ » الأدعيـاءِ ... فسـادٌ وغَـيٌّ وظُلْمٌ مُبينْ
بهـا انتُهِكَ الشَـرفُ اليعرُبـيُّ ... وهُتِّـكَ عِـرضُ البـلاد المَصُـونْ
أرادوك أن تنحني للـريـاحِ ... لتحيـا حيـاةً . . . بهـا ينعمـونْ
تعـانق زُخْـرُفهـا في هنـاء ... وتنشـرُ دِفْـئَـكَ فـوق البنينْ
فـلا أنت تتـركهم للفـراق ... ولكـن بقـربك هم يسعـدونْ
وتصبح صـاحبَ أمـرٍ ونهي ... ومـالٍ وأرضٍ وقصـرٍ ثمينْ
وفي يـدكَ الحـولُ والصولجـانُ ... ودرْبُـك فـرشٌ طـريّ فتينْ
فلمـا رأيت الخَنَـا إذْ يَسُـودُ ... وأن النفـاقَ وسـامٌ وديـنْ
وكيـف يعـزُّ المهينُ الخسيسُ ... وكيـف يهـانُ الحفيظُ الأمينْ
وكيف انطـوتْ قيمٌ ساميـاتٌ ... وكيـف استبـد البُغـاثُ المهينْ



عمر بهاء الدين الأميري

هتفتَ «المنايا وليس الدنايا ... مرامُ الأباة من المؤمنينْ»
مقامٌ جليل بلغتَ ذُراهُ ... فهانت عليك الدُّنى والبنونْ
فدربٌ جفَاك، ودربَ حدَاكَ ... به قد مَضَيتَ أشَمَّ الجبينْ
مع الله في دربه المستقيم ... وأنْعِمْ بدربِ الإله المُعينْ
فما بين شرقٍ وغرب تعيشُ ... مآسي الضحايا من المسلمينْ
بروح زكيٍّ، وقلب شجيٍّ ... وشعرِ غنيٍّ قويٍّ رصينْ
تحملت آلامهم ما وَهنْتَ ... ومنها المبينُ ومنها الدفينْ
وعشتَ على الألم العبقريِّ ... تدُكُّ حصونا وتبني حُصونْ
وتستنهض الهممَ الفاتراتِ ... لتخليص مسرى النبيِّ الأمينْ
وتمضي كطيفٍ شفيفٍ طليقٍ ... لتُحْشَرَ في زُمْرَةِ العاشقينْ
فعشقك ليس كعشق الذين ... قصائدهم في الهوى بالمئينْ
يناجون هنداً بها أو بُثَينَ ... ولَيْلى بقلبٍ مَشُوقٍ حزينْ
ولكن عشقْتَ المعاني الكبارَ ... بعزمٍ حديدٍ أبَى أن يلينْ
وهِمتَ كيانا زكيَّ العبيرِ ... « بروضةِ طَه » هُدى العالمينْ
وفي كعبةِ البيت قد صرتَ خلْقا ... من الحُبِّ والطهرِ والياسَمينْ
فهذا هو العشق — لا عشقهُمْ — ... سُمَوٌّ وتقوى ونبضٌ حنونْ
وقد صيغَ في كَلِمٍ عبقريٍّ ... هو السحر لا كالذي ينظمونْ
فشتَّان ما عند ليبٌ غَريدٌ ... ومن يهرفون بما يجهلونْ
وشتَّان ليثٌ مهيبُ الزئيرِ ... إن الْخَطْبُ طمَّ — ومن ينهقون
فشعركَ منهلُهُ من عبيرٍ ... ومن حمأٍ عفِنٍ ينحتونْ
فهل يستوي شاعرٌ مُستنيرٌ ... وعمْيُ البصيرةِ ؟ لا يستَوُونْ
بشعرِك علَّمتنَا أن نكونَ ... وأرسيتَ فينا جذورَ اليقينْ
وعلمتنا الصبرَ في النازلاتِ ... وألّا نكون من القانطينْ
وعلمتنَا أن نحبَّ الحياةَ ... جهادًا وصبراً وعلْماً ودينْ
ولكنْ كدارِ بلاغٍ . . لدارٍ ... تَقَرُّ بها — في النعيمِ — العيونْ
كذلك عِشتَ رفيعَ اللواءِ ... كريمَ العطاء . . تَقيًّا أمينْ
ومثلُكَ إنْ ماتَ جسْما سيبقَى ... وِسامًا يُحلِّي صُدورَ القُرونْ

صراع العقول

الشرع والوضع



أبوعبدالرحمن بن عقيل الظاهري

استعرض الدكتور عبد السلام الترمانيني من القانون الروماني بعض الجرائم التي يعاقب عليها القانون، وذكر منها جريمة رعي ماشية في ملك الآخر، أو قطع أشجاره، أو إتلاف شيء منه.

وذكر أن عقوبة القانون غرامة مقدرة تعادل قيمة الشيء الذي أصابه الضرر.

وقرر أن هذه الغرامة تعتبر الأصل التاريخي لمبدأ المسؤولية التقصيرية.

وأنه في العصر العلمي جرى القضاء على توسيع معنى الضرر، واعتبر كل فعل نشأ عنه ضرر أو إهمال أو غش عملا غير مشروع يوجب الحكم بالغرامة(١).

قال أبو عبد الرحمن: ليس الغرض استعراض الأحكام الفقهية لهذه المسألة، وإنما الغرض تبيان أن القانون الروماني ليس الأصل التاريخي لمبدأ مسؤولية التقصير؛ لأن الله جل جلاله منذ عمر الأرض بآدم عليه السلام وذريته لم يُخلِها من هدايته عقيدة وشريعة.

وفي القرآن الكريم أن الله يأمر بالعدل ويحكم به.

وقد قرر شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الاستقامة» أن العدل يعرف بالشرع وبالعقل.

والعقول تعرف أن الإضرار بأملاك الآخرين جريمة.

والعقوبة قرينة الجريمة تلازمًا في التصور.

كما أن إعطاء معنى الضرر حجمه الحقيقي ليس مما استجد في العصر العلمي، بل هو في صميم الفقه الإسلامي.

وفي مذهب الإمام مالك: من غرَّك غَرِم لك.

وذلك فيما لو قال مثلا: الطريق آمن، ثم كان غير آمن.

وما لم ينظمه الشرع تفصيلاً فقد تركه الله لاجتهادنا في إطار التصور الإسلامي على أن نحكم بالعدل.

ولهذا فالأمة مازالت ـ ولن تزال ـ في حاجة إلى أنظمة جديدة، وإلى تحوير وتطوير في الأنظمة القديمة.

إلا أن هذا كله ليس تشريعًا، وقد حرمت التعليمات السامية الكريمة استعمال التشريع والمشرع؛ لأن ذلك ليس إلا لله جل جلاله.

وإنما يستعمل التشريع والمشرع الماركسيون والعلمانيون الذين كانت أنظمتهم تأسيسًا للأحكام، وإلغاءً لمراد الله جل جلاله فضلا عن مراعاته.

والتنظيم في بلادنا السعودية ـ بحكم أنها الدولة الوحيدة بين أمم الأرض في التزام الشريعة ـ على ثلاثة أنحاء:

النحو الأول: تأسيسٌ لأحكام دنيوية مستجدة، المرجع فيها إلى خبرة البشر الحسية ومهاراتهم كأنظمة البناء والمرور إلا أنه يتحرى فيها مقاصد الشريعة ومصالحها التي حصرها الشاطبي في حفظ خمسة أشياء.

والله جعل لنا أمورًا دنيوية نستثمرها بمواهبنا فنجتهد كيف نزرع، وكيف نتجر، وكيف ننمي مواردنا.

إلا أن توظيف ما نستثمره محكوم بنصوص الشرع ومقاصده.

والنحو الثاني: تفقيط وتمييز الوقائع المستجدة، ليسهل على ذوي المسؤولية تطبيق الحكم الشرعي على واقعته.

والنحو الثالث: تنظيم إجراءات ذوي المصالح في التماسهم الحكم الشرعي قضاء أو إفتاء.

مثال ذلك نظام تنظيم الأعمال الإدارية.

ويرجع في هذا إلى اجتهاد السالفين كاجتهاد الفقهاء، وإلى اجتهاد المخالفين في التماس أسهل السبل للمسلمين.

وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه «الاستقامة» أن العدل يعرف بالعقل والحس كما يعرف بالشرع.

وهكذا تحقيق مصالح المسلمين وفق الوقائع المستجدة تعرف بالعقل والحس كما تعرف بالشرع.

ولا يتصور ألبتة أن يكون للنظام في مملكتنا مصدر غير الشريعة الإسلامية.

والبرهان على ذلك الحقائق التالية:

١ ـ الحقيقة الأولى: أن في الشريعة الإسلامية المعصومة الناسخة للأديان والشرائع حكمًا في كل ما وقع وما سيقع.

ووجه ذلك أن الوقائع ورد حكم الله فيها بصفتين:

الصفة الأولى: النص على الواقعة باسمها كقطع يد السارق، فقد نص على السارق باسمه.

والصفة الثانية: النص على الواقعة بمعناها وصفتها كبيع طعام المحتكر عند الحاجة إليه، فلم يرد نص اسمي على هذه الواقعة، وإنما نهى الشرع عن الاحتكار فحسب، إلا أن هذه الواقعة منصوص على معناها بالأدلة الشرعية الدالة على رفع الإضرار والحرج والتعسف في استعمال الحق.

وعلى هذا بَوَّبَ القرافي وغيره قاعدة الفرق بين الدليل على الحكم الشرعي والدليل على وقوعه .

٢ ـ الحقيقة الثانية : أن النظام في المملكة مادة من مواد الفقه الإسلامي ؛ لأنه بحث عن الأحكام الشرعية في الوقائع المستجدة ، ولهذا لا يرد النظام بالتنظيم لوقائع فُرغ منها بدليل نصي أو إجماعي ؛ ولأن النظام يمر بمراحل ـ منذ بدايته مشروعًا ـ باستشارات ذوي العلم الشرعي والتخصص الفني .

والنظام قبل أن يكون مواد تقريرية : يصدر بمذكرات إيضاحية تفسره ، وتكون المادة التقريرية خلاصة بحث وفقه وتحليل واستنباط .

وهذا يعني أن النظام عن وقائع مستجدة يكون وضع مواده ثمرة تفقُّهٍ في الدين استمرارًا لاجتهاد علماء المسلمين في الوقائع التي حدثت في عهدهم .

٣ ـ والحقيقة الثالثة : أن ما لم ينص الشرع على اسمه أو ما يعين الواقعة بذاتها جعل مجاله لاجتهاد ذوي العلم بالشرع (أي دليل الحكم الشرعي) وذوي العلم بالواقعة التي يبحث عن حكمها ، وهم أهل الخبرة .

أي أن الشرع جعل للخلق الاجتهاد بعقولهم وثمار معارفهم الحسية والتجريبية في إقامة حرفهم وصناعاتهم وثقافاتهم ، وجعل لهم من أحكام الشرع حماية يعملون في إطارها لتحقيق مصالحهم الدنيوية .

ولهذا فأصوب تعريف للمصلحة المرسلة أنها المحافظة على مقصود الشارع .

وكل وقائع تحتاج إلى تنظيم فهي من المصالح المرسلة .

ومعنى المحافظة على مقصود الشارع أن لا يحل النظام حراما ولا يحرم حلالا .

وأن يكون في رحاب المقاصد الشرعية العامة التي فرغ علماء المسلمين من استنباطها .

فمن تلك المبادئ أن الله سبحانه وتعالى قال عن الرسول ﷺ ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ ، الأنبياء ١٠٧ .

فكل ما هو رحمة بالخلق ـ في اجتهادنا ـ ولم يرد نص بتحريمه ولا يفضي إلى محرم فهو مقصد إسلامي يراعيه النظام .

وقد أمر الله بالعدل ، ونهانا أن نبخس الناس أشياءهم .

وبين شيخ الإسلام ابن تيمية في كتابه الاستقامة أن العدل يعرف بالشرع وبالعقل .

وقال تعالى : ﴿ليبلوكم أيكم أحسن عملا﴾ ، هود ٧ . وحسن العمل وإتقانه يعرف بالشرع وبالحس .

والعدل وإحسان العمل مقصد شرعي يحكم فقه النظام وفلسفته .

وسد الذريعة عن المحرم كالأمر بغض البصر ، وفتحها لواجب أهم كفداء المسلم ، من مقاصد النظام ؛ لأنها مقصد شرعي .

فإشارة المرور سدًا للذريعة إلى إزهاق النفوس وعملاً على تيسير وتنظيم تنقل المسلمين .

> ❝ في الشريعة الإسلامية المعصومة حُكمٌ في كل ماوقع وماسيقع ❞

فالذي يخالف نظام المرور آثم ديانة وقضاء ؛ لأنه لم يطع أولي الأمر في أمور حققوا بها مراد الله ، وهو مصلحة الخلق .

وهكذا أنظمة الدولة يعصي ويأثم ـ ديانة وقضاء ـ من خالفها .

والمسؤول اذا كان له اجتهاد شرعي يخالف النظام فعليه أن يعرضه على ولاة الأمر، ولكن لا يحل له أن يعطل النظام باجتهاده .

ليس هذا من ناحية القضاء فحسب ، وإنما هو من ناحية الديانة .

لا يحل له تعطيل النظام ما ظل في واقع المسؤولية ؛ لأنه مؤتمن عليه متعاقِد على أدائه .

٤ ـ والحقيقة الرابعة : أن الاقتباس من كتب القانون الوضعي واقتناءها ليس أمرًا مكروها ولا محرما في هذه الحالة ، بل هو مستحب .

لأنك تأخذ منه ما يباح لك أخذه ، وهو الحكمة ضالة المؤمن .

فأنت تأخذ من القانون الخبرة الدنيوية كدقة العبارة ، أو وضوح الحجة ، أو الخبرة الفنية التي تحكم بعض مواد القانون .

وأنت ترجع له في وقائع مستجدة لم يفرغ اجتهاد المسلمين فيها بحيث يكون عملهم إجماعا ، ولم يرد فيها نص باسمها .

وإنما المحرم المخرج من الملة أن تتبع مقاصد الواضع وتلغي مقاصد دين الله .

فعلى سبيل المثال العقود التي يعالجها القانون إنما يراعي فيها القانون رضى المتعاقدين فحسب .

وليس هكذا نظام المسلمين ؛ لأن المسلم حينما ينظم لحياته يتحرى رضى الله أولاً عن مقتضى العقد قبل أن يتحرى رضى المتعاقدين .

وورد النص بأن كل صلح أو شرط يحرم حلالا أو يحل حراما فهو باطل .

ولكي يفتح لكم إن شاء الله في سياسة النصوص النظامية بمعرفة مقاصدها أذكر لكم نموذجًا واحدًا من المقاصد الشرعية ، وهو قاعدة «لا ضرر ولا ضرار» .

فمن هذه القاعدة اشتق مبادئ عديدة مثل مبدأ رفع الحرج ، ومبدأ تحمل الضرر الخاص في سبيل الضرر العام عندما تقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الفرد ، ومبدأ أن درء المفاسد مقدم على جلب المصالح كما في قوله تعالى : ﴿وإثمهما أكبر من نفعهما﴾ ، البقرة ٢١٩ .

وفي إطار العدل والمصلحة والحكمة أذكر أنظمة الطرق والمباني ، فقد حدد

صراع العقول

الشرع والوضع

"الاقتباس من القانون الوضعي ليس حرامًا ما لم يتعارض مع مقاصد دين الله."

نظام أمانة العاصمة والبلديات، ثم بعده نظام البلديات والقرى بالمادة الخامسة جميع وظائف البلدية.

ومن تلك الوظائف: تنظيم وتنسيق البلدة وفق مخطط تنظيمي، والترخيص بإقامة الإنشاءات والأبنية والتمديدات.

ونظـام الطرق والمبـاني ـ وإن كان أسبق من نظام البلديات والقـرى ـ جاء للتنظيم للعنصرين الآنفي الـذكـر من وظـائف البلـديـة وهما التخطيط، والترخيص.

ولقد طـرأ على هذا النظام عـدة تعديـلات، وصدرت تعليمات كثيرة تتعلق بموضوعه، واشتق منه أنظمة ولوائح.

ولقدمه ولسرعـة التغيرات وكثرتها فقد أوصى المؤتمر الثاني لرؤسـاء البلديات والمجمعات القروية بإعادة صياغته ليواكب النمو والتطور العمراني.

ولكثرة مـا صدر في موضوعـه من تعليمات، وما اشتق منه من لـوائح؛ فقد يرى المسؤولـون والمختصون أنه لا حاجة إلى نظام للطـرق والمباني، وإنما الحاجة إلى لائحة تنفيذيـة لما حدده نظام البلديـات والقرى من وظائف بلديـة من بينها التخطيط والترخيص.

على أن تكون لائحـة فنية بحتـة في نطاق تخصُّصِ وكـالة الـوزارة لتخطيط المدن.

وما خرج عن الناحية الفنية فهو مخدوم بأنظمة ولوائح وتعليمات أخرى.

والفصل الأول والثاني عن التخطيط وتوظيف المرافق.

ويراعى في التخطيط الأصـول الفنية والحضاريـة، ويرجع في ذلك إلى خبرة ذوي التخصص.

ويراعى في التوظيف تحقيق مصالح الأمة.

وقد عولج بعض هذا الشق بنظام المحلات المقلقة للراحة ولائحته.

والفصل الثالث تنظيمي بحت يفصل الفصلين الأولين السابقين.

والفصل الرابع يحكم عملية البناء وفق التخطيط والتنظيم، وينظم العلاقة بين المواطن وسلطة المباني، ويحدد عقوبة المخالفة.

وهناك لائحة مستقلة للجزاءات والرسوم.

والفصل الخامس يأخذ الضمانات المسبقة لفنية البنـاء وفق ما عالجته مواده عن أهلية المعماريين والمهندسين والمقاولين.

والفصل السادس في حيز الفصل الخامس إلا أنـه يتعلق بعملية البناء ذاتها بعد أهلية البناء.

وهذا الفصل هو لب النظام، وهكذا بقية الفصول إلى نهاية الفصل العاشر كلها عن فنية البناء، وراحة ومتعة من يستخدم البناء.

والفصل الحادي عشر عـودة إلى مـوضـوع الترخيص وهـو مكمل للفصل الرابع.

والفصل الثاني عشر والثالث عشر والخامس عشر عن الرسوم.

وللرسوم لائحة مستقلة.

وهناك نظام نزع الملكية، وقد عالج أمورًا مبددة في نظام الطرق والمباني.

وبمناسبة الرسوم أحب التفريق بين ثلاثة أمور تقتضي الظروف التاريخية أن تكون من موارد الدولة:

فالأمـر الأول: هو الضريبة التي تفـرض على القادرين من الأفراد في حـالة عجز بيت المال عن حاجات الأمة وضروراتها.

والضريبة ليـس لها صفة الديمـومة في التنظيم، بـل هي مرهـونة بظـرفها، وتقديرها يكون باجتهاد مؤقت.

وجمهور محققي علماء المسلمين يرون مشروعية الضريبة بشرطها.

والأمر الثـاني: الرسم، ولا يسمى رسما إلا ما كـان مقابل الانتفاع بخـدمة دائمة تقدمها الدولة.

والرسم لم يكن قط قيمة لكامل الخدمة، وإنما هو مساهمة في جزء من قيمة الخدمة تقل وتكثر باختلاف الأنظمة.

ولا يزال الرسم في الأنظمة السعودية رمزيًا بمنتهى مفهوم الرمز.

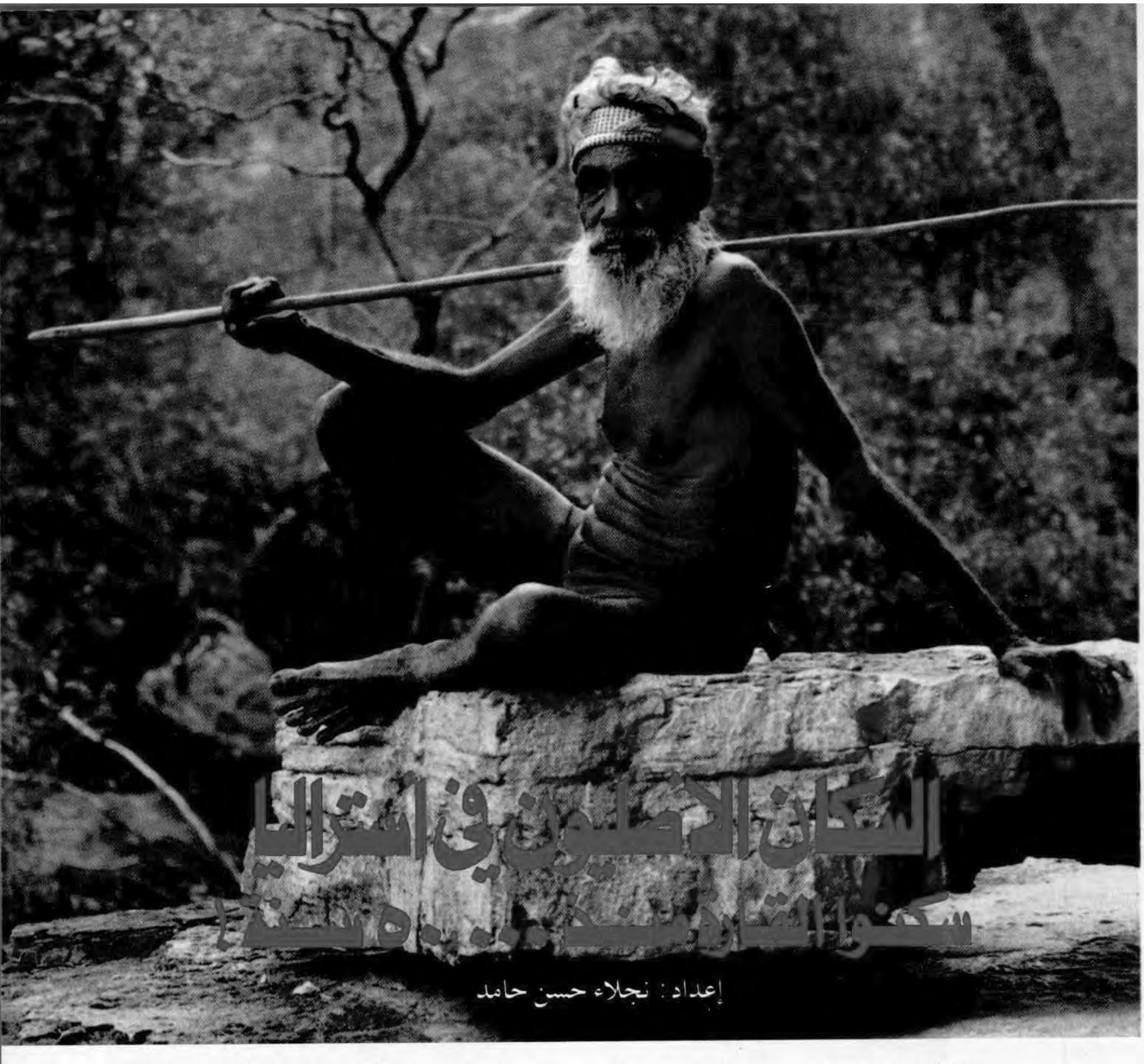
والرسم من المصالح المرسلة الذي لا تأبـاه الشريعة الإسلامية المطهرة؛ لأنه يلزم المواطن الشعور بمسؤوليته تجاه الخدمة المقدمة له ليرعاها ويحافظ عليها.

والأمر الثالث: الجزاءات، ولا يكون جزاء إلا إذا كان مقابل مخالفة لتنظيم ولي الأمر.

وإذا كانت العقوبة مالية فقد تكون بمقدار نفقة المخالفة، وقد تكون أكثر للردع إذا وجد الإصرار وتكرار المخالفة.

الهامـش:

(١) الوسيط في تاريخ القانون والنظم القانونية ص ٣٧٤ ـ ٣٧٥.



السكان الأصليون في أستراليا

سكنوا القارة منذ ٥٠,٠٠٠ سنة!

إعداد: نجلاء حسن حامد

منذ أكثر من ٥٠,٠٠٠ سنة، في العصور الجليدية، عندما كان سطح البحر منخفضًا، كان هناك جسرٌ أرضيٌ ممتد بين غينيا الجديدة وأستراليا.. وعن طريقه قدم من آسيا، أناس ينتمون إلى إنسان جاوه أو إنسان بكين إلى استراليا.. ولعشرات الألوف من السنين، كانت القارة لهم وحدهم.

وفي عام ١٧٧٠م رست سفينة الإنجليزي جيمس كوك على سواحل القارة الشرقية، وفي عام ١٧٨٨م، ولمدة تقترب من المائة عام، توالى وصول السفن التي تحمل أشخاصاً مدانين بجرائم من إنجلترا ومستعمراتها. بعدهم قدم مغامرون كثيرون ومستوطنون وباحثون عن الذهب من جنسيات مختلفة، وحتى الآن مازال المهاجرون يفدون إلى القارة .. ورغم هذا مازال البريطانيون والأيرلنديون يشكلون معظم السكان .

قارة متحركة

تبدو قارة أستراليا موغلة في القدم، وأحياناً غير «أرضية» بالنسبة للإنسان المعاصر، ذلك أن القارة بأكملها كانت «في حركة» مثل الكواكب السيارة، وعلى مدى ١٣٠ مليون سنة، تحركت القارة نحو مكانها الحالي بمعدل عدة بوصات كل عام، ولمدة تقترب من نصف هذا الزمن - حوالى ٦٥ مليون سنة - كانت عبارة عن طوف منعزل يتحرك بلا هدف - وإن كانت الحركة بطيئة - صوب الشمس الجنوبية شديدة الحرارة، حيث ازدهرت على أرضها الحياة النباتية التي اندثرت من أماكن عديدة.

وفي الأماكن القاحلة من أستراليا، يمكن للإنسان أن يرى كيف كانت بداية الحياة على الأرض، ففي غرب القارة يوجد عدد من أقدم الصخور المعروفة التي يرجع عمرها إلى ٣,٥ بليون سنة، وعلى مقربة منها توجد صخورٌ تحوي بلورات تكونت منذ ٤,٣ بليون سنة، وهي على ما يبدو كانت أجزاءً من أول قشرة تكونت للأرض بعد أن بردت.

وفي أستراليا الغربية كذلك، عُثر في



الحجر الجيري على بعض أنواع النسيج الضام الذي يؤلف أساس الخلية للكائنات العضوية الأولى مدفونة في ورقة شجرة، ترجع إلى ٣,٥ بليون سنة، وقد عاشت هذه الأشكال عندما كان للأرض أنواع مختلفة من الطقس وكانت هذه النباتات وأنواعها تستخدم الطاقة الشمسية والكلوروفيل لإنتاج السكر.

وفي الحقيقة، فإن وجود هذه النباتات وإطلاقها للأكسجين بكميات وفيرة، وعلى فترة ممتدة من الوقت، هو الأمر الذي جعل حياتنا المعتمدة على تنفس الهواء ممكنة على الأرض فيما بعد.

ومن دراسة حفريات النباتات والحيوانات، أدرك العلماء أنه منذ آلاف السنين، كانت أستراليا وغينيا الجديدة - نيو غينيا الجنوبية - والقارة المتجمدة الجنوبية والهند وأفريقيا وأمريكا الشمالية، يشكلون قارة جنوبية هائلة، وبمرور الوقت، بدأت كتلة الأرض هذه في التحول إلى قطع وشظايا متفرقة تحمل صفائح أرضية متفرعة، أخذت في الحركة، وهكذا استمرت أستراليا في الحركة البطيئة - كما سبق - حتى بلغت مكانها الحالي.

دولة اتحادية

أستراليا هي القارة الوحيدة في العالم التي تشغل أراضيها دولة واحدة، تبلغ مساحتها نحو ثلاثة ملايين ميل مربع، وهذا يعني أن مساحتها تعادل تقريباً مساحة الولايات المتحدة الأمريكية أو ثلاثة أرباع القارة الأوربية، كما أنها تفوق مساحة بريطانيا وإيرلندا معًا خمسًا وعشرين مرة.

واستراليا دولة اتحادية على مثال الولايات المتحدة الأمريكية، اذ إن مقاطعاتها جميعًا نزلت عن سيادتها سنة ١٩٠١م في الشؤون العامة كالدفاع والجمارك والشؤون الخارجية، لحكومة مركزية تمثلها جميعًا، واحتفظت كل منها لنفسها بسيادتها، في شئون معينة داخلية تتعلق بالزراعة وإصلاح الأراضي والسكك الحديدية والشرطة والتعليم وما شابه ذلك.

وما أن وضعت الحرب العالمية الأولى أوزارها، حتى شرع الأستراليون في إنشاء عاصمة الاتحاد الأسترالي على مثال واشنطن، وكانت هذه المدينة هي كانبرا على مقربة من الساحل الشرقي الجنوبي، وقد خصصوا لها منطقة غير خاضعة لحكم ولاية من الولايات الداخلة في الاتحاد، على نحو مقاطعة كولومبيا التي أنشئت فيها العاصمة الأمريكية واشنطون، وقد أرادوا أن تكون هذه العاصمة الجديدة خير مثال لما بلغه علم الهندسة المعمارية وفن تنسيق المدن من الكمال في هذا العصر، فطرحوا خطط إنشائها وتصميمها في مسابقة عالمية.

ومما يدل على استقلال الأستراليين في الرأي، أنهم على الرغم مما يربطهم ببريطانيا من أواصر الدم وصلات التاريخ والثقافة، اختاروا التصميم الذي وضعه مهندس أمريكي، وشرعوا في تنفيذه، وهكذا أصبحت كانبرا واحدة من أشهر مدن الحدائق في التاريخ، وبخاصة أنها كانت مقرًا للحاكم العام والحكومة الاتحادية والبرلمان الاتحادي، وكان الملك جورج السادس قد افتتح هذا البرلمان عندما كان يُعرف باسم «دوق يورك»، وذلك في ٩ مايو ١٩٢٧م، وعند تحويل كانبرا إلى عاصمة للبلاد، لم يكن عدد سكانها - حسب إحصاء ١٩٤٢م - يزيد عن ٨٥٠٠ نسمة.

موارد وفيرة

قارة أستراليا بلاد تسهل فيها المبالغة ولاينقضي العجب، شتاؤها في الصيف وصيفها في الشتاء، وهي بلاد تقاس فيها المساحات المزروعة بملايين الأفدنة، وبعض المزارع بعشرات الألوف، والأغنام والأبقار بعشرات الملايين.

ولعل أشهر ما عُرفت به أستراليا هو صوف الأغنام، ففي عام ١٨٥٠م، كان يعيش في البلاد ٤٠٠٠٠٠فرد و ١٣ مليون رأس غنم، وحتى الآن تفوق الأغنام عدد السكان، وقد بلغت قيمة صادرات أستراليا من الصوف عام ١٩٨٦م حوالي ٢,٧ بليون دولار. ويُعدّ صوف المرينو أجود أنواع الصوف الأسترالي، وتنتج منه نحو نصف إنتاج العالم، وقد تحقق لهم ذلك بتطبيق العلم الحديث على تربية الأغنام، فالاعتماد على قواعد التأصيل العلمية مكنهم خلال ثلاثة أجيال من مضاعفة مقدار الصوف الذي يمكن الحصول عليه من الأغنام وكذلك الحملان.

والقمح أيضًا من المحصولات الزراعية الكبيرة في أستراليا ويُصدّر، إما حبًا وإما دقيقًا، لبلدان كثيرة في العالم، كذلك اشتهرت بإنتاج السكر من قصب السكر، إضافة إلى أصناف عديدة من الفواكه التي أقيمت من أجلها صناعة ضخمة للحفظ والتعليب، وبلغ ما تم تصديره من العلب المحفوظة في سنة واحدة أكثر من ٦٤ مليون علبة.

أما تربية المواشي - البقر والعجول والثيران - فقد تفوقت فيها أستراليا، وأصبح اللحم الأسترالي المحفوظ وفقًا لأحدث طرق التبريد والتثليج المعروفة يصدر إلى معظم أنحاء العالم.

ويلازم هذه الثروات الزراعية والحيوانية ثروات معدنية ضخمة مثل الذهب والألمونيوم والزنك والفحم والرصاص واليورانيوم والأحجار الكريمة، وتُعدُّ مناجم Argyle أكبر منتج للألماس في العالم، اذ تنتج نحو ٣٠ مليون قيراط في العام، ويتوقع الخبراء استمرار موارد المناجم في العطاء لمدة ٢٠ عامًا أخرى.

كذلك تقدم أستراليا ٩٠٪ من إنتاج الأوبال في العالم، وهو حجر كريم تتغير ألوانه تغيراً جميلاً، وقد عُثر في أحد المناجم على قطعة أوبال ضخمة أطلق عليها اسم «مذنب هالي» وكان هذا بعد مرور المذنب على الأرض في





مالبورن في الليل .. تجتذب هذه المدينة الاسترالية كثيراً من الاستثمارات الأجنبية اليها

مارس١٩٨٦م، وقد بلغ وزن القطعة ٢٠٠٠ قيراط وبلغت قيمتها ٣ ملايين دولار.

أجناس متعددة

توافد على أستراليا أنواع عديدة من البشر على مدى عشرات الألوف من السنين وحتى الآن، ففي العصر الجليدي عندما كان سطح البحر أكثر انخفاضاً، كان هناك جسرٌ أرضي كبير ممتد بين أستراليا وغينيا الجديدة، وعن طريقه قدم أناس ينحدرون من جاوة أو ينتمون إلى إنسان بكين في آسيا منذ ٥٠٠٠٠ سنة إلى القارة، وقد عرفوا باسم الأرومين أو البدائيين Aborigines، ولعشرات الألوف من السنين، كانت القارة لهم وحدهم، وكانت أستراليا هي «أرض الجنوب المجهولة» بالنسبة للإغريق والرومان القدماء، وبقى الحال على هذا الوضع حتى القرن ١٧، عندما جاء البرتغاليون بنية التبشير والهولنديون بحثًا عن الربح في الشمال الغربي للقارة.

وأخيراً عرف العالم الحديث أستراليا عام ١٧٧٠م، عندما وصل القبطان البحري الإنجليزي جيمس كوك إلى الساحل الشرقي للقارة وأعلن للعالم المتمدين عن اكتشافه لقارة جديدة، وقد أعلن وقتها أن الأرض الجديدة هي جزءٌ من أوربا وليس آسيا، وأطلق عليها اسم نيو ساوث ويلز.

ويمكن القول بأن الجذور العرقية للسكان في أستراليا، بدأت بوصول الأشخاص المدانين بارتكاب جرائم في أوطانهم، ففي ١١ يناير من عام ١٧٨٨م قدم أول أسطول مؤلف من ١١ سفينة يحمل حمولة بشرية من المدانين، وقد عملوا كرعاة ومزارعين وتجار أبقار وجزازين لأصواف الأغنام.

وفي عام ١٨٥١م عندما اكتُشف الذهب في نيوساوث ويلز ثم في فيكتوريا، تضاعف السكان بمقدار ثلاثة أضعاف، إذ قدم مستوطنون يأملون في الحصول على الذهب، وكانوا يعملون في البقالة وصناعة الجعة - نوع من الخميرة - وحتى اليوم تُعدّ أستراليا أكثر الشعوب المتكلمة بالإنجليزية استهلاكًا للكحول.

كذلك حضر إلى القارة كثير من الأفراد المنتمين إلى شعوب مختلفة، ففي الفترة من ١٧٨٨م إلى ١٨٦٧م جاء من أيرلندا وحدها ٤٥٠٠٠ أيرلندي، كذلك قدم آخرون من ايطاليا واليونان ولاثاكا وقيصرية وكليمونص، بعضهم جاءوا مُدانين من قبل إنجلترا بتهم أخلاقية أو قرصنة، وبعضهم الآخر جاء بحثًا عن الذهب.

ورغم الجنسيات المختلفة، يبقى السواد الأعظم للسكان في القارة من أصل بريطاني وأيرلندي، ويبلغ عدد السكان حاليًا نحو ١٦ مليون نسمة فقط.

أستراليا البيضاء

دفعت القارة ثمنًا باهظًا لكونها عضواً في النادي الغربي الذي يضم الدول الأوربية، ففي الحرب العالمية الأولى، قُتل استراليون أكثر من الأمريكيين في المعارك، وخلال الأزمة الاقتصادية والبطالة في الثلاثينيات ، بلغت نسبة البطالة ٣٠٪ في بعض المدن الأسترالية، وفي الحرب العالمية الثانية قُتل ٣٠٠٠٠ استرالي.

وخلال هذه الأوقات العصيبة، كانت أستراليا تنتهج سياسة أستراليا البيضاء وتُوصد باب الهجرة في وجه الأسيويين، لكن القصف الياباني لميناء بيرل هاربور، نبه الأستراليين إلى حقيقة وجود آسيا، كما أدى إلى التقارب بين أستراليا والولايات المتحدة ، ورغم هذا ما زالت أستراليا تبدو «بريطانية» تمامًا، فالقضاةُ يضعون الشعر المستعار على رؤوسهم، والأخبار والآراء القادمة من لندن هي المتسيدة في الصحافة المسموعة والمقروءة والمرئية.

ومنذ ستينيات القرن الحالي، بدأ الحزبان السياسيان الكبيران في أستراليا بمهاجمة سياسة أستراليا البيضاء، وخلال السبعينيات كانت نسبة ٨٦٪ من المهاجرين إلى أستراليا من الأوربيين، وإبان الثمانينيات جاء أكثر من نصف المهاجرين إلى القارة من آسيا، واليوم يأتي العدد الأكبر من المهاجرين - ٣٢٪ - من آسيا.

وفي أواخر القرن العشرين اتجه نوعان من الأسيويين إلى القارة، أولهما الأسيويون الفقراء، ويتكونون من المهاجرين الأندونيسيين والصينيين، وثانيهما «الأسيويون الأثرياء» ويمثلهم السائحون والتجار اليابانيون وكذلك المشروعات الاستثمارية الملاوية والصينية.

وفي الوقت الحالي، فإن من بين كل ثلاثة أفراد يفدون إلى القارة، يكون أحدهم أسيويًا، وقريبًا سيأتي اليوم الذي تصبح فيه أستراليا بَوْتَقَةً للانصهار الأوربي الأسيوي.

ولكن ماذا عن السكان الأوائل



البـــدائيين الـذين وصلـوا البـــلاد منـذ ٥٠٠٠٠ سنة أو أكثر؟

السكان الأصليون

عندما بدأ أهل أوربا في سكن أستراليا منذ أكثر من مائتي عام، كان بالقارة نحو ٣٠٠٠٠٠ مـن سكـانهـــا الأصـليـين مقـسمين إلى عـدد كبـير من القبـائل في نواح متـفرقة من القارة، ثم أخـذ عددهم يتناقص - عبـر السنين - حتى وصل إلى ٣٨٠٠٠ في عام ١٩٥٨م، ثـم أخذ في الزيادة حتـى صـار أقـرب إلى ٤٥٠٠٠ بفضل رعايات خيرية قُدمت لهم.

وكانت مدرسة ينا الجـامعة قد أوفدت الدكتور ريتشارد سيمون إلى أستراليا عام ١٨٩١م لبحث أحوال سكانها الأصليين وما فيها من نباتات وحيوانات بحثًا علميًا لمدة عـام ونصف، فكـتب بحـثًا مطولاً جاء فيه:

« إن حـالة هؤلاء الأقـوام مـثل حـالة سكان أوربا في العـصر الحـجري الأول، أي عندمـا كـانوا يسـتـعـملون أحـجـار الصوان دون صقل أو إتقان، والبلاد غنية بالمعادن من الذهب والنحاس والرصاص، لكنهم لم يستخرجـوا شيئًـا منها، لا في هذا العصر، ولا في العـصور الغابرة، ولم يعرفوا الأدوات المعـدنية إلا من الأوربيين الذين احــتلوا بلادهم حــديثًــا. وكل أدواتهم وأسلحتهم مصنوعة من الحجارة والعـظام والأصـــواف والأخــشـــاب والألياف والأوتـار، وليس فيهـا أقل دليل على إتقـان الصنعـة. وهم قـبـائل رحل يضـــربون في البـلاد طلبًـا للصـيـد، لا للمـــراعي أو الزراعـــة، ومما يدل عـلى انحطاطهم أنهم لا يستطيعـون أن يعدوا أكثر من خمسة فالواحد «غارد» والاثنان «بو» والثـلاثـة « كـرمـدي» والأربعـة «وغارو» والخمسـة «بوكرمدي» وإذا زاد المعـدود عن الخمسة عبـروا عنه بكلمة «ميان» أي كثير».

صفات ومعتقدات غريبة

وصف العلماء أهل أستراليا الأصليين بسـمـرة اللون أو سـواده، وكـبـر حـجم الفم، واكـتسـاء البدن بالشـعر الكثـيف، وعـدم وجود ديانة لهم، وإيمانهم بوجـود الأرواح، وممارسـتـهـم لبـعض أعـمـال السحر، وانتشار المعتقدات الغريبة بينهم، فمـثلاً يعتقـدون أن لا أحد يموت، بل إن من لا يُقـتـل في القتـال يموت بسـحـر عـدوه، فـإذا مـات واحـد منـهم، تسلح أقرباؤه للأخذ بثأره، وبعـد قيامهم بدفنه، يراقبـون أول ذبابة أو حشرة أخـرى تطير عن قبره فيتبعونها حتى تصل بهم إلى من يوقعون به أخذًا بثأر قريبهم.

ورغم أن الرجـال والنسـاء مـفطورون على الشـفقـة وسـائر العـواطف البشـرية كغيرهم من الشعوب، إلا أنهم يخمدون حاسات الشفقـة فـيهم، فتقتل الأم وليدها إذا لم تجـد ما تطعـمه، أو إذا كان سـيء الطباع أو بليدًا أبله أو ضعيفًا عاجزًا.

وعندما يبلغ الفتى سن المراهقـة يجتمع أهل قـبـيلتـه بأبدان مطليـة بتراب أحـمـر وأصـفـر ومــجـروحـة بأسنـة الرمـاح أو حــروف الأصـداف على شكل طائر أو



لعدم وجود جفنين لعين «أبو بريص» يحرص على لعقهما بلسانه من أجل النظافة



الورل - نوع كبير من الكنغر - يعيش في السهول ويتميز بالخجل والخوف الشديد من كل شيء



السحلية ذات اللسان الأزرق



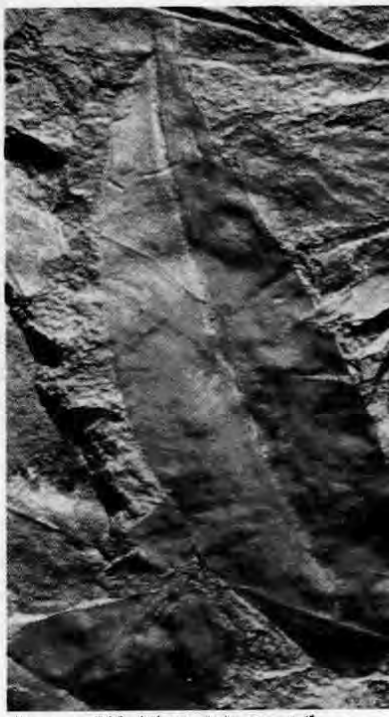
يحتفظ ذكر طائر اللوتس بأفراخه بين ريش جناحيه لحمايتهم



يبني الذكر عشًا على شكل قوقعة الحلزون ويزينه بقطع الحجارة حتى يؤثر في رفيقته المرتقبة



قطعة الاوبال الضخمة التي سُميت مذنب هالي وزنها ٢٠٠٠ قيراط وثمنها ٣ ملايين دولار



ورقة شجر عثر عليها مضغوطة في قطعة حجر تعود الى ٢٦٠ بليون سنة، وقد عثر على أمثلة لهذه الورقة في أمريكا الجنوبية، وافريقيا، والقارة المتجمدة.



تطورت الحياة النباتية في استراليا في عزلة، وتنتمي هذه الزهرة الى عائلة «البروتياز» وهي من ضمن المجموعة البدائية، وقد عثر على أمثلة لها في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية

صورة سمكة أو غيرها من الصور التي تزيدهم قبحًا، ويتقاطرون للرقص عراة الأجسام باستثناء نطاق حول خصورهم، ويتميز الأثرياء المحاربون منهم بجلود يلقونها على أكتافهم، وقد يلبسونها كما هي، أما إذا كانوا من أهل البذخ والأناقة، فإنهم يضعونها في زيت السمك كريه الرائحة حتى تتشبع به، ويعلقون بها أسنان الحيوانات البرية وعظام الأسماك وأذناب الكلاب من أجل اكتمال الزينة والأناقة !!

وبعد أن ينتهون من ألعابهم، ينزعون إحدى أسنان الفتى المراهق - محل الاحتفال - فيصير محاربًا ويحق له حينذاك أن يتزوج وأن يحمل الرمح والترس.

المرأة والزواج

لاحَدّ لعدد الزوجات عند سكان أستراليا الأصليين، فيستطيع الرجل أن يتزوج بقدر ما يشاء، رغم أن النساء أقل عددًا من الرجال.

ويتزوج شيوخ القبائل خاصة بأكثر النساء، إما مقايضة، بأن يصاهروا شيخًا آخر فيصاهرهم وإما برضى أهل الفتاة، لذا يبقى أكثر الشبان من دون زواج.

وإذا كان الشاب الذي يحمل الترس والرمح ابن محارب مشهور، سهل عليه أن يتزوج امرأة بموافقة أهلها، وإذا لم يكن أبوه كذلك، يترصد فتاة من قبيلة أخرى حتى ينفرد بها عن الناس ، فيفاجئها بالضرب بالهراوة على رأسها وبدنها حتى تقع على الأرض، ولا يزال يزيدها ضربًا حتى تغيب عن الصواب وتكاد روحها تزهق، فيجرها من شعرها، ولا يبالي إذا أدماها الشوك، أو أصابتها الأحجار بالرضوض، حتى يأتي بها إلى وجره، فتصير عبدة له كل حياتها، تخدمه وتحمل أولادها وكل الأمتعة في الرحيل من مكان إلى آخر، بينما يكون هو خالي اليدين لا يحمل شيئًا. وتقضي الزوجة المسكينة حياتها أسيرة، محاولة استرضاءه بكل السبل، وبخاصة أن حياتها في يده، فإذا غضب عليها، طعنها برمحه أو قطعها بفأسه ولا رادع له.

وقد حاول بعض المهاجرين الإنجليز إحصاء عدد الجراح في رؤوس بعض النساء، فوجدوا أنه لا يكاد يوجد موضع في رؤوسهن لم يشجب بعصي رجالهن.

ويقال إن أهل جنوبي أستراليا كانوا يتزوجون من غير قيد، فيتزوج الرجل بأمه أو أخته أو ابنته، ثم رأوا عواقب ذلك في أولادهم، فحرّموا تزوج الأقارب أولاً، ثم حرّموا تزوج الرجل بأمه أو ابنته أو ابنة أخيه أو ابنة أخته أو عمته أو خالته، ثم حرموا تزوجه بأخته أو ابنة عمه أو ابنة خاله، ثم تطرفوا في المنع، فحرموا على الرجل أن يقترن بامرأة من عائلته حتى الدرجة الخامسة.

أما بيوت هؤلاء الناس فكانت عبارة عن أكواخ أو كهوف أدنى من كهوف الضواري، والغالب قيام المرء منهم بتقشير لحاء بعض الأشجار، ثم يطويه ويوقفه على جانبيه ويجلس أسفله.

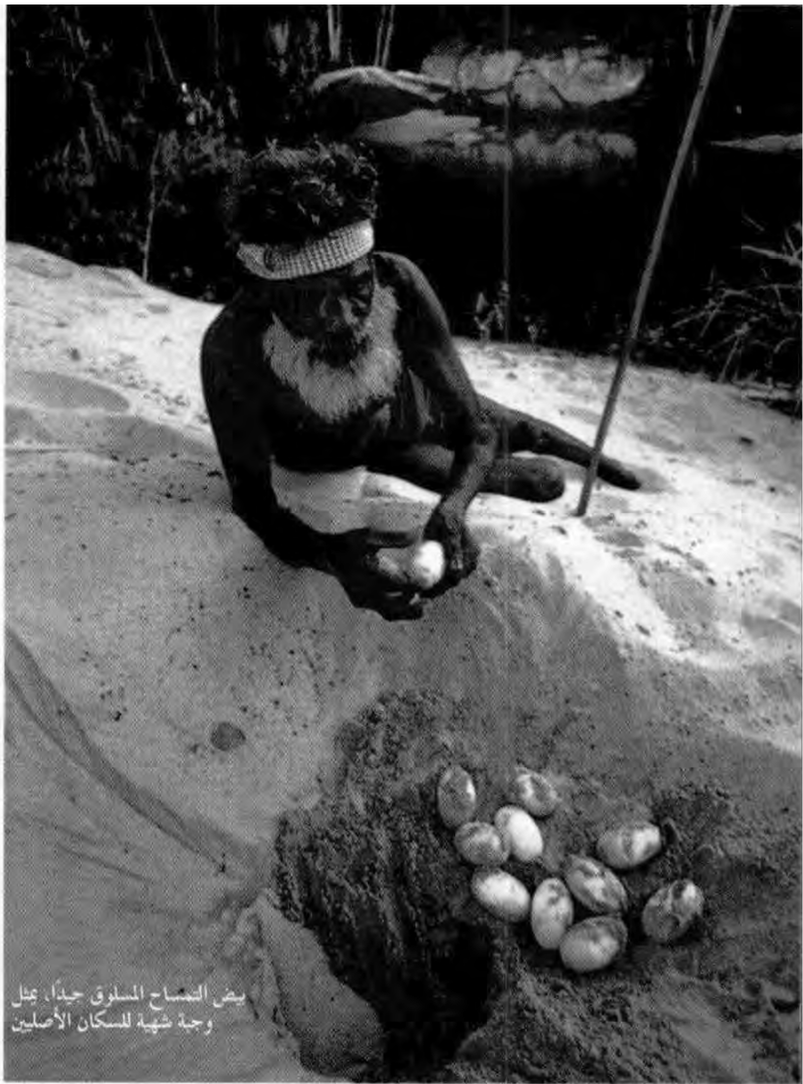
حمى القبيلة

كان لكل قبيلة حمى أو أرض واسعة تصيد فيها، فلا يشاركها أي من القبائل المجاورة، والحروب بينهم قليلة والسلم هو السائد، إذ لا مطمع بغنيمة ولا بشيء من السلب، ولكل قبيلة رئيس تختاره من أمهر رجالها في الصيد أو السحر وله الرأي والشورى، ولكن ليس له شيء من السلطة على رجال قبيلته.

والحرية الشخصية مطلقة تمام الإطلاق، كل امرئ يفعل ما يشاء، ولا يتقيد إلا بمراعاة العادات القديمة، حتى الأولاد لايتقيدون بطاعة والديهم إلا نادرًا، ولكن الأمر ليس كذلك بالنسبة للنساء، فإن لرجالهن السلطة المطلقة عليهن، وللشيوخ شيء من السلطة بسبب خبراتهم، ولاسيما في تربية الأحداث وتزويجهم، وإذا امتاز رجل بالعقل والحزم، تسلط على قومه، لكن سلطته قائمة بنفسه، فلا تنتقل إلى أولاده، ولا إلى أحد من عائلته، أي أن سلطته ليست وراثية.

ومع أن هؤلاء السكان يعيشون في قبائل، فلا هيئة اجتماعية عندهم، ولا حكومة لهم، ولا شرائع، إلا أنهم لا يتحاربون حربًا واسعة، والشائع بينهم في القتال مبارزة الأفراد، وذلك بأن يتقاتل خصمان فيتطاعنان بالرماح أو بالفؤوس، ويراعون في قتالهم هذا سننًا يسمونها سنن الشرف، ويحافظون عليها، كما يحافظ أسمى أهل الأرض تمدنًا على شرفه، حتى إن الخصم ليرد لخصمه رمحه إذا رماه به وأخطأه، ويعودان ثانية إلى استئناف القتال، على أنه كثيرًا ما





بيض التمساح المسلوق جيداً، يمثل وجبة شهية للسكان الأصليين

هضبة تطل على الحافة الشرقية لمتنزه كاكادو الوطني، يعود عمرها الى ١,٦ بليون سنة مضت، وداخل المتنزه البالغة مساحته ٦٦٠٠ ميل مربع يعيش أقل من نصف تعداد الجاجودجو البالغ عددهم ٣٣٠ فرداً، وفي منطقة كوك شاير يعيش نحو ١٦٠٠ شخص منهم.

تعوزهم الشيمة والأنفة كغيرهم من البشر، فيسوقهم حب الانتقام إلى مفاجأة عدوهم تحت جنح الظلام، فيقتلون غدرا، ولكن ذلك مكروه عند غالبيتهم ويؤدي بهم إلى قتال طويل طلبًا للثأر ونزعًا للعار.

الأسلحة والصيد

لا تتعدى أسلحة السكان الأصليين الحجر أو الخشب أو لحاء الأشجار أو ماشابه ذلك، لأنهم لا يعرفون المعادن ولا استعمالها، وجل همهم في الحياة إتقان القتال وإدارة الرمح والضرب بالفأس، فيكابدون أشد العناء لتعلم هذه الأمور ويبرعون في استعمالها.

ومن أغرب أسلحتهم «البومارانغ» وهو عود أعقف كالهلال، محدد الرأسين، يبلغ طوله نحو متر يستخدمونه في الصيد والحرب، وهم يقذفونه في الهواء بمهارة في اتجاه الرياح، فيذهب في الجو صعداً، وهو يتمعج في سيره، ثم ينحدر إلى أن يصيب الهدف.

أما صيد الأسماك فيتخصص فيه سكان السواحل، وأكثر صيدهم له، طعنًا بالرماح، وقد يسدون مصبات الأنهار أو أفواه الخلجان لالتقاطه.

وسفنهم وأدواتهم غاية في البساطة، فالبعض يلقى جذع شجرة في الماء، ويركب عليه، ويديره بمجذاف، والبعض يحفر في شجرة بفأسه ويتسلق إلى أعاليها، بوضع إبهام رجليه في الحُفر، ثم يقشر عنها جانبًا من لحائها ويربطه من طرفيه بأوتار بعض الحيوانات أو غيرها، حتى يصير على شكل القارب ثم يلقيه على وجه الماء، وينزل فيه، والبعض الآخر يحفر جذع شجرة حتى تصير حفرة تَسع جسمه، فينزل فيها، ويديرها في الماء.

أما الذين يسكنون أواسط البلاد، فيعيشون على صيد الحيوانات ويتسلقون في طلبها أعالي الأشجار، وهم يأكلون جذور الأشجار وبعض الثمار والديدان وسوس الأشجار، وجميعهم يجهلون الزراعة وتربية الحيوانات الداجنة.

ولم يصنع السكان الخزف مطلقًا، ولا آنية الطبخ، ويكتفون بشي اللحم على الحجارة المحماة، وهو غاية ما وصلوا إليه من صناعة، كذلك يصنعون سلالاً بسيطة، هي غاية ماوصلوا إليه في صناعة النسج والحبك.

دفاع عن السكان الأصليين

لمدة قرن من الزمان بعد اكتشاف القارة، دأب عدد كبير من الكتاب على وصف سكان أستراليا الأصليين بالانحطاط في مداركهم، وكان من بينهم د. ريتشارد سيمون الذي أوفد خصيصًا من مدرسة ينا الجامعة لدراستهم - كا سبق - . ولكن في نهاية القرن التاسع عشر قام أحد الكتاب القاطنين في أستراليا وفندّ هذا الإجماع، وبيَّن أن أولئك الكتّاب كانوا مخطئين فيما ذهبوا إليه، وسبب خطئهم أن سكان المستعمرة الأسترالية الأولين، لم يكونوا هم أنفسهم من ذوي المدارك السامية، ولم يفهموا لغة السكان الأصليين .

وقد جيء بكثيرين من أولاد السكان







حيوان «الكوالا»، من الحيوانات الأليفة في استراليا، في لحظة أمومة.

الأصليين، وأدخلوا المدارس التي يتعلم فيها أبناء البيض فظهر أن الأولين لم يكونوا دون الآخرين في فهمهم وإدراكهم، وأيد هذا عددٌ من العلماء الذين بحثوا في أخلاق أهالي أستراليا الوسطى وعاداتهم حديثًا.

ومما يدل على هذا أن غلامًا أسود، وُلد بين السود، ورُبي حتى شب، ولما بلغ الثانية عشرة، عمل ناقلاً للبريد في إحدى المحطات، فرأفت بحاله إحدى السيدات ، وأخذت تعلمه القراءة والكتابة، حيث تعلمها بسرعة، وكان يدخر من أجرته، حتى اجتمع عنده مبلغ معلوم، فاستأجر أراضٍ من الحكومة، واشترى أغنامًا وأبقارًا، وأخذ يربيها ويتاجر بها، فكسب من تجارته مكاسب هائلة، ومهر في أعماله حتى استخدمته الشركات الكبيرة لمشتري الماشية بالعمولة ويبلغ ثمن ما يشتريه كل سنة ٢٠٠ ألف جنيه.

وحينما ذهب في أحد الأيام إلى متحف الآثار الاسترالية في سدني، ورأى قطعًا من حجارة الصوان التي كان أهالي أوربا القدماء يستعملونها، ومثيلتها التي كان يستعملها أهالي أستراليا، التفت إلى رفاقه من البيض قائلاً « لايفخرنَّ البيض علينا، فإن أسلافهم كانوا مثل قومي الآن».

وكان هناك غلام أسود تبناه رجل اسكتلندي عندما كان طفلاً عمره عدة أيام، وعندما بلغ الثامنة عشرة من عمره، كان يتكلم الإنجليزية الصحيحة والاسكتلندية العامية بطلاقة، وكان من أنبغ تلاميذ المدرسة التي درس بها بعدد تلاميذها المائتين والخمسين، ولما تخرج فيها، استخدم لدى شركة من أكبر شركات الهندسة وبناء السفن في قسم الرسم ، وكان رسمه متقناً وجميلاً، وطالما أدهش الاسكتلنديين بأعماله وحركاته التي يقلدهم بها حتى كانوا يسألون رؤساءه قائلين « من أين أتيتم بهذا الاسكتلندي الأسود».

المطالبة بالأرض

في عام ١٩٦٨م بلغ عدد السكان الأصليين في أستراليا نحو ٤٥٠٠٠ فرد، بالإضافة إلى ٧٧٠٠٠ من أنصاف الخلصاء، وقد تميز بعضهم في الرياضات البدنية، وحقق عدد منهم شهرة في الفن.

وفي عام ١٩٨٦م أصبح عددهم يبلغ نحو ٢٠٠٠٠٠فرد. ورغم الأموال والجهود التي بُذلت لإذابتهم في البوتقه الأسترالية العامة للسكان، إلا أن نزعة هؤلاء الأفراد الطبيعية للحرية والانطلاق، حالت دون نجاح هذا الهدف، وقد ظهر مؤخرًا بين القبائل من قام يطالب برد بعض أراضيهم المسلوبة. ذلك أن عددًا من أبناء إحدى القبائل الأصلية، كانوا يعملون أُجراء في واحدة من المزارع الكبيرة المخصصة لتربية الماشية، وكانوا من الفرسان المهرة، الذين لا يجاريهم أحد في تتبع الأثر.. وفجأة اعتصبوا، وبعثوا «للورد الكبير» في العاصمة (يعنون الحاكم الاسترالي العام)، ـ وهم القوم الأميون ـ ، رسالة مكتوبة على لحاء شجرة يطلبون منه أن يخصص لهم من أرضهم القبلية ٥٠٠ ميل مربع لكي يعيشوا فيها، مثلما عاش أباؤهم الأولون منذ ألوف السنين.

وأجابهم الحاكم بأن أعطى لهم ثمانية أميال فقط، ثم قام الحاكم بتخفيض هذه المساحة القليلة من الأرض، وأصاب الذهول أفراد القبيلة، وأصاب معهم فئات من الأستراليين الذين رأوا أن السبيل إلى مزج السكان الأصليين عن طريق بناء المساكن وفتح المدارس قد خاب، ولابد من حل آخر.

ومنذ سنوات قليلة مضت، وافق سكان البلاد على اعتبار رجال هذه القبائل، مواطنين استراليين، ولكن ليس لهم بحكم الميلاد وحده حق ملكية الأرض، ولكن لهم الحق في العيش فوق الأرض، والعيش في المساحات القارية الواسعة التي خُصصت لهم، يترحلون فيها، ويجنون منها ما يجنون من طعام بالصيد وبغير الصيد، ولا يمنعهم شيء من شراء الأرض، ولكن بأي شيء يشترون وهم فقراء؟

المتنزه الوطني

«صخرة ضخمة من الحجر الرملي الذي أثرت فيه عوامل المناخ، يبلغ



قطرها ٥٠٠ ياردة، وارتفاعها ٧٥ قدمًا، على جـدرانهـا تـبـدو رسـوم في ألوان حـمراء وصـفراء لأناس غـريبي الشكل، وأسماك وحيوانات تحملق بأعينهـا من الفـضـاء، وفي مـغـارة صـغـيـرة توجـد جـمـجمـة بشرية وبعض العظام الآدمـية، وعند تدقيق النظر في أرض المغارة، يمكن بسـهولة تمييـز حراب حـجـرية مدببـة ، وجـرافات وعـظام الحيـوانات التي كـان الناس يصطادونهـا، وبجانب هذا توجد أشياء، لا تنتمي إلى الماضي بأي حال من الأحـوال، مـثـل علبـة الجـعـة الـفـارغـة والزجـاجـات البلاسـتـيكيـة والبطاريات الصدئة.

هذا هو الجـزء الرئيـسـي من مـتنزه كاكـادو الوطني في شـمال القـارة، وقد سكـنـه مـنذ ٢٣٠٠٠سـنـة الـسـكـان الأصليون، ومنذ نحـو١٢سنة فقط، اتجه للعيش فـيه بعض الـقـبـائل الأصليـة التي عُـرفت باسم جـاجودجـو Gagudju، وفي الوقت الحـالي ترك الجاجـودجو هذا المكان واتجهـوا للاقامة في مـوقع آخر من المتنزه الوطني الذي تبلغ مساحته ٦٦٠٠ ميل مـربع، وتعتبر الرسوم الموجودة على الصـــخـور في هذه المنطقـة التي يـقـدر عـددها بـالآلاف من عـجـائب الـدنيـا، ويقـدر الأنثـروبولـوجـيـون أعـمـار هذه الرســـوم بما يتــــراوح بين ٢٠٠٠٠ ، ٣٥٠٠٠ سنة.

وحـتى طرق الرسم القـديمة مـازالت مـوجـودة، لكن الفـنانين الآن يرسـمـون على لحـاء الشجـر بعد أن هجـروا الرسم على الصخر منذ ١٥ سنة تقريبًا.

ثقافة غير مدونة

يشكو كبار الـسن من أن الشباب لا يتعلمون منهم العـادات.والتقاليد لأنهم لايهتمون بتراثهم، ورغم هذا توجد قلة صغـيرة من الشـبان والشـابات، لديهم اكتراث قوي بشأن تعلم كل ما يخص آباءهم وأجـــدادهم وبلـدهم، وهؤلاء يعـملون حـراسـاً مـتـجـولين في المتنزه الوطني، وفي كل عـامين أو نحو ذلك، تذهب مـجـمـوعـة منهم، فـي حلقـة تدريـبـيـة حـية ومكـثـفـة، لا يتـعلمـون خلالهـا ثقافتـهم الخاصـة فقط، ولكن يتـعلمـــون كـذلـك الإدارة الـحـديثـــة للمتنزه، أرضهم القبلية.

والغريب أن الثقافة ليست مكتوبة أو مـدونة عند الـسكان الأصليين، لكن كبار السن يحتـفظون بها في عقولهم، وتنتقل من جيل إلى الآخر.

ويقـول أحـد المسنين الذي يحـتـفظ بتـراث قـومـه وتاريخـهم في ذاكـرته: «عندما جاء الناس ذوو البشـرة البيضاء إلينا أول مـرة.. قـامـوا بإدارة حـيـاتنا، وسـرعـان مـا جلبـوا الـشـراب المسكر إلينا..في البـداية، سـألوا عن الأسمـاك والكهـــوف والأحـــلام، ثم شـيـــدوا المدارس، وقـامـوا بالـتعليـم.. لكننا في النهاية فقدنا كل شيء..».

أستراليا في سطور

- أستراليا هي الدولة الوحيدة التي تشغل قارة بأكملها.
- أصغر قارة في العالم، وأكثرها جفافًا وانبساطًا.
- أقل من ١٠٪ من الأراضي صالحة للزراعة.
- أكبر البحيرات بها هي بحيرة آير Eyre (٣٦٠٠ ميل مربع).
- الأستراليون أكثر الشعوب المتكلمة بالإنجليزية، استهلاكاً للكحول.
- رغم مساحـة القارة الكبيرة (٢٩٦٦٣٦٨ مـيلاً مربعًا) إلا أنهـا تعد أقل البلدان في الكثافـة السكانية، إذ لا تتعدى خـمسة أفراد في الميل المربع .
- استراليا مسطحة، وأعلى قمة بها هي قمة Kosciusko يبلغ ارتفاعها ٧٣١٠ أقدام لكن حاجز الحَيْد البحري الكبير فيها هو الأطول من نوعه في العالم اذ يمتد مسافة ١٢٥٠ميلاً.
- سيدني هي العاصمة الحالية.
- تتزعم استراليـا دول العالم في تصـدير لحوم الأبقـار والعجـول (٦٢٤٠٠٠طن) في عام ١٩٨٧وتحتـل المكانة الثانيـة بعد نيوزيلندا في تصدير لحم الغنم والضأن (٢٩٣٠٠٠ طن).
- تصدر أستراليا نحو ٣٠٪ من إنتاج العالم من الصوف.
- أقدم شريحة من قشرة الأرض الأولى - بعد أن بردت - توجد في منطقة جاك هيلز ويعود عمرها إلى ٤,٣ بليون سنة.
- تحوي أراضيها ٢٨٪ من اليورانيوم الموجود في العالم بالإضافة إلى احتياطي ضخم من الفحم.
- بها آبار بترولية تفي بحوالى ٩٠٪ من احتياجاتها.
- تنتج تقريبًا كل الأوبال - حجر كريم - في العالم.
- يبلغ متوسط دخل الفرد ١١٠٠ دولار أمريكي، وهو من أعلى الدخول في العالم.
- نسبة التعليم ١٠٠٪.
- يحصل العاملون على عطلة سنوية تتراوح بين ٤، ٦ أسابيع في العام.
- يمتلك ٧٠٪ من السكان المنازل التي يعيشون فيها.
- حق الانتخاب والتصويت إجباري.
- ٨٠٪ من سكان أستراليـا البالغ عـددهم ١٦ مليون نسـمة (بما فـيهم السكان الأصليـون) يسكنون في المدن، على امـتداد الساحل الخصب الممتد بين بريسبين وأديليد، وتأتي في المقدمة سدني ثم مالبورن ثم بريسبين ثم أديليد وأخيرًا كانبرا.
- في عـام ١٨٥٩م كان بالبـلاد ست مـسـتـعـمرات مـنفصلة، تُحكـم جـمـيعـهـا من لندن، هي نيـوساوث ويلـز، تاسـمينا، فيكتوريا، كوين لاند، أستراليا الغربية، أستراليا الجنوبية.
- في عام ١٧٨٨م وصل أول أسطول مؤلف من ١١سفينة يحمل حمولة بشرية من المدانين بجرائم في بريطانيا ومستعمراتها، وفي عام ١٨٦٨م وصل آخر أسطول من هذا النوع إلى البلاد.

المصادر

(١) المقتطف، عدد يناير ١٨٨٣م.
(٢) المقتطف، عدد يناير ١٨٩٨م.
(٣) المقتطف، عدد فبراير ١٩٠٥م.
(٤) المقتطف، عدد يوليو ١٩٤٢م.
(٥) مجلة العربي، العدد ١٦٥، أبريل ١٩٦٩م.
(٦) مجلة المنهل، المجلد ٣٤، سبتمبر ١٩٧٣م.
(٧) مجلة World ، عدد يناير ١٩٨٤م.
(٨) مـــجـلة National Geographic ، مجلد ١٧٣، رقم ٢، فبراير ١٩٨٨م.

مخطوطات جديرة بالدراسة والنشر "٧"



الاكتساب في تلخيص الأنساب

حلقات يكتبها : حمد الجاسر

منذ القـرن السابع حتى القرن العاشـر الهجريين اتجه العلمـاء إلى إحياء علوم الحديث النبـوي، والعناية بها، في الشـام وفي مصر وفي الحجاز. ففي الشام برز الحافظ الذهبي، وشيخ الإسلام ابن تيمية وتلاميذه؛ كابن كثير وابن القيم وغيرهما، وعلماء آخرون، وفي الحجاز عُـرِفَ آل فَـهْـدٍ، وتَـقِـيُّ الدين الفاسي من علمـاء مكة المكرمـة وغيـرهم، وفي مصر كان في المقـدمة شيخ الحفاظ وإمامهم شيخ الإسلام أحمد بن علي بن حَجَـر العسقلاني، صاحب كتـاب «فتح البـاري شـرح صحيح البخـاري» ومعاصـروه وتـلاميـذه، ومنهم الخَيْـضِرِيُّ.

وكـان من أثر تلك العنـاية التأليـف فيما يتعلق بـرواة الحديث، ومن هنـا اتجـه الخيضري إلى هـذا الجانب، فأَلَّفَ كتـابه : «الاكتسـاب في تلخيص الأنساب». فقد أوضح في مقدمـته الدافع إلى هذا التأليف، فقال : «وبعد : فإنَّ علـم الحديث النبوي فضائلـه لا تخفىٰ، وجزاء خَـدَمَتِهِ عنـد الله جزاءً أوْفَـى، لِمَا تَحَمَّلُـوا في تحصيله من المشاقِّ المتتابعـة، وتجردوا لجمعه من الأقطار الشاسعـة، وفارقوا الأهل والأوطان، وهجروا الإخـوة والخِلاَّن، ومنعوا الأعين طيبَ الرقاد، حتى ظفـروا بالمراد، وتكلموا على نقلته جرحًـا وتعديلاً، وإجمـالاً وتفصيلاً، وإنمـا يتم ذلك ويظهـر بمعـرفة الـراوي وعينـه، وما بـه اشتهر، وقد اشتـرك في ذالك الاسم والنسب، والكنيـة، واللقب، وكان علمُ الأنسـاب من أعظمها نفعًـا، وأوسعهـا جمعًا، إذْ بـه يتميـز المسمَّى واللقب والمكنَّى، عمن شارك في ذلك المعنى». ثم ذكـر أن من أحسن ما صُنِّفَ في هذا العلم كتاب «الأنساب» للشيخ الإمام العلامـة الحافظ الكبير عبد الكريم ابن الإمام العـلامة أبي بكر محمـد بن الإمام الحافظ أبي المظفـر السمعاني، ووصف هـذا الكتاب بأنـه أحسن مُصَنَّفٍ في هذا العلم، وأجمع مُـؤَلَّفٍ في هذا المعنى، ثم أضاف : «ولكنه، والله أعلم، مـات قبل تجريد هذا الكتاب . . . فإن فيه أشيـاء : منها أنه ربمـا تكررت ترجمـة الرجل الواحـد في النسبة الواحدة مرتين أو ثلاثًا، ولا أظن ذلك إلاَّ سَهْوًا، ومنها أن النسبة إذا كانت إلى قبائل وبلـدان أو غير ذالك، أسماؤهــم متوافقـة، فإنـه يذكـر منسوبًـا إليه، ويذكر بعض من ينسب إليه، ثم يذكر المنسوب إليه الثاني، ويذكر بعض من ينسب إليـه، ثم يذكـر بعده من ينسب إلى المنسـوب الأول، وكذا في الثـاني والثالث، فمن لا خِبْـرَةَ لـه بـذلك لا يحسن له في ذلك التحـرير، بل يقع في الغلط والتكثير، وغير ذلك من سهو ووهـم لا يفنى، مما يقارب هذا المعنى، وقد كنت أتمنَّى حصول شيء عندي في هذا الباب، ليكون جامعًا للأنساب، فلَمَّـا رأيت هـذا الكتاب، لَـمْ أَرَ التشـاغل بغيره من الصواب، فأردت كتـابته على منوالــه، وأن لا أتـرك شيئًـا من مقالــه، ثم فكـرت معتبـرًا، فـرأيت في حجمــه كِبَرًا، والمـدة قصيـرة، والأيـام يسيـرة، وأنــا في حـالة الاغتـراب، والقلب متشـوق إلى الـوطن والأحبـاب، فعمدت حينئـذ إلى اختصـاره . . . وشرطت أنْ لا أحـذف أحدًا من المترجمين في كتابـه، بل أستوفي جميع من عنده في بابه» انتهى.

ثم تعرض لنقـد كتاب ابن الأثير فـي اختصار كتاب السمعـاني من أنه لا يذكر من المنسوبين إلى نسبةٍ ـ إذا كانوا جماعة ـ لا يذكر إلاَّ واحدًا أو اثنين، وذالك نقص بالنسبة إلى معرفة المنســوبين إلى النسبة المترجم عنها، وأوضح بأنه سيلخص زوائد كتاب ابن الأثير مع غيرهـا.

وذكر بأنـه سيضم إلى عملـه في كتاب السمعـاني جميعَ التراجم والنِّسب الزائدة في كتاب الإمام العلاَّمـة الحافظ عبد الله بن علي الرُّشَاطي، المُسَمَّـى

«اقتباس الأنـوار والتماس الأزهــار في أنساب الصحـابة ورواة الآثـار»، فإنه كتاب نفيس جامـع جليل مُـحَـرَّرٌ على أحسن وجـه، وقال: بـأنه سيـنبه على مـا يقع لكل منهم من الأوهـام الخفيـة، ولا يتشـاغل بشيء من المنـاقشـات اللفظية، وأنه مَيَّـزَ ما زاده على السمعاني بحرف (الـزاي) في أول النِّسَبِ.

وقد رجع الخَيْضِـريُّ إلى كثير من الكتب المتعلقة بهذا العلم، أو بضبط الأسماء، مثل كتاب «الإكمـال» لابن مـاكولا وذيولـه لابن نقطة [١]، ومنصور ابن سليم [٢] وابن الصابوني [٣]، ومُـغَـلْطَاي [٤]. كما رجع إلى كتاب ابن ناصر الدين محمـد بن عبد الله بن محمد (٧٧٧/ ٨٤٢ هـ)، وكتابه شـرح لكتاب «مشتبه النسبـة» للـذهبي، لا يزال مخطوطًا في دار الكتب الظاهريـة في ثلاثة أجزاء، ويعـوّل الخيضريُّ كثيـرًا على ابن حَجَرٍ في كتـابه «تبصيـر المنتبه في تحرير المشتبـه» ويُصفـه بأنه شيخه، ويُصَرِّح بأنـه ينقل من خط شيخه شيخ الإسلام ابـن حَـجَر [٥]، ويـرجع إلى كتب التـراجم، مثل كتـاب «التكملـة لوَفَيَات النَّـقَـلَة» [٦] للمنـذري وكتاب «معجم السفـر» [٧] للسِّلَـفِي، وكتاب «الضوء اللامع» لمعـاصره السخاوي [٨]. وينقل عن القـاضي إسمـاعيل في «المقتبس» كما في (الآملي، الأبدي، والأبردي) وغيرها، وهو يعني البلبيسي. كمـا ينقل من معجمـات الأمكنـة: «معجم البلـدان» لياقـوت، ومختصـره «مراصد الاطلاع في أسماء الأمكنـة والبقاع» لصفي الدين البغدادي الحنبلي.

كما رجع إلى مؤلفات أخرى ككتابي الحازمي «عُجالة النسب» و «ما اتفق لفظه وافترق مُسَمَّـاهُ من أسماء المواضع». ونقل عن كتب كثيرة أخرى، غير ما تقدم ذكره.

وهو لا يكتفي بمجرد النقل، بل ينبـه على ما يراه بحاجـة إلى التنبيه؛ فقد قال في رسم (الحلبي): «وأما حَلْبَـةُ بـزيادة هـاء، فهـو وادٍ بتهامـة، أعلاه لهُذيل، وأسفلـه لكنانة، كـذا ضبطه الحـازمي، وهو سهو وغلط، إنمـا هو حَلْيَـة ـ بالياء تحتها نقطتان».

وقال في رسم (الجَـنَّابِي): «وقال الحازِمِـيُّ: جُنَّـابَـةُ ناحية بالبحرين، بين مَهْرَبَـان وسِيـرَاف، وهذا غلط عجيب؛ لأن مهربان وسيـراف من سواحل بَرّ فارس، وأمـا البحـرين فهي في سواحل بر العرب قُبَالـةَ بَرِّ فارس، وكذلك قـال ابن الأميـر أبو نصر، وعنه نقل الحـازمي، وهو غلط منهما، وبين جنَّـابة وسيـراف ٥٤ فرسخًـا». كمـا ينقل عن كتب اللغـة كـ «القـاموس» كمـا في (الأبتري، والأُبَّـذِي) وغيرهما.

ميـزة هذا الكتاب

لعل أبـرز ميزة لــه أنـه جمع ثلاثـة كتب من الأصـول المعتمدة في هـذا الفن، من حيث ذكـر مـا فيهـا من تـراجم العلمـاء وغيـرهـم، وهي كتـاب السمعاني، وكتاب ابن الأثيـر، وكتاب الرُّشَـاطِيّ، وهـذا الكتاب الأخير من الكتب التي لـم يَسْتَفِـدْ منها عُلماء المشرق، سوى نُقُـولٍ يسيرةٍ في بعض مؤلفات ابن حَـجَرٍ، مع تَصَـدِّي بعضهـم لاختصاره، أو لجمعـه مع كتاب ابن الأثير [٩]، أو للنقل عنـه [١٠] في مخطوطات لـم تَـرَ النور بعد، وكتاب الرُّشَــاطِيّ عزيـز الوجـود، ولا يُعـرفُ كامـلاً، وإنمـا توجد قطع منـه، لا يتصـل بعضهـا ببعض، ويعـرف من مختصراتـه: «مختصر عبد الحـق الإشبيلي» [١١]، ومختصر لأحد علمـاء فـاس [١٢]، ولا يزالان مخطوطين، والخَـيْـضِرِيُّ كثير النقل عن الرُّشَـاطِيّ.

من هنا فـإن كتاب الخيضري هـذا يتصف بميزة لا تـوجد فيما بين أيدي الباحثين من كتب الأنساب المشهورة.

ومما تنبغي ملاحظته أن الخيضريَّ أَلَّفَ كتابه «الاكتساب» في سن مبكـرة كما تَقَدَّم ذكـره، وانتشرت نُسَخُـه، ولو تَسَنَّى لـه النظر فيـه قبل انتشاره لكان أكثر إتقـانًا، وأكمل وضعًا، وأوسع معلـومات، ومع ذلك فالكتـاب ذو فوائد جُلَّى للمعنيين بهذا الشأن.

ولا أدري هل لنقـد السخاوي لكتـاب الخيضري ـ وهـو نقد لا يقـوم على أسـاس ـ أثـر في عدم انتشـار ذلك الكتاب بين علمـاء عصر مؤلفـه؟ أم أن المـؤلف نفسه ــ وقد أَلَّفَــه قبل أن يبلغ مرحلـة من العلم يُطمئن إليهـا ـ لـم يُمَكِّـنْ من انتشار كتـابه، ولهذا فقلَّ أن يجد الباحث فيمـا بين يديه من كتب هذا الشأن نقلاً عـن الخيضري فيه. ويُستدل من قلة مخطوطاتـه التي عُرِفَتْ أن انتشاره كان في دائرة ضيقـة، وسيأتي وصف هذه المخطوطات بعد هذا إن شاء الله.

مخطوطات الكتاب

يـلاحظ أن المؤلف قَـسَّـم كتـابه إلى ثـلاثة أقسـام، القسم الأول: من حـرف الألف إلى حرف الخـاء، والقسم الثاني: من حـرف الدال إلى حـرف الغين، والقسم الثالث: من حرف الفاء إلى آخر الحروف.

ومن هذه الأقسام الثلاثة قسمـان، الأول والثالث، يوجدان بخط المؤلف نفســه، القسم الأول في المكتبـة العبـاسيـة في البصـرة كمـا ورد في وصف مخطوطـاتها، وها هـو نص ما ورد [١٣]: (٧٩٢ ــ الاكتسـاب في تلخيص الأنسـاب: تأليف قطب الـدين محمـد بن محمـد بن عبـد الله بن خيضـر الخيضري الشـافعي الدمشقي المتوفَّــىٰ سنـة ٨٩٤ هـ. الجـزء الأول ـ بخط المؤلف، فرغ من تأليفـه يـوم الأحـد ١٢ شوال ٨٤٤ هـ بالمدرسة النكودمرية بالقاهرة. رتبه على الحروف، وصل بهذا الجزء إلى حرف الحاء. ابتدأ بحرف

الهمزة الممدودة (الآبِجي) وانتهى بـ (الحيّ لامي) وقد التزم بطريقةِ مَنْ كَتَب عن الرجـال بـوضع الاسم على الحرف الأول والثاني منه، ورتبـه على الألقاب والنسب. وهو مُـؤَلَّفٌ قَـيِّـمٌ ضَمَّـنَـهُ مؤلِّفـهُ مادَّةً واسعـة لا يستغني عنها أيُّ باحث في التراجـم والأنسـاب، اختصره من كتـاب «الأنسـاب» لأبي سعد عبـد الكـريم بن محمـد بن أبي المظفـر السمعـاني، واحتفظ بـالأسس التي جـاءت في الأصل، مع النسب والمصـادر، وهو أوسع وأضبـط مما جـاء في مختصر عـز الدين علي بن محمد بـن محمد بن الأثير الجـزري في اختصاره لهذا الكتـاب، أولـه بعـد البسملـة: «الحمـد لله خالـق السماوات والأرض،



○ يتميز كتاب "الاكتساب" عن غيره من الكتب في علم الأنساب، لأن الخيضري لم يكن يكتفي بمجرد النقل من الكتب المشهورة في هذا العلم، بل كان ينبه على ما هو بحاجة إلى تنبيه.

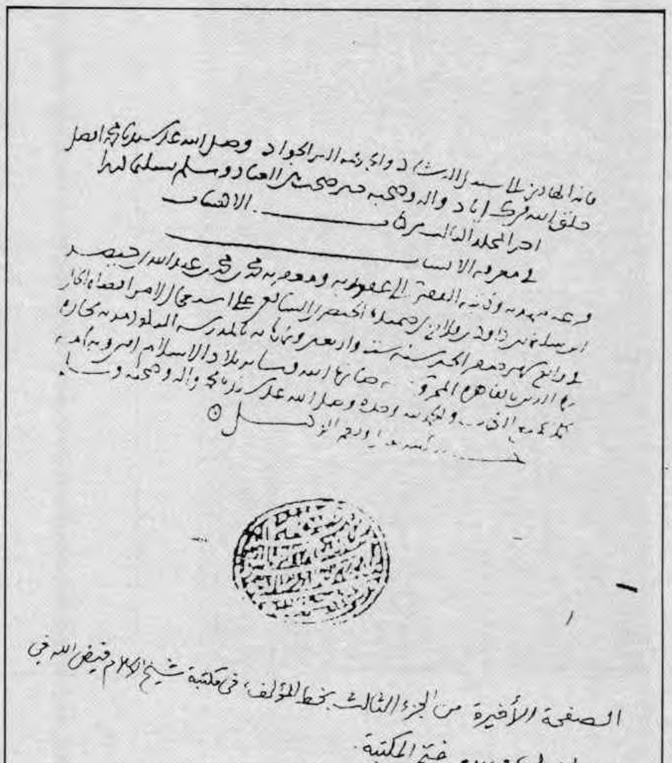
وجعل الظلمات والنور، وأوجد الدقائق والساعات والأيام والشهور، وبدأ خلق الإنسـان من طين، ثم جعل نَسْلَـهُ من سُلاَلَـةٍ من ماءٍ مَهِيـنٍ، وصَـوَّرَهُ في الأرحـام عَـلَـقَـةً، ثم مُضْـغَـةً مُـخَـلَّـقَـةً وغيْـرَ مُـخَلَّـقَـةٍ، ثم أوجده فإذا هو خَصيمٌ مبين». وكُتِبَ على الصفحـة الأولى منـه كتـابةُ عُـزِيَتْ إلى شهـاب الدين أحمـد بن علي بن حَـجَـرِ العسقـلاني المكناني المصري المتـوفى سنـة ٨٥٢ هـ. وكذلك كتب المقريزي في نصف الصفحة الأولى، قال: «بحمد الله سبحانه ابتدئُ واستفتـح، وبِهُدى تقـديمي اسمه أهتدي واستوضح». بما يجعلها شهادة منـه للمؤلف، وجاء في آخره: «قال ذلك وكتبـه فقير عفو الله أحمد بن علي بن عبد القـادر بن محمد بن إبراهيم المقريـزي الشافعي لِعَشْـرٍ مَضِينَ في ذي القعـدة سنـة ٨٤٤ هـ. قبل وفـاته بسنـة، وتاريخ مـا جاء في الخط المنسوب لابن حجر العسقلاني في صفر سنة ٨٤٥ هـ» انتهى.

كـذا ورد الـوصف من أنـه ينتهي بـ (الحي لامـي)، وفَسَّـر في الحـاشيـة نِسْبَتَـه إلى (حي لامي): «بلدة من فرغانـة منهـا الشريف الإمام حمزة بن علي ابن المحسن بن محمد بن جعفـر بن موسى الحي لامي». انتهى.

لكن هذا القسم كما في المخطوطة التامـة التي سأعبر عنها بـ (النسخـة المحمودية) ينتهي بنهاية المنسوبين إلى حرف الخاء كما سيأتي تفصيل هذا، ويظهر أن فـي مخطوطـة المكتبة العباسيـة من هذا الجـزء نَقْصًا فـي آخرهـا، ويُسْتأنس لهذا أنه لـم يرد في وصف هذه النسخـة ذِكْـرُ ما ينبغي ذكره مما ورد في آخرهـا من اسم الناسخ وتاريخ النسخ، كما يلاحظ أن ناسخَ ما يقابلُ هذا الجـزء من (النسخـة المحمـوديـة) قـد صَـرَّح في مـواضع بأنـه نقل عن خط الخيضري نفسه، كما سيأتي إيضاح هذا.

أما المقدمـة فكما وردت في الوصف، والقسـم الثالث من الكتاب توجد مخطـوطته في (مكتبـة شيخ الإسـلام فيض الله) في إسطنبول، بـرقم ١٣٧٧، ويبتـدئُ بعد الدعـاء والصلاة على النبي ﷺ بـ (كتاب الفـاء)، باب الفـاء والألف وينتهي إلى باب اليـاء والياء: (اليَـيْـثَعِي) ـ بفتح أولـه وسكون ثـانيه وفتح الثالثة، قـال الأسيوطي: «وكسر الثالثة وعين مهملـة، نسبـة إلى يَـيْثَـعَ بن الهُون بن خزيمـة بن مدركة بن إلياس بن مضر، يقال لهم القارة، وقد ذكر في القـاف وقيل: (أَيْثَـع) بـألف، وقيل (يَـيْثَـع) بن مُلَيْح بن الهُـون بن خزيمـة. والله الموفق إلى الصـواب وإليه المرجع والمآب». وبعـد هذا كلام لـم يتضـح في المصورة سـوى الإشـارة إلى تلخيص كتـاب «الأنسـاب» للسمعـاني ثم: «آخـر المجلـد الثـالـث من كتـاب «الاكتسـاب في معـرفـة الأنساب»، فَرَغَـهُ مُهذبـه وكـاتبه الفقيـر إلى عفو ربـه ومغفرتـه، محمد بن

محمد بن عبد الله بْن خَيْضِر بن سليمان بن داود بن فلاح بن ضُمَيْدَة الخَيْضِرِيّ الشافعي، على استعجال الأمر واقتضاء الحال، في رابع شهر صفر الخير، سنة ست وأربعين وثمان مئة بالمدرسة النكودمرية بحارة بهاء



الدين بالقاهرة المحروسة صانها الله وسائر بلاد المسلمين آمين، وبتمامه كمل جميع الكتاب والحمد لله وحده . . .).

ويقع هذا القسم في (٢٧٥) ورقة بقياس (١٨ × ٢٨ سم) على ما جاء في وصفه في فهرس معهد المخطوطات العربية في القاهرة، في الورقة صفحتان، وفي الصفحة (٢٦) سطرًا بالخط الفارسي الحسن، وخط الخيضري، كما وصفه ابن حجر، مَلِيْحٌ، ويبدو أن العناوين كُتِبَتْ بِمِدَاد مغاير لبقية الكتابة، حيث لم تبرز في التصوير، ولكنها تُقْرَأُ بقرينة الترجمة.

الهوامش

(١) كتاب ابن نقطة، محمد بن عبد الغني الحنبلي (٥٧٩/ ٦٢٩ هـ) طبعته جامعة أم القرى.

(٢) كتاب منصور بن سليم (٦٠٧/ ٦٧٧ هـ) لا يزال مخطوطًا ومنه نسخة في دار الكتب المصرية.

(٣) ابن الصابوني، محمد بن علي بن محمود (٦٠٤/ ٦٨٠ هـ) وكتابه ذيل على كتاب ابن نقطة، طبع في بغداد سنة ١٣٧٧ هـ، بتحقيق الدكتور مصطفى جواد.

(٤) مُغَلْطَاي بن قَلِيج (٦٨٩/ ٧٦٢ هـ) لا يزال كتابه مخطوطًا ويوجد المجلد الأول منه بخط مؤلفه في المكتبة العامة في الرباط.

(٥) انظر: (الأبلي، الأبي، الأثري، الإجاري) وكتاب «التبصير» طبع في أربعة مجلدات.

(٦) المنذري، عبد العظيم بن عبد القوي (٥٨١/ ٦٥٦ هـ) وكتابه «التكملة» مطبوع.

(٧) انظر مثلا (التيغاني) والسِّلَفِيُّ: هو أحمد بن محمد بن سِلَفَة ـ بكسر السين وفتح اللام ـ (٤٧٨/ ٥٧٦ هـ) وكتابه «معجم السَّفْر» حققه الدكتور شير محمد زمان، ونشره مجمع البحوث الإسلامية في إسلام آباد في باكستان سنة ١٤٠٨ هـ (١٩٨٨ م).

(٨) انظر: (الأثربي، الأحبولي، الباخمشيني، البامي، البدري، الحديدي، الحرضي، الحكمي، الحيي).

(٩) فممن اختصره البلبيسي، إسماعيل بن إبراهيم (٧٢٨/ ٨٠٢ هـ) وسمى مختصره «القبس» ولم يعرف هذا الكتاب بعد، وقد جمع البلبيسي أيضًا بين كتاب الرُّشَاطِي وكتاب «اللباب» لابن الأثير في كتاب. توجد مخطوطة المؤلف في إحدى مكتبات تركيا، ولكنها مسودة الكتاب، يتخللها الخلل والنقص في كثير من المواضع.

(١٠) كما فعل مُغَلْطَاي في كتابه: «الاتصال لكتاب ابن سُليم وابن نقطة وابن الصابوني والإكمال» وقد نقل عن الرُّشَاطي كثيرًا في هذا الكتاب الذي يوجد الجزء الأول منه بخط المؤلف في المكتبة العامة في الرباط.

(١١) الإشبيلي، عبد الحق بن عبد الرحمن بن عبد الله الأزدي (٥١٠/ ٥٨١ هـ). ومخطوطة كتابه توجد في (مكتبة الأزهر) ينقصها يَسِيرٌ من أولها وآخرها. انظر: «العرب»، س ٢٧ ص ١٥٥. وقد نسب في (فهرس معهد المخطوطات) لغير عبد الحق ـ انظر: «العرب»، س ٢٦، ص ٧٢١.

(١٢) مختصر الفاسي، لأحد علماء فاس، يرجح الأستاذ عبد القادر زمامة أنه: علي بن أحمد الحريشي، المتوفى سنة ١١٤٣ هـ أو ١١٤٥ هـ، انظر: «العرب» س ٢٧، ص ٥٦٦. وهذا المختصر منه مخطوطة في دار الكتب المصرية وقد كتب في طرتها «قبس الأنوار مختصر اقتباس الأنوار» ونسب إلى البلبيسي خطأ. انظر عن ذلك: «العرب»، س ٢٧، ص ١٦٣.

(١٣) مخطوطات المكتبة العباسية في البصرة، القسم الثاني، ص ٢٢٠.

كيف نكشف عن مواهب الناشئين الأدبيّة ؟



بقلم : نـزار نجـار

من هـم الناشئون ؟

حتى لا نضيع بين الأسمـاء والمسمّيات ، وبين آراء المـربّين وعلماء النّفس المتفـاوتة المتضاربة ، نحدّد المفاهيم ونقول :

إنّ الناشئين هم أولئك الذين يمرّون في مرحلـة المراهقـة ، التي تمتدّ بين الثانية عشرة والثامنة عشرة (*) ، أيّ الذين يكونون في سنّ الدراسة المتوسّطة والثانوية صبيانًا وبنات .

وبدهـي أنّ هذه الفترة تبـدأ بأزمة البلـوغ التي يتراوح حدوثهـا ـ عادة ـ بين الثانية عشرة والخامسة عشـرة بسبب من بيئـة ووراثـة وظـروف خاصـة أو عامة .

وأزمـة البلوغ شديدة الخطـورة ، غامضة ، لها من الأهمية ما يجعلها من أخطر الأزمـات في حياة الإنسـان . إنّهـا تنقل الطفل من عـالـم إلى عـالـم ، من عالـم الصّغار إلى عالم الفتوّة والرجولـة بالنسبة إلى الذكور ، أو إلى عالـم الأنوثة والصّبا بالنسبة إلى الإناث .

وهي تغيّـر جسدي ونفسي وطبعي واجتمـاعي وصحّي مهم جدًا

وهذه الأزمـة ، أزمة البلوغ ، مسؤولـة إلى حدّ كبيـر عن مستقبل الفتـى أو الفتـاة ، مسؤولـة عن سوائه وانحرافه ، عن صحّته ومـرضه ، عن نجاحه وفشلـه .

لـذا فالمسـؤوليـة الملقـاة على عـاتقنا تجـاه

(*) الشبـاب ما كان بين الثامنة عشرة والأربعين .



كيف نكتشف مواهب الناشئين الأدبية؟

الجيل الناشئ الجيل المراهق، مسؤولية كبيرة، من نوع مميّز، بل لعلّها من أخطر المسؤوليات إطلاقًا، وأبعدها أثرًا؛ لأنها تتصل ببناء الإنسان الذي هو أصل كلّ بناء، ومنطلق كل تقدم وتطور.

ولو طرح هذا السؤال: لماذا نسعىٰ إلى الكشف عن المواهب الأدبية؟ لقلنا: نحن في عصر من أبرز سماته التسارع الكبير في التفجّر المعرفي مما يؤدي إلى نشر معارف جديدة وطيّ معارف قديمة، ولا بدّ من مواكبة مستجدات العصر، لا بدّ لنا أن نشق طريقنا، دون تقصير نحو الركب المعرفي، وأن نكشف طاقاتنا الإبداعية ونخدم تقدّمنا وحضارتنا وأن نغني مسيرتنا المتقدّمة، حتى يحلّ فيها الجديد النافع محل القديم المتهافت. إنّ عوامل كثيرة تدفعنا، وتدفع غيرنا إلى زيادة الاهتمام في الكشف عن المواهب، فالتغيير المتسارع الذي تتعرض له المجتمعات اليوم، وسوف تستمر في التعرض له في المستقبل، يتمثل في ظواهر مختلفة كالانفجار السكّاني، والتكاثر المتسارع للمعرفة

والتحديات الخارجية والداخلية التي تجابهها الأقطار المختلفة، إلى غير ذلك من مظاهر التغيّر الكثيرة التي أصبحت اليوم ماثلة أمام كل ذي عينين، وعلى ذلك فنحن مطالبون بالكشف عن المواهب لدى ناشئتنا، مطالبون بإعداد أناس لمجتمع مقبل، مجتمع المستقبل والحياة القادمة. ومن الواضح أن تطوير القدرة وتقديم المواهب هو من أهم الأسلحة التي نشهرها لمواجهة المجهول ومواجهة تحديات الحاضر والمستقبل.

إن توفير الفرص الكافية لانطلاق الطاقات الإبداعية الكامنة من عقالها، والكشف عن المواهب، أصبح قضية حياة أو موت بالنسبة لأي مجتمع. والهدف الأول هو إيجاد أفراد قادرين على فعل أشياء جديدة، ليس على تكرار ما فعلت الأجيال المنصرمة؛ أفراد يتميزون بالإبداع والابتكار.

والإبداع ومضة يجب أن لا نقف في طريقها، وكلّ الأدباء العظام، والشعراء، والمفكرين كانوا صغارًا، ناشئة، كانوا يَحْبُونَ في الطريق، يخافون أن لا يحسنوا القيام بأعمالهم، ولا يجرؤون أن يطلقوا العنان لمخيلاتهم، حتى جاء من كشف قدراتهم الإبداعية، ومواهبهم الدفينة، وأخذ بيدهم في الطريق القويم.

والموهبة هي الاستعداد الفطري للإبداع. تترجمها الميول والرغبات والمهارات المبكرة، والمواهب المتنوعة، وتختلف لدى الأفراد باختلافهم النفسي الفطري، ومن أبرزها:

المواهب الأدبية كموهبة الخطابة، أو الخيال القصصي أو قرض الشعر.. ولكل من هذه المواهب مميزات ومكونات، وتختلف الموهبة الواحدة من إنسان إلى آخر، فلكلٍّ موهبته الشخصية وفرديته الخاصة، ولونه المميز.

والشعوب المتقدمة تولي اكتشاف المواهب أهمية عظيمة؛ لأن التقدم لا يكون إلاّ بالإبداع، والإبداع يجب أن يستمر من جيل إلى جيل، وطاقات الأفراد يجب أن تكتشف وتفجر؛ لينصبّ عطاؤها في التيار الحضاري للأمة والإنسانية. ومن هنا يُعهد إلى المؤسسات التربوية اكتشاف المواهب، ويأخذ الجيل السابق بيد الجيل الجديد، فتتواصل الأجيال، ويتحقق الامتداد الحضاري في الحياة المعاصرة.

الكشف عن المواهب

ينتقل الناشئة إلى مرحلة جديدة، فقد ودّعوا عهد الطفولة في المدرسة الإبتدائية. صاروا أكثر نضجًا، دخلوا طورًا جديدًا في المدرسة المتوسطة، صاروا ناشئين، وسجلاتهم أتت معهم، ومعطيات المدرسة الإبتدائية ستكون ظاهرة للعيان، فروّاد الفصاحة والخطابة والتعبير الأدبي معروفون، يمكن الاطّلاع على سجلاّتهم المدرسية، وكذلك يمكن الاعتماد على هذه السجلات في الكشف عن المتفوقين دراسيًا، الذين انتسبوا إلى المرحلة المتوسطة، وهذه أول خطوة مدروسة في طريق الكشف عن المواهب الأدبية، وربما نلجأ إلى خطوة أكثر فعالية،

> ○ التغيير المتسارع الذي تتعرّض له المجتمعات اليوم يُحتّم علينا البدء في التجهيز لمجتمع المستقبل

فنجري سبرًا متأنّيًا لهذه المرحلة في ضوء ملاحظات المدرسين وآرائهم؛ لأنهم أكثر التصاقًا بالناشئة، وأكثر معايشة لهم، ومعرفة بميولهم وإمكاناتهم. في إطار السبر ربّما يُدعى الناشئة إلى الكتابة في بعض الموضوعات أو أن يقدّموا نتاجًا من تأليفهم أو أن يرتجل أحدهم كلمة أو يشارك في القراءة النصّية لمعرفة درجة الإجادة في الإلقاء والجرأة في المواقف الخطابية، وملاحظة درجة الحسّ البديعي والتذوّق الأدبي، والحصيلة اللغوية.

إنّ الحبّ أعظم المربّين، وإنّ الآباء الذين أنجبوا أولادًا أصبحوا فيما بعد مواطنين مبدعين موهوبين، امتازوا باحترامهم لأولادهم وثقتهم بقدرتهم على العمل المناسب، وهؤلاء الآباء لم يترددوا في منحهم حرية ارتياد عملهم الخاص، واتخاذ قراراتهم بأنفسهم، والأب الواعي ليس

متسلّطًا بل هو مشجّع دائم، يجعل أولاده يفكرون بأنفسهم بدلاً من تزويدهم بحلول جاهزة. لكن تبقى المدرسة المجال الأرحب بالنسبة للناشئين إذ يستطيعون التحرك بحرية، وهناك مجموعات متفاوتة من الناشئة في المدرسة الواحدة، لكنهم على اختلاف أعمارهم، وتفاوت قدراتهم يشكّلون وحدة مهمة وثيقة الصلة بالمدرسين، وعليه فلا تترك مسألة الكشف عن مواهبهم للمصادفة، إذ لا بدّ من أسس واضحة وأجواء مناسبة تسهل عملية الكشف، وتلك مسؤولية المشرفين في المدرسة المتوسطة، وهم بدورهم على صلة بمشرفي المرحلة الإبتدائية.

وفي البيت، في وسط الأسرة، توضع البذرة الأولى لتكوين الموهبة الأدبية وما سيكون عليه الناشئ في المستقبل، والبيت هو الذي يقدّم التراث الاجتماعي للناشئ، وهو أول معمل يجتازه ليخرج منه إلى الحياة والناس والمجتمع مستوفيًا شروط الإنسان الموهوب، أو فاقدها كل الفقدان، وربما لا تكتشف المواهب الأدبية في الطفولة المبكرة، (أي قبل المدرسة) إلاّ أن للأسرة أهمية كبرى من حيث كونها البيئة الطبيعية التي تتعهّد الطفل والناشئ بالرعاية والاهتمام وتتيح له الفرص للتعبير عن طموحاته الشابة، وتشجّعه على إظهار مواهبه الأدبية، فتثني على كتاباته وأشعاره، وتسمح له بالانطلاق والحرية، والإفصاح عن أحاسيسه ورغباته، وتوفّر له جوّا مناسبًا، ووسائل تربوية ينمّي من خلالها مواهبه، ويطلّع على أعمال الموهوبين في مجال اهتمامه.

والمدرسة تستطيع اكتشاف المواهب الإلقائية، والمواهب التعبيرية، الناشئ يحتاج إلى منبر يتحدّث منه، تهيئ المدرسة هذه الفرصة فتكتشف المتمكن، وتتعرّف المجيد الموهوب، هناك اجتماعات مختلفة، ومناسبات عديدة يكلف الناشئ الشبيبي التحدث فيها، يخاطب زملاءه، يحاورهم. تظهر لدينا إمكاناته. نحدّد برامج عمل متطورة، نستقرئ ملامح الناشئة لتبدأ مرحلة الانتخاب، مرحلة الاصطفاء: هؤلاء يجيدون الإلقاء والخطابة وأولئك يتقنون التعبير الأدبي، ويميلون إلى قرض الشعر، وأولئك يتعلقون بالكتابة القصصية. لقد شرعوا في المضي قدمًا في اختيار الكتابة والممارسة الأدبية سبيلاً للتعبير ورؤية العالم، الآن بدأت برامج العمل،

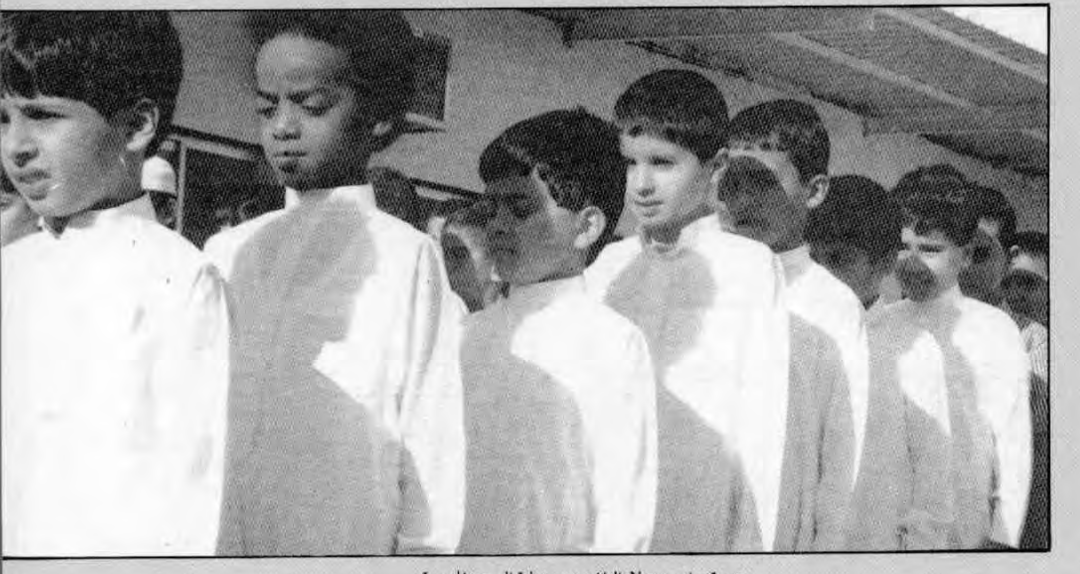
الآن جاء دور المشرفين في الكشف عن المواهب. (لا بأس من وجود سجلات لكل طالب، أو استمارة خاصة به، لها علاقة بميوله وأنشطته، ربما تستقيم هذه الاستمارة الاستقرائية في الصف التاسع، منتصف المرحلة بين المتوسطة والثانوية).

ومن خلال القراءة المستمرة لاستمارات التقويم سنكتشف أنه ربما يكون للناشئ أكثر من موهبة (شاعر ورسام)، (كاتب قصّة وموسيقي)، فتهيأ الفرص الحرة لتعميق الموهبة الأدبية، وتتاح الظروف المرسومة لظهور الموهبة الأقوى (وذلك ضمن خطة منهجية مدروسة. ولا مجال للارتجال والفوضى).

يمكن أن تبدأ برامج العمل المتطورة من التثقيف الذاتي، وتتعداها إلى إيقاظ الحس الإنساني، وإعمال المخيلة، وتوسيع مدى المسؤولية عند الناشئ. والأدب صنعة تُنمى بالدّربة والمران، بالإضافة إلى أنه موهبة فطرية أو عفوية.

وهناك بعض النشاطات غير الصفّية تتيح مجالات متعددة لظهور المواهب الأدبية و إطلاقها في ميادين العمل الأدبي منها:

- نادي اللغة العربية، الصحافة المدرسية، الإذاعة المدرسية، الجماعة الأدبية، جماعة الخطابة، جماعة القراءة الحرة، جماعة التربية الجمالية، الجماعة الثقافية، و جماعة المحاضرات والندوات.



تنمية مواهب هؤلاء الناشئين مسؤولية البيت والمدرسة

واللغة العربية هي أساس مهنة الكتابة، وبها ترتبط منهجية وطرائق وأساليب النشاطات الأدبية والثقافية، ومنها الإبداع الأدبي بأنواعه وأشكاله المختلفة كالقصة والشعر والمسرحية، والمقالة، والمربون المختصّون في التربية، الذين يشرفون على المخطط التنشيطي الثقافي يضعون نصب أعينهم تنظيم دورات خاصة للموهوبين، يخرجون منها بمعرفة الميول لدى كل موهوب نحو جنس أدبي معين.

إن مقتنيات الناشئ تدل على ميوله وكذلك محفوظاته ومعلوماته فالذي يميل إلى القصة يذكر القصص والمؤلفين ويتعلق بالرواية والمبدعين في هذا الجنس، والذي يميل إلى الشعر، يستظهر القصائد ويميل إلى حديث الشعراء وأخبارهم،

والذي يميل إلى اللغـة، والتعبير الأدبي يلجأ إلى علـوم اللغـة العربيـة، ويحفـظ الاشتقاقـات والصرف وأساليب الكلام.

ولا بأس أن نـذكـر حكايـات النـابغين الـذين ظهـروا مبكـرًا في أدبنـا، وتفتحت مـواهبهم منـذ نشـأتهم الأولـى، فظهـر إبداعهم قـويًا معـافى، ونبغـوا وهم نـاشئـة على مقاعـد الـدراسـة أو بين ذويهم. **من الشعـراء طرفة بـن العبد** الذي اشتهر بقول الشعر مبكرًا. وهو ما يزال في طور المراهقة، وبـالـرغم من شـاعـريتـه وصـدق فنّـه، كـانت شاعريته ينقصها الاتزان والنضج ويعوزها المنطق والاتساع، ومع ذلك فقـد تجلّـى طرفـة شـاعـرًا بارعًا، على قلة ما بقي لـه من شعره إذ قضى وهو في السادسة والعشرين من عمره.

وكعب بن زهيـر الـذي نبغ في الشعـر وهـو طفل، وقـد نشأ في بيت يكتنفـه الشعـر من كل جانب، ونمت معه ملكة الشعـر. فما ترعرع حتى أجـاده، لكن والـده (**زهيـر بـن أبي سلمى**) زجره عنـه، وضربـه مخـافـة أن تكـون شـاعـريتـه لم تستوسق بعد، فيُـروَى لـه ما لا خير فيه، على أن الزجـر والضّرب لم يصرفـا الـولد عن الشعـر وهو كَلِفٌ بـه، فلبث يقولـه غيـر مرتـدع، حتى ضاق والده به ذرعًا، فأردفـه على ناقته، وانطلق به إلى الصحـراء، وأخـذ يقـول البيت ويستجيـز ابنـه فيجيزه، فوثق عندئذ بنبوغـه، وقوة ملكتـه، وأذن لـه بقول الشعر.

من كتاب العدد

● **نزار نجـار.**
- من مواليد حماة، سورية.
- مـاجستير في الآداب وعلـوم اللغة - جامعة دمشق.
- عضو اتحـاد الكتّاب العرب، وعضو جمعيـة القصة والرواية.
- كـاتب قصـة قصيـرة، مع اهتمـام خـاص بالقصة الموجهة للأطفال.
- يصدر حاليا مجلة «تعال نقرأ» الموجهة للناشئين.
- له عدد من المجموعات القصصية المطبوعة، منهـا: «لماذا حزنـت العصافير»، «بيتنا الصغيـر»، «عذرًا أيها السادة»، «حكايات أحمد»، «حكـايات اياد»، «طفلة اسمها رزان»، وغيرها.
- صـدر له كتابـان، هما: «الخنسـاء: شاعرة الرثـاء والوفاء»، و«أدب الناشئة».

كيف نكتشف عن مواهب الناشئين الأدبية؟



○ البيت هو الذي يضع البذرة الأولى لتكوين الموهبة لدى الناشئ ويشجعه على إظهارها

والشاعر **أبو تمـام** الذي بدأت موهبته الشعرية تتفتّـح وهو غلام، وقـد تنقل بين المدن والأمصار حتى وصل إلى مصر، وهو لا يـزال يافعًـا في نحو السابعـة عشرة من عمـره، فكان يسقي المـاء في الجوامع، ويـواظب على تتبّع حلقات العلم حتى تضلّع في الأدب والشعـر وطـارت شهـرتـه في الآفاق، وسمـا مقامـه في البلاد لمـا امتاز بـه من ذكاء نادر وشاعرية قوية.

والمعـري فيلسوف الشعراء، الذي نبغ طفلاً، ولـم تقعـده عـاهتـه عن طلب العلم وتحصيل الشهرة. اطّـلـع على أسرار اللغة والنّحـو، وغذّى شـاعـريتـه المتدفقـة منذ كـان غلامـًا. قال فيـه **التبريزي**: ما أعرف أن العـرب نطقت بكلمة ولـم يعرفها **المعرّي**!

وفي الأدب الحديث يرد اسم جبران، صاحب الخيال المجنّح، والعاطفة المتدفقـة. ومـيّ التي أتقنت الكتـابة مبكـرًا، وتركت تأثيـرها العـاطفي فيهـا، وعبّـرت عن إيحـاءات مخيّلتـها، ممّـا رفعها إلى رتبـة الأدبـاء المصلحين. ويرد اسم **أبي القاسم الشابي** الشاعر المتوثب الذي يتغنّى بشعره الشبـاب لما فيـه من توقيع شجيّ نـاعم، وهمس عتابي رقيق، وثورة متأجّجـة. واسم **إبراهيم طوقان** الـذي قـال الشعر وهـو في الخـامسـة عشـرة من عمره.

إن نـوابغ الأدب ومشـاهيـره كثيـرون. تتـردّد أسمـاؤهم في كل مكان في العـالـم. والانطلاقـة الأولى تكون دائمًا منذ الطفولـة والصّغـر. والحياة المتدفّقـة زاخـرة بـالموهـوبين المبدعين الـذين يسهمـون في إثـراء العـالـم والارتقـاء بـالإنسـان. والأدب خـالد. وهـو ليس تفاحـة مسحورة تنبت في الهواء، إنمـا هو ثمرة على شجرة تتصل بتـربة ويحيط بهـا مناخ. وحكايـات النابغين تحيـا في أذهـان الناشئـة. ويقبل عليها المـوهوبـون منهم يستوحون منها ويسترشدون بها. وإذا كانت هناك مـدارس تخصّصيـة للناشئـة تتـابع الأنشطـة، وتوجّـه الميـول وتطلق المـواهب، فإننـا نضع بذلـك لبنـة قـويـة في الطريق القـويم. وإن أي تنمية ثقـافية تهمـل أو تتجاهل مـواهب النـاشئة قاصرة، وتفتقر لجـذورها، لأسباب تتعلق بطبيعة التكويـن المعرفي والتربوي لـلإنسان، **وإن هذه النشـاطات تحتـاج إلى تخطيط شـامل في صلب التخطيط القومي للثقافـة العربيـة**، يقوم بـه أدباء **ومربون ومختصون في التربية أذكياء ونابهون. ولا بأس من أن نقتـرح أن يكون هنـاك قصر للنـاشئة، ومنتـدى أدبـي دائم لكشف المـواهب. وإنهـا لمسؤولية كبيرة. لكنها ادخـار مضمون في كسب معركـة الحياة.**

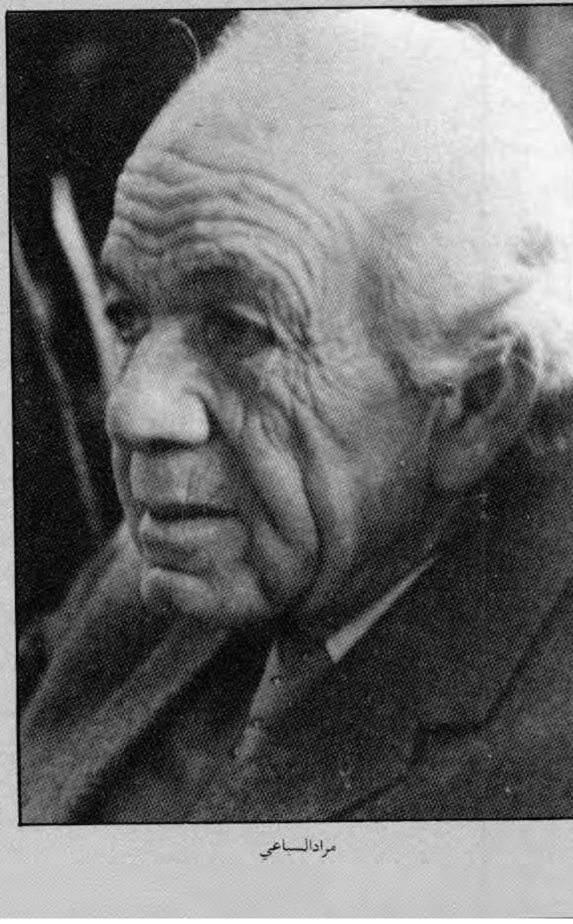
مُراد السّـبَاعي

حول: القصّة والمسرح والسّيرة الذّاتيّة

أجـراه: مـأمون صـافيـا

يُعدُّ الأستـاذ الأديب مراد السِّباعي واحـدًا من روّاد القصّة والمسرحية، وعَلَمًا من أعـلامها البارزين في سوريـة، إضافةً إلى ذلك فقد أسهمت قصصه التي نشرهـا في بعض الدوريات العربية الواسعة الانتشار؛ في تعريف القرّاء ـ على امتداد الوطن العربي ـ بأديب قاصٍ متميزٍ يكتب بمزاج متفرّدٍ وبتلقائية عجيبة، في إطار من البسـاطة المحبّبة، بساطة لمسناها أيضًا في أجوبة هذا الأديب أثناء إجراء الحوار.

وإذا كنّـا لا نستطيع في هـذا الحوار، المقيـد بصفحـاتٍ محدّدة، أن نختصر تجربـة مـراد السبـاعي الإبداعيـة التي قاربت نصف القـرن، فحسبنا أننـا نحاول أن نسلّط الضـوء على بعض الجوانب من تجربة هـذا الكاتب الغنيـة والمتميزة، متنقّلين، عبر أسئلتنا المنـوعة، من «شجون» القصة القصيرة والمسرح والنقد، إلى السيرة الذاتية وأدب الأطفال.



مرادالسباعي

«للمحليّـة في قصـصي المكان الأرحب

○ ○

لاقيمـة لِلْكَمّ في الأعـمال الأدبيّـة»

حول القصة القصيرة

○ لماذا تكتب القصـة؟ ولمن مِن القراء تتـوجّه بها؟ وماذا تريد أن تقول للقارئ في قصصك؟

■ أكتب القصة؛ لأنني أجدهـا أكثر التصاقًا بالشعب من بقيـة الألوان الأدبيـة. فهي قادرة على احتواء أفكار الكـاتب وعواطفه وتقـديمها للقارئ بشكل عفـوي وبسيط فيـه الكثير من المتعـة والفائدة، أما لمن أتوجـه بها فللناس جميعًا، وأنا لا أحب أن أفرض على القارئ أفكاري بشكل مباشر بل أتـرك له أن يكتشف بنفسـه من خـلال ما يقـرأ عيـوبه وأخطـاءه، وأن ينظر إلى أبعـاد القصة ومـا تنطوي عليه تلك الأبعاد من أهداف وأفكار.

○ من أين تستمدّ موضوعات قصصك؟ وهل شعرت مرةً أنه لم يعد لديك جديدًا تقوله؟

■ استمدّ موضوعـاتي من الوسط الذي أعيش فيه، فللمحليّة في قصصي المكـان الأرحب، وأنا لم أشعـر بعد رغم تقـدّمي في السنّ بأنـه لم يبق لي من الجديد ما يُقال.

○ بعض الأصوات النقـدية تقـول: إن القصة القصيرة أصبحت في المقدمة، وحلّت محلّ الشعر، والمستقبل للقصة والرواية. هل ما تقوله على حق؟

■ أشكّ بهذا القـول. فـإذا كـانت القصـة والرواية قد احتلّتا في الوقت الحاضر المساحة الأكثر اتساعًـا على الساحة الأدبية، فـالشعر الـذي تمتدّ جذوره بعيدًا في تاريـخ الأدب العربي لا يزول بجرّة قلم أو بكلمـة غير واعيـة، ولاشـك عنـدي بأنـهُ سيتخطّى محنتهُ التي سبّبتهـا الحداثة، وأن يعود إلى التألّق والازدهار كما كان في السابق.

حوار مع:

مراد السباعي



○ كيف تجد حال القصة القصيرة في سورية والوطن العربي؟ وما رأيك في مستقبلها من خلال وصفها الخاص؟

■ القصّة في وضعها الحالي ليست كما ينبغي أن تكون، فهي تميل نحو الانحدار ككلّ الألوان الأدبية ولكن عندما تنحسر موجة الحداثة ستستعيد مكانتها البارزة كما كانت في الخمسينيات والستينيات.

○ وماذا عن القصاصين الشباب العرب في العقدين الأخيرين؟ هل تقرأ لهم؟ وهل استوقفتك بعض الأسماء الجديرة بالتنويه؟، ولماذا؟

■ لاشئ يجذبني الآن إلى قراءة القصة. فأنا لا أحب أن أقرأ ما يستعصي عليَّ فهمه، فالقصة الحديثة تجنح إلى الإبهام والتعتيم وعدم الوضوح، ولعلّ قراءة بحث في الرياضيات أسهل عليَّ من قراءة قصة... أما مستقبلها فلا يدري أحد كيف يكون؟ ربّما احتاجت إلى (الكومبيوتر) للكشف عن موضوعها وحَلّ رموزها.

حول المسرح

○ كتبتَ المسرحية في مطلع حياتك الأدبية في أواسط الثلاثينيات، ثم القصة القصيرة في أواسط الأربعينيات، ورغم أن عدد مسرحياتك أكثر من عدد قصصك فأنت معروف بصفتك قاصًا أكثر من صفتك مسرحيًا، بماذا تعلّل الأمر رغم أنك ما تزال تكتب المسرحية؟!

■ الجواب بسيط، إن القصة يمكن نشرها في الصحف والمجلات، أما المسرحية فلا يمكن نشرها إلاّ في كتاب، والمعروف أن قرّاء الكتب يُعدّون قلّة بالنسبة إلى قرّاء الصحف والمجلات.

○ يقول أحد النقّاد: «إن السباعي حلّ منذ أكثر من أربعين عامًا مشكلة اللغة المسرحية، إذ كتبَ لغة فصيحة لم تسفّ ولم تتعالَ فوق الواقع». كيف توصلت إلى هذه اللغة المسرحية المطواعة في مرحلة كتابتك لمسرحياتك الواقعية، تلك اللغة التي يجمع أغلب النقاد على تميّزها؟ وكيف تعرّفها للقارئ؟

■ لعلّ العامل الأهم في حلّ مشكلة اللغة المسرحية هو ميلي الشديد إلى البساطة، فأنا أكره التعقيد والتقعّر، ثم إنني اقتصد جدًا في استعمال الكلمات. والجملة في أسلوبي قصيرة ومفيدة، ثم إن شخصياتي المسرحية لا تُطيل في عرض أفكارها ولا تسهب في شرح عواطفها، هذا كل ما في الأمر. البساطة، ولاشئ غير البساطة.

○ يقول الناقد المسرحي الدكتور نديم معلاّ محمد: «إن أعمالك المسرحية الأخيرة لا تحرّك الحماسة ولا تضيف جديدًا إلى الحياة المسرحية، بل قد تفشل، في أن تكون نصوصًا قابلة للتجسيد على خشبة المسرح». بماذا تعقب على هذا الرأي؟ وهل يوجد في الدول ذات التقاليد المسرحية الراسخة العريقة، في الغرب والشرق، مسرحيات للقراءة ومسرحيات للتمثيل؟!

■ إنني أحترم رأي الدكتور نديم محمد، ولكن هنالك الكثير من المسرحيات التي كُتبتْ للقراءة لا للتمثيل كبعض مسرحيات برنارد شو، وتوفيق الحكيم، والمسرحيات الفلسفية. أما مسرحياتي الأخيرة التي يُشير إليها الدكتور نديم فهي مسرحيات صغيرة تحمل مواضيع ذهنية وكلّها من المسرحيات ذات الفصل الواحد، ومع ذلك فلقد أُخرج بعضها ومُثّل في قاعة المحاضرات في المكتب الفرعي لاتحاد الكتاب العرب ومنها: الفنان والطبيعة، الحلم والحقيقة، الشاعر واللص ولقد نجحتْ هذه المسرحيات في تجسيدها على المسرح ونوقشت من قبل الجمهور بجديّة وكأنها كُتبتْ للتمثيل لا للقراءة.

○ أين تجد نفسك أكثر، في المسرحية أم القصة القصيرة، وأيتها تعتبره النموذج الأمثل للتعبير عن أفكارك؟

■ أجد نفسي في المسرحية أكثر مما أجدها في القصة، وقد يكون من الأهون عليَّ أن أكتب مسرحية بثلاثة فصول من أن أكتب قصة بثلاث صفحات، وأعتقد أنني في المسرحية استطيع التعبير عن أفكاري بشكل أفضل.

○ يُقال إن الكاتب المسرحي (أديب من نوع خاص) ما مدى صحة هذه المقولة؟

■ لم تكن المسرحية في البداية تُعدّ منَ الألوان الأدبية المعترف بها في قطرنا السوري، أمّا الآن فقد أخذت مكانها الرحب بين الألوان الأدبية، والكاتب المسرحي أديب بكل ما تعني هذه الكلمة من معنىً، ولم يبق ثمة حاجة لاعتباره كأديب من نوع خاص، إلاّ إذا كانت كلمة (خاص) تعني (خصوصية المسرح).

السيرة الذاتية وأدب الأطفال

○ نشرت سيرتك الذاتية في كتابيّ (شئ من حياتي) و(محطّات في حياتي) والسؤال: ما الفائدة التي يجنيها الأدب والقارئ منَ السير الذاتية التي ينشرها الأدباء؟! وهل من عقبات معيّنة حدّت وتحدّ من نشر السير الذاتية لأدبائنا في البلاد العربية؟

■ الفائدة من نشر السير الذاتية كبيرة جدًا ومتشعبة الجوانب، فالقارئ يروقه أن يرى أمامه إنسانًا مثله يعرّي نفسه تعريةً كاملة أو شبه كاملة بصدق وصراحة بعيدًا عن المظاهر الخارجية الخادعة، وهذه التعرية أشبه ما تكون بتعرية الجزّار للشاة من فروتها، فتظهر الشاة كما هي في الحقيقة، فيرى القارئ من خلالها الكثير مما يخفي داخل نفسه، ويخيّل إليه أنهُ أمام مرآة لا تعكس صورة الكاتب وحده، بل تعكس صورته أيضًا، فهو والكاتب سواء في العمق الداخلي للأشياء المستورة بالظواهر الخارجية. أمّا العقبات فهي كثيرة في عالمنا العربي، أهمّها الخوف من تجريد الذات أمام المجتمع وهذا يعود إلى الأصول التربوية الخاطئة التي اعتدنا أن نذعن لها في البيت والمدرسة والشارع، وكبتْ الحرية الفردية باستعمال كلمة (لا) الناهية في كل المواقف السلبية والإيجابية على حدّ سواء، وهكذا يصبح الإنسان وكأنه يعيش ضمن قوقعة حلزونية لا تسمح له برؤية العالم إلاّ من خلال فوهة صغيرة يخرج منها رأسه، وسرعان ما يخفيه عند سماعه أية ضجة أو شعوره بأية حركة. ولعلّ العقبة الأكثر شاعة هي أن دور النشر الرسمية ترفض نشر السِيَر الذاتية، وهذا ما دفعني إلى نشر سيرتي على نفقتي على الرغم من ضآلة

مــواردي الماليّــة. ولكنّ الشيْ الــذي خفّف من متاعبي، بل غمرني بالسعـادة نجاح سيرتي نجاحًا لم أكن أتوقعهُ.. ويكفـي أن أشير أن الناقد الأدبي الدكتور حسام الخطيب قد اعتبرها فتحًا جديدًا في عالم الأدب في قطـرنا السـوري، أمّا أنـا فيكفي أن أقول إنني استطعتُ في هـذه السيرة أن أُفرغ ذاتي في مجتمعي وأن أصل بكلّ بسـاطـة إلى عقـول النـاس وقلوبهم.

○ **في معـرض نقـده لكتـاب سيرتك الـذاتيـة (شيء من حيـاتي) يقول الأديب النـاقد عبـد المعين الملّوحي (وقـد يقع مراد السبـاعي في أخطاء لغـوية ونحوية؛ لأنه لم يدرس دراسة منتظمة؛ ولأن أستاذه محيي الدين الدرويش، الـذي كان يصحح له لغته مات يـرحمه الله، ولم يعرض عليه مـراد كتابـه) ماذا تقول بشأن هذا الموضوع؟!**

■ اعتقد أن الناقد عبد المعين الملّوحي لم يكن جادًا في نقده بل مازحًـا، نعم لقد كنتُ أعرض ما أكتبه على المرحوم **محيي الدين الدرويش**، وذلك في مطلع الثـلاثينيـات، وكـان يصحح لي الخطأ، ويعلّمني القاعدة، ثم انقطعت عنه بعد سنتين من البداية، وإذا علمنا أن أول كتـاب صدر لي كان في عام ١٩٤٨ م وآخـر كتاب في عـام ١٩٩٠ م تأكّد لدينا أن ما قاله **عبد المعين الملّوحي** لم يكن سوى نوع من الدعابة... أما الأخطاء التي وردت في سيرتي الذاتية (شيْ من حياتي) فهي في معظمها مطبعية، وثمّـة أخطـاء لغويـة وهـذا لا يهم فمن الممكن أن يُصحح الخطأ في طبعــة ثـانيـة. وهنــا أجـد من الضروري أن أقــول **إن لغتنا العـربية واسعـة جدًا والتمكّن منهــا ليس بــالأمــر السهل حتّى على المختصّين.**

○ **مــا الــذي دفعك إلى كتــابـة مجمــوعتك القصصية (هدية عيد الأم) الخاصـة بالأطفال؟ وما الشروط التي يجب أن تتـوافـر في القصة الموجهـة إلى الطفل؟**

■ لا أدري بـالضبط،.. لقد وجـدت نفسي مـدفـوعًـا للكتـابـة لــلأطفـال فكتبت مجمـوعتي القصصية: **(هدية عيد الأم)**، وهي قصص واقعية مستمـدة من طفـولتي. كلّنـا عاش طفـولتـه ومن خلال هذه المرحلة من حيـاته يستطيع أن يكتب ما يفيد الطفل ويمتّعه، شريطـة أن لا يرتفع مستوى الكتـابــة عما يمكن أن يفهمـه الطفل. وهنــالك أسـاليب كثيرة في الكتـابة لـلأطفـال منهـا ما هـو اسطـوري أو خـرافي أو بطــولي يتجـاوز القـوانين الطبيعية، وجميع هذه الأساليب مقبولة إذا استطعنا أن نضع الطفل ضمن دائرة الوهم بحيث يمكنه أن يتقبّل اللاّمعقـول وكأنه معقـول وغير الممكن وكأنه ممكن.

❞ حين يكتب الكاتب بلا حوافز تكون النتائج غير مرضية ❝

النقد والأدب والحياة

○ **إلى أي مدى يستفيد المبدع من الناقد؟!**

■ النقد ضروري للكـاتب، ولكن أي نقد؟، النقد المتجـرّد البعيد عن الروابط الشخصيـة، فقد ينبّهنا الناقد إلى الكثير من الأخطـاء ولو أنه لم يضع أصبعه عليها لما انتبهنا إلى وجودها.

○ **هل هناك علاقة بين أعمالك الأدبية وحياتك الشخصية، وما حدود العلاقة بين الأدب والتجربة الذاتية؟**

■ إن العــلاقــة بين أعمالي الأدبيــة وحيــاتي الشخصيـة قويـة جدًا وأستطيع القـول، إن معظم أعمالي القصصية مستمدة من صميم حياتي، وكان من الممكن أن أُدخل بعضها في سيرتي الذاتية لو لم تكن قـد نُشرتْ قبلاً في مجمـوعـات قصصية. أمـا حـدود العلاقـة بين الأدب والتجربـة الذاتيـة فهي ذات قيمة فعّـالة كـونها معرفة خالصـة لا يشوبها الشك. لقد قيـل في الأمثال **(مَنْ ذاق عرف) وقال أحد الشعراء:**

لا يعرف الشوق إلاّ من يُكابـده
ولا الصبابـة إلاّ مَــنْ يُعانيهــا

والحقيقة أن القولين يعطيانا التعريف الكامل للتجربـة الذاتية؛ لأنهما يقرنـان المعرفة بالتجـربة، وإذا كان لابدّ من تعريف آخر أعمّ وأشمل فيمكن القول **إن التجـربة الـذاتية هي المعـاناة الفعليـة لما نتعرّض له في حياتنا من أحداث وأزمات ومشكلات والنتائج والمؤثرات التي تجيْ تبعًا لذلك**، فكلّ عمل نؤديـه من غير معـرفة سابقـة، وكل احتكـاك بيننا والآخرين، وكلّ ما نلاحظه من التغيّرات التي تطرأ على الأشياء المحيطة بنـا، كلّ هذا لابدّ من أن يترك أثرًا في نفوسنا، هذا الأثر هـو التجربة الذاتية التي تعطي القـاصّ فيضًـا مِنَ المعـرفـة الخالصـة وتهب لقلمه نفحة حارّة منَ الصدق.

○ **قصصك تخلو ـ بشكل عـام ـ من الابتسامة ومن الاحســاس بـالسعادة، وتتميّـز بسيطـرة الجوّ التراجيدي عليها، بماذا تعلّل هذا الأمر؟!**

■ لا أعـرف. فمسرحيـاتي كلّهـا كــوميـديـة وقصصي في معظمهـا مـأسـاويـة، وأرى أنـــه من الأنسب أن أترك تحليل هذا التناقض للنقاد.

○ **رغم تجربتك الأدبيـــة التي تجاوزت نصف القرن... نلاحظ أنك مُقلٌّ في إنتاجك. هل هناك أسباب تقف وراء هذه الظاهرة؟**

■ لا قيمة للكم في الأعمال الأدبية، أذكر كلمة للكاتب الفرنسي **جورج دي هامل** في حديث له عن القاص **جي دي موبسان**. لقد قال مـا معناه: لقد كتب **موبسان** ثلاثمائة قصة، وكان يكفيه أن يكتب ثـلاثين قصـة، وأحب أن أشير هنـا إلى أنني لست من الكتّاب المحترفين بل من الهواة!

○ **لماذا تـوقّفتَ عبر مسيرتك الأدبيـة الطويلـة عدة مـرّات عن الكتابة، وفي كلّ مرة كـان التوقف يدوم عدة سنوات؟!**

■ لقد أصبتُ في مطلع حياتي بالقرحة المعديّة وكـان الأطباء ينصحـونني بـالتوقف عن الكتابـة فأستجيب لنصائحهم، وثمـة أسباب أخـرى فأنا أشعر أحيانًا بعدم وجود حوافز داخليّة تدفعني إلى الكتابة فأتوقّف، وحين يكتب الكـاتب بلا حوافز تكون النتائج غير مرضية.

○ **ما أهم المشكـلات والعقبات التي تقف بين الأديب والإبداع في رأيك؟**

■ من الصعب الإجابة عن هذا السؤال بشكل عـام، فلكلّ كاتب مشكـلاته الخاصـة التي تحول دونه والإبداع.

مُلاحَظاتٌ في الوَسيط والوَجيز

د. علي يونس

حظيت اللغة العربية بثروة عظيمة من المعاجم القديمة المتباينة في أحجامها ومناهجها وأهدافها. وقد سدّت هذه المعاجم حاجات كثيرة لدى أجيال متتابعة من الناطقين بالعربية. فلما كان العصر الحديث، صار من الصعب أن نعتمد على هذه المعاجم وحدها، فاشتدت الحاجة إلى معاجم جديدة؛ فقد كانت تلك المعاجم تتوجه إلى قراء ينتمون إلى عصور غير عصرنا، فكانت حاجاتهم اللغوية تختلف عن حاجاتنا؛ فبعض ما كانوا يعرفونه من ألفاظ كانت المعاجم القديمة تكتفي - عند تناوله - بكلمة «معروف» دون شرح، أما نحن الآن فلم يعد معروفاً لنا، ولا بدّ من شرحه.

وقد تتبعت ما كتبته خمسة من أشهر المعاجم العربية عن **«السويق»**، وهو طعام كانوا يتخذونه من الدقيق المقلي، فوجدت ثلاثة منها، هي **«القاموس المحيط»**[1]، و**«المصباح المنير»**[2]، و**«مختار الصِّحَاح»**[3]، **وقد اكتفت بكلمة «معروف» أو بحرف «م»**[4]. **أما «لسان العرب»**[5]، فذكر عبارة لا تدل على شيء محدد، إذ قال: «ما يتخذ من الحنطة والشعير». وانفرد **«تاج العروس»**[6]، بشرح أكثر وضوحاً مما سبق؛ إذ ذكر أنه «دقيق الشعير أو السُّلت المقلي، ويكون من القمح، والأكثر جعله من الشعير».

لكن هذا التعريف مشوب بلفظ مهجور يجهله أكثر المعاصرين، وهو **«السّلت»**. وهذه المعاجم - من ناحية أخرى - كانت تعرّف اللفظ أحياناً بمرادفه، وهذا المرادف - وإن كان معروفاً للعامة في تلك العصور - قد يكون عندنا غامضاً كاللفظ المشروح أو أشدّ غموضاً.

وبعض الشروح التي تضمنتها المعاجم القديمة لم يغد صالحاً؛ إذ كان مستمداً من أفكار ومفاهيم تجاوزها العلم والفكر في عصرنا.

واللغة العربية اليوم ليست كما كانت منذ قرون؛ فهي كغيرها من اللغات دائمة التطوّر والنمو، وبخاصة في جانب المفردات؛ فمن ذلك أنها اقتبست من اللغات الأخرى عدداً ضخماً من المفردات الدّالة على مدلولات لم يعرفها العرب القدماء؛ بعضها حسّيّ وبعضها عقليّ؛ ككثير من أسماء الآلات والنظريات والمذاهب والمصطلحات العلمية والفكرية، سواء أدخلت العربية بعد إجراء تغيير فيها أم بغير تغيير (المعرّب والدخيل).

وقد يكون الأصل والوزن قديمين في العربية لكنهما لم يلتقيا إلّا بعد عصر الاحتجاج، فكأن اللفظ الناتج عن هذا اللقاء لفظ جديد؛ لأنه لم يظهر في عصر الاحتجاج. وقد عرفت اللغة في عصرنا - من هذا النوع - كثيرا من المفردات؛ مثل (ثلاجة - سخّان - حاسوب - سيميائية - واقعية - تناصّ).

وقد يعد اللفظ جديدا لجدّة الصيغة؛ وإن كانت أصوله عربية قديمة؛ مثل: (رأسمالية - برمائي - أرض جوي - خصخصة).

ثم إن كثيرا من الألفاظ القديمة قد تغيّرت دلالته تغيّرا جزئيا أو كليّا؛ مثل: (قطار - ذرّة - نواة - خليّة - طاقة - اقتصاد - فن - صحيفة - رواية).

ومع هذا النقص الذي لابدّ منه في المعاجم القديمة، نجدها في كثير من الأحيان مفتقرة إلى الدقة والتحديد والإيجاز والترتيب (وبخاصة ترتيب مفردات المادّة الواحدة)[7].

لذلك كلّه كان من الضروريّ أن تظهر معاجم جديدة، تستدرك ما فات المعاجم القديمة، وتسدّ ما بها من ثغرات. وهذا ما حاولته طائفة من المعاجم الحديثة، على رأسها **«المعجم الوسيط»** و**«المعجم الوجيز»** وقد نجحت في تحقيق غاياتها إلى حدّ بعيد[8]، وإن شابتها بعض الهنات، ووقع فيها بعض ما وقع في المعاجم القديمة من نواقص وثغرات[9]. وهذا أمر متوقع في كل عمل بشريّ بهذه الضخامة، وفي مجال شديد التشعب والتعقيد كهذا المجال. والقائمون على أمر هذين المعجمين كانوا على وعي بذلك؛ ففي تصدير الطبعة الأولى من **«الوسيط» قال د. إبراهيم مدكور** (الأمين العام لمجمع اللغة العربية عندئذ): «... فإنّا نتوقّع أن يثير هذا المعجم نقدا ومعارضة، وإنّا لنرحّب بهما معا. والحقيقة بنت البحث، وكم أثار المعجم الفرنسي من اعتراض وملاحظة!»[10].

ونجد مثل هذا الكلام في مقدمة الطبعة نفسها[11]، وكذلك، في مقدمة الطبعة الثانية[12]، وفي تصدير الطبعتين الثانية والثالثة أكّد د. **مدكور هذا**

المعنى[١٣]، وشبيه بذلك مـا ذكره الأستاذ **مصطفى حجازي** في مقدمة الطبعة الأولى من **الوجيز**[١٤].

وقد اتخذتُ «**الوسيط**» و «**الوجيز**» رفيقين لي منـذ سنوات كثيرة، واعتـدت الرجـوع إليهما، لا في المسائل الدلالية وحـدها، بل في مسائل صرفية ونحـوية وموسوعية أيضا. وفي أثناء ذلك لاحظت بعض الملاحظات، أحببت أن أجمعها عسى أن يكـون فيها بعض الفـائدة. وهي مـلاحظات متنـوعة بعضهـا يتصل بـاختيـار المواد أو مـا يسمّى بالمداخـل، وبعضها يتصل بـالشروح والـرسـوم، وبعضها يتصل بالترتيب والتحرير.

١ ـ اختيار المواد (المداخل) والألفاظ المراد شرحها:

جاء في تصدير الطبعة الأولى من «**الوسيط**» أن المجمع عندما قام بتصنيف هذا المعجم: «شدّد في هجـر الحوشيّ والغريب»[١٥]، وجاء في مقدمـة الطبعة الأولى: «أهملت اللجنـة كثيرا من الألفـاظ الحوشيـة الجافية، أو التي هجـرهـا الاستعمال لعدم الحاجة إليها، أو قلـة الفائدة منها...»[١٦]، وجاء مثل ذلك في تصدير «**الوجيز**» وفي مقدمته[١٧].

مع ذلك أورد المعجمان موادّ كان غيرها أولى منهـا، فحاجة القارئ المعاصر إلى بعض مـا تـركـه المعجمان أشدّ من حـاجتـه إلى بعض مـا أورداه، فمما أورده المعجمان: ثعثع ـ ثعط ـ جحمرش ـ خيتعور ـ صملاخ ـ عقعق.

ومما أورده «**الوسيط**»: تبضبض ـ ثندوة ـ اجرأش ـ خيل ـ شصب ـ فعثار ـ هجرع.

ولم يرد في أيّ من المعجمين: الحِرابة ـ العندم ـ الكاحل ـ القُطعة. ولم يورد «**الوجيز**»: بعض ـ مازال ـ مُطْرِف ـ طَـوال ـ عشّار ـ مُعْلَم ـ قَرَم. ومن الكلمات التي تركها المعجمان بالرغم من شيـوعها العظيم في عصرنا: البروتين ـ البنيوية ـ الجدك ـ الكمبيوتر ومرادفاته العربية مثل: الحاسب الآلي والحاسوب.

وترك المعجمان «الفاصلة» القرآنية، لكن «**الوسيط**» أورد «الفاصلة» بالمعنى العروضي.

ومن المصطلحات التي تركها المعجمان المصطلحات البلاغية:

المبالغة ـ التدبيج ـ التفويف ـ الاقتباس ـ التورية (بالمعنى الاصطلاحي)، والمصطلحـات العروضيـة: التراقب والمراقبة ـ الصلم ـ المعاقبـة، والمصطلح النحوي: العَلَم، والمصطلح النقدي: الأسلوبية.

ولم يذكـرا التعبير: (شاهد ملك)، والتركيب المشهور (انخـرط في البكاء)، وذكرا بدلا منه تركيبا مهجورا هو (اخترط في البكاء).

٢ ـ عدم التوازن بين مقادير الشروح:

إذا قارنّـا بين الألفاظ التي تنتمي إلى مجال دلاليّ واحد وجـدنا في المعجمين تفصيلا في شرح بعض الألفاظ، واقتضابـا في شرح بعض آخر، فـ«الكناية» ـ على سبيل المثال ـ عرّفها **الوسيط**، وقسمها إلى أنواعها الثلاثة، مع التمثيل لكل نوع، وبلغ ما كتبه عنها حوالى عشرة أسطر. أما «التورية» فلم يذكرها **الوسيط** مستقلّــة، لكنّــه شرح الفعل «ورّى» شرحــاً مقتضبــاً لم يتضمـن المعنى الاصطلاحي للتورية، وكل مـا كتبه في شرح هـذا الفعل: (ورّى عن الشيء: أراده وأظهر غيره)، أما التشبيـه فكل ما جاء عنه في الـوسيط: (إلحاق أمر بأمر لصفة مشتركة بينهما، كتشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة).

وفي **الوسيط** و **الوجيز** تفصيل لافت في تعـريـف «النسر» (أكثـر من ثمانيـة أسطر في الوسيط، وأكثر من ثلاثة عشر سطـرا في الوجيز) أما «الدجاجة» فكل ما ذكرا عنها: (طير من الدواجن).

وفي تعريف «الميْس» ـ وهو نوع من الأشجار ـ أورد كل من المعجمين خمساً وعشرين كلمة، أما شجر «التين» فقد عرّفه كل منهما في أربع كلمات.

الغموض والافتقار إلى الدقة والتحديد في بعض مواد المعجمين من أهم عيوبهما

٣ ـ غموض بعض الشروح:

وهذا الغموض قد يرجع إلى غـرابة بعض المفردات أو ندرة استعمالها بالمعنى المراد، وقـد يـرجع إلى صعـوبـة بعض التراكيب وتعقيـدهـا. ويبـدو أن هـذه «الشروح» الغامضة قد نقلت بغير تعديل من المعاجم القديمة. ولعلها كانت ـ عند تأليف تلك المعاجم ـ واضحـة مبينة، فلم تعد كذلك في عصرنا، بسبب ما حدث للغة من تطوّر، ولا سيما إذا كان القارئ من غير المتخصصين.

فما كان غموضه بسبب بعض مفرداته شروح وردت في كلا المعجمين عن: **الترس، والترقـوة، والجارحــة، والخزامى، والأخمص، والـرطـب، والـزر، والصمـلاخ، و الطـرّة، و الظربـان، والقـرْم، والقميص، والنير، والهجين** (من الخيل)؛ وكذلك الشروح التي جاءت في الوسيط، مثل: **الأقحوان، والأجزْ، والحلمـة، والخيل، ودلـع، والسـويق، والشعـار، والشمـراخ، والضرّاء، والطاق، والكنانة، ولخن، والهميان، ووَزَن، والتوشيح**.

ومن أمثلـة غمـوض الشرح لغمـوض التركيب في المعجمين: **الترصيع، والمزاوجة، والتضمين، والوشاح**.

٤ ـ شرح المترادفين كل منهما بالآخر، وتعريف الشيء بنفسه:

عـرّف المعجمان «الحذاء» بـ«النعل»، ثم عـرّفا «النعل» بـ«الحذاء». ومن معاني «الصوت» فيهما: «اللحن»، ومن معـاني «اللحن»: (الصوت الموسيقي الموضوع لأغنية) وشرحا الفعل «عزا» بقولهما: (عـزا فلانا إلى فلان: نسبه إليه)، ثم شرحا الفعل «نسب» على هذا النحو: (نَسب الشيء إلى فلان: عزاه إليه).

فإذا كـان البـاحث لايعـرف معنى «العقيـدة» فـلا بـدّ أنـه يجهل معنى «معتقد»، ويمكن تعريف العقيدة بدلا من ذلك بأنها: ما يؤمن به المرء إيمانا لا شك فيه.

وفي «**الوجيز**» أيضا: الماكس: (من يأخـذ المكس من التجار)، أمـا تعريف «المكس» فيه فهو: (الضريبة يأخذها المكّاس ممن يدخلون البلد من التجار).

ملاحظات في الوسيط والوجيز

٥ ـ افتقار الشروح أحيانا إلى الدقة والتحديد :

ويرجع ذلك إلى الأسباب الآتية :

١ ـ الخطأ العلمي ، وبعض هذا الخطأ يرجع إلى النقل من معاجم قديمة تتضمن أفكاراً تجاوزها العلم في عصرنا .

ب ـ الشرح بتعريف غير مانع ، يصدق على الشيء المراد تعريفه وعلى غيره .

جـ ـ الصياغة غير الدقيقة .

د ـ اختيار لفظ لا يدلّ على المعنى المقصود .

هـ ـ إيراد مثال غير ملائم ، أو عدم التمثيل على الإطلاق .

ومن أمثلة ذلك هذه الشروح التي وردت في المعجمين :

ـ البُسْر : (ثمر[١٨] النخل قبل أن يرطب) ، الرطب : (نضيج البسر قبل أن يصير تمرا) .

وبين التعريفين تناقض ، فالأول يجعل البسر والرطب شيئين مختلفين ، والثاني يجعل الرطب نوعاً من البسر .

ـ الترس : (ما كان يتوقّى به في الحرب) .

هذا الشرح يصدق على أشياء متعددة لا على الترس وحده .

ـ الجورب : (ما يلبس في الرجل) .

ربما ظن بعض القراء أن المقصود هو الحذاء .

ـ سبتت اليهود : (قامت بأمر سبتها ، وهو انقطاعهم عن المعيشة والاكتساب) .

الشرح غير دقيق ؛ لأن «المعيشة» ـ كما جاء في المعجمين هي «الطعام والشراب والاكتساب» .

ـ السويق : (طعام يتخذ من مدقوق الحنطة والشعير) . وأضاف **«الوسيط»** : (سمّي بذلك لانسياقه في الحلق) .

الأدق أن يكون الشرح : (. . . من مدقوق الحنطة **أو** الشعير . . .) ، ولمزيد من التحديد تضاف هذه الجملة : **(يقلى في الزيت)** .

ـ النقد الأدبي : جاء في **«الوسيط»** أنه : (تمييز جيّد الكلام من رديئه) . وجاء في **«الوجيز»** : (نقد النثر والشعر : أظهر ما فيهما من عيب أو حسن) .

وقد ترك التعريفان وظائف أخرى للنقد الأدبي ، كالتحليل والتفسير .

ـ المولّد : (من ولد عند العرب ونشأ مع أولادهم ، وتأدّب بآدابهم) .

الأدق أن يقال : (من ولد عند العرب من أصل غيرْ عربيّ ، أو من غير العرب)

ومما جاء من ذلك في **«الوسيط»** :

ـ الحذذ : سقوط وتد من بحر الكامل ، فيصير «مفاعلتنْ» «فعلن» .

الصحيح «متفاعلن» بدلا من «مفاعلتن» . والأدق : (سقوط وتد من التفعيلة الأخيرة من أحد الشطرين أو كليهما في بحر الكامل) .

ـ الخبن : شرح دون ذكر مثال .

ـ الزحاف (عند العروضيين) : (تغيير يلحق ثاني السبب الخفيف أو الثقيل) . لم يذكر أهم خواصّه وهي أنه غير لازم .

ـ الطغراء : (الطرّة تكتب في أعلى الكتب والرسائل غالبا ، تتضمن نعوت الحاكم) . وأكثر من ذلك دقّة وتحديداً ووضوحاً ما جاء عن «الطغراء» في الوجيز : (رسم كان يكتب في أعلى الكتب والرسائل ، يتضمن نعوت الحاكم وألقابه) .

ـ النحو : (علم يعرف به أحوال أواخر الكلام إعرابا وبناءً) .

ترك التعريف وظائف أخرى للنحو ؛ كبيان تركيب الجملة ، وترتيب مكوناتها .

ـ التوجيه (في الشعر) : (حركة الحرف قبل الرويّ المقيّد ، كما في قول امرئ القيس : «أني أفِر» مع قوله : «جميعا صبرُ» وقوله : «واليوم قر» . سوق المثال على هذا النحو يجعله مثالا على «سناد التوجيه» ، وهو اختلاف حركة التوجيه في القصيدة بأن تكون فتحة في بعض الأبيات ، وضمة أو كسرة في بعضها الآخر . ولكي يكون التمثيل صحيحا نقول ، إن التوجيه في قوله (أني أفِر) هو حركة الفاء ، أي الكسرة ، وفي قوله : (جميعا صبرُ) هو حركة الباء أي الضمة ، وهكذا .

ـ الوزن : (ما بنت عليه العرب أشعارها) .

من الواضح أنه شرح مبهم لا يدل على شيء محدّد .

ـ الوافر : (بحر من بحور الشعر وزنه «مفاعلتن مفاعلتن فعولن») .

الأدق أن نقول : (وزنه الوافي) ؛ لأن له أشكالا أخرى مثل (مفاعلتن مفاعلتن)

ومما جاء في **«الوجيز»** :

ـ المقطع : (جزء الكلمة المشتمل على حرف لين أو شبهه) .

كلمة «جزء» هنا غير محدّدة الدلالة ، والمقطع قد يكون كلمة ، مثل : مَنْ ـ ما ـ قِفْ ـ قالَ . . . إلخ . والمقطع يشتمل دائما على صائت قصير أو طويل ، ولا يحلّ محلّه صوت شبه صائت أو شبه ليّن كالواو في (قَوْل) ، فمثل هذه الكلمة مقطع واحد ؛ لأنها تشتمل على صائت واحد هو فتحة القاف ، ولا يجوز أن نجعل القاف المفتوحة مقطعا ، والحرفين التاليين مقطعا مع أن أحدهما شبه صائت .

ـ القافية : (آخر جزء في البيت ، وقد يكون كلمة أو بعض كلمة) .

كلة «جزء» هنا أيضا لا تكاد تدلّ على شيء . والقافية قد تكون كلمة أو بعض كلمة ، وقد تكون أيضا أكثر من كلمة عندما ينتهي البيت مثلا بـ (أَمْ لا) أو (أنت لي) أو (المُلْكُ لَكْ) . . . إلخ .

ـ القملة : (حشرة تتولّد على البدن عند دفعه العفونة إلى الخارج) .

من الواضح أن هذا الشرح مأخوذ من المعاجم القديمة ، وأن العلم الحديث لا يقرّه .

ـ التوشيح : (نوع من الشعر استحدثه الأندلسيون ، وهو نظم غنائي يعتمد على تغير الوزن وتعدد القافية) . التعريف غير جامع ، لأنه ينطبق أيضا على أشكال شعرية غير الموشحات .

٦ ـ إهمال بعض الدلالات :

من المألوف في اللغة أن يكون للفظ الواحد دلالات متعددة . ويتوقع الباحث أن يجد في المعجم ـ وبخاصة إذا كان في حجم «**الوسيط**» ـ كل دلالات اللفظ أو على الأقل الدلالات التي مازالت جارية في الاستعمال المعاصر، والتي استعملت في نصوص قديمة مازالت حيّة تقرأ . لكن المعجمين تركا بعض الدلالات المهمة لبعض الألفاظ ، كما في الأمثلة الآتية :

ـ البطّارية : لم يذكرا بطارية الصواريخ أو المدافع ، أي المجموعة من أحدها .

ـ البيت : لم يذكرا معناه المصطلح عليه في فن التوشيح .

ـ الجندل : المعنى المذكور : (مكان في مجرى النهر فيه حجارة) ، ولم يذكرا معنى الحجارة نفسها .

ـ الحكم : ذكرت له معانٍ متعددة وترك أكثر معانيه شيوعا في عصرنا وهو الإدارة العامة للدولة .

وكذلك بالنسبة لكل من :

السمط ، والمصدر ، والعَلَم ، والغصن ، والقُفل ، والقانون ، والإيقاع . وغيرها من المفردات التي لم تحدد معانيها بدقة .

بعض الرسوم يجمع بين الشيء المراد تعريفه وأشياء أخرى تقترن به

٧ ـ عدم التحديد الزمني لبعض الدلالات :

يتطور كثير من الكلمات فيختلف معنى الكلمة من عصر إلى عصر، ومن الضروري توضيح ذلك عند شرح هذه المعاني لتجنب الخطأ واللبس عند التعامل مع اللغة إرسالاً أو استقبالاً، فلا تستعمل اليوم كلمة بمعنى كان لها قديما ثم انقرض في عصرنا ، ولا تقرأ كلمة في نص قديم بمعنى لم تكتسبه إلا في عصرنا .

و«**الوسيط**» ينص عادة على أن اللفظ مولّد أو محدث أو مجمعي ، وكل وصف من هذه الأوصاف يدل على زمن الدلالة ولو على سبيل التقريب .

أما «**الوجيز**» فلا ينص على شيء من ذلك تيسيراً وتبسيطاً ، وإن كنت لا أرى في ذلك ما يتنافى مع التيسير والتبسيط .

وقد ترك «**الوسيط**» بعض الدلالات بغير تحديد زمنيّ ، بالرغم من الحاجة الماسّة إلى هذا التحديد ، مثل :

ـ الأدب : فقد ذكر من دلالاته : رياضة النفس بالتعليم والتهذيب على ما ينبغي ـ جملة ما ينبغي لذي الصناعة والفن أن يتمسك به كأدب القاضي وأدب الكاتب ـ الجميل من النظم والنثر ـ كل ما أنتجه العقل الإنساني من ضروب المعرفة ـ وعلوم الأدب عند المتقدمين تشمل : اللغة والصرف والاشتقاق والنحو . . . إلخ .

أي إن المعجم لم يشر إلى أزمنة الدلالات فيما عدا الدلالة الأخيرة التي أشار إلى زمنها ، وإن كانت إشارة عامة غير دقيقة ، في قوله : (عند المتقدمين) .

ـ القهوة : الخمر ـ اللبن ـ المحض ـ الرائحة ـ الخصب ـ شراب مغلي من البنّ ـ مكان عام تقدّم فيه القهوة ونحوها .

فالدلالات كلها سيقت بغير تحديد زمني ، مع أن المعاني الأربعة الأولى قديمة لا تكاد تستعمل في عصرنا ، والمعنيان الأخيران ظهرا بعد عصر الاحتجاج ، وهما أكثر معاني الكلمة شيوعاً في عصرنا .

٨ ـ الفضول في بعض الشروح :

من المزايا التي امتاز بها المعجمان عن المعاجم القديمة حرصهما على الاقتصاد في شروحهما وعلى أداء المعاني بأقل قدر من الكلمات . وهي صفة ضرورية في المعجم حتى كيلا يتضخم حجمه بغير داع ، فيضيّع الكثير من جهد الباحث ووقته ، فضلا عن زيادة نفقات الطباعة . لكن بعض الشروح في المعجمين قد شابها شيء من الفضول ، كما في الأمثلة التالية :

ـ (بهرت فلانة النساء : فاقتهنّ حسنا ، وبهر فلان نظراءه : برعهم وفاقهم) .

يمكن الاكتفاء هنا بصيغة المذكر .

ـ (الجعبة : وعاء السهام والنبال)

لفظا السهام والنبال مترادفان ، يمكن الاكتفاء بأحدهما .

ـ (الخلية : كلمة من كنايات الطلاق : يقال للمرأة أنت خلية إذا نوى القائل بها الطلاق وقع) . يمكن اختصار الشرح على النحو التالي : (يقال للمرأة «أنت خلية» : أي طالق) .

ـ (الحلمة : رأس الثندوة من الرجل) . كلمة «من الرجل» هنا زائدة ؛ لأن الثندوة ـ كما جاء في الوسيط ـ ثدي الرجل .

ـ (الكناية : لفظ أريد به لازم معناه مع جواز إرادة المعنى الأصلي **لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته**) . الكلمات التي بالحروف السوداء يمكن حذفها .

ـ (لخن الرجل ولخنت المرأة : أنتنت أرفاغهما) . يمكن الاختصار إلى : (لخن : أنتنت أرفاغه) .

ـ (النبر «في النطق» : إبراز أحد مقاطع الكلمة عند النطق) . يمكن أن نحذف : (في النطق) أو (عند النطق) .

ـ (نحب الباكي . . . أعلن بالبكاء) يمكن حذف لفظ «الباكي» والاكتفاء بالضمير المستتر .

ـ المولّد والمولّدة مشروحان كل على حدة ، وشرح اللفظ في صيغة التذكير يكفي .

وهذا المثال من «**الوسيط**» :

(التضمين : أن يأخذ الشاعر أو الناثر آية أو حديثا أو حكمة أو مثلا أو شطرا أو بيتا من شعر غيره . . .) . يمكن الاختصار على هذا النحو : (أن يأخذ الشاعر قولا لغيره) أو (. . . بعضا من كلام غيره) .

ومن «**الوجيز**» :

ملاحظات في الوسيط والوجيز

(الماسونية: جماعة البنّائين الأحرار. . . وهم الماسون. وكان يقال لهم البناؤون الأحرار). الفضول في هذا الشرح ظاهر.

٩ ـ ملاحظات في الرسوم:

الرسوم في المعاجم ليست نوعا من الزينة، بل هي مكملة للشروح أو جزء منها. وتكون الرسوم ضرورية حين تعجز الكلمات عن البيان الدقيق؛ فكيف تصف لنا الكلمات لونا لا نعرفه أو شكلا لا عهد لنا به؟

وقد أجاد المعجمان الاستعانة بالرسوم، وإن كانت لي عليها بعض الملاحظات:

أ ـ بعض الرسوم يجمع بين الشيء المراد تعريفه وأشياء أخرى تقترن به في الواقع. والحق أن هذا يؤدي إلى مزيد من الإيضاح في كثير من الأحيان، فصورة الشيء منفردا قد تكون غامضة الدلالة، فلو شاهدنا مثلا رسما يمثل الكرة وحدها فربما حسبنا أنه يمثل شيئا آخر من الأشياء الكثيرة التي تشبه الكرة. وهذا اللبس يزول إذا أضيف إليه رسم يمثل رجلا يضرب الكرة برجله أو بمضرب في يده. وفي هذه الحالة يفضّل أن يتضمن الرسم علامة تميز مدلول اللفظ المشروح من الأشياء الأخرى المقترنة به في الرسم، حتى لا يقع بعض الباحثين في لبس آخر. وقد نهج «**الوسيط**» هذا المنهج أحيانا؛ ففي الرسم الدال على «الشرنقة» نجد سهما يميزها من غيرها. لكنّ رسوما أخرى في المعجمين تفتقر إلى مثل هذه العلامة، كالرسوم الدالة على معاني هذه الكلمات: الساعد ـ الظلف ـ الكنانة ـ المائدة. ومثلها الرسوم التي وردت بالوسيط لتوضيح معاني: الأظفور ـ العقال ـ القياد ـ القذّة ـ اللحية ـ الميس ـ النفق. والرسوم التي جاءت بالوجيز لتوضيح: الزهرية ـ الشرفة ـ القرط.

ب ـ بعض الكلمات أكثر احتياجا للرسوم، إما لأن الكلمة ومدلولها، أحدهما أو كليهما غير مألوف في عصرنا، وإما لأن المدلول بطبيعته يصعب توضيحه بالكلمات. وقد ترك المعجمان كلمات كثيرة بغير رسوم، مع أنها أحوج إليها من كلمات أخرى زوّدت شروحها بالرسوم؛ فمن الكلمات الدالة على الملابس ونحوها نجد في المعجمين رسوماً توضح معاني: العقد ـ العباءة ـ الطربوش، ولا نجد رسوماً في أي منهما للتعبير عن: الإزار ـ الحُلّة ـ الخمار ـ السراويل ـ الشعار ـ القلنسوة ـ المنطقة.

ومن الأسماء الدالّة على النباتات وأجزائها نجد فيهما رسوما لما يأتي: البرتقال ـ البسلّة ـ الجذْر ـ الزهرة ـ الطماطم ـ القمح، ولا نجد رسوما لـ: الأثل ـ الخابور ـ العرار ـ العنم.

ومن الأسماء الدالة على أجزاء جسم الإنسان نجد فيهما رسوماً للضرس والقدم، ولا نجد رسوماً لـ: الترقوة ـ الخلية ـ الرسغ ـ العاتق ـ الكشح ـ الكاهل ـ الكوع.

وثمة ملاحظات أخرى في المعلومات النحوية والصرفية، مثل بعض الأسماء التي لا يُعرف نوعها (من حيث التذكير والتأنيث) إلا بالسماع أو الرجوع إلى المعاجم، أو نوع الجمع الذي يجمع عليه اسم ما.

كما أن هناك ملاحظات في ترتيب المواد (المداخل) لا يتسع المجال لذكرها هنا، وهناك ملاحظات في كتابة الكلمات والعلامات، فبعض الكلمات المعرّبة والدخيلة كتب بغير الطريقة الشائعة، والأفضل قبول الصورة الكتابية التي استقر عليها الناس، ولو كانت مخالفة لقواعد الإملاء، شأنها في ذلك شأن كثير من الكلمات العربية الأصيلة [١٩].

هذا ما بدا لي من ملاحظات في هذين المعجمين القيمين، ولا شك أن باحثين آخرين قد لاحظوا ملاحظات أخرى. وإني لأدعو القائمين على أمر المعجمين أن ينظروا في كل نقد يوجه إليهما، عسى أن تكون كل طبعة أقرب إلى الكمال مما سبقها.

الهوامش

(١) الفيروز أبادي: القاموس المحيط ـ دار الجيل ـ بيروت ـ دون تاريخ، مصور من طبعة مصطفى البابي الحلبي ـ مصر ـ ١٩٥٢م.

(٢) أحمد بن محمد بن علي المقري الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ـ المكتبة العلمية ـ بيروت ـ لبنان ـ دون تاريخ.

(٣) محمد بن أبي بكر الرازي: مختار الصحاح (عني بترتيبه: محمود خاطر) ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ القاهرة ـ ١٩٨٧م.

(٤) وهذا الحرف في «القاموس المحيط» اختصار لكلمة «معروف».

(٥) ابن منظور: لسان العرب ـ دار المعارف ـ القاهرة ـ دون تاريخ.

(٦) السيد محمد مرتضى الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس ـ المطبعة الخيرية ـ مصر ـ ١٣٠٦هـ.

(٧) من الذين درسوا المعاجم العربية:
ـ د. حسين نصّار: المعجم العربي، نشأته وتطوّره ـ دار مصر ـ القاهرة ـ جـ١ دون تاريخ، جـ٢ بتاريخ ١٩٦٨م.
ـ د إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ ـ مكتبة الأنجلو ـ القاهرة ـ ١٩٨٠م
ـ د. رمضان عبد التوّاب: فصول في فقه اللغة العربية ـ مكتبة الخانجي بالقاهرة ودار الرفاعي بالرياض ـ ط ٢ ـ ١٩٨٣م.
ـ د. محمود فهمي حجازي: علم اللغة العربية ـ دار الثقافة ـ القاهرة ـ دون تاريخ.
وفي مقدمات الوسيط والوجيز إشارات إلى عيوب المعاجم القديمة:
ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوسيط ـ مطابع شركة الإعلانات الشرقية ـ القاهرة ـ ط٣ ـ ١٩٨٥م ـ ص ٩، ١٢.
ـ مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز ـ مطابع شركة الإعلانات الشرقية ـ القاهرة ـ ط ١ ـ ١٩٨٠م ـ ص ٥، ٩.
ـ المعجم الوجيز ـ الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ـ القاهرة ـ طبعة خاصة بوزارة التعليم ـ ١٩٩٠م ص: ز.
(والطبعتان متطابقتان فيما عدا التقديم).

(٨) بدأ العمل لإصدار الوسيط بعد اقتراح من وزير المعارف سنة ١٩٣٦م، وبناء على هذا الاقتراح أصدر المجمع القرار التالي: (نظرا إلى حاجة طلاب التعليم الثانوي ومن في مرتبتهم وجمهرة المثقفين أبناء اللغة العربية إلى معجم لغوي وسيط، سهل التناول، ميسّر الترتيب، مصور بحيث يتناول من المصطلحات العلمية الصحيحة ما يتعلق بالأسباب الدائرة بين الناس يقرّر المجمع الشروع في اتخاذ الأسباب للقيام بهذا العمل. . .) وقد بدأ العمل فيه سنة ١٩٤٠م، وصدرت طبعته الأولى سنة ١٩٦٠م. (د. نصار ـ جـ٢ ـ ص ٧٤٠، الوسيط ـ جـ١ ـ التصدير والتقديم، وبخاصة ص ١٠).
أما «الوجيز» فهو ـ كما جاء في تصدير ط ١ ـ (معجم مدرسي وجيز يكتب بروح العصر ولغته، ويتلاءم مع مراحل التعليم العام) (الوجيز ـ ط ١ ـ التصدير ـ ص ٦).

(٩) ممن تناولوا المعجمين بالنقد: د. نصار ـ المصدر السابق.

(١٠) الوسيط: ص ١١.

(١١) الوسيط: ص ١٦.

(١٢) الوسيط: ص ٨.

(١٣) الوسيط: ص ٥، ص ٣.

(١٤) الوجيز ـ ط ١ ـ ص ١٤.

(١٥) الوسيط: ص ١٦.

(١٦) الوسيط: ص ١٣.

(١٧) الوجيز: ص ٧، ٩.

(١٨) في الوسيط: «تمر» بالتاء المثناة.

(١٩) مثل: الرحمن ـ بسم الله ـ أولو ـ عمرو.

زكي نجيب محمود
«١٩٠٥ - ١٩٩٣م»
الأصيل المعاصر

نجلاء أحمد مسعد



زكي نجيب محمود

فقدت الأمة العربية علمًا بارزًا من أعلام الثقافة والفكر، قضى حياته في تجديد الفكر العربي، وتأصيل الثقافة العربية. إنه الدكتور زكي نجيب محمود، الذي ستظل أفكاره حية تحمل في طياتها عوامل النهضة والتقدم نحو مستقبل أفضل لعالمنا العربي حتى يقوم بدوره الريادي من جديد في حمل عبء الحضارة الإنسانية.

ولد **زكي نجيب محمود** في أول شباط (فبراير) ١٩٠٥ م وهي السنة التي انتقل فيها الشيخ **محمد عبده** إلى ربه، وكأن الله سبحانه وتعالى أراد أن يعوضنا بعالم آخر يحمل شعلة التجديد في الفكر العربي..

تلقى **زكي نجيب محمود** تعليمه كأي طفل مصري عاش في بداية هذا القرن الميلادي، حيث تعلم في البداية في أحد كتاتيب القرية، ودخل المدرسة الأولية واستمر في التعليم حتى حصل على ليسانس الآداب والتربية من مدرسة المعلمين العليا عام ١٩٣٠ م. ثم عمل مدرسًا بوزارة المعارف وبدأت موهبته الفكرية تظهر، فكان يكتب بعض المقالات بين الحين والحين في مجلتي **الرسالة والثقافة**، وتعرف على **أحمد أمين**، واشترك معه في لجنة التأليف والترجمة والنشر «وهي لجنة تتألف من رواد الثقافة الجديدة، أنشئت عام ١٩١٤ م لتدل باسمها وبنوع جهودها على اتجاهات الحركة الثقافية في القرن العشرين كله، إذ هي حركة تقوم على الترجمة عن الفكر والأدب الأوربيين، والنشر لذخائر التراث القديم لتخرجها إلى النور من خزائن الكتب، والتأليف الجديد الذي يحمل طابعنا الحديث بما فيه من أصالة تستمد غذاءها من المادة المترجمة والمادة المنشورة على السواء»(١).

وفي عام ١٩٤٥ م حصل على درجة البكالوريوس الشرفية في الفلسفة من الدرجة الأولى من جامعة لندن، وبعدها بعامين حصل على درجة الدكتوراه في الفلسفة من الجامعة نفسها، وكان موضوعها «**الجبر الذاتي**»، وفيها تناول مشكلة حرية الإنسان وقدرته على الإبداع حيث «يؤمن إيمانًا راسخًا بأن الإنسان كائن مريد حرّ في اختيار ما يريده، وأنه - دون سائر الكائنات - ليس حصيلة سلبية للعناصر الخارجية المحيطة به، بل مبدع خلاق يأتي بالجديد الذي يضاف إلى الوجود خلقًا جديدًا يكون له فضله، وعليه تبعته»(٢).

ومنذ ذلك الحين **وهو عطاء خصب يثري الحركة الفكرية ويدرس في الجامعة وينشر أفكاره بين طلابه، وعلى امتداد عمره الطويل أضاف إلى المكتبة العربية مجموعة كبيرة من أبرز الكتب والدراسات التي طرحت أخطر القضايا طوال مسيرة العقل العربي، سواء في الأدب أو الفلسفة أو الفنون بصفة عامة، ووصل عددها إلى أكثر من خمسين كتابا، بالإضافة إلى ترجمته عشرة كتب، وله المئات من المقالات في مختلف الصحف المصرية والعربية، كما وضع مقدمة كتاب المجتمع التكنولوجي الحديث للدكتور حازم الببلاوي. ومن هذه الكتب**: المنطق الوضعي، خرافة الميتافيزيقا، حياة الفكر في العالم الجديد، قصة عقل، قصة نفس، نحو فلسفة علمية، قشور ولباب، مع الشعراء، الشرق الفنان، في حياتنا العقلية، الجبر الذاتي، أيام في أمريكا، جنة العبيط، هموم المثقفين، وآخر أعماله «حصاد السنين».

زكي نجيب محمود "١٩٠٥-١٩٩٣م" الأصيل.. المعاصر



لكن تعد كتبه: «تجديد الفكر العربي» و«المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري» و«ثقافتنا في مواجهة العصر» من أبرز الكتب التي تناولت قضية الأصالة والمعاصرة، تلك القضية التي شغلت ومازالت تشغل معظم المثقفين قديمًا وحديثًا.

وقد كان **الدكتور زكي نجيب محمود** أول من وُفّق إلى استخدام مصطلح الأصالة والمعاصرة في فكرنا العربي الحديث.

كانت قضية الجمع بين الأصالة الثقافية التي تضرب بجذورها، والمقومات الأولية التي جعلت من العربي عربيا، ومن المعاصرة التي تجعله جزءًا من زماننا بنشاطه الفكري لا بمجرد وجوده الجسدي هي قطب الرحى وأم المشكلات في حياة مفكرنا، حتى إنه يقول عنها: إنها أصبحت القضية التي يصحُّ أن نقول حيالها قول هاملت في أزمته النفسية: أن أكون أو لا أكون ذلك هو السؤال[٣].

ولأن مفكرنا يحب أمته العربية ويريد لها أن تنهض وتتقدم كسائر الأمم المتقدمة، فهو يبين لنا أوجه القصور وعوامل التخلف الذي نعاني منه في كافة النواحي حتى لا نظل نحبو في عصر تجري، بل تتسابق فيه دول العالم لتحرز التقدم الذي تنشده، لذلك فهو دائما يعقد المقارنات بيننا وبين الغرب، لكي يبين ما نحن فيه حتى نفيق من سباتنا العميق.

يقول الدكتور زكي نجيب محمود على سبيل المثال لا الحصر:

«كنا نحن وهم ــ يقصد الغرب ــ على نهج واحد إبان العصور الوسطى، فكلنا معا في مركب واحد ـ كما يقولون ـ نطفو معا أو نغرق معا، وكان الفرق بيننا وبينهم إبان تلك العصور ليس هو أن لنا نهجًا للنظر وأن لهم نهجًا آخر، بل كان الفرق عندهم هو أننا نحن الذين أمسكوا بزمام القيادة وهم التابعون، وأما النهج الواحد المشترك الذي أشرت إليه، فهو أن كلينا يقرأ الكتب ويستخرج منها طريق الحياة بجميع مشكلاتها، ثم نهضت أوربا بأبنائها أو نهض بها أبناؤها منذ القرن الخامس عشر وما بعده، ولم ننهض مثلهم، وكان معنى النهوض هو أنهم غيروا المنهج واستبدلوا به منهجًا جديدًا، فبدل أن تكون القدوة القديمة هي المرجع المقروء الذي لا مرجع سواه، فالحق هو ما قالته تلك الكتب والباطل هو ما لم تقله أو ما أشارت هي إلى بطلانه، أقول ـ والكلام للدكتور زكي ـ إنهم بدل ذلك جعلوا مرجعهم المقروء هو الطبيعة ذاتها، ومعها باطن النفس الإنسانية لمن يستطيع استبطان نفسه في دقة العلماء، فعلوا ذلك هم ولم نفعل نظيره إلى يومنا هذا، وكانت لهم نصفة ولم يكن لنا مثيلها، وتغير عندهم معنى العلم، ولم يتغير عندنا، إذ أصبح العلم عندهم كشفا عن أسرار الطبيعة وصياغة قوانينها، وأما العلم عندنا فقد ظل كما كان وهو أن نحفظ ما في بطون الكتب»[٤].

ويتساءل الدكتور زكي نجيب محمود عن موقف الثقافة العربية الحديثة في مواجهة العصر، ويجيب قائلا:

«هو موقف الرافض للمبادئ والجذور، ولا بأس عليه بعد ذلك أن يقبل النتائج مبتورة عن مبادئه ويقبل بعض الثمار، مستغنيا عن جذورها التي أنبتتها»[٥].

ويرى أن العصر الذي نعيشه يتميز بالعلم التقني والنسبية وَجَعْلِ الإنسان ظاهرة كغيره من الظواهر الطبيعية، لكننا رفضنا نظرة الغرب إلى الإنسان؛ تلك النظرة التي تسوي بينه وبين سائر الكائنات. ويسهب مفكرنا في كيفية التوفيق بين تراثنا وحضارة الغرب، فيرى أن تراثنا به بعض المعوقات التي تعمل فينا كأبشع ما يستطيع فعله كل ما في الدنيا من أصفاد وأغلال، وهذه المعوقات كما يراها ثلاث هي:

الأول: أن يكون صاحب السلطان السياسي صاحب الرأي، لا أن يكون صاحب «رأي» ــ بغير أداة التعريف ـ بحيث لا يمنع رأيه هذا أن يكون لغيره من الناس آرا وَهم. يقول:

«رأس البلاء في مجال الفكر هو أن يجتمع السيف والرأي الذي لا رأي غيره في يد واحدة، فإذا جلا لك صاحب السيف صارمه، وتلا عليك باطله، زاعمًا أنه هو وحده الصواب المحض والصدق الصراح فماذا أنت صانع إلا أن تقول له نعم وأنت صاغر. هذه صورة رسمها أبو العلاء بقوله:

جلوا صارمًا، وتلوا باطلاً   وقالوا: صدقنا، فقلنا: نعم.

وهكذا كانت الحال في جزء من تراثنا، هو الجزء الذي ندعو إلى طمسه ليموت»[٦].

الثاني: «أن يكون للسلف كل هذا الضغط الفكري علينا فنميل إلى الدوران فيما قالوه وما أعادوه ألف ألف مرة؛ لا أقول إنهم أعادوه بصورة مختلفة، بل أعادوه بصورة واحدة تتكرر في مؤلفات كثيرة، فكلما مات مؤلف، لبس ثوبه مؤلف آخر وأطلق على مؤلفه اسمًا جديدًا، فظن أن الطعام الواحد يصبح

أطعمة كثيرة إذا تعددت له الأسماء»(٧).

الثالث: الإيمان بقدرة الإنسان ـ لا كل إنسان ـ بل المقربون منهم، على تعطيل قوانين الطبيعة عن العمل كلما شاؤوا، وعلى غرارها يستطيع القادرون النافذون ـ على صعيد الدولة ـ أن يعطلوا قوانين الدولة في أيّ وقت أرادت لهم أهواؤهم أن يعطلوها.

يقول: «أما ثالث العوامل المقيدة لعقولنا عن الأصالة، المكبلة لأرجلنا عن السير فهو ذلك الميل الشديد الذي نحسه في نفوسنا نحن نحو أن تكون قوانين الطبيعة لعبة في أيدي نفر من أصحاب القلوب الورعة الطيبة، فيكفي أن يشاء الله لواحد من عباده أن يكون من الصالحين لينصرف صلاحه هذا في أوهام الناس، لا إلى شق الترع وبناء الجسور ورصف الطرق وإقامة المصانع، بل لينصرف صلاحه نحو تعطيل أي قانون طبيعي شاء، فهو يأتي لك بالفاكهة من هواء الغرفة، وليس من الضروري عنده أن تحتاج الفاكهة إلى تربة وماء وشمس وهواء، وهو يقرأ لك الطروس المطوية؛ لأن القراءة عنده ليست مشروطة ببصر ورؤية»(٨).

«نقل المسلمون فلسفة اليونان وعلومهم إلى العربية لأن ثقافتهم تتقبل منطق العقل وتهضمه»

وقد ألح الدكتور **زكي نجيب محمود** على تجاوز هذه العقبات، لكي نستطيع التوفيق بين تراثنا وحضارة الغرب.

وعن كيفية التلاقي بين ثقافتنا وثقافة الغرب على الرغم من وجود اختلافات رئيسة بين مشكلاتنا ومشكلاتهم وبين حلولنا وحلولهم: يرى أنه لكي نتناول هذه الفكرة يجب أن نبدأ بالإجابة عن سؤالين، **الأول: ما أهم العناصر التي نعنيها حين نتحدث عن الشخصية العربية الأصيلة؟**

أما الثاني فهو: ما أهم العناصر التي تتألف منها بنية الثقافة العصرية؟

وعن المقومات التي تجعل من الفرد عربيًا أصيلا من الناحية الثقافية يرى أن الشخصية العربية تؤمن بعقيدة راسخة بمستويين من الوجود: فهناك الذات الإلهية الخالقة، ثم هناك عالم الكائنات المخلوقة لتلك الذات، وبين هذه الكائنات المخلوقة كائن أراد له خالقه أن يتميز ليحمل إلى الدنيا أمانة أؤتمِنَ على حملها ونشرها، وذلك هو الإنسان في هذا الإطار العام(٩).

وكثيرًا ما كان يطرح السؤال: أين تقف الأمة العربية اليوم من المسيرة الحضارية، ثم يكرر السؤال بصيغة أخرى قائلاً:

أين تقف الأمة العربية اليوم من حيث التقدم والتخلف على طريق الحضارة؟

ويعود فيطرح السؤال نفسه بصيغة ثالثة فيقول:

ما سبيلنا إلى ثقافة عربية معاصرة؟

وقد تعددت إجابات مفكرنا عن هذا السؤال، لكنها لا تخرج عن إطار واحد، ألا وهو: «إن تيارات الفكر والأدب المعاصرة كلها تحاول إبداع شخصية عربية جديدة تحمل طابعا يتسم بالإرادة الحرة أو النظرة العلمية، ينقل عن تراث الآباء قيمه العليا، وعن الحضارة القائمة علومها وصناعتها وتياراتها الفكرية والفنية، ثم يتمثل ذلك التراث وهذه الحضارة تمثلا ينتهي إلى أصالة وابتكار»(١٠).

ويحاول أن يجد مثالا من التراث حاول فيه السلف أن يجمعوا بين أصالتهم وثقافات وافدة عليهم فيقول:

«لقد أَلِفَ الناس قبل ظهور الإسلام ضربين من الحضارة ومن الثقافة، اختلفا فيما بينهما إلى حد التنافر بل إلى حد الدخول في حروب مستمرة، وهاتان الحضارتان هما: حضارة الفرس وثقافتهم من جهة، وحضارة اليونان وثقافتهم من جهة أخرى. **المحور في الحالة الأولى هو الوجدان** أو هو الإملاء، إملاء القلب أو الوحي أو الحدث، يفرض على الإنسان طريقة فكره ونمط سلوكه.

المحور في الحالة الثانية هو عقل الإنسان، يقيم له الحجة على الباطل ويرفضه، ويسوق له البرهان على الحق فيرتضيه.. وكان الظن هو ألا سبيل إلى لقاء بين شرق متمثل في فارس، وغرب متمثل في اليونان، ثم جاء الإسلام في أوائل القرن السابع الميلادي، ومع فتوحاته انهدمت الفواصل، أو قل إنها اندمجت في خطوة أولى على طريق المواطن العالمي، وكان ذلك الدمج الباهر، هو الذي أخرج إلى العالم تلك الصيغة الحضارية الثقافية الإسلامية الجديدة التي ألفت في مركب واحد صوفية الفرس وعقلانية اليونان، **وهذه الطبيعة الثالثة الجديدة قد جمعت بين إدراك الحدس الصوفي، وإدراك العقل الاستدلالي،** بحيث احتملت الحياة الثقافية الإسلامية أن يظهر فيها أعظم المتصوفين وأعظم مناطقة العقل في آن معًا.» ويتساءل **مفكرنا، لماذا استطاعت ثقافة المسلمين أن تنقل في عصر المأمون من فلسفة اليونان وعلومهم إلى اللغة**

زكي نجيب محمود "١٩٠٥-١٩٩٣م" الأصيل.. المعاصر



العـربية، ولم ينقل أهل الهنـد أو أهل الصين إلى لغتهم، ويجيب: «إن العلة لم تكن في لغة تستطيع ولغة أخرى لا تستطيع بـل العلة هي أن ثقافة تتقبل منطق العقل وتهضمه، وثقافة أخرى لا تتقبله ولا تهضمه»(١١).

التعبير عن خصائصنا المحلية وقيمنا الذاتية، بالوسائل المتاحة كافة، سبيلنا إلى العالمية

ويـرى - يرحمه الله - أن ثقافتنا يجب أن تخرج من المحلية الى العالمية، ولكن كيف السبيل إلى ذلك؟ يقـول الـدكتـور زكي: «ليست تـرجمة آثـارنـا الأدبيـة والفكرية هي الوسيلة الوحيدة في إخـراجنا من المحلية إلى العالمية؛ لأن ثمة من الوسـائل الأخرى مـا يمكن اللجوء إليـه، من أهمها نقل الفنـون التي لا يحتاج تذوقها إلى لغة تترجم أو لا تترجم، فثقافتنا المحلية التي فيها بعض القدرة على أن تكون رسالة عالمية مبثوثـة في ثمرات التصوير والنحت، وفي عدد لا بأس به من الأفـلام السينمائيـة والتليفـزيـونيـة، حيث تكفي رؤيـة البصر، وفي بعض معزوفـاتنا الموسيقية والغنائيـة التي يكفي لتقويمها إنصات الأذن. وإذن لـزاما علينـا أن نعرض على العـالم كل ما يمكن عـرضه لنحطم حـواجز المحليـة التي تحصرنا في نطاق أنفسنا أو تكـاد. إن من حقنا الطبيعي أن نثبت ذواتنا في إنتاج يحمل خصائصنا المحلية بكل ما فيها من ألوان تميز الأفراد من حيث هم أفراد، وتميـزهم من حيث هم مواطنـون، لكن خطوة ثـالثة وأخيرة لابـد من اجتيازهـا لتكون لنا رسـالة فكرية وهي أن نطلع العـالم على ذلك الجانب من ذواتنا الذي يتجلى فيه الإنسان من حيث هو إنسان ذو فطرة عامة شاملة، وذو قيم ومبادئ تسعى إلى تحقيقها في سيرها الدائب نحـو الكمال لا تعرف في ذلك لنفسها قيودا من مكان ولا حدودا من زمان»(١٢).

وأخيرا قالوا عن زكي نجيب محمود(١٣):

«**زكي نجيب محمود** مجدد الفكر العربي، عرفناه فيلسوفًا عظيمًا ومفكرًا رائدًا وكاتبًا جادًا، صادقًا مع نفسه ومع الآخرين، لم يسع طوال حياته كلها إلى شهرة أو منصب، ولكن الشهرة هي التي كانت تسعى إليه..

حـاول طوال أكثـر من نصف قرن من الـزمان إيقـاظ الهمم وحَفْزَ العـزائم وتوجيه دفة الفكر إلى طريق التحضر والتقدم.. لقد كان يعد تجسيدًا لمجموعة من القيم الكبرى التي ينبغي أن تتعلمهـا الأجيال القادمـة وينبغي أن يتعلمها أبناؤنا في المدارس والجامعات».

د/ محمود حمدي زقزوق
الأستاذ بجامعة الأزهر

«**زكي نجيب محمود** كان هرما لثقافتنا التنويرية في عالمنا المعاصر، ومن حقنا أن نفخـر بأننا عشنـا في عصر زكي نجيب محمود الـذي كان رائدا أتى بكل مـا تحمل كلمة الريادة من معانٍ ومدلولات ساميـة ونبيلة. لقد كانت كتاباته تفتح الطريق أمـامنا للتعـرف على آلاف الأفكار.. ومـا أعظمها ومـا أعمقها؛ لأنها كتابـات تصدر عن عقلية لا مثيل لها، عقليـة تعد البوصلـة التي تحدد اتجاهنا وتهدينا إلى الطريق السليم.. طريق العقل».

د/ عاطف العراقي
الأستاذ بجامعة القاهرة

«لقد مارس **زكي نجيب محمود** دوره كأستاذ باقتدار بالغ حتى آخر لحظات حياته، وهو فريد من نوعه، فهو كأستاذ كان بالغ التأثير في تلاميذه بإحساسه العميق بقضايـا الإنسان وصدقه الشديـد في تعامله وتناولـه لمختلف الأشياء، وقلبه الكبير وبيته الذي لم يوصد بابه في وجه أحد».

د/ أميرة حلمي مطر
الأستاذ بجامعة القاهرة

المراجـــع

١ - زكي نجيب محمود: في حيـاتنا العقلية، ص ١٦، الطبعة الأولى، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م، دار الشروق، القاهرة.

٢ - زكي نجيب محمود: الجبر الذاتي، ترجمه عن الانجليزية إمام عبد الفتاح إمام، ص ٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٧٣ م.

٣ - زكي نجيب محمـــود: قصة عقل، ص ٢٢٢، دار الشروق، القاهرة - ١٩٨٣ م.

٤ - أخبار الأدب، العدد ٩ - الأحد ٢٦ ربيع الأول ١٤١٤ هـ/ ١٢/ ٩/ ١٩٩٣ م.

٥ - زكي نجيب محمـود: ثقافتنا في مـواجهة العصر، ص ٣٦، دار الشروق، القـاهـرة، ط ٢، ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩ م.

٦ - زكي نجيب محمـود: تجديد الفكـــر العربي، ص ٣٣، ٣٤، دار الشروق، القاهرة، ط ٨ - ١٤٠٨ هـ/ ١٩٨٧ م.

٧ - المصدر السابق: ص ٢٧.

٨ - المصدر السابق: ص ٥٧، ٥٨.

٩ - زكي نجيب محمـود: ثقافتنا في مـواجهة العصر، ص ٥٥: ٦٧.

١٠ - زكي نجيـــب محمـود: في حياتنـــا العقليـة، ص ٤١.

١١ - زكي نجيـــب محمـود: هموم المثقفين، ص ٨٣، ٨٤، دار الشروق، القـاهـرة، ط ١، ١٤٠١ - ١٩٨١ م.

١٢ - زكي نجيب محمود: في حيـاتنا العقلية ص ١٤٠، ١٤١.

١٣ - جريـدة الأهـرام ٩/ ٩/ ١٩٩٣ م، ١٤/ ٩/ ١٩٩٣ م.

النَّفْـرَةُ بَـيْنَ الشَّبَابِ وَالعُـلمَاء



د. محمد بن سعد
الشـويعـر

إن مما يحرص عليه أعداء الإسلام، في فكرهم الموجه لشباب المسلمين، طرح كل ما فيه بلبلة، حتـى توجد هوّة بينهم وبين العلماء، وولاة الأمور، بـانتقـاد تصرفـاتهم، وتلفيق الأقوال ضـدهم، لتبـدأ النفـرة بين الشبـاب والعلماء وولاة الأمور. ويدخل في هذا حقوق الأبنـاء لآبائهم، وعدم امتثال الطـالب تـوجيهـات مـدرّسـه أو احترامـه، وذلك بتفسير الأمـور على غير وضعها، وتجسيم الصغائر، واختلاق أشياء لا أصل لها، حتى يُحدثوا بعدًا بين الشبـاب وولاة أمـورهم، فيُفقـد التعـاون، ويقل السمع والطـاعـة، ويضعف تقدير الأكبر سنًا، أو علمًا أو مركزًا. وفي هذا فساد للمجتمع؛ لأنه مخالفة للمنهج الذي حرص القرآن الكريم على تأديب أمة الإسلام به، ومبـاعدة عـن الأدب الذي اهتم بـه رسـول الله ﷺ، حيث دعـا بوجـوب السمع والطاعة لأوامر الله عز وجل، واتبـاع توجيهات رسول الله، وطاعة مَن ولاّه الله أمور العباد.

فانتظام الحياة الاجتماعيـة، والأمن لا يتمّان إلا مع الإنقياد الذي أمر الله به، فقد تكرر في كتـاب الله الكريم، الأمر بطاعة الله، وطاعـة رسوله أكثر من عشرين مرة، مما يـدل على أهمية الطاعة، ومكـانتها في الإسلام. وولاة الأمور جعلهم الله حماة لشرعه، تعليمًا وتوجيهًـا، وقدوة وتنفيذًا، وفي جميع تعاليم شريعة الإسـلام، يؤدي العالم والوالد، والمعلم والـولاة أعمالهم بأمانة وإخلاص، ومن مفهوم الشريعة أيضا يعـرف كل شاب ما يجب عليه تجاه هؤلاء في السمع والطـاعة، وحسن الأدب، وأداء الـواجب، وحسن الأخذ والاستجابة، إذْ لا خير في من لم يوقـر العالم ويعرف قدر الكبير. ولا ينتظم المجتمع، ولا تسعـد الأمـة جمعـاء، إلا بإدراك هذا المفهـوم، والانقيـاد لـه عمـلاً؛ لأن أمـر الله واجب، والاستجـابـة لـرسـولـه الكـريـم في دعـوتـه وتوجيهاتـه، من أسس الاسلام، الذي هو الاستسـلام والانقياد والعمل. قال تعـالى: ﴿يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُـوا أَطِيعُوا اللَّـهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُـولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنكُم﴾ [النساء ٥٩]. ويقول سبحانه: ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَـذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِـرِينَ﴾ [الأنفال ٤٦]. ويقول رسول الله ﷺ: «اسمعـوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة، ما أقام فيكم كتاب الله» رواه البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه.

وأعداء الله وأعداء دينه، هم أعداء المسلمين، في كل مكان، يريدون بعملهم الموجه ضـد شباب المسلمين بث الفـوضى في المجتمع الإسلامي، وشق عصا الجماعـة، وإثارة الأمـور الصغيرة وجعلها من المشكـلات لدى الشباب؛ لكي يتحول مجتمعهم إلى الفوضى والبلبلة حتى يُوسَّدَ الأمر إلى غير أهله، فيسهل التغلغل إلى هذا المجتمع، والسيطرة عليه، وخطوتهم الأولى أن يبتعد الشبـاب عن أوامر ربهم، ويتهاونـوا بما شرع الله لهم من وجوب السمع والطاعة لولاة الأمور، والنصح لهم، والتعاون معهم.

وما كـان دين الإسلام ليؤكـد على السمع والطاعـة؛ إلا لأن قوام المجتمع وسلامتـه عليهما، فإذا كان أقل الجماعة ثـلاثة، فإنهم في السفر لابد أن يـؤمروا أحدهم، وعلى الآخرين السمع والطاعة، فعن أبي سعيد الخدري، وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قـال: «إذا خـرج ثـلاثـة في سفـر فليـؤمـروا أحدهم» رواه أبو داود.

ووجوب التمسك ببيعة ولي الأمر والسمع والطاعة له، وعدم الخروج عليه من الأمـور التي تؤصلهـا عقيـدة الإسلام، كما جـاء في أحاديث كثيرة، منهـا حديـث عبد الله بن عمـرو بن العاص رضي الله عنهما أن رسـول الله ﷺ قال: «من بايع إمامًا فأعطاه صفقة يمينه، وثمرة قلبه، فليطع ما استطاع، فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخـر كائنًا من كان» رواه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه.

والذي يجب أن يدركه الشباب خاصة، وغيرهم عامة، أن لزوم الجماعة في البيئة الإسلاميـة، جزء من العقيدة التي يجب أن تؤصل في النفـوس، حتى لو بدر من القيادة مـا يكرهه المرء، مما يحرص أعداء الأمة الإسـلامية على تجسيمه سـواء أكـان لـه أسـاس أم مختلق، ممـا يقصـد من ورائه التفـريق، وإذكـاء النزعات، وإفساد المجتمع. فقد روي عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «من كره من أميره شيئًـا فليصبر، فإنه من خـرج من السلطان شبرًا مـات ميتة جـاهلية» متفق عليـه. ودورنـا جميعًا أن نتأدب بأدبـه ﷺ، ونتأسى بأعمالـه، حيث نهى أن يُتحدث إليه في أصحابه؛ حتى يخرج إليهم وقلبه سليم، ونفسه صافيـة، دون حقد أو ضغينة. أمـا أعداء المسلمين فهم يريـدون لقلوبهم أن تحمل الضغينـة على العلماء، والبغضـاء في المجتمع بعضهم لبعض، وعقـوق الأبناء لآبـائهم، وشق عصا الطاعـة لولاة الأمر؛ حتى يفسـد بذلك المجتمع، وتبثّ الفتنة في أرجـائه، وبذلك يسهل عليهم تحقيق مآربهم والنفـاذ إلى البيئة الإسلامية في نقاط العنف التي وجدت مداخلها، وانفتحت لها صدور بعض الشباب دون روية، ووعي للعواقب.

والسبيل الـوحيد الـذي يفسـد على هـؤلاء الأعداء عملهم، هـو تحصين شباب الأمة بالعلم والإدراك، وبث روح الوعي بما تنطوي عليه تعاليم الإسلام وآثارها؛ حتى تقـوى النفوس على التصدي لكل ما يبث، والتحصـن ضد ما يُـراد، فإذا عُـرِف الداء، سهل معـرفـة الـدواء، وبذلك تتقـارب النفـوس، وتتحقق الألفة والمحبة بين فئات المجتمع.

العملاق الأسمر

"كريم عبد الجبار"

وُلد فردينانـد ليو إلسندور لأبوين نصرانيين، فتبعهم بـالميلاد، وإن عـاشت الفطرة السليمـة في حالة كمون في قلبه منتظرة اللحظة المناسبة لتظهر الحقيقة على الملأ.

في مدينـة نيويورك المشهورة بعنصريتهـا وكثرة زنوجها الذين يعيش معظمهم في حي هارلم الشهير بفقره وموبقاته ودمويته، **في هذه المدينة الكبيرة التي تجتمع فيها ناطحات السحاب مع العشش الحقيرة، ويسـود الرخـاء جانبًـا منها، ويطغى البـؤس على جانب آخر، تلقّى فرديناند تعليمه في مدارس تطبق مذهب الروم الكاثوليك.**

تفرقة عنصرية

تفتحت عينا **فرديناند** في نيـويـورك على أبشع ألوان التفـرقة العنصرية، وعـانت أسرته جـانبًا من هـذه التفرقـة، فبالـرغم من أن والده من خـريجي **معهد جوليور للموسيقا**، تؤهلـه شهاداتـه للعمل قـائد أوركسترا، إلا أنـه لم يستفـد قط من هـذه الشهادة؛ إذ لم يجد من يقبل زنجيًا لقيادة أوركسترا، ولكي يطعم أسرته عمل مراقبًا للقطارات.

كانت أسرة فـردينانـد مـوسرة قياسًـا بغيرها من الأسر الزنجية، فالوالد له عمل ودخل ثابتان يجنبان أولاده ذلَّ الحاجـة، إلا أن مـا لم يستطع أن يجنبهم إيـاه هـو مرارة الإحسـاس بـالظلم في مجتمع يعتبر الأبيض سيـدًا والزنجي عبـدًا، رغم كل شعـارات الإخـاء والمسـاواة وحقـوق الإنسـان التي تـرفعهـا الدولة، ويتشدق بها السياسيون.

النجم الموهوب

بين هـذه الأجواء العنصريـة شب فـردينانـد، وحباه الله بسطـة في الجسم وطولاً فـارعًا، ممـا أهّله لأن يمارس كـرة السلـة، اللعبـة الشعبيـة الأولى في الولايـات المتحدة الأمريكيـة، وبخاصـة مع تمتعه بالسرعة والموهبة، فحظي بشهرة وثروة كبيرتين وهو لم يتجاوز بعد الخامسـة عشرة من عمره، واستطاع أن يحقق لنـاديه الفـوز ببطولـة الولايـات المتحدة، ليس ذلك فقط، وإنما بطـولـة العالم أيضـا. وعبر رميـاتـه المتقنة وتصويباتـه القاتلة نحو السلـة عرف العـالم نـادي «مليـوكي بـاكس» وكثـر مشجعـوه، وتـوالت الأربـاح على النـادي، والشهـرة لـلاعب الفذ، الذي أثبت أنه أفضل لاعب عرفته كرة السلة في النصف الثاني من القرن الميلادي العشرين.

إلا أن الشهرة والمال الـوفير والحب والإعجاب الذي يلقاه اللاعبون في كل مكـان لم يمنع فردينانـد من التأمل والتفكير في أوضـاع التفـرقة العنصريـة التي تزخر بها البلاد.

> "لم تمنعه الشهرة والمال من تلبية نداء الحق"

كـان يتعجب حين ينصت في الكنيسـة إلى مـا يقـولـه القس من إن البشر جميعًـا متسـاوون، وإن النصرانية دين المحبـة والأخوة، وكثيرًا ما تسـاءل: أليس البيض والـزنـوج نصارى يـؤمنـون بالعقيـدة ذاتها، فلماذا هذه التفرقة؟ ولماذا يعتبر الأبيض نفسه سيد الأجنـاس، وما عداه خلقـوا لخدمته؟ ثم أين رجال الدين من كـرادلة وقسس ليشرحوا هذا ولماذا يسكتـون على مـا يحيق بـالزنـوج من ظلم وتفـرقـة عنصرية؟

حركة الحقوق المدنية

كـانت الولايـات المتحدة في مطلع الستينيـات الميلادية تموج بحركة نشطـة للحقوق المدنية، وكان أبـرز المنادين بهذه الحقـوق الداعيـة المسلم **مالكولم إكس** (مـالك شبـاز)، والقس النصراني **مارتن لوثركينج**.

كان **مالكـولم إكس** حتى عـام ١٩٦٤ م من أنصار مـواجهة العنف بالعنف، وكثيرًا مـا دعا إلى اتخاذ الوسائل الضرورية للرد على عنصرية البيض، مؤكدًا على الجذور الأفريقيـة للملونين، ومناديًا إلى **«ثورة ثقافية لتحـريـر شعب من غسل دماغ تعرض له»**. ثم ما لبث **مالكولم** حين عاد من أداء فـريضة الحج أن تغيرت أفكـاره كليًـا، إذ أدرك حقيقـة الإسلام، وأنه دين البشرية جمعاء، لا ينظر إلى عرق أو جنس، ولا يعتـدي على مَنْ لم يعتـد عليـه، ولا



مسجد واشنطن



مالكولم إكس



محمد علي كلاي



مارتن لوثر كينج

يشجع على ظلم الأبرياء قصاصًا من أبناء جلدتهم فيما لا ذنب لهم فيه .

تأثره بمالكولم إكس

على الرغم من بلاغة القس **مارتن لوثركينج**، وخدمة وسائل الإعلام الأمريكية له، وتغطياتها المكثفة لخطبه وأخباره، إلا أن الشاب **فرديناند** مال إلى الداعية **مالكولم إكس**، إذ رأى في خطبه صدقًا مع الذات لم يعهده في غيره من الخطباء، فهو لم يكن يدعو إلى الحقوق المدنية فقط، لكنه كان يدعو أيضًا إلى تغيير المجتمع الأمريكي من الجذور، مؤكدًا على أن الأخوة والتسامح اللذين نادى بهما الدين الإسلامي تستوعب البشر جميعًا .

تأمل فرديناند هذه الأقوال، وتذكر واقعة إعلان بطل الملاكمة العالمي **محمد علي كلاي** إسلامه على الحلبة إثر فوزه ببطولة العالم، وما قاله **محمدعلي** عن الأسباب التي حدت به إلى ترك النصرانية واعتناق الإسلام، واستيقظت الفطرة السليمة في قلب فرديناند، وبدأ يشعر بأنه يجب أن يجهر بما يؤمن به، ويترك ما هو عليه من عبادة باطلة، و«إن الدين عند الله الإسلام» .

إشهار إسلامه

لم يطل التفكير به، فما لبث أن أعلن - بشجاعة - نبذهُ للنصرانية، واعتناقه الدين الإسلامي، وعمد إلى تغيير اسمه إلى **كريم عبد الجبار**.

كان كريم عبد الجبار يدرك أن خطوته بإعلان إسلامه سوف تجلب عليه سخط الكثيرين، مثلما حدث مع الملاكم العالمي **محمد علي كلاي**، لكنه كان قد بيّت العزم على تحمل المشاق في سبيل العقيدة التي أحبها وآمن بها . وبالفعل حدث ما توقعه، **إذ استقبله جمهوره الذي كان — إلى وقت قريب - يحمل صوره ويهتف له، استقبالاً غاضبًا، وهتف ضده، وأضيفت إلى معاناته من التفرقة العنصرية معاناة أخرى لا لشيء سوى أنه أصبح مسلمًا** .

بل إن وسائل الإعلام التي طالما أشادت به وبأخلاقه وفنه ومهاراته، دخلت طرفًا وصارت تهاجمه، وتهاجم دينه واسمه الجديدين .

لقد عانى **كريم عبد الجبار** - بعد إسلامه - الكثير من المضايقات، لكنه لم يأبه لها، وظل صامدًا يرد البذاءات بحلم وصبر جميلين، يشعران الخصوم بالسهم يرتد إلى راميه، فيصيب قلوب الحاقدين والكارهين في الصميم .

تزوج **كريم** من فتاة مسلمة تدعى **«حبيبة»**، طردت الوحشة من حياته، وأعانته على مواجهة الصعوبات التي تعرض لها، وكانت له نعم الزوجة والأم والأخت، فزاده الله ثباتًا بعدما تأكد له أن ما فعله هو الصواب عينه .

خدمة الإسلام والمجتمع

لقد حقق **كريم عبد الجبار** من كرة السلة التي اعتزلها منذ سنوات قليلة مكاسب مالية كبيرة، مما ساعده على أن يستقل بحياته، ولم ينس حق المسلمين في ماله، **إذ اشترى منزلاً في واشنطن أهداه إلى الوقف الإسلامي** هناك؛ ليخصص لخدمة المسلمين، كما **أسهم** بفاعلية - ولمدة طويلة - في **برنامج لمكافحة المخدرات بين الصغار** مقتنعًا بأن واجبه - باعتباره مسلما — يحتم عليه مشاركة مجتمعه في محاربة الآفات التي تقضي على شبابه .

لقد قدّم **كريم عبد الجبار** بأخلاقه وإخلاصه للإسلام صورة مضيئة لشخصية المسلم الحق، الذي يطبق روح الإسلام وتعاليمه من خلال أفعاله الصادقة وسلوكه النظيف، ولاشك أن اعتناقه الإسلام قد أسهم في بلورة هذه الصفات الطيبة في شخصه، فصار نموذجًا يقتدي به كثيرون من الشباب الأمريكي، ويكسب لدين الله كل يوم أنصارًا جددًا، محققًا بالخلق القويم ما قد يكون من الصعوبة تحقيقه بوسائل أخرى .

وما يزال **كريم**- رغم اعتزاله - حديث الصحافة والإعلام، إذ لم تغب عن ذاكرة الجماهير ذكرى هذا اللاعب الذي كان فذًّا في عالم كرة السلة، وفذًّا في إصراره على التمسك بدينه رغم كل المضايقات والمغريات كافة .

طريق الهدى

فتاوى لفضيلة الشيخ
د. صالح بن سعد اللحيدان

المال الحرام . . هل عليه زكاة ؟

● إذا كـان الشخص عنده مـال حـرام بسبب ما . . فسؤالي :

١) هل عليه زكاة إذا طوّل عنده . . ؟

٢) ما حكم شراء البيت منه . . ؟

٣) إذا كان بالبطلان . . كيف يتصرف . . ؟

ج . ل . ط . ـ جدة ـ طريق مكة ـ ك ٥

كسب المال الحرام لـه عدة حالات ؛ فبعض الناس يخلط بين أشياء كثيرة فيما يخص المال ؛ لكن أُبيـن لك بعض الكسب المحرم : الـربـا ، السرقـة ، الحيلة والكذب ، والغصب ولـو بعوض على سبيل الإكـراه ، وأخذ مال اليتيم ، وأخـذ مال الصدقات . . أو الزكـاة دون وجه حق شرعي وأخذ الظلم بتأويل فاسد .

ففي هذه الحالات نص الشرع على أن كسبها محرم فهنا إذ أُخذت هذه الأمـوال هكذا ، فلا زكاة عليها لأنها محرمة ، والـزكاة عن المال الحلال إلا في الـربا للضـرورة ، فإنَّـهُ يأخذ الفـائدة المحرمـة ويجعلها في نفس جامدة ويزكي رأس المال .

وكذا : مال اليتيم إذا أخذ بقصد إرجاعه ففيه الـزكاة ، وعليـه إثم الظلم ويعطي مـا أثمر المـال لليتيم ؛ لأنـه نفع مالـه فيعيده إليـه ، وكذا بـالنسبة لشـراء البيت ، ولعلـه هنا أبلـغ في التحـريم ؛ لأن المتاجـرة في الحـرام تزيـده ، لأنه قـد يبيع البيت فتزيد قيمته حراماً بحرام .

والمخـرج : ينظـر كيف دخـل هـذا المـال ، فيعيـده إلى أصلـه ؛ إن كـان مسـروقـاً أعـاده إلى صاحبـه كاملاً ، وإن كـان مغصوباً أعـاده ، سواء كان مالاً أو أرضاً . . أو بيتاً ؛ والـربا : كما تقدم ، وكذا : مال اليتيم .

أما المال المكتسب بـالحيلة والغصب ، فإن لم يعلم صاحبهما فيتصدق بهما لهما ـ ومثل هذا الرشوة ـ ومال الزور للشهادة الكاذبة . والله أعلم .

إخفاء الوصية

●هناك وصية أخفاها أحـد الورثة عن البقية ؛ لأنه يخشى عدم تنفيذها وقـد مرَّ عليها وقت طويل فهل يأثم بهذا؟

حمد . أ . ـ الرياض .

■ هذا أمر اجتهد صاحبـه فيه اجتهاداً لم يوفق فيه إلى صـواب وقد كـان قصده حسنـاً حين خشي عـدم تنفيـذ الـوصيـة وهــذا جهل سببـه الحرص الخاطئ .

ولعل كتمان الوصية أمر خطير ، وقد يكون فات ـ في مثـل هذه الحال ـ بسبـب إخفائهـا أشياء كثيرة يلزم إنفاذها على ما جاء فيها تبعاً للكتاب والسنة .

لكن قـد حصل الذي كان ، ولعـل القصد كما جاء في السؤال ما الـذي أنصح به؟ وأنصح السائل بما يلي :

أولاً: التوبة من هذا الذنب ؛ لأن الإساءة ثبتت في حق الميت ، وحق المخفـي لها ، وحق الـورثــة ، وحق الموصىٰ له فيها ، وكل هذا يأثم بسببه المخفي فيلزم الاستغفار .

ثانياً : نظـر حال أعقل الـورثة وأكثـرهم تديناً فيفاد عن هذا الذي حصل ، وأنه كان اجتهاداً ، ثم بعد ذلك تنفذ الوصية .

ثالثاً : إن كان فيها وصية بثلث $\frac{1}{3}$ أو ربع $\frac{1}{4}$ يصرف لجهة صالحة فتنفذ ويكون الأمرُ بالأخذ من مال الورثة مـا دام قد تم تقسيم التركة ؛ كل حسب نصيبه بقدر عادل .

رابعاً : يُنظر : الـدَّين ، والوديعة ، والأمـانات ، فيعمل بها كحـال الـوصيـــة ، ولعلـه بهذا تبرأ ذمـة **المُخفي** للوصية ، ولعلها **ذكرى** وعظة لكل مُسلم أن يتقي الله في نفسه وفي من حوله وفي ما تحت يديه .

ردود خاصة

●الأخ مُراد علوان عبدالحميد ملوحي ـ عدن :

■ لا يجوز لبس «السـاعــة المصنــوعــة من الـذهب» أو تقديمهـا هديـة إلا لقريبة لك ، أمـا الرجال فلا يصح هذا للنهي الوارد .

● الأخ محمد . ك . ي ـ جدة :

■ يجب على العـاقل أن يتغـافل عن كثير من الأمور ، وأن يقـدم في نفسه أسـوأ النتائج ويتـوقعها وذلك حتى يخف وقعهـا على النفس . والـذي أراه لك أنك لا تتعلق بتلك الجهة تعلق الضعيف ؛ بل كن واثق الخطـوة وحـافظ على صحتك النفسيـة ، والكـلام كثير ومن يقبلــه أو يفتح قلبه لــه يحقـد ويظلم ، فتنتهي حياته وهـو يظن أنه محمـود وهو مكروه .

●الأخ صالح بهساني ـ جيزان ـ أبو عريش :

■ لا بد من التيمم لكل صـلاة ، والتيمم بدل الماء عند فقده أو العجز عن الحصول عليه أو خوف مرض باستعمال الماء .

● الأخ مصطفى شحـرور شحاتـه ـ ج . م . ع ـ الزقازيق :

■ «إحيـاء علـوم الـدين» للإمـام أبي حـامـد الغــزالي ، رحمه الله ، خـرَّجــه الحافظ زين الـدين العراقي ، أي خـرج أحاديثـه تخريجاً جيداً مبـاركاً . فلابد لمن أراد أن يقرأ «الإحياء» أن يقرأ تخريجه ؛ لأن كتاب الغزالي فيه أحاديث ضعيفة ، وموضوعة . كما أن فيه فيما يتعلق بالعبادات أخطاء كثيرة ، وبجانب هذا فالكتاب تربوي علمي .

●الأخ جاسم مزان بلاني ـ سلطنة عمان :

■ إذا كنت قد نسيت طواف الوداع ، وأنت قد خـرجت من حدود مكـة ، ويتعذر رجـوعك ، فإن طـواف وداع العمـرة لا يلـزمك بنسيـانـه شيء فيما أعلم ، والله أعلم .



د. بدوي طبانة

تجربتي في صنعة معجم البلاغة العربية

بقلم: د. بدوي أحمد طبانه

كان إصدار معجم للبلاغة العربية حديثًا للنفس، وحلمًا من الأحلام، ظل يراودني سنين طوالاً في ربيع العمر، منذ قدِّر لي أن انحاز في دراستي العليا إلى مجال البلاغة والنقد الأدبي.

وقضيت في إعداد هذا المعجم خمسة وعشرين عامًا في البحث والتنقيب وتقليب المراجع المشهورة والمغمورة على السواء لاستخلاص مادته العلمية.

وأقدمت على هذه التجربة مستعينًا بالله، وأنا مشغوف بها ومطمئن إلى نتيجتها وجدواها، وكان من وراء هذا الشغف غيرة على هذا التراث الخالد، وخوف عليه من عوادي الزمن، بعد أن ارتفعت أصوات غريبة تحاول أن تقوض هذا الصرح المكين، وتزهد طلاب المعرفة فيه بدعوى صعوبة مناله، ووعورة السبيل إليه.

ولست أعرف أن الصعوبة وحدها سبب كاف لانتقاص ما هو حسن في ذاته، أو لاطّراح ما فيه خير كثير، بل إن صعوبة المطلب هي محكّ الرجال، ومختبر العزائم، وقديماً قال الشاعر: «**على قدر أهل العزم تأتي العزائم**»، وكما قال: «**لولا المشقة ساد الناس كلهم**»!

ولو كان تحصيل العلوم كلها سهلاً ميسورًا «لبطل التفاوت بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر. **ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة**. وكل باب من أبواب العلم منه ما يجلّ، ومنه ما يدقّ، ليرتقي المتعلم رتبة بعد رتبة، حتى يبلغ منتهاه، ويدرك أقصاه، ولتكون للعالم فضيلة النظر وحسن الاستخراج» كما يقول ابن قتيبة.

وليس يشك منصف أن هذا التراث البلاغي جدير بالعناية ومواصلة البحث فيه؛ لأنه يمثل خلاصة ما اهتدت إليه الفطر السليمة والأذواق الرفيعة لأسلافنا من علماء الأدب ونقدة الكلام الذين أرسوا دعائم هذا العلم النافع، وبنوا صرحه العتيد، بالإضافة إلى أن فن الأدب كان وما يزال الفن المتميز الأثير عند أمتنا العربية.

وإذا كان هنالك علم للغة وعلم للنحو وعلم للتصريف وغيرها من العلوم، فإن هذه العلوم تستهدف صحة العبارة وسلامة المنطق في كل كلام يتعامل به أصحاب اللغة، إذ إنها علوم صحة توقف على الصواب ليحتذى، وعلى الخطأ حتى لا يقع فيه متكلم يدَّعي أنه يتكلم بلسان العرب.

أما البلاغة فإنها علم جمالي، يبحث فيما وراء الصحة من خصوصيات الفن الأدبي، أي أنها «علم الأدب» تختص به، وتبحث عن أسباب الإجادة والإبداع في الأعمال الأدبية التي يتفاضل فيها الأدباء.

ويجب ألا يعزب عن البال أن «**علم البلاغة**» كان أول العلوم التي استقلت عن العلوم الأدبية، وقد تحددت مباحث هذا العلم، وأصبح له كيانه منذ نشأة هذه العلوم، وظلت ترفده العقول الواعية والأذواق المستنيرة، حتى نضج واستوى على سوقه، وشغل حيزًا متميزًا بين علوم العربية، مما يدل على حفاوة الأسلاف بهذا العلم الذي رأى بعضهم أنه أحق العلوم بالتعلم، وأجدرها بالتحفظ، كما قال **أبو هلال العسكري (٣٩٥ هـ)** في خطبة كتاب «**الصناعتين**»:

«اعلم.. علّمك الله الخير، ودلّك عليه، وقيّضه لك، وجعلك من أهله، أن أحق العلوم بالتعلم، وأولاها بالتحفظ ــ بعد المعرفة بالله جل ثناؤه ــ علم البلاغة، ومعرفة الفصاحة، الذي يعرف به إعجاز كتاب الله تعالى، الناطق بالحق، الهادي إلى سبل الرشد، المدلول به على صدق الرسالة، وصحة النبوة، التي رفعت أعلام الحق، وأقامت منار الدين، وأزالت شُبه الكفر ببراهينها، وهتكت حجب الشّكّ بيقينها».

فقد رأيت أنه لم يقدّم على علم البلاغة في وجوب تعلمه، والحفاظ عليه علمًا آخر، وأن هذا العلم يجيء في أهميته تاليًا لمعرفة الله عزّ وجلّ، وذلك؛ **لأنه رأى أن البلاغة هي السبيل إلى إدراك إعجاز القرآن الكريم، وهو المعجزة الكبرى لرسول الله ﷺ، وأهم وجوه إعجازه فصاحته وبلاغته التي** تحدى بها المشركين والمنكرين.

من تجاربهم



أسباب تأليف المعجم

وقد رأيت المكتبة العربية وهي تزخر بطاقات هائلة من المصنفات التي عنيت بخدمة تراث هذه الأمة، وفي طليعته التراث اللغوي الذي حفظ التاريخ منه ثروة طائلة في كتب اللغة ومعاجمها منذ مسّت الحاجة إلى تدوينها والتأليف فيها.

وقد عني العلماء بإحصاء ألفاظها وضبطها، والإبانة عن دلالاتها الإفرادية والتركيبية، وألوان التصرف في تلك الدلالات عبر الزمان وعبر العصور المتلاحقة التي تداولت هذه الألفاظ والصيغ التعبيرية، وطوّعتها لمقتضيات الحياة والبيئات والعصور وألوان الحضارات.

واستطاعت هذه المعجمات أن تحافظ على أصول اللغة ودلالاتها، كما استطاعت أن تصل حاضر هذه اللغة بماضيها، وأصبحت بذلك عاملاً من عوامل الحفاظ على اللغة، ومتابعة إصلاحها وتقويمها لمتابعة ركب الحياة ومقتضيات الحضارة المتحركة المتجددة، فأسدت بذلك فائدة كبرى في بعث اللغة وإحيائها وتجديدها، وهي اللغة التي يفيدها عامة المتعاملين بها وخاصتهم في هذا الزمان وفي قرون سبقته بالتعلم والتلقين، لا عن طريق الفطرة الواعية التي اكتسبتها في أول عهدها عن طريق السماع والمزاولة المتأثرة بوحدة البيئة ووحدة المفاهيم التي أدت إلى وحدة اللسان في التعبير عنها، حتى أصبح هنالك عرف لغوي عام، هو الذي نعبر عنه بقولنا «الدلالة اللغوية» أو «الدلالة الوضعية» أو «الحقيقة اللغوية».

وفي هذا اللون من ألوان الدلالة وحدة، وفيه أيضًا دقّة وتحديد يعرفها واضعو اللغة وأصحابها الأصليون، وهم دائمًا الحجة التي يعتد بها، والمرجع الذي يعتمد عليه في إدراك ما خفي من أصول التعبير وأسراره.

وهنالك طبقة أخرى من العلماء ينتمون إلى علماء هذه اللغة العربية بأوثق الأسباب مع ثقافة أخرى أفادوها في فن من فنون المعرفة، وقد استطاع أعلام من هذه الطبقة أن يجردوا من ألفاظ العربية ودلالاتها ألفاظًا ميزها العرف الخاص في علم من العلوم، أو في فن من الفنون، أو في صناعة من الصناعات بدلالة خاصة، أصبحت بها ذات مفهوم خاص عند أرباب هذه المعارف والصناعات. واستطاع أولئك العلماء المتخصصون أن يجمعوا تلك المصطلحات في معاجم مختصة بضرب من ضروب المعارف والعلوم والفنون.

فكانت هنالك معاجم للطب، ومعاجم للحيوان، ومعاجم للنبات، ومعاجم للموسيقى، ومعاجم للبلدان ومعاجم للرجال، وغيرها مما حرص أولئك العلماء على جمعه وتدوينه مما استطاعوا إحصاءه، ليسهل الرجوع إليه والإفادة منه على طلاب المعرفة، وفهم ما يدل عليه في العرف الخاص لكل ضرب من تلك الضروب الثقافية العلمية منه والفنية على السواء.

وذلك بالإضافة إلى حشد كبير من الموسوعات ودوائر المعرفة التي اتسع فيها نطاق البحث ليشمل ضروبًا شتى من المعارف والثقافات التي تعم بها الفائدة لجماعات الباحثين في الثقافة الإنسانية على اختلاف تخصصاتها.

وبقيت **البلاغة العربية** من غير معجم يضم شمل فنونها، ويضم شتات مصطلحاتها التي كانت ذات دلالات وضعية عند أصحاب اللغة الأولين، ثم جنح بها العرف البلاغي إلى تحديد المفهوم الخاص، لتصبح مصطلحات بلاغية محدودة المعنى، واضحة المفهوم.

وقد كان **علم البلاغة** في طليعة علوم الأدب، وكان في الوقت نفسه من أغنى علوم العربية، وأغزرها بالدلالات الخاصة والمصطلحات الفنية؛ لأنه العلم الجمالي الذي يبحث في صناعة الأدب الذي يمتاز بالعبارة الفنية الممتازة، ويحصي مظاهر القوة والوضوح والجمال في التعبير الفني.

وتلك الأسباب هي التي دفعتني إلى تأليف هذا المعجم منذ أحسست بفراغ مكانه في المكتبة العربية، وبالحاجة الملحة إلى ملء هذا الفراغ منذ جنح بي التخصص العلمي إلى البحث البلاغي والنقد الأدبي منذ عهد بعيد.

ومن نافلة القول أن مؤلفي المعاجم في كل لون من ألوان المعرفة لم يكونوا هم الذين ابتدعوا تلك الدلالات التي اشتملت عليها معجماتهم، ولكن الفضل في ذلك كان لأصحاب تلك العلوم أو الفنون الذين محّصوا مسائلها، ودرسوها مفصلة في أبوابها وفصولها بعد أن حصروا مباحثها وموضوعاتها، وأصبحت ذات ضوابط ورسوم ومصطلحات يعرفها الخبراء بها.

ولست أحب أن يفهم من هذا الكلام أن **أصحاب المعاجم أو دوائر المعارف** كانوا بمعزل عن تلك الثقافات التي ألفوا معجماتها، بل إن العكس هو الصحيح، **إذ إنه لا يستطيع التصدي لاستقراء تلك المصطلحات والكشف عن دلالاتها الخاصة في لون من ألوان المعرفة إلا من كان حاذقًا فيه، عالمًا بمباحثه عارفًا بأصوله وفروعه، خبيرًا بمظانّه وأصول البحث فيه، قادرًا على الموازنة بين الآراء، ليمخض زبدتها، ويستخرج الصالح النافع منها.**

منهج التأليف

ولابد من الإشارة إلى أنني استعنت في تأليف **معجم البلاغة العربية** بجميع ما استطعت الوقوف عليه من أصول البلاغة ومظانها المختلفة منذ بدء التفكير والتدوين فيها، ثم تتبعت الآثار المختلفة التي سجل فيها الأسلاف خلاصة الجهد الذي بذلوه في إثراء هذا الفن، وما أكثر ما خلفوا من ثمرات ذلك الجهد الذي لا يقدره إلا أهل الخبرة والمعرفة.

واستطعت بالجدّ والصبر أن أجمع المادة العلمية لهذا الأثر، وأن أنسّقها على النحو التالي:

١ ـ قسّمت هذا المعجم إلى أبواب مرتبة على حسب ترتيب حروف الهجاء.

٢ ـ رتبت المصطلحات والفنون البلاغية في داخل هذه الأبواب على حسب ترتيب حروف الهجاء أيضًا، فالهمزة أولاً، ثم الهمزة مع الألف، ثم الهمزة مع الباء... وهكذا حتى الهمزة مع

الياء، وهكذا كان الضبط والتنظيم في جميع الأبواب التي جعلت حروف الهجاء عناوين عليها.

٣ ـ عمدت في هذا الترتيب إلى الأصول اللغوية في كل مادة من مواد المعجم بعد تجريدها من حروف الزيادة، كما هو متبع في معاجم اللغة التي تراعي الحرف الأول في الكلمات وتجعله الأساس في الترتيب.

٤ ـ لم اقتصر في هذا المعجم على ذكر الفنون البلاغية، ولكنني ضممت إليها من حروف المعاني ما قد يتفاوت في الأداء، وما يؤدي أغراضًا بلاغية في بعض وجوه الاستعمال الفني.

٥ ـ عمدت إلى التعريف الذي رأيت أنه يفي بالحاجة في كل فن من الفنون أو مصطلح من المصطلحات، وقد راعيت في هذا التعريف أن يكون موجزًا بقدر الإمكان، بشرط أن يبقى الوضوح المنشود في المعاجم، وقد يدعو حرصي على هذا الوضوح إلى شيء من التفصيل إذا دعت الضرورة إلى جلاء المفهوم.

٦ ـ قد يكون المصطلح البلاغي واحدًا، ثم تتعدد مفاهيمه عند العلماء الذين يعتدّ بعلمهم ورأيهم. وفي هذه الحالة يتكرر اسم المصطلح في المادة الواحدة بحسب تكرار المفاهيم واختلافها.

٧ ـ وقد يكون الأمر على عكس ذلك، فيتحدد المفهوم ويختلف اسم المصطلح من عالم إلى عالم، وفي هذه الحالة تحصى هذه المصطلحات المؤتلفة لمعنى، ثم أضع كل لقب أو مصطلح منها في الموضع الذي يقتضيه تركيب حروفه وترتيبها، واكتفي بإيضاح المفهوم في أشهر الألقاب التي عرف بها، ثم أحيل إليه غيره، مشيرًا إلى أن هذا هو ذاك، وقد يقتضيْ الأمر أن نشير أيضًا إلى اسم العالم البلاغي الذي خالف غيره في تلك التسمية.

٨ ـ وقد كان لي في بعض فصول هذا المعجم ملاحظات استدركتُ بها على بعض علماء البلاغة، ولم يسعْني إلا أن أسجلها مسبوقة بعبارة: «قُلْتُ:»، فحيثما وجد القارىء هذه العبارة فليعلم أن ما بعدها من تعقيبات مؤلف هذا المعجم.

ولم أرد أن يكون لهذا المعجم الجفاف الذي يحس به قارىء المعجمات المتخصصة، لذلك بذلت الجهد في التوضيح الكافي الذي يجد فيه القارىء بغيته من التعرف الواضح على المفاهيم الحقيقية لكل مصطلح من المصطلحات حتى يستطيع أن يستغني بهذا المعجم عن الرجوع إلى المصادر المتباينة، ويبعد عن متاهاتها بقدر الإمكان.

بين الإحجام والإقدام

ومضت سنوات طوال، وأنا أهم بنشر هذا الأثر، ثم لا ألبث حتى يغلب التردد، فأحجم عن هذا النشر.

وقد يكون من دواعي العجب أن يكون الباعث على الإقدام على نشر هذا المعجم وثيق الصلة بالدافع الذي كان يدعو إلى التردد والإحجام عن ذلك النشر.

لقد كان عامل الإقدام وعامل الإحجام ينبعث كلاهما عن إحساس عميق بضرورة هذا العمل الذي كنت أعده دينًا في عنقي وأعناق غيري من المتخصصين في مجالات البحث البلاغي على قلّتهم في هذا الزمان، وهو دين واجب الوفاء لأمتنا وتاريخها وتفكيرها وتراثها الجدير بالبقاء.

كما كان كلاهما ينبعث عن رغبة صادقة في أن يكون هذا العمل الخالص لوجه الله والعلم، ووجه الثقافة العربية وتراثها في المعرفة، عملاً ناضجًا وافيًا بالمقصود. وذلك ما كنت أشفق منه على نفسي كل الإشفاق تقديرًا مني لخطورة ما أنا مقدم عليه بعد أن أعددت له عدته من الجد الموصول، والأناة في تخطي عقبات طريقه واجتيازها في سبيل الغاية التي نشدت الوصول إليها.

> ״ لم أُرِدْ لهذا المعجم جفاف المعجمات المتخصصة، فبذلت جهدي في التوضيح الكافي. ״

ولعل من أعظم الآمال التي كنت أمني النفس بها أن يرى هذا العمل النور وأنا مازلت في قيد الحياة، حتى يكون ذلك سببًا من أسباب الكمال الذي نشدته له، إذا ما أتيح للعارفين أن يقرأوه، وأن يقفوا على ثغرات نقص فيه، يستطيعون أن ينبهوا إليها مؤلف الكتاب ليتداركها ويقوّم منآدها، إذا وقعت عيونهم على نقص في الاستقراء، أو خلل في التأليف.

وذلك ما لا أنزّه هذا المعجم أو أي أثر من آثاري المطبوعة عن وقوعه فيه، فأنا واحد من جملة البشر الذين استولى عليهم النقص، وإن كنت لم أقصر في طلب الكمال!

ذلك أني كنت أشعر دائمًا بأن ما أقدم عليه من محاولة إخراج كتاب جامع لمصطلحات البلاغة العربية وأدواتها وفنونها ليس باليسير، وأن جهد واحد من المختصين لا يستطيع أن يوفيه حقه كاملاً إلا بعناية من الله وعون منه، لعظم المؤونة وفداحة العبء.

وقد يكون من المناسب، وأنا أتحدث عن تجربتي في صنعة معجم البلاغة العربية، أنني في سنة ١٩٦٤ م قدّمت أصول هذا المعجم كاملة إلى صديق عربي رأيت أنه يشارك في الاختصاص، ليعيد النظر فيه، ويضيف إليه ما قد يرى أنه غاب عني، وشرحت له شفهيًا وفي رسائل متبادلة بيننا النحو الذي ينحوه في العمل كما أراه، وأعطيته الحق في أن يضع اسمه بجانب اسمي، وأن يشرف على طبعه ونشره، فقد يكون عنده من قوة الجسد ونشاط الشباب مالا أجد. وقد ظلت أصول هذا المعجم بين يديه خمس سنوات كاملة، ثم كان أن ذهبت إلى بلده العربي الشقيق سنة ١٩٦٩ م مشاركًا في أحد المؤتمرات العربية التي أقيمت فيه، وكانت المفاجأة التي لم أكن أتوقعها، فقد أعاد إليّ أصول هذا المعجم كما تسلمها، وقال إن ما صنعته فيه الكفاية والكمال المنشودان، وإنه لم يستطع في هذه السنوات الخمس أن يعدّل في الكتاب شيئًا، أو أن يضيف إليه فنًا، فشكرته، وحملت أصول كتابي معي إلى القاهرة!

من تجاربهم



لم يبق بعد ذلك أمامي إلا أمران أحلاهما مرّ، فإما أن أنهض بهذا العبء الذي أشفق منه، وأحتمل ثقله وحدي، وإما أن أدعه طعامًا للأرضة والجرذ، حتى يلفظ آخر أنفاسه ويموت في مهده إلى الأبد.

ولم أرد أن أقدم هذا المعجم إلى دار النشر التي تقوم بطبع كتبي، وتحتمل عني تكاليف الطباعة والإعلان، فقد أشفقت على صاحبها من التكاليف الباهظة في إخراج المعجم بالشكل الذي أريد، ومن الخسارة المحققة التي يتعرض لها، فكم عدد الذين يعنيهم أن يقتنوا نسخًا من هذا المعجم المتخصص في ناحية واحدة من نواحي المعرفة التي لا حصر لها، وهو على كل حال تاجر يجيد حساب الربح والخسارة.

وأخيرًا، تدركني عناية الله، فترحب جامعة طرابلس بالجماهيرية العربية الليبية بهذا المعجم، وتتعاقد معي سنة ١٩٧٤ م على طبعه ونشره لقاء مكافأة قدرها سبعمائة دينار نقدتني نصفها، وبقي النصف الآخر مع النسخ المتفق عليها للهدايا في ذمتها.

ثم صدرت الطبعة الثانية في الرياض سنة ١٩٨١ م، ثم الطبعة الثالثة سنة ١٩٨٨ م. وكانت جملة المطبوع في تلك الطبعات الثلاث خمسة عشر ألف نسخة. وكان مجموع ما اشتملت عليه الطبعة الأولى ٩٠٣ من الفنون والمصطلحات، ووصلت في الطبعة الثانية إلى ٩٢٦، وفي الثالثة إلى ٩٤٥، وتصل في الطبعة الرابعة إلى ٩٧٠ إن شاء الله.

وقد وفق الله إلى هذه الزيادات بإدامة النظر، ومتابعة البحث والتنقيب في أصول البلاغة ومصادرها.

الطبيعةُ الخلّابةُ

شعر: عبدالله بن حمد الشبانه

غنّى الجمال بأندونيسيا حينا ... وقال إنّي هنا أهدي الرياحينا
وأسكبُ اللّحنَ في آذان من عشقت ... آذانه السّينَ بعد الحاء والنّونا
إني أقيم بأندونيسيا جَذِلاً ... فلن ترى مَنْ بها يا صاح محزونا
إذ حَسَّن الله ما فيها فلستَ تَرَى ... شيئًا بها أبدًا يحتاجُ تحسينًا
خرير ماء وأطيار مغرّدة ... تأسو الجراحَ وبالأنغام تحيينا
وسندس أخضر في كلّ مرتفع ... وكلُّ منخفضٍ قد بات يغرينا
بجلسةٍ فوقه وسط الغيوم لكي ... ننسى الهموم التي في النّفس تشجينا
واحسرتاه على أيامنا سلفًا ... ضاعت من العمر بل ضاعت ليالينا
حتى رأينا بأندونيسيا عجبًا ... طبيعة خَلَبَتْ أَلْبَابَنَا حينا
فقام داعي الهوى في النّفس يُخطبها ... يقول هذي المغاني لو تُحيّينا
عيشي الهوى وسط أندونيسيا فرحا ... هذي ديار الهوى أرض المحبّينا
لله هذا الذي شاهدتُ من جبلٍ ... قد زيَّن الله فيه الأرضَ تزيينا
فلا ترى فيه من سفحٍ لقمته ... إلا من الحُسْن أشكالاً أفانينا
فالزهرُ مِنْ كلِّ لونٍ باسمٌ جذِلٌ ... والوردُ يفتحُ أكمامًا يُحيِّينا
وليس فقدُ بلادي ذاك يرخصها ... عندي وإن لم أزل بالحسن مفتونا
فإن حبي لها في القلب منزرعٌ ... تزيده سنوات العمر تمكينا
وإننا حين ننأى عنك يا وطني ... يظل عشقك سهدًا في مآقينا
فلا طعام سوى ما فيك يُشبعُنا ... ولا شرابٌ سوى ما فيك يروينا
وغاية الحب أن نرجو الإله له ... حفظًا ونصرًا وأن يُعلي به الدّينا
وأن يظل لذا الإسلام قاعدةً ... محمية فارفعوا الأصوات آمينا

من المكتبة السعودية





عبد الرحمن بن فيصل المعمر

- **العنوان**: ربع قرن في الحياة والأدب والفن
- **المؤلف**: عبد الرحمن بن فيصل المعمر.
- **الناشر**: دار المعمر للطباعة والنشر والتوزيع الـريـاض، ط ١، ١٤١٤هـ/ ١٩٩٣م (١٠٤ص)

أضاف الأديب عبد الرحمن المعمر كتاباً ثالثاً من مؤلفاته إلى المكتبة العربية السعودية، أطلق عليه (ربع قرن في الحياة والأدب والفن)، وجاء يحمل تسعة وعشرين عنـواناً، تتراوح ما بين الثماني صفحات والصفحتين من الحجم (١٤×٢١ سم)؛ ويبدو أنها مختارات مما كتبه ونشره «بالصحافة في حينها»، طيلة ربع قرن. والكتابة المكثفة في الدوريات، من خلال أعمدة أو زوايا ثابتة، أو إطلالات من حين لآخر، يحاول صاحبها أن يقدم عصارة فكره ورؤيته بأروع صورة مثيرة، وأسلوب شائق، ومعانٍ وأفكار شهية مقبولة؛ ليظل لصيقاً بالقارئ، وصديقاً له. وكل كاتب له فكره وأسلوبه وتناوله وشخصيته. وبها جميعاً، إما أن ينال رضى القارئ وقبوله واستحسانه، أو نفوره وإحجامه واستهجانه.

وعلى ضوء ذلك كله، فقد بدا لنا الأديب المعمر في هذه المقالات، واحداً ممن نال قبول ورضى القارئ في فكره وأسلوبه وشخصيته وروحه التي ظلت قريبة من قارئه بداية ونهاية؛ أي طيلة مقالاته التي يمكن لنا أن ندرجها تحت محورين:

الأول: العمـر الإنسـاني بين الشبـاب والشيخوخة والسعادة. واستغرق أكثر من ثلث صفحات الكتاب. والثاني: يتناول بعض الجوانب الأدبية والفنية والاجتماعية.

وزخرت كتابات الأديب المعمر في المحورين كليهما بالحِكم والعبر الصحيحة الصادقة، ذات الفاعلية القوية في وجدان القارئ وأعماقه؛ لأنها تنهل من تجربـة وخبرة الآخـرين، وتجربتـه هـو ومعاناته ونظراته الواقعية من الحياة. فضلاً عن نصوصه التراثية البليغة التي يستشهد بها في موضعها المناسب. ولأنه أحد أدباء الأصالة العربية، فإنه قريب من منابع ومناهل الفكر العربي والإسلامي الخالد، تراثاً ومعاصرة. فينهل حيناً من نور الله وكتابه، وحيناً آخر من هدي رسوله، وأحياناً أخرى من الصحابة والأئمة، ويراوح بين الأدب العربي القديم ــ شعره ونثره ــ وصنوه الأدب العربي الحديث.

ومقدرة الأديب المعمر على الاستشهاد التراثي متميزة، وكأن ذلك حاضر في ذاكرته، وطوع إرادته وقلمه. يسترجع منه أطايبه. ويبدو لنا دوماً في مختاراته الشعرية والنثرية، وحتى الدينية، حسن الذوق والاختيار.

ومع ذلك ففي ذاكرته أو حاضره شيء قليل من فكر الأوربيين، يستشهد به فيما تعارف عليه عندنا لتأكيد بعض العيوب (ص١٨)، أو في إسعاد الشعوب التعيسة بإضحاكها (ص٣٣)، أو ما قاله سقراط (ص ٣٧) أو أحد مؤلفاتهم (ص ٩٥) عن السعادة، أو بذكر أعلامهم ممن أبدعوا في مجالات العلوم والفنون والسياسة بعقولهم السليمة، رغم أجسامهم غير السليمة (ص ٩٣).

ولقد ظلت شخصية الأديب المعمـر، في كتاباته، بارزة، وبخاصة في نقده الاجتماعي لكثير من المظاهر السيئة، أو العيوب المشينة في النفس الإنسانية، والمجتمع الكبير، والدول الكبرى عامة، التي يمنح القارئ من خلالها رؤية لا تخلو من الحسّ الإنساني، ويتبدّى لنا ذلك كله فيما سيأتي من مواضع الاستشهاد بنصوصه ونصوص غيره ومختاراته، مما لها الوقع الجميل والطيب في نفس القارئ، مهما كان عمره وجنسه.

نقرأ سبعة عناوين أو مقالات، فيما ارتأينا تسميته بالعمر الإنساني بين الشباب والشيخوخة والسعادة.. ففي أول مقال (كلام عن المكث في الأرض)، استدرجه قول متعارف عليه، هو الدعاء للآخرين بطول العمر. ويسترسل مع صراع الإنسان وسعيه وعمل المستحيل من أجل أن يطول عمره، ومع حالات الإنسان وشخصيته وحياته في عمره المديد أو وهو في أرذل العمر، وما ينتابه من ضعف وعجز، وهيهات أن تعود إليه أيام الفتوة والشباب والقوة والجمال. ومع الاستشهـاد المستفيض ينير ظلمات فكر قارئه، ويبصِّره بحقيقة وجوده، ثم يضع أمامه أخيراً سؤالاً مغايراً لما بدأه: «هل نغير من دعائنا لبعضنا ونستبدل [طال عمرك] بآخر غيره؟». ويجيء جوابه بنعم وبدعاء للرسول ﷺ وهو: (اللهم أحينا ما كانت الحياة خيراً لنا، وأمتنا ما كان الممات خيراً لنا).

وستتضح لنا معاني هذا المحور في كلامنا عن خصائص أسلوب الأديب المعمـر الموضوعية والشكلية، ونصوصه عنها، أما ما يمكن أن نقوله في محوره الثاني فسيتجلّى في الوقوف عند بعض عناوينه فنجده مثلاً في (بين الادعاء والصدق في الأدب) يحلل بشيء من الواقعية فكرة نشوء أدعياء الكتابة والأدب ــ من وحي [كلام كَتَبَه الدكتور طه حسين منذ سنين أتيت اليوم بشيء منه] ــ الذين يسيئون بإنتاجهم إلى الفكر والأدب، لذلك أصبحت «حياتنا الأدبية في هذه الأيام موبوءة حقاً، وإن الوباء الذي يفسد طبيعتها ويوشك أن يجعلها شراً خالصاً، إنما يأتيها من ضعف الثقافة وضيقها وقلة حظها من الغزارة والعمق، ومن إقدام الجاهلين والمغرورين على ما لا ينبغي أن يوغل فيه جاهل أو مغرور».

ويحلل لنا الأديب المعمـر أيضاً، (في مفهوم

رئاسة التحرير)، نماذج من رؤساء التحرير، كل واحد مختلف عن الآخر. على أن ذلك يقوده إلى تصوير هموم الصحافة ومسؤوليتها، وبصفته قد مارس رئاستها فإنه يختم كلامه بقوله: «فالحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، إن ربنا لرؤوف رحيم، أعان الله من يتصدى لأي عمل قيادي فكري، فهو لن يسْلم، ولن يُترك [ولو تُرك القطا ليلاً لناما]. »

كما يحلل مرة أخرى (أسطورة الدكتوراه) واقفاً عند أبعادها النفسية وواقعيتها لدى أصحابها، ويرى أن «لقب الشيخ والله أليق وأجل وأعظم هيبة في النفوس. وأبرز علماء المسلمين في العصر الحديث لم يسعوا ويحرصوا على التدكتر». وله رأي صريح حول (إهداء الكتب ابتذال واستهداؤها جور)؛ أي يرفض الإهداء عن قناعة، حجته في هذا الموضوع «هو أن يشتري الصديق كتاب صديقه تشجيعاً له، ويشتري الخصم كتاب خصمه تصيّدا لزلة قلم». ورغم ما يبدو على هذا الرأي من صحة في ظاهره، فإن إهداءات الكتب تظل عملاً جيداً، لا سيما للفئة المشغولة بالكتابة عن الأدب والكتب؛ لأنها لا تجشم نفسها عناء البحث والسعي للحصول على الكتب القيمة لتكتب عنها إلا ما ندر من الذين دأبهم الجري وراء الكتاب الجديد القيم للكتابة عنه.

(وبهذه المناسبة ندعو أصحاب الكتب القيمة إهداء كتبهم الجديدة لهذه الزاوية للكتابة عنها).

وأول خصائص أسلوب الأديب المعمر الموضوعية، هو أنه يعرف كيف يوظف الواقع أو الحدث اليومي أو التاريخي أو الفطرة الإنسانية في رؤية فكرية أو روحية أو وجدانية أو حيوية؛ فمثلاً يستمد من فكرته عن تكوين الإنسان وتطوره ونموه الزمني، وتغير شكله الخارجي، موقفاً ورأياً وحكمة لذلك التغير، حيث بصمة الزمن تغير معالم الإنسان. يقول: «ليحتفظ كل منكم أيها القراء بصور له الآن، ثم يرجع لها بعد خمسين سنة ليرى الفوارق والتباين. قصدت من هذه المقدمة أن أخلص إلى أن الشباب هو ثروة الإنسان التي لا يدركها أحد. والشباب أول العمر وباكورة الحياة، وأطيب كل شيء أوله. فليت من هم في سن الشباب اليوم يعلمون أي ثروة يملكون، وبأي شيء يفرطون».

وهذه المقدمة يعيدها مرة أخرى في الصفحة التالية بهذا الشكل: «ليقف كل منكم عند المرآة وينظر إلى نفسه نظرة فحص وتملّ وتأمل، ثم يقف بعد سنتين الوقفة نفسها. عندها سيشهق بالبكاء والحنين، ويعرف سرّ الحياة وهو يرى التجاعيد الملتوية، والحواجب المنهدمة، والشيب الأبيض يجلل رأسه ووجهه. أين ذهب الشباب والوسامة والصحة والاستقامة؟ ثم يطلق زفرة أخرى! ليس الآن أمامه إلا كهل قد تقوس ظهره، ودهمته الأيام والسنون».

ويسترسل على هذا المنوال ليبين أن الشباب لا يتكرر مرتين، ويستشهد بثلاثة أبيات مطلعها:

عُريت من الشباب وكنت غضاً
كما يعرى من الورق القضيب

وقد يستخلص من المشاهد اليومية الصغيرة حكمة عميقة؛ لأنه هو القائل: «فكم من أشياء صغيرة في الوجود لا تفطن لها، وفيها انطوى سر العالم الأكبر» ص ٦١. لذلك نراه يقول: «واليوم تذكرت زيارتي لأحد شعرائنا الكبار في منزله بجدة، حين دخلت طفلته الصغيرة ومعها كسرة خبز. فلما سألها: ما هذه؟ قالت: (هَم). لاحظوا أنها سمّت الخبز [هماً]. فكيف اهتدت هذه الصغيرة بفطرتها إلى هذه التسمية وعمرها لا يزيد على سنتين؟. يا الله! كيف أدرك هذا الكائن الصغير الذي يدب على الأرض، أن الحلم محصور في الحصول على الخبز؟ نعم. إنه هَمّ البشرية اليوم وسبب صراعها بالأمس». والشيء نفسه يستخلصه من أخبار وقصص التاريخ. وذكر الكثير عن هذا الأمر العظيم، مثل قول الإمام مالك بن أنس: «إذا كانت عند جيرانك جنازة، وليس في بيتك دقيق، فلا تحضر الجنازة، فإن المصيبة عندك أكبر منها عند القوم، وبيتك أولى بالنياح والمأتم من بيتهم».

وثاني خصائص أسلوبه الشكلية أو التعبيرية، هو أن الأسلوب اللفظي، أو شكل الكلمة أو عدد حروفها أو تجانسها أو محسناتها البديعية وزينتها اللفظية، يستدرجه إلى موضوع جذاب وتعبير شائق، مثل كلامه عن لفظة من حرفين، في شكلين مختلفين من اللفظ، واقتران حركة النطق بدلالة المعنى. وهما: (حُبٌّ وحَبٌّ)، إذ يقول: «إن الضمّ جاء مقروناً بحُبِّ العاطفة، والفتح جاء مصاحباً لحَبِّ القمح، فلا يصلح نطق عبارة الحُب إلا بالضم ولا نستطيع أن نزدرد الخبز إلا بفتح الفم». أو في زخرفه اللفظي السجعي عنواناً وسياقاً كقوله: «النصيحة والفضيحة: ومن النصح ما تنقاد له النفوس وتطيع، ومنه ما تحفل منه وتريع» ص ٦٥. فضلا عن السجع الغزير في الصفحات [١١، ١٣، ١٨، ٢٢، ٢٣، ٢٧، وغيرها]. وقد نجد في وصفه الساخر لبعض النماذج البشرية شيئاً من هذه السجعات: «نراه يجلس في كل مكان، ويتحدث مع كل إنسان، ويظهر في كل وليمة وجنازة وميدان، فسبحان الله الحليم المنان» ص٦٩.

كما أنه لا يكتب سخريته وطرافته للإضحاك، وإنما للعبرة التي لا تخلو من السجع والصنعة.

«وبعد فهذا مقال كتبته لا للأفكوهة والابتسام، ولكن للتنبيه والتوجيه والإعلام» ص٧٠. ويبدو أنه متشبع بقوالب السجع الذاتية، فتنتقل إليه عدواها في الحال. فإن رأيناه مثلاً يقول في ص ١١: «فإن قصر عمره اشتكى وناح، وإن طال ملّ وصاح» فإننا نراه في الحال يستشهد بقول أسامة بن منقذ: «لما توقلت ذروة التسعين، وأبلاني

مر الأيام والسنين، صرت كجواد العلاف، لا الجواد المتلاف، ولصقت من الضعف بالأرض، ودخل من الكبر بعضي في بعض، حتى أنكرت نفسي، وتحسرت على أمسي».

وثالث خصائصه التعبيرية هو الإجمال والتخصيص؛ فقد يوجز فكرته مجملاً، ثم يوضحها تخصيصاً، كأن يورد العناصر، ثم يبادر إلى شرحها تباعاً، كقوله:

«وسبعة أصناف لاينبغي لصاحب لبٍّ أن يشاورهم: جاهل وعدو وحسود ومراء وجبان وبخيل وذو هوى. . .» ثم يباشر بإيضاح كل صنف على حدة.

وثمة خصائص أسلوبية وموضوعية كثيرة يتمتع بها الأديب المعمر، وكلها تزين كتاباته وبخاصة في مواضع الحكمة وتجعلنا أحياناً لا ندري أهي أقوال مأثورة أم من صياغة وحكمة المعمر. . مثل هذا الكلام: «وثلاثة لا يسلمون من ثلاثة:

من طلب الدين بالفلسفة لم يسلم من الزندقة، ومن طلب المال بالكيمياء لم يسلم من الفقر، ومن طلب غرائب الحديث لم يسلم من الكذب».

ورغم اهتمام الأديب المعمر بالكتب، فإنه لم يقف عند أحدها عارضاً أو مقوّماً سوى مرتين: واحدة من بضعة أسطر عن كتاب (الفنون) للإمام ابن عقيل، والثانية مثلها عن كتاب (دع القلق وابدأ الحياة) للمؤلف دَيل كارينجي.

قرأنا في (ص ٧٦): «قال الإمام أبو حنيفة للأعشى: ما الذي عوض عنك فقد بصرك؟ قال: استرحت من رؤية الثقلاء». وضعيف البصر هذا لم يدركه أبو حنيفة، فربما كان أعشى همدان. . ولكن هذا ليس بضعيف البصر، فربما كان بشاراً أو غيره وإن ما استشهد به المعمر من بيتين (في ص ٣٣) ليسا هما الحياة أو السعادة وغيرهما المهات. . وبخاصة الشطر الثاني للبيت الأول.



● العنوان: مكانة الإمام أبي حنيفة بين المحدثين.

● المؤلف: الدكتور محمد قاسم عبده الحارثي

● الناشر: بدون. رسالة نالت شهادة الدكتوراه من جامعة الدراسات الإسلامية / الباكستان ط١، ١٤١٤هـ. (٦٦٠ ص).

نقرأ في «تقريض» فضيلة الشيخ (محمد عبد الرشيد النعماني) كلاماً موجزاً من بضعة أسطر منها: «ويعتبر هذا الكتاب من أهم المؤلفات التي ألفت حول الإمام أبي حنيفة النعمان ـ رحمه الله ـ والرد على ما ألصق به من شبهات»، كما نقرأ تقريضاً آخر، من صفحة واحدة، لفضيلة الشيخ (أبي بكر محمد الهاشمي) رئيس مجلس إحياء المعارف النعمانية) بحيدر آباد الهند منه: «وأحب أن أذكر بهذه المناسبة أن جمعيتنا العلمية (مجلس إحياء المعارف النعمانية) بحيدر آباد الهند قد جمع تحت إشراف شيخنا الكبير أبي الوفاء الحنفي الأفغاني رحمه الله تعالى، عدة نسخ لبعض مسانيد الإمام الأعظم لتحقيقها ونشرها بإذن الله تعالى، فمنها: مسند حماد بن أبي حنيفة، ومسند أبي محمد عبد الله البخاري الحارثي، ومسند ابن خسرو البلخي، ومسند الحافظ أبي نعيم الإمام الأصبهاني. . .»

وما أوردنا هذين التقريضين، بما احتويا على بعض الأعلام، إلا لتأكيد اهتمام بعض المسلمين، في البلاد الشرقية، بأبي حنيفة، والالتفاف حول آرائه وفكره. وها هو ذا مؤلف هذا البحث، الدكتور محمد قاسم الحارثي، الذي نال به درجة الدكتوراه من جامعة الدراسات الإسلامية الباكستانية، يقدم لنا عصارة جهده وبحثه عن هذا الإمام الذي قال فيه الشيخ الهاشمي بأنه «إمام أئمة الإسلام، إمامنا الأعظم، وثقة أئمة رجال الحديث من حيث العدالة والحفظ والاتقان والضبط، وأن رجال مسانيده ثقات».

ورغم أن الإمام أبا حنيفة قد ألف فيه وفي سيرته متقدمون ومتأخرون قبل مؤلفنا الحارثي، فإن هؤلاء ـ كما يقول ـ جميعاً إما تابع قد تعصب فيستزله التعصب أو يبعده عن الحقيقة، وإما مناهض مبغض فيجنح به بغضه عن جادة الصواب، فيصحح غير المعقول، ويستصوب المنكر ويخالف أهل العقل. ولهذا فهو يرفض هذين الصنفين من المؤلفين؛ لأنه لا يركن إلى أقوالهم، ولا يؤخذ بجرحهم ولا تعديلهم. وصنف ثالث قد تجرد عن الهوى، ولكنهم قلة، ومع ذلك لم يشبعوا غلة الصادي. فيأتي مؤلفنا ليكمل كل نقص في بحثه المستفيض تمحيصاً ودراسة وتأملاً.

ولأن البحث قدم لهيئة أكاديمية، فقد كان يحمل عناصر تكوينه التقليدية في منهجية البحث. فاشتمل على تمهيد وفصول وأبواب وخاتمة بنتائجها وتوصياتها. ولو عرضنا أساسيات تلك العناصر وفروعها لاكتملت صورة البحث، ووضحت معالم الموضوع في ذهن القارئ.

فالتمهيد يشتمل على ثلاثة عناصر: الأول: عصر وبيئة أبي حنيفة، والثاني: أبو حنيفة بين المولد والوفاة، والثالث: حياته العلمية. أما أبوابه فهي بابان:

الأول: (أبو حنيفة وروايته الحديث)، وهذا يندرج تحته ثلاثة فصول: الأول، عن رواية أبي حنيفة للحديث، وذلك من خلال طلبه للحديث، وشيوخه وتلاميذه.

أما الثاني، فكان عن أبي حنيفة بين الجرح والتعديل، واشتمل على المباحث التالية: العلماء الذين وثقوه، والذين جرحوه والرد على كل كلمة، وحصر ألفاظ التجريح وردها، وحصر بقية الشبهات المثارة حوله ونقدها موضوعياً، والقول الفصل في توثيق أبي حنيفة. بينما الفصل الثالث كان عن آثاره الحديثية التي اشتملت مبحثين:

مسانيـد أبي حنيفة (عـددها وجـامعوهـا ورواتها)، وقيمة هـذه المسانيد العلميـة (نقدهـا علمياً، وآراء العلماء فيها من مـؤيد ومعـارض) وذلك من خلال عرض مائة وخمس وعشرين مسألة فقهية.

أما الباب الثاني فكـان عن أبي حنيفة الفقيه بين الـرأي والحديـث، وقـد بحثـه المؤلـف بتمهيـد وفصلين، فالتمهيـد كان في بيان مفهوم الـرأي عند المتقدمين والمتأخرين واعتماد أبي حنيفة على الحديث في تأسيس مذهبه أصولاً وفروعاً ومعنى الرأي عنده.

أما الفصـل الأول فكان عن موقـف أبي حنيفة مـن الحديث الضعيـف، والثـــاني عن الحديـث المرسل.

وإن في عـرضنـا لهذا الـزخم من المادة العلميـة ليمنح القارئ صـورة أولية عن حجم هـذا البحث الـذي يستحق العنـايـة والاهتمام. ولكن لا نـود أن نظل عند تلك الركائز الموضـوعية دون الوقوف عند بعضها مما يساعدنا على استكمال الصورة المثلى لأبي حنيفة وعصره وشخصيتـه وآثاره ومواقفه وغيرهـا مما ينشدها القارئ. وهي كلها تكمل بعضها الآخر.

فالعصر الذي عاشه أبو حنيفة كان عصراً مليئاً بالأحداث الجسام، فقد انتهت دولة عظمى وقامت دولـة عظمى، وفتحت قـارة بأكملهـا على مشهـد منه، وهـو يرى بعينـه ويسمع كل تلك الأحداث: «ولكن العلماء في كل عصر لا تـؤثر هـذه الأحداث على مسيرتهم العلميـة، ولا تحول دون طـــريقهم» ويحدثنا المؤرخـون أن ذلك العصر كـان عصر رخاء وازدهار، لـدرجة كـان الرجـل، في زمن عمـــر بن عبد العـزيز، يحمل صدقته فيطـوف بها على أماكن الفقراء فلا يجد أحداً يقبل منه الزكاة.

كما أن الفترة التي عـاشهـــا أبـو حنيفـة (٨٠ - ١٥٠هـ) من أخصب فترات الأمـة الإسلامية علماً، حيث حـوت أئمـة السلف وقـادة الفكـر: محدثين ومفسرين وفقهاء ومتكلمين.

ومن آثـار البيئة على حيـاتـه هـو، هجرتـه من الكـوفـة إلى الحجاز إثر بطش الحجـاج بأهلهـا. . واتصاله بعلماء الحجاز، ومنهم كبار التابعين الذين أخـذ منهم صفـوة العلـم. وبعـد مـوت الحجـاج وعودته إلى الكـوفة استمر يطلب العلم حتى أصبح عموداً من أعمـدة العلم فيها. . «وكان بالكـوفة في ذلك الـوقت عشرات المجتهدين الـذين أظهروا لـه الحقد والحسـد وأخذوا ينـافسونـه ويتكلمون عليـه للنيل منـه». على أن العراق كلهـا أصبحت تأخـذ بقول أبي حنيفة وتلتزم بفتواه. ويقول عنه المؤلف بأن مدرستـه مازالت قـائمة حتى الآن، ويتمـذهـب بها أكثر من ثلث العالم الإسلامي.

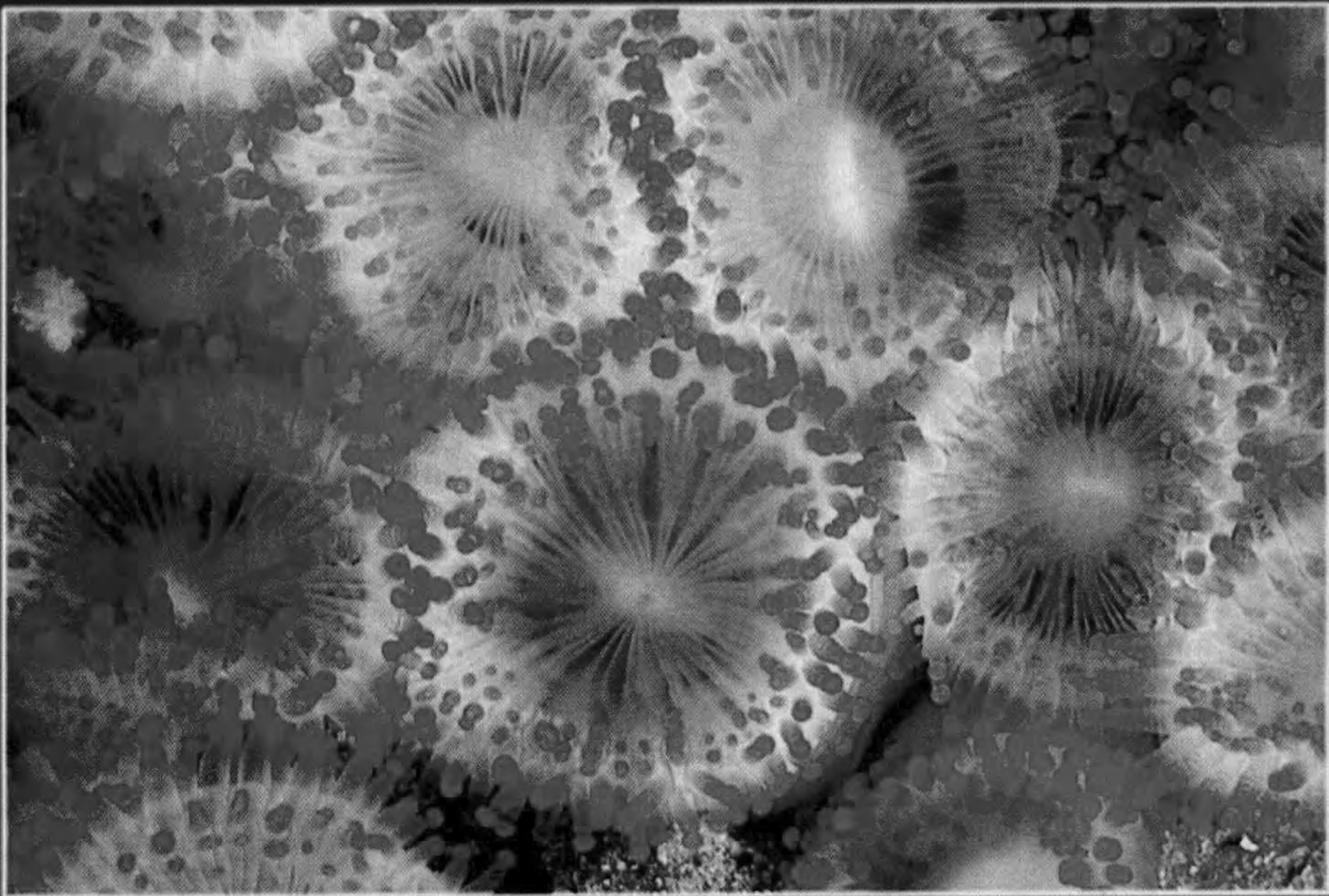
ومن صفاته الخَلْقية والخُلقية هي أنه «كان ربعة يميل إلى الطـول قليلاً، من أحسن النـاس صورة، وأبلغهم نطقـاً، وأكملهم إيراداً، وأحلاهـم نغمة، وأبينهم حجة على مايريد» كما قالوا عن أخلاقه بأنه كـان عابـداً تقياً ورعـاً حليماً كريماً يحترم أسـاتذتـه ويعطف على تـلاميذه، صبـوراً على مطالعـة العلم والتعليم.

وقيل الكثير في موته أو مقتله، حيث انبرى من تـرجم له إلى اتهام المنصـور بقتله في السجن. وقـد استنفرت الأمـة بأسرهـا عند وفـاته، وبكـاه الناس والعلماء والشعراء.

ولقد ناقش المؤلف ثلاثة أحاديث نبوية وردت في فضل أبي حنيفة. وإذا عرفنـا أن أصل أبي حنيفة فـارسي، فإن الحديث الأول، كما رواه أحمد عن أبي هريـرة هو: «لـو كان العلم عند الثـريا لـذهب به رجل من أبناء فـارس» والثاني: «تـرفع زينة الـدنيا سنـة خمسين ومـائة»، والثـالـث: «إن في أمتي، أو يكـون في أمتي، رجـلاً اسمه النعمان، وكنيتـه أبـو حنيفـة هـو سراج أمتي هـــو سراج أمتي هـو سراج أمتي» ومما قالـه المؤلف معلقاً، - وبخـاصة - على الحديث الثالث بأنه موضوع، والوضع ظاهر عليه، وبين سبب الوضع بأنه يرجع إلى التعصب الممقوت الـذي يؤخـر الأمم. ومن تعليقـه على ذلك قولـه: «ولو نزهنا أنفسنـا عن شتم العلماء لما خسرنا شيئاً، ولكن ماذا نقول لهذه الأمة التي أفنت عمرها في مدح فلان وذم فـلان دون أية أسباب مؤدية إلى التطاحن والتشاحن». وإذا كـان عدد العلماء الذين وثقـوا أبا حنيفة أربعة عشر عالماً وإمامـاً - فضلاً عن ستة من المتأخريـن - فإن عدد الـذين جرحـوه كانـوا واحداً وعشرين أوردهم (الخطيـب) في كتــابــه (تــاريخ بغـداد). وقد رد المؤلف على كـل قول تفصيـلاً من ناحية الإسناد والمتن، ثم مناقشته وبخاصة ما نسب إلى أبي حنيفةبأنه واضع كتـاب الحيل؛ وهو أباطيل وهمية استشهـد المؤلف بابن تيميـة في الرد على تلك الأبـــاطيل. كما أورد المؤلف ألفـــاظ التجــــريح (المصطلحية) التي ذكرهـا بعض العلماء المشهورين بـالجرح والتعـديل، أمثـال البخـــاري، وابن أبي حـاتم، والنسـائي، وابن حبـان، والجويني إمـام الحرمين، وابن عـدي، وذكـر مصادرهـا، ثم عـاد فصنفها، ورد عليها واحدة واحدة من أقوال العلماء والأئمة الآخـرين، واستشهد بـالأدلة والقـرائن التي تنفي صحة ما نقله أولئك الأئمة.

ولقـد لخّص لنـا المؤلف مـائة وخمساً وعشرين مسألة حاول فيها (الحافظ ابن أبي شيبة) بعد حشد الأدلة الكثيرة نقد الإمام أبي حنيفـة فيها، من خلال معـارضته للحـديث الشريف. واعتبر المؤلف ذلك العدد قليلاً بالقياس إلى العدد الضخم من المسائل التي لم ينتقـدها. . وهي خمسمائة ألف مسألـة «وفي رواية ألف ألـف ومائتان ألف وسبعـون ألف ونيف مسألة».

وأخيراً إن البحـوث التي تحمل في طياتها نتـائج طيبة، هي الأعمال الجديدة بـالبقاء والاهتمام ومؤلفنا الدكتـور محمد قـاسم الحارثي، وصـل بنـا إلى نتائج قيمة أبرزها ظهور أصوات هنا وهناك تنادي في خفاء تارة وفي إعـلان تارة أخرى، تنـدد بالمذهب الحنفي وغيره لكي تعود بالمسلمين إلى تفرقهم من جديد إلى بضع وسبعين فرقـة. . فنتيجة لهذه الأصـوات جاء بحثـه وقـد أوصى كل بـاحث مسلم أن يبتعـد عن التعصب في كل قضيـة خـلافية، وأن يكـون نظـره بعيداً.



شقائق النعمان: كائنات بحرية أم مجموعة من الأحجار الكريمة جمعت لتكون عقداً جميلاً

العالم السحري
تحت مياه نيوزلندا

بقلم وتصوير : ديفيد دوبلت ترجمة : محمد أحمد النهاري

تتجلى قدرة الله سبحانه وتعالى في خلق الكائنات على اختلاف أحجامها وألوانها وأنواعها. فلا يكاد يُوجَد مكان على سطح الأرض أو تحت سطح الماء إلا وتجد فيه سمات الجمال الرباني الذي وهبه الكوكب الجميل. وبالرغم من ذلك، فالصراع بين مختلف الكائنات الحية فوق أرضه، وفي قاع مياهه لا يتوقف. صراع من أجل البقاء ـ ولعل المملكة الحيوانية تحت سطح البحر خير مثال على ذلك ـ فالقوي يأكل الضعيف لاستمرار النوع ولإتمام دورة الحياة. ومنذ القدم عرف الإنسان بشغفه بأسرار البحر؛ فحاول مراراً النزول إلى أعماقه واستكشاف أسرار ذلك المخلوق الزاخر بالخيرات والكنوز، وقد نجح في ذلك إلى حد بعيد. إلى جانب ذلك استطاع أن يغترف من كنوزه الهائلة من لؤلؤ ومرجان وأصداف جميله. بل إن الإنسان استطاع ـ أيضا ـ أن يطوع موجات البحار في تحريك أشرعة السفن والقوارب ليجوب العالم فوق مياهها، بالرغم من خطر هذه الموجات المميت أحيانا.


السمكة القزيعة الملقبة بالقرمزية المرعبة

ولم يتوقف الإنسان عند هذا الحد من البحث والاستكشاف؛ بل إنه نقل ذلك إلى العالم من خلال تصوير سلسلة من الأفلام السينمائية لعالم ما تحت سطح الماء، بل جُهِّزت سفن واختُرِعت معدات من أجل هذا الغرض.

ومن أولئك المهتمين بهذا العالم الغريب العجيب، العالم «ديفيد دوبلت» الذي قام بالغطس تحت سطح مياه نيوزلندا لينقل لنا صورة ناطقة لما شاهده هناك. قال:

«عندما غطست في أعماق البحر، شعرت كأن دولاً تقبع هناك تحت سطحه. حدودها ما لانهاية، ودرجة حرارتها لا تخضع لمقياس معين أو موسم معين.

والحياة الغنية المتنوعة لمياه نيوزلندا لا تقارن إلا ببعض الأماكن القليلة في العالم. فهي تقع بين محيطين، المحيط الباسفيكي والقطب الجنوبي، وتعد أعشابها المائية مسالمة، إذ تقع في مناطق معتدلة بين الشعب المرجانية والاستوائية في الشمال، والمياه الباردة في الجنوب.

ولهذا تأثير كبير على تواجد بعض أنواع الأسماك والقشريات. فبعض الكائنات البحرية تقوم بنزوح جماعي من منطقة إلى أخرى تحت سطح البحر، لتوجد لنفسها مكانًا معتدلاً وآمنا تتمكن من التكيف معه. ومن تلك الكائنات:

السمكة العقرب

تشعر لأول وهلة بأن لهذا النوع من السمك عينين حذرتين يقظتين، ولكن لا تخلوان من المكر والدهاء. وهي لا تتردد أبدًا في اقتناص فرائسها من الرُّبيان والأسماك الصغيرة مستخدمة في ذلك سرعتها الهائلة التي تشل من خلالها تفكير الفريسة في التصرف أو الإفلات ، وتلعب الأهداب المغطية لجسمها دورًا كبيرًا في التمويه، فالذي ينظر إليها دو ن أن يمعن النظر يشعر كأنها نوع من الأعشاب البحرية المسماة بـ« كاوليربا». وهذه الأعشاب تكثر في المياه





الحلزون المهرج يغازل أنثاه



السمكة الطائرة في موسم التزاوج

النيوزلندية، لذلك تسبب صعوبة كبيرة في تمييز هذه السمكة.

وتوجد على العمود الفقري لهذه السمكة زعنفة تحمل سمًا زعافًا يمكنها من قتل الكائنات الصغيرة، وتسبب أيضا إصابات مؤلمة للبشر ، ويكثر هذا النوع من الأسماك في جزيرة «بورنايتس»، وهي إحدى الجزر الشمالية للسواحل الشمالية الشرقية لنيوزلندا. هذه الجزيرة تعد واحدة ضمن منظومة من الجزر النيوزلندية الجميلة.

وتمتلئ «بورنايتس» بالبراكين الخامدة والكهوف المتعددة الفتحات، وتعد هذه الكهوف مكانا آمنا لتوالد العديد من الأحياء المائية وتكاثرها، مثل الحلزونات، التي تسمى بعاريات الخياشيم، ولكثرة ألوانها وصفت بالمهرج. فطولها لايتجاوز البوصة والنصف، وتعد من الرخويات الغريبة، فهي تحتوي على الأعضاء المذكرة والمؤنثة في الوقت نفسه، ويشاهد الحلزون في يمين الصورة وهو راقد على البيض،بينما الآخر مستمتعا بمغازلته.وهناك أنواع أخرى من الحلزونات التي تفرز مادة غروية تؤدي إلى التصاقها بالصخور والسفن مما يسبب إعاقة وشلاً لحركة السفينة. وتكلف إزالة الحلزونات الغروية آلاف الدولارات سنويًا.

السمك الطائر

يتخذ هذا السمك جيبا صخريًا ليكمل عملية التزاوج في هدوء . ويدل اللون الزهري في أعلى رأس السمكة الطائرة على أن موسم التزاوج قد حل. ولانسياب شكلها الدور الكبير في تسهيل تحركها وجعلها تبدو كأنها تحلق في الفضاء.

شقائق النعمان

تبدو في الماء متراصة كأنها مجموعة من الأحجار الكريمة التي وضعت بعناية فائقة لتكوّن عقدًا جميلاً . وتشكل

مجسات شقائق النعمان ـ عندما تتصل ببعضها بعضا ـ شركًا للإيقاع بالعوالق البحرية التي تشكل الغذاء الرئيس لها.

وتضفي الكمية الهائلة من شقائق النعمان الموجودة في جزيرة «بورنايتس» جمالاً على تلك الكهوف، وتشعر الرائي بأن هذا الشفق المتوهج ناتج من غياب الشمس. ويحرص الغواصون والمصورون على التقاط أكبر كمية من الصور لهذه الأكاليل الجميلة من شقائق النعمان. وهناك عدد كبير من المصورين والرسامين الذين قاموا بأعمال فنية رائعة توضح تشكيلات جميلة من شقائق النعمان.

قنفذ البحر

يختبئ هذا القنفذ البحري بين الطحالب والأعشاب البحرية. ولروعة جمال ألوانه، كالأسود والأحمر الداكن، دور كبير في إعطاء منظر جميل لهذا القنفذ المحاط بأشواك منسوجة بعناية فائقة، لتمكنه من الدفاع عن نفسه عند الخطر. ومن المستغرب أن يكون هذا اللون الأحمر الجميل للتمويه، لكن هذا اللون يصبح غامقًا تحت الماء وعند حلول الظلام، فلا يتمكن المهاجم من مشاهدته بسهولة.

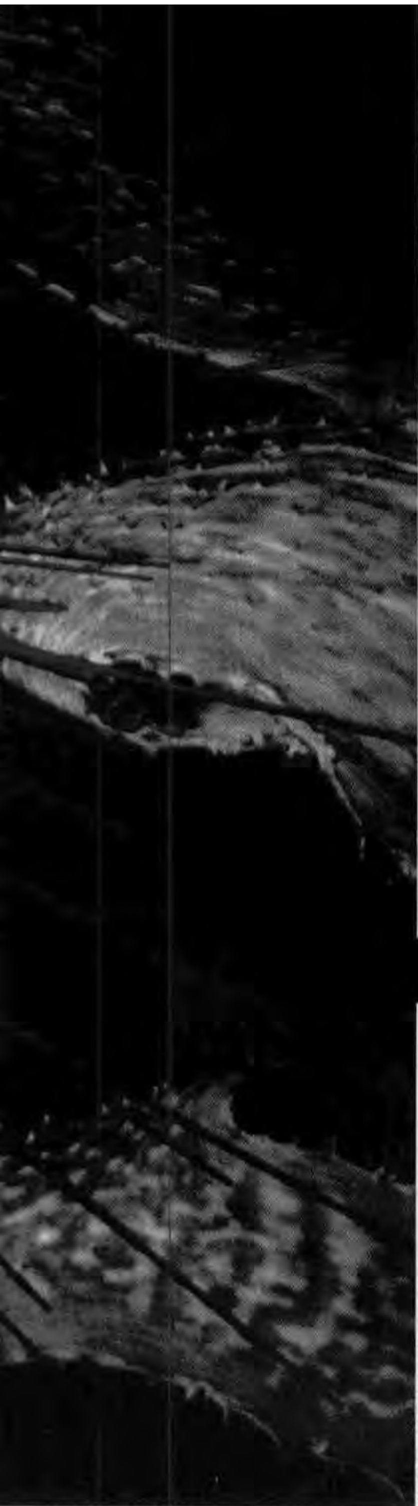
سرطان البحر (جراد البحر)

يرتدي هذا النوع من القشريات درعًا واقيًة لجسمه الهلامي . ويوجد عادة على شكل جماعات ملتصقًة بالصخور أو السفن المحطمة. ويغطي صدفته شعر خشن، ويوجد في مقدمة رأسه قرن يشبه الشوكة لحماية عينيه ولمساعدته في اصطياد العوالق البحرية . ويجد صيادو الأسماك مُتعة في اصطياده لقيمته الغذائية العالية ولإقبال الناس على تناوله. ويتم تصديره أيضًا إلى أنحاء العالم كافة.

عنكبوت البحر

لعل التسمية التي أطلقت على العنكبوت البحري بأنه ذو الأرجل المتجمعة تسمية خاطئة . فقد وجد من هذا النوع حوالي ٦٠٠ نوع منتشرة في أنحاء العالم. وتظهر المصابيح المسلطة عليه طريقة زحفه على الصخور التي تظهره كأنه شيخ يتلمس طريقه. وتشكل الأعشاب المتشابكة عائقًا طبيعيًا لهذا المخلوق. فهو يخشى على أطرافه من الاشتباك معها، فيحرص على السير في الأماكن الملساء.

ويتغذى العنكبوت البحري على شقائق النعمان مستخدمًا في ذلك أنبوبًا موجودًا في فمه، ليتمكن من خلاله من امتصاص السوائل الموجودة داخل شقائق النعمان.





سرطان البحر، مصدر متعة للصيادين لقيمته الغذائية العالية



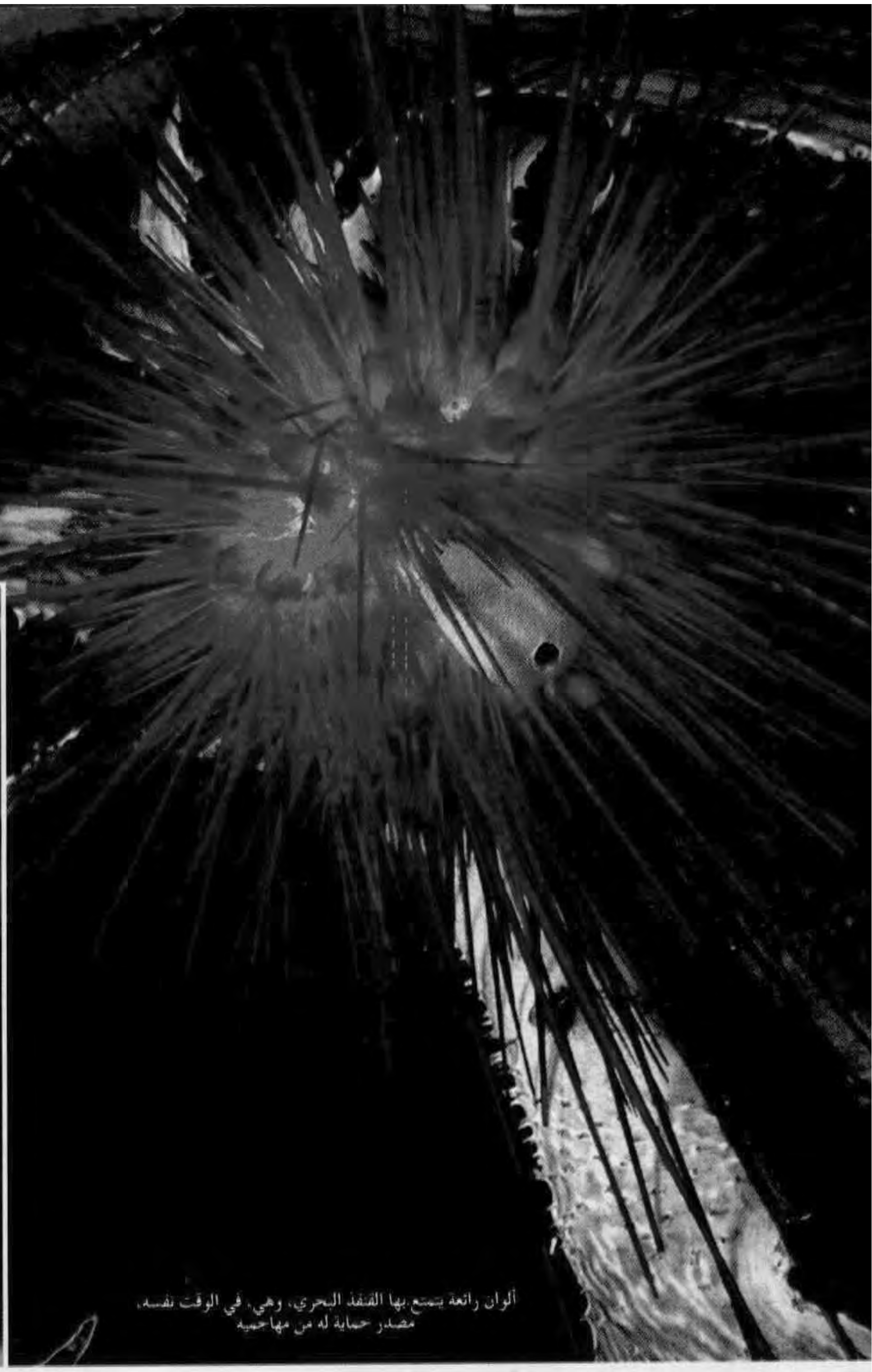
مراقب النجوم، يقبع في انتظار فريسته

مراقب النجوم

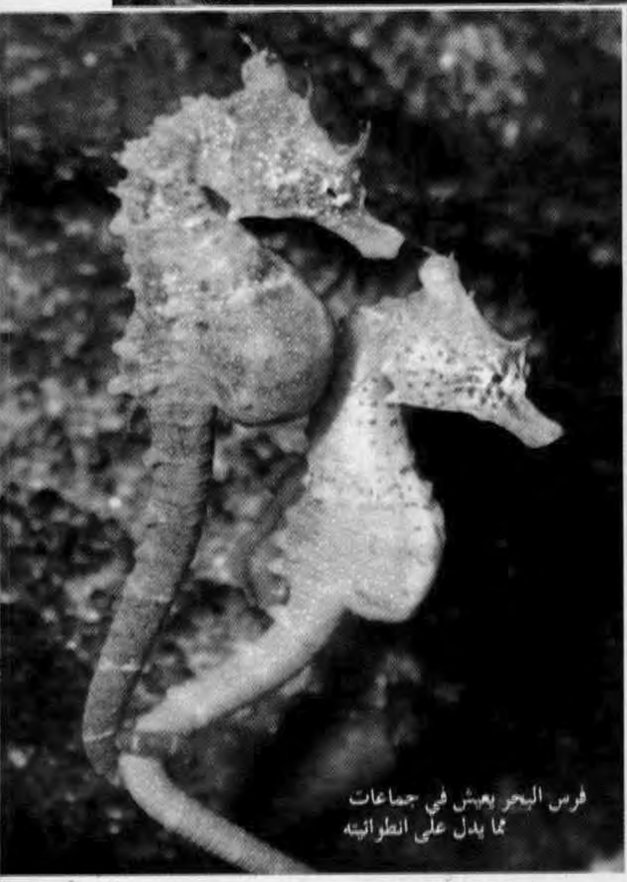
يبدو شكله كأنه رغيف متعفن . ويقبع مراقب النجوم هذا على عمق ١٢٠ قدمًا. ومشاهدته تعد صعبة نظرا للونه المقارب لألوان الأعشاب والطحالب البحرية، ولأنه عادة ما يكون مدفونًا تحت الرمال. وهو من الحيوانات البحرية الصبورة، إذ ينتظر فريسته حتى تمر بجانبه ليتمكن من اصطيادها وإن طال انتظاره. ويوجد لديه عدد من القرون التي تقوم بدور الحماية لخياشيمه.

فرس البحر

يبدو لأول وهلة كأنه خنزير بري متوحش . يوجد في مقدمة رأسه خرطوم يمتد ويتسع كلما احتاج لتناول وجبته من القشريات أو الدود أو اللافقاريات الأخرى. وتوجد في جزيرة «ستيوارت» أنواع من فرس البحر يبلغ طولها حوالى



ألوان رائعة يتمتع بها القنفذ البحري، وهي، في الوقت نفسه، مصدر حماية له من مهاجميه



فرس البحر يعيش في جماعات مما يدل على انطوائيته

القدم، وتظهر عند اشتداد حركة المد والجزر بخاصة . ويتمكن بعض الصيادين أيضا من الإمساك بها بسهولة . وقد تمكن بعض العلماء من دراستها عن طريق زراعة كمرات بين الحشائش والأعشاب البحرية. وتتواجد أفراس البحر على شكل جماعات، وهذا يدل على انطوائيتها وعدم مشاركتها للكائنات البحرية الأخرى.

وتأخذ بعض من قطعانها اتجاهات مختلفة، فهناك مجموعة تسير في الأماكن الضحلة، ومجموعة أخرى تفضل المناطق الرملية محافظة على خياشيمها من الأتربة والرمال. ويبلغ طول الذكر عادة حوالى ٧,٥ بوصة. ويحمل في بطنه المنفوخ البيض الذي يضعه للأنثى للرقود عليه. ولتسهيل عملية الانتقال من مكان إلى آخر يبدأ فرس البحر في تحريك زعانفه للأمام، فيبدو كأنه طائرة مروحية (هليكوبتر) من بعيد منحنيًا للرياح المتحركة في قاع البحر.

السمكة القزيعة «القنبرة»

تلقب بالقرمزية المرعبة؛ نظرا لشكلها الذي يبعث الخوف والرهبة في نفس من يراها . تتواجد بكثرة في جزيرة «ستيوارت»، ولها ذكاء شديد في إيجاد مخابئ تُمكّنها من الاختباء منفردة أو في جماعات. وعندما تختبئ بشكل جماعي تظهر كأنها جذع ضخم لشجرة كبيرة.

ويشكل عمودها الفقري بما يحويه من زعانف غريبة الشكل منظرًا مهيبًا، فتبدو كالمصفحة أو المحارة أو الإسفنج . وتتغذى هذه السمكة على العوالق البحرية والأسماك الصغيرة جدًا.

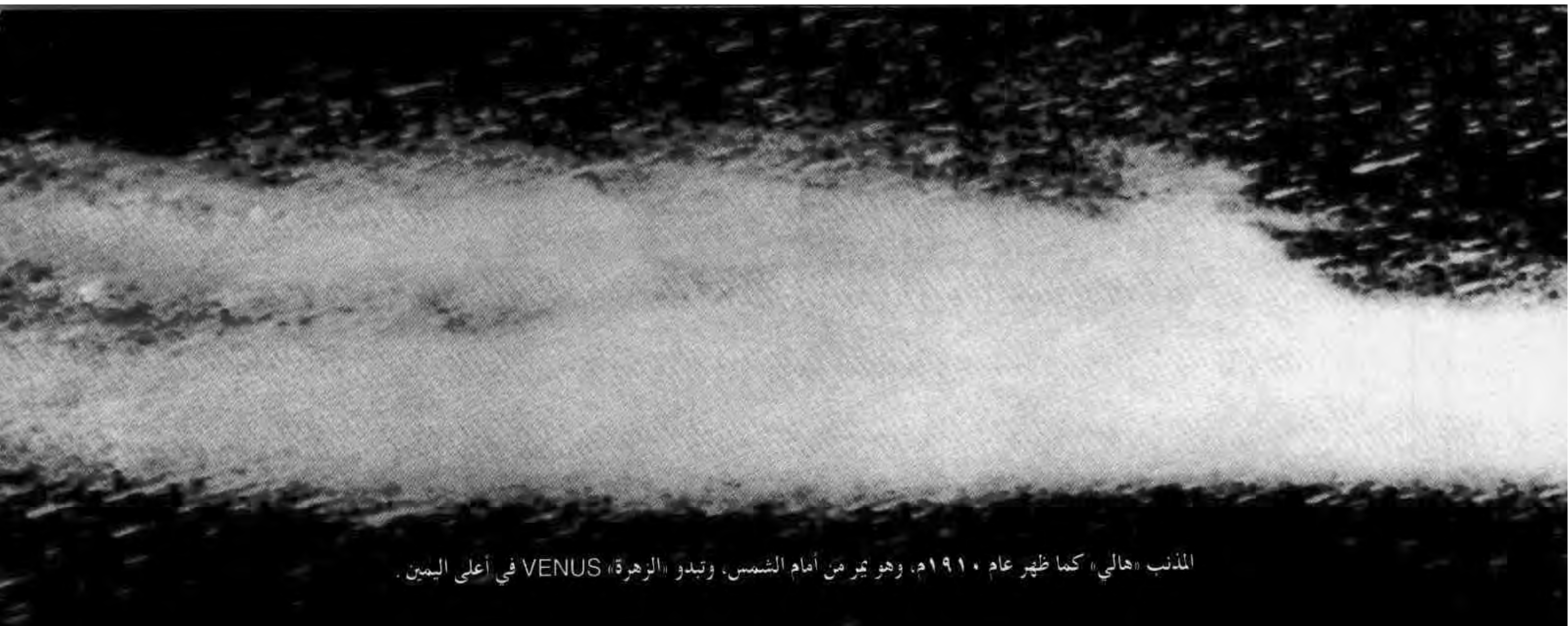
المصدر

مجلة ناشيونال جيوجرافيك، المجلد ١٧٦، العدد الرابع، أكتوبر ١٩٨٩م.

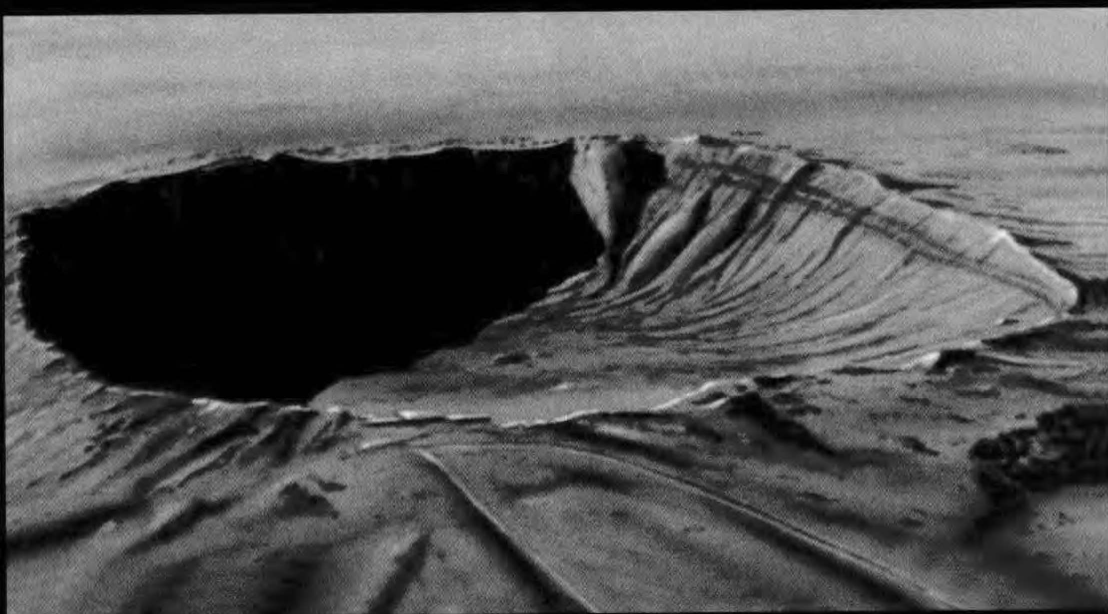


الخطر يحيق بالأرض

د. صلاح يحياوي



المذنب «هالي» كما ظهر عام ١٩١٠م، وهو يمر من أمام الشمس، وتبدو «الزهرة» VENUS في أعلى اليمين.



فوهة الشهاب METEOR CRATER في أريزونا في الولايات المتحدة، وقد تشكلت منذ ٥٠,٠٠٠ عام بفعل سقوط أحد النيازك على الأرض.

الفضاء مملوء بأشياء تهدد الأرض، وقد وصف هنري ميلوش MELOSH من جامعة أريزونا ما قد يحدث إذا ما سقط من الفضاء شيء يبلغ قطره ستة أميال[١] واصطدم بالأرض، فيقول:

«يأتي من السماء كهبة ريح من سقر، إنه أكبر من جبل، جبلٌ مفعم بطاقة تزيد على طاقة أسلحة العالم النووية جميعها، فيضرب الجو بسرعة تعادل مئة ضعف سرعة أشد الرصاصات انطلاقا، ولن تنقضي ثانية واحدة حتى يصفع الأرض بقوة انفجار تبلغ ١٠٠ مليون ميجا طن[٢] من الـ ت. ن.ت TNT[٣]، وتنتشر موجة الصدمة بسرعة ٢٠,٠٠٠ ميل في الساعة، فتسوي كل ما يقع ضمن دائرة قطرها ١٥٠ ميلاً، وينطلق إلى الجو من موقع الصدمة في الوقت نفسه ذيلٌ من حجر متفجر قاذفا حطاما حارا، ويبرد بخار الصخر متكثفا إلى مئات الملايين من صغار الحصى التي سرعان ما تسقط على الأرض. وما إن تمضي ساعة واحدة من الزمان حتى تسخن، وسرعان ما يتوهج الهواء بلون قرنفلي حاد، ويفح البخار من الأوراق الخضراء، ويندلع اللهب من الأبنية والأشجار، ويتحد الآزوت (النتروجين) بالأكسجين في الجو معطيا حمض الآزوت الذي يجعل المطر حمضيا كاويا كأنه حمض في بطارية سيارة، فيرجم أي كائن بقي على

قيد الحياة يحاول أن يحبو خارجًا من جحر أو كهف».

إن هذا الوصف قد ينطبق على ما أحدثه المذنب الذي ضرب الأرض منذ نحو ٦٥ مليون سنة مضت، فقتل الديناصورات، وأفنى ثلثي الحياة على الأرض، وقد ينطبق على ما يمكن أن يحدثه المذنب المدعو سويفت - تاتل SWIFT - TUTTLE (٤) الذي هو كرة مُتَجَوِّلَة من غبار متجمد.

يقول الفلكيون:

«ما على المرء إلا أن ينظر إلى الفوهات على أسطح الكواكب، وعلى سطح قمرنا حتى يتحقق من وجود رواق رميٍ كوني».

لقد تكونت على عطارد والزهرة والأرض، وعلى العديد من الأقمار فوهاتٌ بركانيةٌ عملاقة عبر الدهور، وذلك من جراء سقوط كويكبات ومذنبات ومواد أخرى عليها، سقطت لأنها ما استطاعت البقاء في مدارها».

ولم يتضح للعلميين عدم توقف تلك العاصفة عن السقوط إلا عام ١٩٤٠م. إذ يقدر بأن عشرين طنًا من الدقائق - لايزيد حجم أغلبها على حجم حبة الرمل - تسقط كل يوم على الأرض. وقد تكون هذه القذائف أكبر من حبات الرمل، إذ تسقط كل عام على الأرض آلاف الأحجار النيزكية التي تبلغ في حجمها قطع الفحم، لكنها لا تؤذي عادة. غير أن أحدها اخترق بعنف سقف مرآب في ولاية إيلينويز ILLINOIS في الولايات المتحدة عام ١٩٣٨م، وضرب آخر سيارة في إحدى ضواحي مدينة نيويورك في تشرين الأول (أكتوبر) من عام ١٩٩٢م، دون أن يحصل أي أذى في كلا الحالتين. وفي عام ١٩٨٩م، في الثالث والعشرين من آذار (مارس) أخطأ كويكب - قطره يعادل نصف ميل - الأرضَ بنحو ٧٠٠,٠٠٠ ميل. لم يشاهده أحد قادمًا، ولولا لطف الله لتأخر في القدوم ست ساعات فأزال الحضارة من على سطح الأرض.

يقول الفلكي دونالد يومانس YEO-MANS من مختبر الدفع النفاث بالهيئة القومية لأبحاث الفضاء «ناسا» في باسادينا في كاليفورنيا: «تدور الأرض في مجراها حول الشمس في سرب من الكويكبات، لذلك سيضرب أحدها كوكبنا عاجلاً أم آجلاً».

لقد قدرت هيئة المستشارين في هذه الوكالة في كانون الثاني (يناير) من عام ١٩٩٢م، عدد الكويكبات التي تجتاز مدار الأرض، ويزيد قطرها على نصف ميل (وهو الحجم الذي قد يرجع حضارتنا إلى العصر الحجري) بما يتراوح بين ١٠٠٠ و ٤٠٠٠ كويكب، ولكن لا



صورة حقيقية لانفجار «السوبر نوفا»، التابع لسحابة ماجلان الكبرى في مجرة درب اللبانة.





مذنب ويست WEST أحد المذنبات التي تهدد الأرض بالخطر



فوهة WOLF METEORITE CRATER في غرب استراليا، تشكلت من سقوط حجر نيزكي، وقد اكتشفت من الجو عام ١٩٤٧م.

يعرف من هذه الكويكبات سوى ١٥٠ كويكبًا؛ في حين لا يعرف شيء عن نحو ٣٠.٠٠٠ كويكب تجتاز مدار الأرض ولا يقل قطرها عن ٣٠٠ قدم(٥).

لقد تلقت الأرض ضربات كبرى عددًا من المرات لا يقل عن ١٣٩ مرة، وذلك من استقراء أثر الفوهات على سطح الأرض(٦).

وقد نشر الفلكي ديفيد رابينوفيتش RABINOWITZ من جامعة أريزونا تقريرًا جاء فيه أن نحو ٥٠ كويكبًا تتراوح أقطارها بين ١٦و١٦٠ قدمًا اقتربت من الأرض إلى مدى ينقص عن بعد القمر عن الأرض. إن هذه الكويكبات التي هي من صخر أو معدن تسبح في أكثر الأحيان بين مداري عطارد والمشتري؛ وقد يصطدم أحدها بآخر فيدفعه باتجاه الأرض.

إن هذه (البلياردات) الكونية تؤمن تزويدًا ثابتًا بكويكبات جديدة ذات مدارات يمكن أن تتقاطع مع مدار الأرض.

وتأتي تهديدات أخرى من بعيد، من



إحدى الفوهات الموجودة على سطح القمر، تشكلت بفعل سقوط النيازك عليها

منطقة خلف بلوتو تدعى سحابة أورت OORT (٧)، وهي مملوءة بقطع غليظة من غاز متجمد ومذنبات من الغبار. وفي هذه السحابة تنحرف المذنبات بضربة جاذبية من سحابة مؤلفة من غبار وغاز تمر بقربها، فتنطلق بسرعة باتجاه الأرض. وما إن تُحَوِّلُ حرارةُ الشمس الغازات المتجمدة إلى بخار حتى ينمي المذنبُ ذيلاً ويثور بنفثات غاز وغبار . إن نحو ٢٠٠ مذنب تمر قريبًا من الأرض أكثر من مرة كل قرنين، وهي تضم سويفت - تاتل وهالي HALLEY (٨). ولا أحد يعرف عدد المذنبات المجهولة المتوجهة إلينا.

يقول الفلكي كلارك شابمان CHAP-MAN من المؤسسة الدولية للتطبيقات العلمية في توسكن TUSCON في ولاية أريزونا في الولايات المتحدة: «لن نستطيع رؤية المذنبات الآتية إلينا حتى تغدو قريبة منا»

لقد شوهد سويفت - تاتل مرتين على الأقل قبل ذلك، ولايزال الخطر كامنًا فيه، فقد رؤي آخر مرة (٩) عام ١٨٦٢م، كما حدد موقعه في أيلول من عام ١٩٩١م فلكي ياباني هاو ، وذلك على بعد ١١٠ مليون ميل من الأرض. وقد حسب برايان مارسدن MARS-DEN من مركز هارفارد السميثوني للفيزياء الفلكية، تاريخ عودة المذنب، فأعلن أنه سيعود بعد أن يخرج متأرجحًا مجتازًا بلوتو في مدار دورته ١٣٤ سنة، وذلك في ١٤ آب من عام ٢١٢٦م. وسيكون في زيارته هذه أقرب إلى الأرض مما كان عليه عام ١٩٩١م. وصرح مارسدن بأن نفثات سويفت - تاتل قد تدفعه برفق بعيدًا عن مجراه المرسوم، وعندها قد يضرب الأرض ، وأن أحفادًا رُضَّعًا اليوم قد يحضرون الصدمة عندما يكونون في سن الشيخوخة!

إن سويفت - تاتل هو واحد من آلاف الصخور المهلكة المحتملة، وليس من الحكمة انتظار سقوط السماء على الأرض، لذلك دعت هيئة المستشارين في وكالة «ناسا» إلى إنشاء نظام تحذير مبكر، وذلك باستعمال ستة مراقيب طول كل منها متران أو ثلاثة أمتار، فيتمكن الفلكيون من تحديد مواقع أكثر من ٩٠٪ من الكويكبات التي يزيد قطرها على نصف ميل، وبحساب مدارات آلاف الكويكبات والمذنبات التي يتقاطع مسارها مع مسار الأرض سيجد الفلكيون حتمًا عددًا منها في مجرى التصادم.

ولوقاية الأرض من التصادم يقترح بعض الخبراء تطوير قنبلة أشد قدرة من أي من أسلحة اليوم بعشرة آلاف ضعف وذلك لضرب الكويكب القادم وحرفه عن مجراه.

ولكن ....

﴿إذا وَقَعَت الواقعةُ. ليس لوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ. خافضةٌ رافعةٌ. إذا رُجَّتِ الأَرضُ رَجًّا. وبُسَّتِ الجبالُ بَسًّا. فكانت هَبَاءً مُنبثًّا﴾ الواقعة ١-٦.

الهوامش

١- الميل وحدة مسافات تعادل ١,٦ كيلو متراً.
٢- الميجا طن = مليون طن
٣- الـ ت.ن.ت T.N.T: ثلاثي نترو التولوئين، المادة العضوية المتفجرة المستعملة في صنع المتفجرات.
٤- سويفت - تاتل SWIFT- TUTTLE مذنب سُمِّيَ باسم الفلكيَّيْن الأمريكيَّيْن اللذين شاهداه خلال الحرب الأهلية الأمريكية.
٥- القدم وحدة طول تعادل ٣٠,٤٦ سنتيمتراً.
٦- (أ) فوهة مانيكواجان MANICOAGAN في كيبك في كندا، وقد تشكلت قبل ٢١٢ مليون عام.
(ب) فوهة كارا - كول KARA- KUL في تاجيكيستان (الواقعة بين أوزبكستان والصين وأفغانستان)، وقد تشكلت منذ أكثر من ١٠ ملايين عام.
(جـ) فوهة الشهاب METEOR CRATER في أريزونا في الولايات المتحدة، وقد تشكلت منذ ٥٠,٠٠٠عام.
(د) فوهة وولف كريك WOLF CREEK في غرب أستراليا، وقد تشكلت منذ ٣٠٠,٠٠٠ عام.
هـ) فوهة لونار LONAR في ماهاراشترا في الهند وقد تشكلت منذ ٥٢٠٠ عام.
٧- سحابة أورت OORT دُعيت باسم مكتشفها الفلكي الهولندي JAN OORT الذي توفى عام ١٩٩٢م.
٨- مذنب هالي HALLEY، وقد دعي باسم الفلكي الإنجليزي الذي رآه في القرن السابع عشر وتنبأ بعودته.
٩- رآه أول مرة عام ١٧٣٧م مبعوث جيزيوتي إلى الصين.





تلوّث الهواء وتأثيره في المناخ

د. زين العابدين متولي متولي

استطاع الإنسان خلال السنوات القليلة الماضية أن يحدد بعض التغيرات التي تحدث في تركيب الغلاف الجوي، ولقد كانت هذه التغيرات كثيرة وكافية لكي تشد انتباه مختلف الأوساط العلمية واهتمامها.

وبالرغم من أن هذه التغيرات في تركيز بعض مكونات الغلاف الجوي قد تكون طبيعية، إلا أن كثيرا منها تسببه نشاطات الإنسان المختلفة. فمن الثابت، مثلا، أن الزيادة في كم أو محتوى ثاني أكسيد الكربون ترجع إلى الاستخدام المتزايد للوقود ذي الأصل العضوي.

وينشأ التلوث الجوي من وجود ملوثات أو مفسدات للجو، سواء كانت صلبة أو سائلة أو غازية. وبالقدر الذي يشكل هذا التلوث خطراً على الأشياء والممتلكات، فإنه يؤثر في حياة الإنسان والحيوانات والمزروعات، أو يؤثر، على الأقل، في أنشطة الإنسان ورفاهيته وسعادته في الحياة، ويسبب له أمراضاً عصبية ونفسية تجعله يعيش في توتر دائم.

لقد تزايد الاهتمام في السنوات الأخيرة بآثار التلوث في طبقة الأستراتوسفير، كما تزايد بشكل خاص بالنسبة لاحتمال وجود نقص في كمية الأوزون عند هذه الطبقة بسبب التفاعلات الفوتوكيميائية. ويرجع منشأ هذا الاهتمام إلى خطر الإشعاعات فوق البنفسجية الشمسية التي تدخل طبقة التروبوسفير (الطبقة الملاصقة لسطح الأرض) وإلى ما يحتمل من النتائج المناخية. وللأوزون أهمية عظمى في الأستراتوسفير لأنه يحدد إلى حد كبير التركيب الحراري الأساسي، والدورة العامة لرياح هذه الطبقة، وذلك بفضل امتصاصه للإشعاع الشمسي فوق البنفسجي، والأثر الحراري الناتج عن ذلك. كما أن له مهمة



ماتبقى من إحدى غابات تشيكوسلوفاكيا، بعد أن حل الضباب المحمل بالأبخرة الحامضية ضيفا عليها ليقضي على جميع مظاهر الحياة فيها.

واقية في طبقات الجو العليا، لأنه يحمي البشر من ضرر الإشعاعات الضارة، لكنه يؤثر على الصحة سلبًا عندما يتواجد على مستوى سطح الأرض، فيسبب الرشح وأمراض القصبة الهوائية والجهاز التنفسي. ولكي نحل مشاكل التلوث الجوي يجدر بنا في البداية أن نحدد مصادر تلك الملوثات وصفاتها، وهذا يشمل العديد من الأيروسولات والنواتج الغازية أيضا.

مصادر التلوث

لو زاد معدل تركيز التلوث في الجو عن نسبة معينة يُعد ضاراً، ويصبح الإنسان مدمنا لهذا التلوث. وتشمل مصادر التلوث الشوائب الغازية مثل ثاني أكسيد الكبريت، كلوريد الهيدروجين، فلوريد الهيدروجين، وكبريتيد الهيدروجين ذات الأصل البركاني، مع ملاحظة تواجد هذه العناصر فعلا في الأحوال العادية ولكن بتركيزات قليلة. كما تشمل قائمة الغازات السامة أيضا غاز ثاني أكسيد النتروجين المتكون من التفريغ الكهربائي وغاز الأوزون.

كما توجد في الجو أيضا مواد دقيقة من الضباب والأتربة الملحية، والغبار والرماد من حرائق الغابات، والغبار الكوني أو الغبار المتساقط على سطح الأرض من الفضاء الخارجي، وحبيبات اللقاح وبذور النباتات، والبقايا أو الرماد الدقيق المتخلف عن الثورات البركانية.

الملوثات الصناعية

نعني بها تلك المواد الناتجة عن النشاطات الصناعية المحلية أو المدنية، وتتمثل في وسائل النقل والمركبات المختلفة، مثل رش المبيدات الحشرية سواء بطريقة الرذاذ أو بطريقة التعفير، وكذلك إحراق النباتات الضارة وإنتاج شوائب عديدة، كل هذا يجد طريقة إلى الجو. أما التغيير في طبيعة المواد النووية فهو مسؤول مسؤولية تامة عن توليد ملوثات إشعاعية عديدة.

وبما أن الأغراض الصناعية تقوم على حرق الوقود لتوليد الحرارة والطاقة ، فإن هذا يكون من شأنه إخراج فضلات أو عوادم جانبية كالدخان والرماد، وثاني أكسيد الكبريت. ويعد الفحم أكثر أنواع الوقود الصلب استخداما، إلا أن الكوك والخشب يستخدمان أيضا بشكل كبير، كما أنه يتم استهلاك كميات كبيرة من الوقود السائل ـ المنتجات البترولية المكررة ـ مثل الجازولين الطبيعي والبنزين، بالإضافة إلى الوقود الغازي، كالغاز الطبيعي والصناعي لتوليد الطاقة اللازمة لمختلف الأغراض الصناعية.

وقد أدى الاتجاه المتزايد للتصنيع في عصرنا الحديث إلى زيادة كميات الملوثات في الهواء، وهذا يشمل الهيدروكربونات وثاني أكسيد النيتروجين وأول أكسيد الكربون والألدهايد والكلوريدات والأحماض العضوية والأمونيا والقطران وغيرها.

أما عن مصادر الدقائق والغازات الضارة، فهي عادة ما تكون من الأماكن المخصصة لنفايات المركبات وكذلك المرامد (أماكن حرق النفايات وما شابهها)، ورذاذ المبيدات الحشرية الذي يحدث نقصًا في غاز الأوزون الذي يحمي الأحياء من خطر الأشعة فوق البنفسجية. ولعل ثقب الأوزون ليس المأساة الوحيدة التي اكتشفت خلال عامي ٨٦ ـ ١٩٨٧م؛ بل عرفت أشياء كثيرة تثير القلق، لقد وجد نقص خطير في تركيز الأوزون بطبقة الأستراتوسفير على مستوى العالم، حيث ظل تركيز الأوزون ثابتا من عام ١٩٧٨م حتى عام ١٩٨٢م، ثم هبط بعد ذلك في عامي ٨٤، ١٩٨٥م، وعلى مدى سبع سنوات نقص تركيز الأوزون الكلي بمقدار ٤٪.



قطع الغابات واستخدام أخشابها في الأغراض الصناعية يسهم في نقص الأكسجين وزيادة معدلات ثاني أكسيد الكربون في الجو.





ومن أهم عـوامل تلوث الهـواء بالأتربة والدخـان والغـازات والروائح الكريهـة والضــوضــاء؛ صناعــة الطوب الرملي والأسـمنتي، صناعـة الأسـفلت، مـصـانع مواسير الأسبستوس، محطات تقطير المياه وتوليد القوى الكهربائية، مصانع الكلورين والصـودا، شـركـات مطاحن الغـلال، الأسواق التجارية للفواكـه والخضروات، محطات تنقـيـة مـيـاه المجاري، الورش، ومـصانع الأغـذية ومنتـجـات البلاستيك والألياف الزجاجية.

وهناك العـديد من التحـولات التي قـد تجريها كل من الملوثات الطبيعية والصناعية، فالعمليات الضوئكيميائية، مثلا، قد تؤدي إلى توليـد المزيـد من الغـازات الـضـارة والأيـروســـولات، لـذلـك فـــإن الهيدروكـربونات الناتجة من الاحتراق غير الكامل للمنتجات البترولية السائلة قد تتـفـاعل في ضـوء الشـمس مع أكـاسـيـد النتـروجين (NOx)، منتـجـة مـجـمـوعـة جديدة مـن الغازات السامـة، التي يتـسبب بعضها في إلهـاب العين. وزيادة تركيز هذه الملوثـات قـد يكـون له تأثيـر سيء، فـفـي العـديـد من المدن توجـد عـدة آلاف من الكيلوجرامـات من الهيدروكـربونات تحقن يوميـا في الجو بواسـطة السيـارات وحدها، كمـا أنها تنتج، أيضـا، كميـات كبـيرة من أول أكسيد الكربون (CO) الذي يعرف بالغـاز المـيـت، إذ إنـه يتـحـد مع الدم (هيموجلوبين الدم) بأسرع من الأكسيجين بـ ٢١٠ مـرات. ولـقـد دفـعـت الخـسـائـر الفسيولوجية والمادية التي يسببها التلوث في العـديـد من البلـدان إلى سنّ القــوانين والتشريعات التي تهدف إلى الحد من تفاقم مشـكلة التلوث، كمـا أن تلك الدول تولي عناية خـاصـة لموضـوع إنقـاص أو إقـلال مقادير الملوثات الناتجة من المصادر الصناعية والمركبات.

ولاتقـتصر دراسـة مشاكل تـلوث الهواء على تحري نوعيـة الملوثات وآثارها، بل تمتد لتشمل اعتبارات أخرى، وهي قدرة الهواء على نقل مـــخـــتـلـف أنواع الملـوثات وتخفيفها. لذلك فإن العـاملين في الأرصاد الجوية يستطيعون مساعدة السلطات المدنية عن طريـق تحـديد الـتلوث الكـامن في أي مكان وفي أي وقت، واضعين في اعتبارهم نسـبـة الانـتـشـار المضطرب للـملوثات، وكـذلك القـدر المنقـول مـنهـا بعيـدًا عن المصدر.

فـالتـأثيـرات المحلية كـالـسطوح المائيـة الشـاسعـة، وطبوغـرافية المكان تؤثر تأثيـرًا واضـحًا في انسياب الهـواء، وفي انتشـار نسبـة تركيز المواد الملـوثة وازديادها في الجو القريب من سطح الأرض.

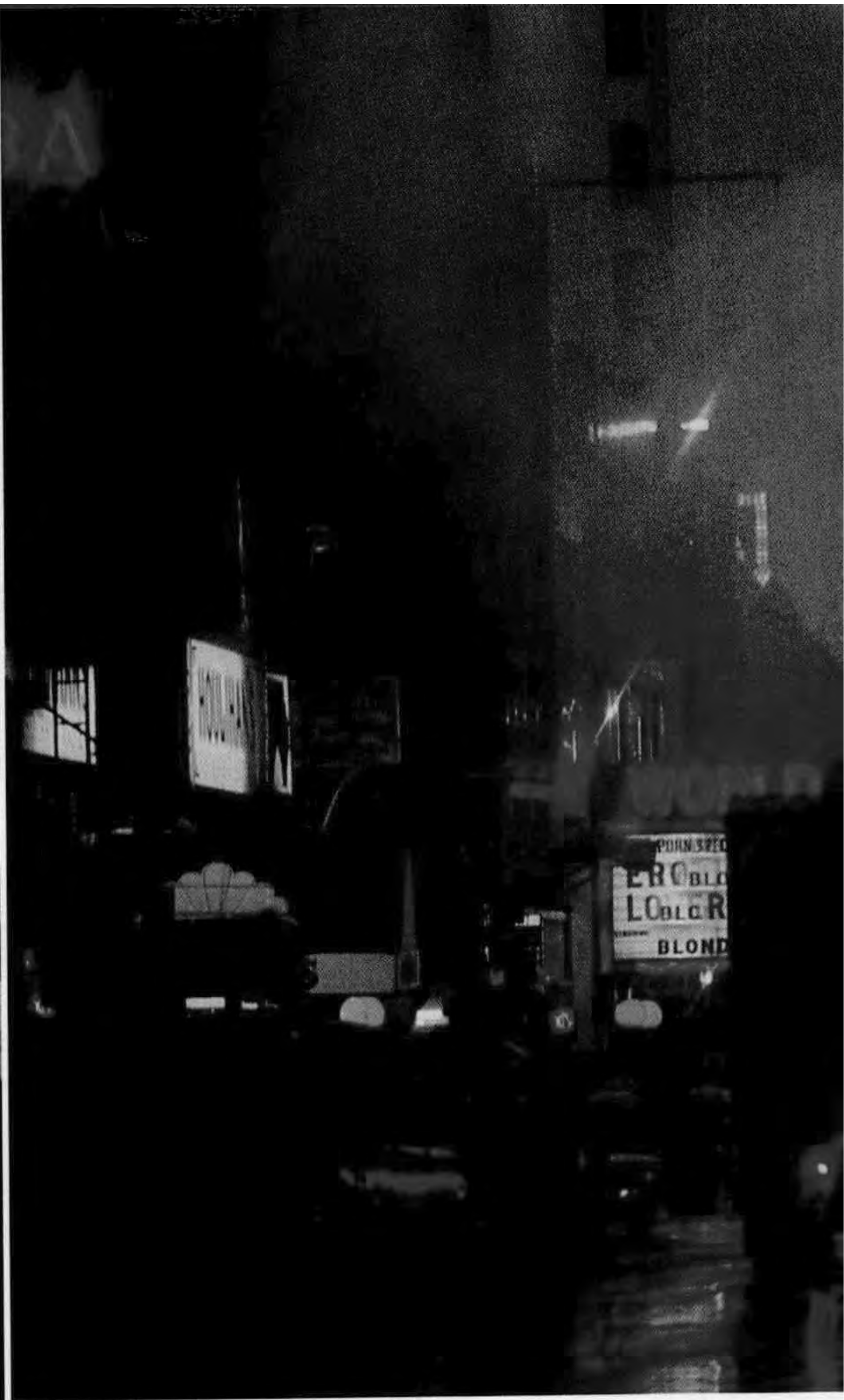
فالكتل الهوائية لهـا علاقة وطيدة بتلوث الهـواء، فمعظم كـوارث تـلـوث البيئة كـانت في حـالة هيـمنة نظام من الضـغط الجـوي المرتفع فـوق المنطقـة المتـأثرة، حيث إنه في حـالة سـيطرة المرتفع الجـوي تـسـود رياح سطحية خـفيفة الـسـرعة أو ساكنة، ويكون الجو مـستقـرًا أو قد تصاحبـه حركة رأسية خـفيـفـة لتيـار هوائي من أعلى إلى أسـفل، وهذه تعـمـل على زيادة تركـيـز الـغـازات السامة والسناج والجسيمات الدقيقة وغيرها من الملوثات في المنطقـة القـريبـة من سطح الأرض، وبذلـك يُصـــاب الناس في تـلـك المنطقـة بتهـيج في جـهاز الـتنفس والعيـون والأنف والحلق، وقد تؤدي إلى الوفـاة أحيانا وبخـاصـة بين المسنـين والمصـابين بأمـراض القلب والرئة.

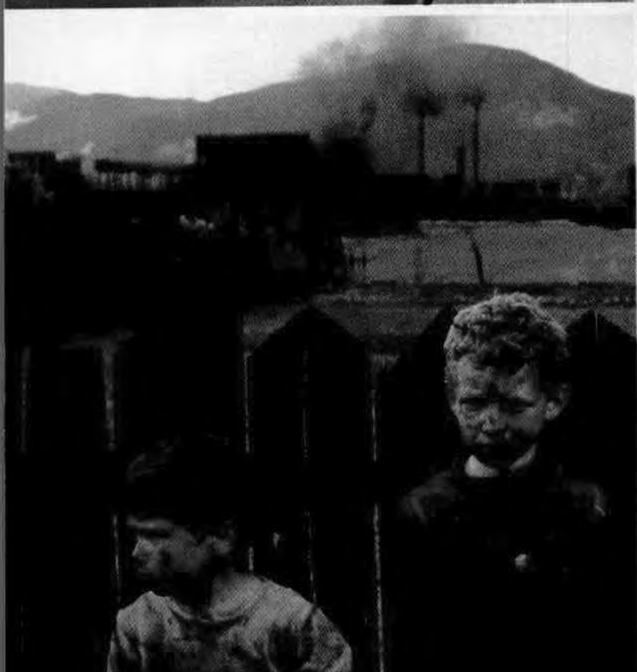
غاز الأوزون وتغير المناخ

هل يمكن أن يـحـدث تغـيـرّ في المناخ نتـيـجـة النقص أو الزيادة في غـاز الأوزون (O3)؟، إنه لمن الحمـاقة محـاولة تقدير أثر تغـيـر مـسـتـوى الأوزون على المناخ، دون الأخذ في الحـسبـان تأثير التغير في تركـيز الغـازات الأخـرى الموجـودة في الجـو التي تعمل فيه عمل البـيوت المحمية (الصوبات)، وهي البيوت التي تمتص الموجات الإشعاعية الطويلة ولا تسمـح بفقدها بسـهولة. وعلى الرغم من صغر كميتها في الجو إلا أننا نجد أنهـا ترفع درجات حـرارته في المنطقـة التي توجد فـيهـا. وكـمثـال لهذه الغـازات ثاني أكـسيـد الكربون (Co2) وهو الغاز الذي سـيــؤدي إلى رفع درجــة حـــرارة الجـــو مستقبلاً، لأنه يزيد في الجو بمعدلات كبيرة نتـيـجـة عـمليـات الاحـتراق، ولـه خاصـة امـتـصـاص الحرارة، وأكـاسـيـد الكبـريت (Sox) وغازات كـثيرة أخرى لهـا تأثيرها المستـمر في توزيعـات الأوزون. لذلك عند دراسـة تـغـيــر المناخ يجب ألاّ نأخــذ في الاعـتبـار غـاز الأوزون فـقط، بل يجب أن تعامـل جميع الـغازات الموجودة في الهواء كنظام متكامل. والتقـديرات الحالية توضح أن هذا النظام المتكامـل من الغازات سـوف يؤدي إلى تسخين شامل في الغلاف الجوي للكرة الأرضية، ويقال إنه إذا ارتفعت درجة حـرارة الأرض بمقدار ١,٥مْ فـإنها كـافيـة لإذابة الجـبـال الجليدية فـي القطبين، وعلى قمم الجبال في اليابسـة مؤدية إلى فيضانات عارمة. وهذا سيؤدي إلى غمر مـدن العالم العظمى بالمياه حيث إن معظمـها يقع على مناطق ساحلية.

والاعتـقاد السائد ـ الآن ـ أن هذا التغير سوف يكون ملحوظًا في القرن القادم. ففي واشنطن، قـامـوا بدراسة تأثير تكثف غـاز ثاني أكـسـيـد الـكربون على جـو المدينة بالتفصيل، فـالحرارة في الوقت الحاضر تزيد









التلوث الصناعي، خطر كبير يهدد البشرية، وبخاصة الأطفال. فالغازات المتخلفة من عوادم السيارات، ومناجم استخراج الفحم، صبغت سحنات هؤلاء الأطفال بالكربون، وجعلت غيرهم يلجؤون إلى استخدام الأقنعة الواقية، كما أنها أصابت الصغير الرضيع بمشكلات في التنفس اضطرت الأطباء لإخضاعه لعلاجات مركزة.

على ٣٨ درجة مئوية يومًا واحدًا في السنة في المتوسط، وتزيد على ٣٢ درجة مئوية في حوالي ٣٥ يومًا كل سنة. ومع تضاعف غاز ثاني أكسيد الكربون، وبحلول منتصف القرن الحادي والعشرين، فقد ترتفع هذه المعدلات إلى ١٢، ٨٥ يومًا في السنة لكل حالة من الحالتين السابقتين على الترتيب. وبهذا سوف يكون جو واشنطن أكثر سخونة في منتصف القرن القادم مما



الحمم المتخلفة من الثورات البركانية تخلف رمادًا يسهم في تلويث الهواء.



الحريق الكبير في غابات يللوستون (١٩٨٨م)، أحد أكبر الكوارث البيئية التي أسهمت في تلوث الهواء.

هو عليه الآن. والليالي كذلك قد تكون أكثر دفئًا.

وبارتفاع درجة حرارة جو الأرض، فإن قدرته على حمل كميات من بخار الماء سوف تزداد، وبذلك فإن معدل التبخر من المحيطات والبحار سوف يزداد بزيادة الحرارة، وهذا يؤدي إلى وجود كمية كبيرة من بخار الماء في الجو.

هذه الكمية سوف تعمل هي الأخرى عمل البيوت المحمية، وهذا سوف يؤدي إلى تسخين إضافي للجو. وزيادة معدل البخر معناها زيادة في معدلات المطر. وترتبط زيادة كميات المطر طرديًا مع زيادة الغبار العالق في الجو، الناتج عن العمليات المختلفة (الصناعية وتوسع العمران)، لأن ذرات الغبار تعد ضرورية لإتمام عملية تكثيف ذرات المطر. لهذا لاحظ بعض الدارسين أن بعض المدن الصناعية في العروض الوسطى سجلت في الآونة الأخيرة زيادة في كمية التساقط، ذلك لأن عمليات التوسع العمراني والتنمية الصناعية تزيد من الغبار وبالتالي تزيد كميات التساقط.

ومعدلات المطر هذه لا تتوزع بانتظام على سطح الكرة الأرضية، فقد تزيد في مكان ما، وتنقص في مكان آخر. وأن الزيادة في التسخين سوف تؤدي إلى إغراق بعض الأماكن دون سواها. وهذا ما نراه الآن على سطح الكرة الأرضية، فهناك نكبات ناتجة عن السيول ونكبات أخرى ناتجة عن الجفاف.

والتسخين قد يؤدي إلى نتائج أكثر تعقيدا على القطبين الشمالي والجنوبي لأن كتل الجليد والثلوج الموجودة هناك سوف يذوب جزء كبير منها. وبزيادة معدل الانصهار فإن نسبة ارتداد أشعة الشمس سوف تقل، وبذلك سوف تُمتص كمية كبيرة من الإشعاع هناك، هذه الكمية سوف تسهم في رفع درجة حرارة القطبين. كما أن الماء الناتج من انصهار الثلوج والجليد سوف يؤدي إلى ارتفاع الماء في البحار والمحيطات، وهذا بدوره سوف يؤدي إلى إغراق بعض المناطق الساحلية. وإذا ما حدثت هذه التغيرات في درجات الحرارة وذابت كتل الجليد في القطبين، فإن ذلك سوف يؤثر في دورة الرياح على سطح الأرض؛ ذلك لأن مناطق الضغط الجوي المرتفع والمنخفض ستتغير، الأمر الذي سيؤثر في حركة الرياح السطحية.

إن النماذج الرياضية الإحصائية المستخدمة في التنبؤ تبين أن درجات الحرارة سوف ترتفع، وذلك نتيجة حقن الغلاف الجوي بالملوثات وبخاصة الحاملة منها، التي تعمل عمل البيوت المحمية. وفي الحقيقة، فهناك احتمال أن تكون النتائج التي نحصل عليها من مثل هذه النماذج صادقة. فإذا صدقت هذه النتائج، فالإنسان سوف يجابه صعوبات كثيرة ناجمة من التغير الجذري في الطقس والمناخ. على ذلك يجب علينا أن نبدأ بالبحث والتنقيب والتحقيق فيما يمكن عمله حتى نبتعد عن هذا الخطر، وضرورة البحث عن بدائل من الوقود التقليدي (الفحم والبترول والغاز الطبيعي أو ما يعرف بالوقود الحفري) وبخاصة في المناطق الاستوائية، وقد اكتشف بعض العلماء الأمريكيين أنواعًا جديدة من الوقود مشتقة من زيوت بعض الخضروات، من بينها السبانخ والفاصوليا الخضراء والجزر.

خواطر حول حيوان

د. عبد الجواد محمد المحص



- ١ -

الكلب حيوان معروف؛ لكنه ينفرد من بين الحيوانات جميعا بخصيصة تكاد تكون قاصرة عليه؛ إذ نرى لسانه دائما في حركة مستمرة، وهي حركة داخلية خارجية؛ فالكلب يخرج لسانه من فمه مرة، ثم يدخله إلى فمه مرة أخرى. وهذه الحركة تسمى لغويا بـ (اللهث). ويعرف اللهث - علميًا - بأنه عبارة عن سرعة ضربات القلب، وسرعة الشهيق وسرعة الزفير بسبب العطش أو الحر أو التعب والإرهاق والإعياء. وقد يرى ذلك بوضوح عند المريض بضيق التنفس أو الربو.

ومن العجيب، أن الإنسان لو أصغى بأذنيه إلى الكلب وهو يلهث فسيسمع بوضوح الحرفين (هـ ث) هكذا: هث.. هث.. هث.. هث.. أي بصورة تكون فيها الهاء مفتوحة، والثاء ساكنة؛ بل إنه سيسمع قبل هذين الحرفين تلك اللام الكائنة في الفعل المضارع (يلهث).. سيسمعها مضبوطة بالسكون كذلك عند اضطراب اللسان داخل الفم بين طرف اللسان واللثة العليا!

وهناك حيوانات تلهث، فتخرج ألسنتها من أفواهها مثل الحمير والخيل والبغال والبقر والجاموس. إلا أن هذه الحيوانات ونظائرها لا تلهث إلا تحت تأثير مؤثر من المؤثرات. أما الكلب فإنه يلهث دائما سواء وجد المؤثر أم لم يوجد؛ فهو يلهث في حال التعب، وفي حالة الراحة، وفي حالة الريّ، وفي حال العطش، وفي الحر، وفي البرد.

وسبب ذلك علميا: أن الكلب هو الحيوان الوحيد الذي ليس بجسمه مسام يخرج منها العرق الذي يتطاير في الجو حاملا معه بعض حرارة الجسم، وينتج عن ذلك تلطيف درجة حرارة الجسم بما تناقص منها. أما الكلب فليس له هذه المسام، فهو يخرج لسانه خارج فمه، فيتطاير لعابه في الجو حاملا معه حرارة الجسم، فتتناقص حرارة جسمه. لذلك يشاهد لسانه في تلك الحركة الدائبة وهو يلهث.. يخرج لسانه فيجف ما عليه من لعاب، فإذا جف اللسان، وتطاير اللعاب حاملا بعض حرارة الجسم أدخله الكلب مرة أخرى إلى فمه فيتبلل ويرطب باللعاب.. وهكذا.

لذلك فإن القرآن الكريم كان في غاية الدقة والإعجاز حين اختار الكلب من بين كل الحيوانات، ليضربه مثلا حيًا للرجل الذي آمن، ثم كفر وانسلخ عن الإيمان، واتبع هواه، فعاش مثال الذلة والهوان..

قال الله تعالى في سورة الأعراف:

﴿وَاتلُ عَلَيهِم نَبَأَ الذي آتيناهُ آيَاتِنَا فَانسَلَخَ منها فَأَتبَعَهُ الشَّيطانُ فَكَانَ مِنَ الغَاوِينَ. وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بها ولكنَّه أَخْلَدَ إلى الأَرضِ واتَّبَعَ هَواه، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الكَلبِ إن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أو تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ، ذَّلِكَ مَثَلُ القَومِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ القَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ الآيتان ١٧٥، ١٧٦.

لقد كانت آيات الهدى وموحيات الإيمان متلبسة بفطرة ذلك الرجل وكيانه، ثم إذا هو ينسلخ من هذا كله انسلاخًا.. ينسلخ كأنما الآيات أديم له، متلبس بلحمه، فهو ينسلخ منها بعنف وجهد ومشقة، انسلاخ الحيّ من أديمه اللاصق به، ويتجرد من الغطاء الواقي، والدرع الحامي، وينحرف عن الهدى ليتبع الهوى، ويهبط من الأفق المشرق فيلتصق بالطين المعتم، فيصبح غرضًا للشيطان لا يقيه منه واق، ولا يحميه منه حام، فيتبعه ويلزمه

ويستحوذ عليه، فيهبط عن مكان الإنسان إلى مكان الحيوان! وأي حيوان ؟!

إنه الكلب الذي يلهث إن طورد، ويلهث ـ أيضـا ـ إن لم يطارد!! لقد صـار هذا المنسلخ من آيات الله حائرًا قلقًا . . لاهثًا لهاث الكلب أبدا!

وهكـذا جاء ذكـر الكلب بهذه الصفـة في هذا المقام القرآني كاشفًا عن خسة ذلك الكافر وحقـارته، ومما زاد في الصلـة بين الاثنين: أن ذلك المنسلخ يظل مزعزع العقيدة . . مضطرب الفؤاد . . غير مطمئن القلب سواء أدعوته إلى الإيمان أم أهملت أمره، كـالكلب يظل لاهثا، طردته وزجرته، أم تركته وأهملته!

ـ ٢ ـ

والكلب من عاشقي أكل الجيف والقـاذورات، ولسانه لا يتوقف عن الحركة واللهث فحسب؛ وإنما لسانه من أكثر الأشياء حملاً للجراثيم والميكروبات.

لذلك شددت الشريعة الإسلامية الغراء في أمر الطهارة من نجاسته، فكل نجس يتطهر المسلم منه مرة واحدة أيا كان مصدر النجاسة إلا نجاسة الكلب، فالطهارة منها سبع مرات . . ست منها بالماء . . وواحدة بالتراب . . كما جاء في الحديث الصحيح الذي رواه الإمام مسلم بسنده: قال رسول الله ـ ﷺ ـ: «إذا ولغ الكلب في إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب» . . وفي رواية: «أولاهن بالتراب».

وقد لفت هذا الحديث أنظار باحثة أوربية، فأجرت اختبارًا عمليًا لإناء وضعته أمام كلب ولغ فيه، فثبت لها أن الإناء لم يخل مما علق به من جراثيم إلا بعد أن غسل ست



مرات بالماء ومرة بالتراب.

ومعلوم أن الشريعة الإسلامية حين جعلت الطهارة بأحد العنصرين المعروفين الماء، والتيمم بالتراب عند فقد الماء إنما أرادت أن تكون الطهارة من جنس ما خلق الله منه الكائنات الحية، إذ كانت مادة الخلق ترابًا أضيف إليه ماء فكان طينًا، وليس مطلوبًا سوى التطهر بعنصر من هذين، لا الجمع بينهما، إلا في تلك الحالة التي يصاب فيها الإناء بلعاب الكلب فلابد من الجمع بين عنصري الطهارة وماديتها في الإسلام.

أضف إلى ذلك، أن الرسول ـ ﷺ ـ قد شرع لنا أمرًا آخر يتصل بذلك الحيوان حين أخبرنا أن الملائكة لا تدخل بيتًا فيه كلب. والحديث الدال على ذلك تكمن من ورائه أسرار دفعت إلى هذا التشريع، وتكشف عن جوانب نفسية (سيكلوجية) أخرى تتصل بهذا الجنس من عالم الحيوان.

ـ ٣ ـ

بيد أن الإنصاف في البحث يقتضي أن نشير إلى جملة من الخصال يدركها في الكلب من يتأمل أحواله، فمن خصال هذا الحيوان الملموسة: أنه أمين مطيع طاعة تامة لأوامر صاحبه. ثم إنه يرضى بالنوم في أيّ مكان، ويرضى بأيّ لقمة تقدم إليه، لا يعنيه نوعها، ولا كمها، ولا مدى جودتها.

زد على ذلك، أنه يحب صاحبه حبًا شديدًا، ويتعلق به، فإذا ما رآه من بعيد أتى إليه مسرعا فرحًا، ومن العجيب أن صاحبه إذا طرده سار ولم يحمل معه شيئًا. ويعيش على الولاء التام، والوفاء المستوفى لصاحبه. ومهما أنزل صاحبه به من عقاب وطرد، ثم أشار إليه فإنه يقبل عليه مسرعًا مسرورًا لا يحمل له حقدًا أو ضغينة.

وإذا قدم له صاحبه الطعام والشراب؛ فإنه يرفع رأسه، ويحرك ذيله، كأنه يعبر بذلك عن شكره لصاحبه. وكثيرًا ما نشاهد الكلب يلتفت يمينًا ويسارًا، كأنما يراقب شيئًا!!

ويبدو ـ والله أعلم ـ أن الخصال السابقة الذكر هي التي رشحت الكلب من دون غيره من عالم الحيوان ليكون عنصرا من عناصر البناء القصصي المحكم في أحداث قصة أصحاب الكهف والرقيم، أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم، وفروا بدينهم إلى الكهف الذي ناموا فيه سنين عددا، وكان الكلب طوال هذه المدة الطويلة باسطًا ذراعيه بالوصيد، ممثلا آية من آيات الله الكبرى إضافة إلى آية الله العظمى في هؤلاء الفتية.

واللافت للنظر، أن الكلب يذكر في هذه القصة أربع مرات، وهو في كل هذه المرات الأربع لا يذكر إلا مضافا إلى ذلك الضمير (هم) العائد إليه، هكذا:

﴿وكلبُهم باسِـــطٌ ذِرَاعَيْهِ بالوَصِيـــدِ﴾ الكهف ١٨ ﴿سَيَقُولون ثلاثةٌ رابعهم كلبهم، وَيقولونَ خَمسةٌ سادِسُهم كلبهم رَجْمًا بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم﴾ الكهف ٢٢ .

ولا شك أن التـزام القرآن الكـريم بهذه الإضافة في كل هذه المواضع يومىء إلى أن هذا الحيوان عنصر أساسي في أحداث هذه القصة وغاياتها وأسرارها وآياتها إلى جوار أصحاب الكهف، يلازمهم ولا يفارقهم في التعبير اللفظي (كلبهم) كما لازمهم ولم يفارقهم منذ تركوا بلدهم وأووا إلى الكهف. وظل قرونًا متتابعة باسطًا ذراعيه بالوصيد على هيئة الحارس المخلص في مدخل الكهف.

قال ابن كثير في التفسير: «ربض كلبهم على الباب كما جرت به عادة الكلاب، يحرس عليهم الباب، وهذا من سجيته وطبيعته حيث يربض ببابهم كأنه يحرسهم، وكان جلوسه خارج الباب لأن الملائكة لا تدخل بيتا فيه كلب. . وشملت كلبهم بركتهم، فأصابه ما أصابهم من النوم على تلك الحال، وهذا فائدة صحبة الأخيار، فإنه صار لهذا الكلب ذكر وخبر وشأن» ا. هـ .

وقال الأستاذ أحمد بهجت: «إنّ الكرامة التي وقعت للبشر، وقعت لكلبهم الذي أحبهم وتبعهم إلى الكهف، وبهذا الحب للأولياء دخل الكلب تاريخ الكرامات، كما دخلت نملة سليمان وناقة صالح وحوت يونس تاريخ المعجزات» ا. هـ.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إن هذه القصة أحسن قصص أولياء الله الصالحين الذين كانوا في زمن الفترة» ا. هـ.

قلت: هذا صحيح؛ فهذه القصة قصة فتية آمنوا بربهم، وزادهم الله هدى، وربط على قلوبهم، فكانوا من أوليائه المهتدين، ولهذا وقعت لهم الكرامة المتمثلة في الضرب على آذانهم في الكهف سنين عددا، يتقلبون كالأحياء، ولا يقومون كالموتى، فكانت كرامتهم من الكرامات المدهشة في التاريخ البشري كله، ودليلا على قدرة الله سبحانه في الإحياء من رقاد طويل، بل جد طويل، لم تَبْلَ أثناءه الجثث، ولا تمزق خلاله التركيب.

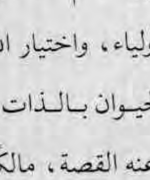
وكان كلبهم ذا شأن عظيم، متميزًا بين الكلاب كلها بأنه (كلب أهل الكهف). كلب دون سائر الكلاب، جاء في مقام الصحبة لسبعةٍ من أولياء الله الصالحين، فتم التناسب والتناسق بين قصة هؤلاء الأولياء، واختيار الله عز وجل أن يتبعهم هذا الحيوان بالذات؛ ليقوم بالدور الذي تفصح عنه القصة، مالكًا من الخصال التي سبق ذكرها ما يرشحه ـ بقوة ـ لهذا الدور الذي قام به.

وهي تبعية أو صحبة إذا رفع الستار أو كشف النقاب عما وراءها من إيحاءات فسندرك ساعتئذ أننا في هذه القصة أمام سبعة من الشباب الأولياء الصالحين، المؤمنين، المتواضعين، الزاهدين، المحبين، العاشقين، الخائفين، الراجين، المتجردين، المخلصين، المحسنين، الشاكرين.

بل سندرك من الإيحاءات ما هو أعجب؛ إذ إن أمانة الكلب وطاعته لأوامر صاحبه تذكرنا بمقام المؤمنين، ورضاه بالنوم في أيّ مكان يذكرنا بمقام المتواضعين، ورضاه بأية لقمة يذكرنا بمقام الزاهدين، وحبه لصاحبه يذكر بمقام المحبين العاشقين، وتلفته كثيرًا يمينًا ويسارًا كأنما يخشى شيئًا يذكرنا بمقام الخائفين الراجين، وعدم حمله شيئا حين يطرد يذكرنا بمقام المتجردين. وولاؤه التام، ووفاؤه المستوفى لصاحبه يعيد إلى الأذهان مقام المخلصين. وإقباله على صاحبه بفرح على الرغم مما أنزله به من عقاب وطرد فيه إشارة إلى معنى في مقام المحسنين. ورفع رأسه مع حركة ذيله حين يقدم له صاحبه الطعام والشراب كأنه يعبر بذلك عن شكره لصاحبه يذكرنا بمقام الشاكرين!!

إذن لم يكن وجود الكلب إلى جوار هؤلاء الفتية آية من آيات الله العجيبة فحسب؛ وإنما كان ـ كذلك ـ حاملا من الظلال والمعاني والأسرار ذلك الذي قدمناه، وغير ذلك مما يفتح الله به على من يتدبرون آيات الله في قرآنه، وأسراره فيما خلق، حتى لو كان هذا المخلوق «كلبا» من عالم الحيوان، والله ـ تعالى ـ أعلم.

من كتاب العدد



○ د. عبد الجواد المحص
ـ من مواليد البحيرة (مصر) ١٩٤٦ م.
ـ حاصل على ليسانس اللغة العربية عام ١٩٧٤ م من كلية اللغة العربية ـ جامعة الأزهر.
ـ دكتوراه في الأدب والنقد، وكان موضوع الرسالة: «أدب القصة في القرآن الكريم: بين حقائق الإعجاز وأباطيل الخصوم».
ـ عمل أستاذًا مساعدًا للأدب والنقد بكلية الدراسات الإسلامية للبنات في الاسكندرية، ويعمل حاليًا في كلية اللغة العربية ـ جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
ـ صدرت له مؤلفات علمية عديدة منها: «نصوص من الأدب العباسي»، «نظرات نقدية في أدب الطوائف والفرق»، «قطوف من ثمار البيان النبوي»، «أثر الإسلام في أدب النصارى»، و«أدب الذئب: صوره وموسيقاه».


الجزيرة
تكفيك
المسائية
تثري
مساءك
تصدران يوميا عن: مؤسسة الجزيرة «للصحافة والطباعة والنشر» ص.ب: ٣٥٤ الرياض: ١١٤١١ هاتف:
تلكس ٤٠١٤٧٩ جزاتي اس جي.

آفاق اجتماعية

عمالة الأطفال

لقد اعتمدت الأقطار العربية في اجتماعاتها التي عقدت في تونس بأواخر عام ١٩٩٢ م، بدعوة من الأمانة العامة لجامعة الدول العربية، وبالتنسيق مع منظمة الأمم المتحدة للطفولة (اليونيسيف)، خطة عربية لرعاية الطفولة وحمايتها وتنميتها. ورسمت لذلك خطة تفيد ضرورة إعداد البحوث والدراسات ونشرها وجمع المعلومات والبيانات والإحصاءات حول تنمية وحماية الأطفال والطفولة، وألحت تلك الاجتماعات على أهمية تجنيد واستثمار طاقات وقدرات وسائل الإعلام والاتصال بكل فروعها وأشكالها لصالح حماية ورعاية الأطفال.

إن المطّلع على تقرير مكتب العمل الدولي الصادر في ٢٦/ ٥/ ١٩٩٢ م، يجد أن عدد الأطفال الذين يعملون بصورة غير مشروعة يتجاوز ٢٠٠ مليون طفل، يمارسون مجموعة من الأنشطة التي لا يتم تسجيلها بصورة محددة ومنتظمة وفقًا للنظم المحاسبية المتعارف عليها، علاوة على أن الأطفال في هذا القطاع يفتقدون الرعاية والحماية ويتعرضون لظروف سيئة حيث تغيب الرقابة الرسمية على عمالة الأطفال.

هذا، وتعدُّ آسيا أكثر قارات العالم التي تضم أطفالاً عاملين، وتأتي الهند في مقدمة الدول التي تزج بصغارها إلى سوق العمل، إذ تفيد الاحصاءات بوجود ١٤ مليون طفل عامل دون سن الرابعة عشرة. أما في أمريكا اللاتينية فقد تبين من احصاءات منظمة العمل الدولية أن هناك ملايين الأطفال المستغَلّين في سوق العمل، فهناك (٢,٥٪) من مجموع الأطفال دون سن الرابعة عشرة في البيرو، و(٦,٨٪) من أطفال الأرجنتين، و(٦,٨٪) من أطفال البرازيل يزاولون أعمالاً تثقل كاهل طفولتهم.

أما ما يخص الوطن العربي، فقد أشارت دراسة قام بها المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية في مصر عام ١٩٩١ م عن عمالة الأطفال دون السن القانوني للعمل، أن عدد الأطفال العاملين فيها من الفئة العمرية دون سن الرابعة عشرة قد وصل إلى (٦٠٠، ٤٧٣، ١) طفل، أي ما يمثل (٨,٣) من مجموع الأطفال في هذا السن، وألقت الدراسة الضوء على خطورة هذه المشكلة التي لم تحظَ باهتمام المجتمع الجاد، وتناولت الظروف الأسرية واحتياجات الطفل والعوامل الاجتماعية والاقتصادية المسببة لعمالة الصغار ومدى تأثير العمل المبكر على صحة الطفل النفسية والاجتماعية والجسدية، واقترحت هذه الدراسة وضع سياسة اجتماعية متكاملة تصلح لمعالجة جذور هذه المشكلة. أما الدراسة الثانية التي أجريت حول عمالة الأطفال في الوطن العربي، فقد قامت بها جمعية مقاومة السخرة في المغرب، وكانت عن (عمالة الأطفال في صناعة السجاد) وتناولت تلك الدراسة بشكل خاص عمالة الفتيات دون سن الثانية عشرة في صناعة السجاد، وأتضح أن بداية سن العمل تنخفض إلى خمس سنوات. وتعمل الفتيات حوالي ١٢ ساعة يوميًا في ظروف محبطة وسيئة للغاية، وعمالة الفتيات الصغيرات في المغرب شائعة في العديد من المصانع وورش صناعة السجاد. وتبين أيضًا أن عدد ساعات العمل الأسبوعية تراوحت بين ٦٠ ـ ٧٢ ساعة، بينما هي للبالغين لا تتجاوز ٤٨ ساعة أسبوعيًا، وينخفض أجر الفتيات إلى الحد الذي لا تتقاضى من هي تحت التدريب أي أجر.

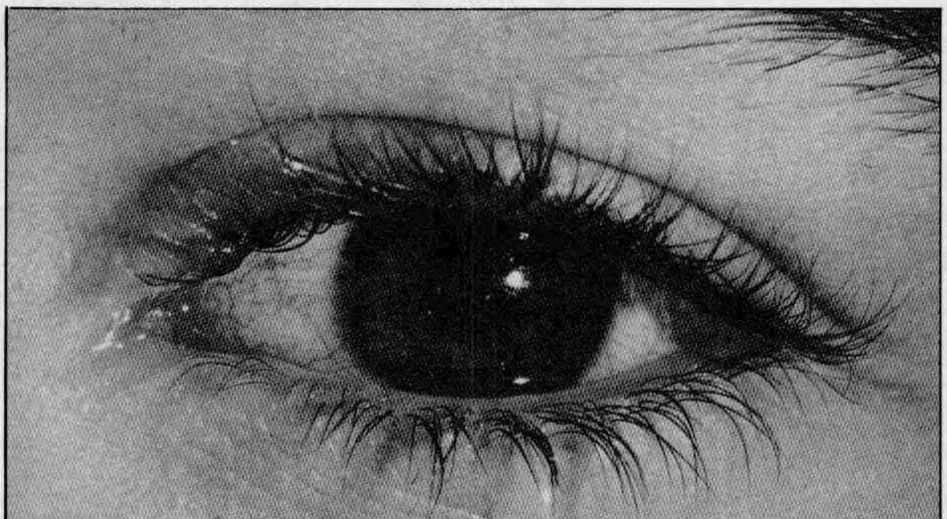
عدا هاتين الدراستين لم نعثر على دراسة جادة تبين لنا مدى انتشار ظاهرة عمالة الصغار في الوطن العربي، ونأمل أن تولي الأقطار العربية أهمية لهذه الظاهرة، وتتناولها بالدراسة والبحث من أجل التعرف عليها وفهمها جيدًا والوقوف على مخاطرها؛ بقصد إيجاد الحلول المناسبة لها، لكونها أولاً: تسلب الطفل الحق في أن يعيش طفولته ويتمتع بها، وثانيًا: تترك آثارًا سلبية على شخصية طفل اليوم ورجل المستقبل.

لذا فإننا نتوجه للقائمين على أمور المجتمع في مختلف الأقطار العربية لحماية صغار السن، مع علمنا ومعرفتنا بأن القوانين في الدول العربية كافة تحظر عمل الأطفال، لكن هناك فجوة واسعة بين النظرية والتطبيق أو بين القانون والواقع. كما نأمل من وسائل الإعلام والاتصال التركيز إعلاميًا على آثار عمل الصغار السيئة ونشر المعلومات التي تثير الوعي والاهتمام بمخاطر هذه الظاهرة.

د. تماضر حسون

معجم العين وأمراضها

عرض وتحليل: د. محمد ظافر الوفائي



صدر حديثًا عن (منظمة الصحة العالمية)، المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط بالإسكندرية (معجم العين وأمراضها) من إعداد الأستاذ الدكتور صادق الهلالي (مركز الملك فهد للبحوث الطبية) والدكتور محمد حكمت وليد من المستشفى التعليمي التابع لكلية الطب والعلوم الطبية في جامعة الملك عبد العزيز، جدة - المملكة العربية السعودية، سابقًا. وقد قدم له معالي الأستاذ الدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري (المدير الإقليمي لمنظمة الصحة العالمية لشرق البحر المتوسط) إيمانًا منه بضرورة (التزام اللغة الوطنية في نقل المعلومات ضمانًا لحسن الاستيعاب لدى المتلقّي، وتوفيراً لوقت المعلِم والمتعلم، وتيسيراً لمشاركة المجتمع الذي لا بد من مشاركته). وهو - على ما أعلم - أول معجم تخصصي في مجال طب العيون، اعتمد فيه المعِدَّان على أمهات المراجع علمًا ولغة وبذلا فيه من الجهد ما لا يستهان به، فقد اعتمدا في ترجمة بعض التعابير والمصطلحات الإنجليزية على القواميس المتوفرة والكتب التراثية، و(نحتا) بعض ما لم يجداه متوفرًا في المراجع، وشرحا بعض المصطلحات والأسماء التشريحية والتظاهرات السريرية لبعض الأمراض ودعّما ذلك بصور ورسومات توضيحية حيثما وجدا ضرورة لذلك، دونما إفراط أو تفريط، لترسيخ الفكرة في ذهن القارئ، فجاء المعجم كما ذكر الأستاذ الدكتور الجزائري في تقديمه بأن مهمته لا

تقتصر «على مجرد تسجيل التعبير المستعمل، وإنما تتعدى ذلك إلى التعريف به في إيجاز غير مخل، تعريفًا يسهل على القارئ تكوين فكرة واضحة عن المعنى المراد، ولو أنه لا يغني المختص عن الرجوع إلى أمهات كتب الاختصاص للتعمق في الموضوع العلمي».

ويبدو في تقديم الأستاذ الدكتور الجزائري أن هذا المعجم «هو الحلقة الأولى في سلسلة المعاجم التخصصية في مختلف العلوم الصحية باللغة العربية، يزمع المكتب الإقليمي إصدارها أو المساعدة على إصدارها»، وهذا لعمري عمل رائد ملؤه الحماسة للغة العربية «لسد الثغرة بين لغة التفكير ولغة التعبير».

يقع المعجم في (٣٠٩) صفحات من القطع المتوسط، يضاف إليها ثماني صفحات بأسماء أشهر الأطباء الكحالين في التاريخ العربي مع ترجمة مقتضبة جدًا لكل منهم، إضافة إلى تقديم **الدكتور الجزائري ومقدمة المعدّين**، ولدى مطالعة هذا المعجم الرائد وجدته أقرب ما يكون للكمال، فلقد تعسر عليّ ولمدة من الزمن ترجمة بعض المصطلحات الإنجليزية إلى اللغة العربية، ورحت أبحث عنها في هذا المعجم فوجدت أن الزميلين الفاضلين قد يسرا العسير بطريقة بسيطة وغير مخلة لا سيما بالنسبة لأمراض الحَوَل واضطرابات عضلات العين الخارجية، والعمليات الجراحية التي دخلت مجال الممارسة حديثًا، ولا بد لي من أن أورد بعض الأمثلة :

الحملقة لليمين : Dextroversion

تجانح : Vergence

شفع التوائي : Torsional diplopia

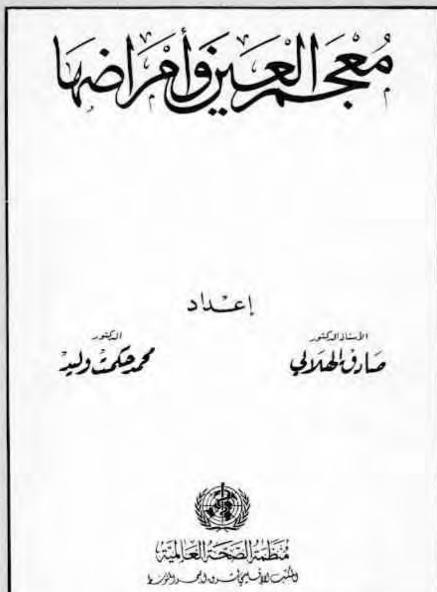
استحلاب العدسة :
Phacoemulcification

براريق : Drusen

غمر : Hypopion

هذا غيض من فيض ما وجدته في هذا المعجم الرائد مما يثبت دون أدنى شك أن لغتنا العربية كانت و لا زالت قادرة على مواكبة الركب الحضاري واستيعاب التطور الفكري العالمي لا سيما إذا قيض الله لخدمتها الباحثين والمبدعين.

وأجد لزامًا عليّ كطبيب متخصص، ومحقق شارك في تحقيق (**سلسلة التراث الطبي الإسلامي - علم الكحالة**)، وكقارئ متحمس للغة العربية والتدريس بها أن أتمنى على العالمين الفاضلين لو أنهما أضافا مسردًا باللغة العربية مع ما يقابلها باللغة الإنجليزية .. وهذا عمل غير عسير إذا ما قورن بالعمل الذي قاما به لا سيما في عصر الحاسب الآلي.



كما كنت أتمنى لو أنهما استشارا أحد المتخصصين في التراث العلمي العربي قبل طباعة (**ملحق أشهر الأطباء الكحالين**) لتصحيح بعض الأخطاء التاريخية والعلمية. فقد ذكرا على سبيل المثال :

- (**أبو جعفر الغافقي**) مؤلف كتاب (المرشد في الكحل). والصحيح أن المؤلف (**محمد بن قسوم بن أسلم الغافقي**).

- **صلاح الدين بن يوسف الكحال**، عاش في مدينة حلب؛ والصحيح أنه عاش في مدينة (حماة).

- **خليفة بن أبي المحاسن**، عاش في سورية؛ والصحيح هو أنه عاش في مدينة (حلب) من سورية.

- **سديد الدين بن رقيقة** استعمل (مقدحًا خاصًا مجوفًا)؛ والصحيح أن أول من استعمل هذا المقدح هو **عمار بن علي الموصلي**.

- **كتاب الزهراوي (التعريف)**؛ والصحيح أن اسم الكتاب (**التصريف**).

- **كتاب ابن الأكفاني (كشف الزين في أمراض العين) أو (تجريد الزين)، والصحيح أن اسم الكتاب (كشف الزين في أحوال العين) أما كتاب التجريد** فهو كتاب آخر لا علاقة له به.

كما أنهما أسقطا سهوًا أسماء بعض العلماء مثل (**عبد الله بن قاسم الحريري الإشبيلي البغدادي**) مؤلف كتاب (نهاية الأفكار ونزهة الأبصار). و(**يوحنا بن ماسويه**) مؤلف(**دغل العين**)و(**العين على طريقة المسألة والجواب**).

إن هذه الهنات البسيطة لا تنقص شيئًا من قدر هذا المعجم الرائد وجلاله بل على العكس تحفز العالمين الفاضلين على تحاشيها وسداد ثغراتها في الطبعات القادمة بإذن الله.

لا سيما أن عددًا كبيرًا من هذه الكتب قد حقق ونشر منذ أمد ليس بالبعيد.

وإننا لنأمل من المكتب الإقليمي لشرق البحر المتوسط لمنظمة الصحة العالمية متمثلاً بمديره الأستاذ **الدكتور حسين عبد الرزاق الجزائري**، أن يوفر بسخاء نسخًا من هذا المعجم وذلك بتوزيعه على الجامعات وكليات الطب والمستشفيات المتخصصة والأطباء المقيمين والممارسين .. ثم عرضه في كل معارض الكتب في أرجاء الوطن العربي، والاتفاق مع إحدى دور توزيع المطبوعات لتوزيعه على محلات بيع الكتب المتخصصة وغير المتخصصة كافة، عسى أن تعم الفائدة الجميع.

الألغاز في التراث العربي "٣"

الألغاز القصصية

محمد السيد عيد

هناك رابطة وطيدة بين الأعمال ذات الطابع الدرامي والألغاز في مختلف الثقافات، سواء أكانت هذه الأعمال من الأساطير أو الملاحم أو الحكايات الشعبية أو الأخبار أو القصص المذكورة في الكتب المقدسة. لذا كان طبيعيًا أن نجد في أدبنا العربي العديد من الألغاز القصصية، والقصص ذات الطابع الملغز. وفي هذه الدراسة سنقدم نماذج تجمع بين القصص والألغاز، مستقاة من تراثنا، وسنتعرف من خلالها على أهم أنواع الألغاز، ووظيفتها، والأشكال التي تحدد العلاقة بين الألغاز والقصص، والملامح الخاصة ببناء اللغز إذا كانت هناك ملامح لذلك، كما سنرى قدرة الألغاز على الاستمرار عبر العصور والبلاد.

(١)

يكاد يكون من المستحيل أن نحدد متى بدأت **الألغاز القصصية** في تراثنا العربي، أو مَنْ هو صاحب أول لغز قصصي، لكن كتب الأدب تروي من الأخبار ما يفيد أن اللغز القصصي كان معروفًا منذ الجاهلية.

يذكر **أبو الفرج الأصبهاني** في كتابه الشهير **«الأغاني»** أن **امرأ القيس** آلى ألاّ يتزوّج امرأة حتى يسألها عن ثمانية وأربعةٍ واثنتين، فجعل يخطب النساء، فإذا سألهن عن هذا قلن: أربعة عشر. وبينما هو يسير في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنة له صغيرة، كأنها البدر في ليلة تمامه، فأعجبته، فقال لها: - يا جارية. . ما ثمانية وأربعة واثنتان؟

فقالت: أما ثمانية فأطْباء الكلبة. وأما أربعة فأخلاف الناقة. وأما اثنتان فثديا المرأة. فخطبها إلى أبيها فزوّجه إياها»(١).

وليس من هدفنا هنا أن نتتبع الألغاز القصصية تتبعًا تاريخيًا، ولو أن القارىء سيجد ألغازًا من كافة العصور. لذا فلنترك التاريخ إلى الحديث عن أنواع الألغاز المرتبطة بأعمال ذات طابع قصصي. .

ولا يمكن تقسيم الألغاز ذات الطابع القصصي إلى أنواع محددة بصورة قاطعة لشدة تنوعها، لكنا نرى أن **أهم أنواع الألغاز هي**:

ألغاز النبوءة، ألغاز تعليمية، ألغاز التحدي والتعجيز، ألغاز الاختيار، ألغاز الجريمة، ألغاز الكشف عن المهارة الحسابية.

وسنتتبع معًا هذه الألغاز القصصية في تراثنا.

○ ألغاز النبوءة

النموذج الأمثل لهذا النوع من الألغاز هو ما نجده في سورة يوسف عليه السلام في القرآن الكريم، فعندما اتهمت زوجة العزيز يوسف وادّعت ما ادعت أدخلوه السجن، و. .

﴿ودَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ، قال أَحَدُهُما إني أَرَاني أَعْصِرُ خَمرًا، وقال الآخر إني أراني أَحمِلُ فوق رأسي خبزًا تأكُلُ الطير منه، نَبِّئْنَا بتأويله إنا نراك من المحسنين﴾ سورة يوسف: ٣٦، وبالفعل ينبئ يوسف عليه السلام صاحبيه بالحل:

﴿يـا صاحِبَيِ السِّجْنِ أَمـا أَحَدُكُما فَيَسْقِي رَبَّـه خَمْرًا، وأَمَّا الآخَـرُ فيُصْلَبُ فَتأكُلُ الطيرُ مِنْ رأسه﴾ الآية: ٤١.

وحين ينجـو الأول ويعمل مع الملك كما تنبأ له يـوسف عليه السـلام، إذا بالملك يرى رؤيا عجيبة تمثل لغزًا جديدًا يحتاج إلى تفسير:

﴿وَقَـالَ المَلِكُ إني أَرَى سَبْعَ بَقَـراتٍ سِمانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَـافٌ، وَسَبْعَ سُنْبُـلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَـابِسَاتٍ، يَـا أَيُّها المَلأُ أَفْتُوني في رُؤْيَـايَ إنْ كُنتُم لِلرُّؤْيَـا تَعْبُرُونَ. قَالُوا أَضْغَـاثُ أَحْلامٍ وَمَا نَحنُ بِتَأْويلِ الأَحْـلاَمِ بِعَالِمِينَ﴾ الآيتان: ٤٣ و٤٤.

وتذكّر السجين القديم صاحبه، فذهب إليه في سجنه يسأله التأويل للغز:

﴿يُـوسُفُ أَيُّها الصِّـدِّيقُ أَفْتِنَـا في سَبْعِ بَقَـرَاتٍ سِمَانٍ يَأكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَـافٌ وَسَبْعِ سُنْبُـلاَتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَـابِسَـاتٍ لَعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُـونَ﴾ الآية: ٤٦.

وقام عليه السلام بحل اللغز:

﴿قَـالَ تَزْرَعُـونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَـدتُمْ فَذَرُوهُ في سُنْبُلِـهِ إلاّ قَلِيلاً مِمّـا تَأكُلُـون. ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعـدِ ذلك سَبْعٌ شِدَادٌ يأكُلْنَ مَـا قَـدَّمْتُمْ لَهُنَّ إلاَّ قَلِيلاً مِمّـا تُحْصِنُـونَ. ثمّ يَأتِي مِنْ بَعْدِ ذلِكَ عَامٌ فِيـهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ الآيات: ٤٧ـ٤٩.

في هذه القصة القرآنية يرتبط اللغـز بالحلم، ويرتبط كلاهما بالنبوءة. ومن المستحيل أن نتصور هـذه القصة الرائعـة دون ما تحويه من أحـلام، ومن قدرةِ أمَدّ الله بها يوسف عليه السلام لتعبير الرؤيا الغامضة.

إن الألغاز هنا ترسم المستقبل، وتحدد الأحداث، وهذا يبين ـ من الناحية الدينية ـ تدعيمه سبحانه لنبيه عليه السلام، ويكسب القصة من الناحية الفنية ثوبـًا من الغموض الفني الجذّاب. وفي يقيني أنه أحـد أسباب الروعـة في هذه السورة.

○ ألغاز تعليمية

اللغـز التعليمي لا يرتبط بصيـاغة غـامضة لتعبير لفظي فقط، بل يـرتبط بسلوك غامض نخرج منه بعظة عميقة حين نعرف السر الكامن وراءه.

ونأخذ النمـوذج لهذا النوع من الألغـاز أيضًا من قصص القـرآن الكريم، وبالتحـديد من قصـة موسى عليـه السـلام مع الخضر، ونعتمـد في سردها على المفسر والمؤرخ الجليل **إسماعيل بن كثير** في كتابه **«البداية والنهـاية»**. **يقول ابن كثير:** إن أُبيّ بن كعب سمع رسول الله ﷺ يقـول «إن موسى قـام خطيبًا في بني إسرائيل، فسئل: أيّ الناس أعلم.

فقال: أنا.

فعتب الله عليـه إذ لم يـرد العلم إليه، فأوحى الله إليـه أن لي عبـدًا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، وكيف لي به؟

قال: تأخذ معك حوتًا فتجعله بمكتل (زنبيل) فحيثما فقدت الحوت فهو ثمّ. فأخـذ حوتًا فجعلـه بمكتل ثم انطلق، وانطلق معـه فتاه يوشع بـن نون حتى إذ أتيا الصخرة وضعا رؤوسهما فنـاما، واضطرب الحوتُ في المكتل فخرج منه فسقط في البحر سَرَبًا. وأمسك الله عن الحوت جـرية الماء فصار عليه مثل الطـاق، فلما استيقظـا نسي صاحبـه أن يخبره بـالحوت، فـانطلقا بقيـة يـومهما وليلتهما حتى إذا كانا من الغد ﴿قَالَ لِفَتَاهُ: آتِنا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَذَا نَصَبًا﴾، ولم يجد موسى النَّصَب حتى جاوز المكـان الذي أمره الله به. ﴿قال﴾ لـه فتـاه ﴿أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَـا إِلَى الصَّخْـرَةِ فـإِنِّي نَسِيتُ الحُوتَ وَمَـا أَنْسَـانِيـهُ إلاّ الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُـرَهُ واتَّخَذَ سَبِيلَه في البحرِ عَجَبـا﴾، قال: فكان للحـوت سَرَبا ولموسى ولفتاه عَجَبا ﴿قَـالَ ذَلِكَ مَا كُنّا نَبْغ فَارتَدَّا عَلَى آثـارِهِمَا قَصَصًا﴾ سورة الكهف: الآيـات ٦٢ ــ ٦٤. قـال: فـرجعـا يقصـان أثـرهما حتى انتهيـا إلى الصخـرة، فإذا رجل مُسَجّى بثـوب فسلّم عليـه مـوسى، فقـال الخضر: وأنّى بأرضك السلام؟

قال: أنا موسى

قال: موسى بني إسرائيل؟

قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما عُلّمت رُشدًا.

﴿قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا﴾ الآية: ٦٧، يا موسى، إني على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه.

﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إن شَاءَ الله صَابِرًا وَلا أعصِي لَكَ أمْرًا﴾ الآية: ٦٩.

قال له الخضر: ﴿فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَـلاَ تَسْأَلْنِي عَنْ شيءٍ حَتّى أُحدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكرًا. فانطلقا﴾ الآيتان: ٧٠ و٧١. يمشيان على ساحل البحر فمرت سفينة، فكلمهم أن يحملوهما فعـرفوا الخضر فحملوهما بغير نول (عطـاء)، فلما ركبا في السفينة فـوجئ بـالخضر وقد قلع لـوحًا من ألـواح السفينة بـالقَدُوم. فقـال له موسـى: حملونـا بغير نول وعمدتَ إلى سفينتهـم فخرقتهـا ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَـا لَقَد جِئْتَ شَيْئًا إِمْـرًا. قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِي صَبْرًا. قَالَ لاَ تُـؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلاَ تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرا﴾ الآيات: ٧١ـ ٧٣. قال (أبيّ بن كعب): وقال رسـول الله ﷺ: وكانت الأولى من مـوسى نسيانـا. قال: وجـاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك في علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر.

ثم خرجا من السفينة فبينما هما يمشيان على الساحل إذ أبصر الخضر غلامًا يلعب مع الغلمان، فأخـذ الخضر رأسـه بيده فـاقتلعـه بيـده فقتله، فقـال لـه موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًـا زَكيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ، لَقَـدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْـرا﴾. قال: ﴿أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرا﴾ الآيتان: ٧٤ و٧٥.

قال وهذه أشد من الأولى ﴿قَالَ إن سَأَلْتُـكَ عَن شيءٍ بَعْدَهَا فَلاَ تصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا. فَانْطَلَقَا حَتّى إذَا أَتَيَا أَهْلَ قَريةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأبَوْا أن يُضَيِّفُوهُمَا فَـوَجَدا فِيهـا جِدَارًا يُـرِيدُ أنْ يَنْقَضَّ﴾ قـال مائل، فقـام الخضر بيده ﴿فَأَقَامَهُ﴾ فقال موسى: قوم أتينـاهـم فلم يطعمونا ولم يضيفونا ﴿قَالَ لو شِئْتَ لاَتَّـخذْتَ عَلَيهِ أَجرًا. قَالَ هـذا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَلَيهِ صَبْرًا﴾ الآيات: ٧٦ـ٧٨[٢].

وهنا يبدأ الخضر في شرح الألغاز:

﴿أَمّا السَّفِينَـةُ فَكَانَـتْ لمساكين يَعْمَلُونَ فِي البَحـرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَـا وَكَانَ وَرَاءَهُم مَلِكٌ يَأْخذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا. وأمّا الغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَـانًا وَكُفْرا. فَأَرَدْنَـا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُما خَيْرًا مِنْهُ زَكَاةً وَأَقْـرَبَ رُحْمًا. وَأَمّا

الألغاز في التراث العربي "٣"

الألغاز القصصية

الجِدَارُ فَكَانَ لِغُـلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبـوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُـدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ، وَمَـا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَالَمْ تَسْطِع عليه صَبْرًا﴾ الآيات: ٧٩ـ٨٢.

إن حل الألغاز هنا يبين لنا أن موسى عليه السلام، وكافة البشر طبعًا، لم يؤتوا من العلم إلا قليلاً. لذلك يمكن القول: إن اللغز هنا تعليمي، والقصة كلها بالتالي تعليمية.

○ ألغاز التحدي والتعجيز

ويقصد بهذا النوع من الألغاز أنه يحتوي على موقف بين بطل حقيقي أو خيالي وخصم أو خصوم، يحاول الخصوم خلاله تعجيز البطل بألغاز شديدة الصعوبة، إلا أن البطل يتمكن من حل الألغاز جميعًا مؤكدًا جدارته.

وقد لا تكون المواجهة بين الطرفين مباشرة، بل تأتي عبر المراسلات **كما نرى في قصة عبد الله بن عباس التي ترويها كتب التاريخ على النحو التالي:**

«إن ملك الروم كتب إلى معاوية يسأله عن أحب الكلام إلى الله عز وجل. وَمَن أكرمُ العباد على الله عزّ وجل. وعن أربعة فيهم الروح فلم يركضوا في رحم، وعن قبر سار بصاحبه، وعن مكان في الأرض لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة، وعن قوس قزح ما هو؟ وعن المجرّة. فبعث معاوية فسأل ابن عباس عنهن، فكتب ابن عباس إليه:

أما أحب الكلام إلى الله فسبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. وأكرم العباد على الله آدم، خلقه بيده ونفخ فيه من روحه، وأسجد له ملائكته، وعلمه أسماء كل شيء.

وأكرم الإماء على الله مريم بنت عمران، وأما الأربعة الذين لم يركضوا في رحم فآدم وحواء وعصا موسى وكبش إبراهيم الذي فدى به إسماعيل، (وفي رواية: وناقة صالح)، وأما القبر الذي سار بصاحبه فهو حوت يونس، وأما المكان الذي لم تصبه الشمس إلا مرة واحدة فهو البحر لما انفلق لموسى حتى جاز بنو إسرائيل فيه، وأما قوس قزح فأمان لأهل الأرض من الغرق، والمجرة باب في السماء (وفي رواية الذي ينشق منه).

فلما قرأ ملك الروم ذلك أعجبه وقال: والله ما هي من عند معاوية ولا من قوله، وإنما هي من عند أهل النبي»(٣)

إن الطرفين هنا لم يلتقيا، لكن القصة انتهت لصالح ابن عباس. ومع هذا فكثيرًا ما يلتقيان مثلما هو الحال في التحدي بين الإمام الشافعي وخصومه من أتباع أبي حنيفة الذي روينا قصته في دراسة سابقه. **ومثلما نرى في قصة الجارية تودد الواردة في ألف ليلة. في قصة تودد نرى شابًا ثريًا ورث عن والده ثروة طائلة** لكنه لم يحافظ عليها، ولم يبق له من ثروته سوى هذه الجارية، فلما رأت ما حل به قالت له: «احملني إلى هارون الرشيد واطلب ثمني منه عشرة آلاف دينار، فإن استغلاني، فقل له يا أمير المؤمنين وصيفتي تساوي أكثر من ذلك فاختبرها يعظم قدرها في عينك؛ لأن هذه الجارية ليس لها نظير ولا تصلح إلا لمثلك... ثم إنه حملها إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد وقدمها له وذكر ما قالت، فقال لها الخليفة: ما اسمك؟

قالت: اسمي تودد.

قال: يا تودد، ما تحسنين من العلوم؟

قالت: يا أمير المؤمنين إني أعرف النحو والشعر والفقه والتفسير واللغة، وأعرف فن الموسيقى وعلم الفرائض والحساب والقسمة والمساحة وأساطير الأولين، وأعرف القرآن العظيم، وقد قرأته بالسبع والعشر وبالأربع عشرة، وأعرف عدد سوره وآياته وأحزابه وأنصافه وأرباعه وأثمانه وأعشاره وسجداته وعدد أحرفه، وأعرف ما فيه من الناسخ والمنسوخ، والمدنية والمكية، وأسباب التنزيل، وأعرف الحديث الشريف دراية ورواية، المسند منه والمرسل، ونظرت في علوم الرياضة والهندسة والفلسفة وعلم الحكمة والمنطق والمعاني والبيان وحفظت كثيرًا من العلم، ... الخ.

فلما سمع هارون الرشيد كلامها على صغر سنها تعجب من فصاحة لسانها، والتفت إلى مولاها، وقال: إني أحضر من يناظرها في جميع ما ادعته... وكتب أمير المؤمنين إلى عامله بالبصرة بأن يرسل إليه إبراهيم بن سيّار النَّظَّام وكان أعظم أهل زمانه في الحجة والبلاغة والشعر والمنطق، وأمره أن يحضر القرّاء والعلماء والأطباء والمنجمين والحكماء والمهندسين والفلاسفة... فما كان إلا قليل حتى حضروا إلى دار الخلافة»(٤)

وبعد حشد هذا الجيش تبدأ المناظرات، وتدور كل مناظرة على النحو التالي:

- يبدأ الخصم بالأسئلة التعجيزية.
- تجيب عليها تودد.
- توجه تودد سؤالين للخصم وتشترط عليه أن يخلع ملابسه إذا لم يجب عن أحدهما.
- يعجز الخصم عن إجابة أحد السؤالين ويخلع ملابسه.

(يمكن اعتبار خلع الملابس فعلاً رمزيًا لعري الخصم من العلم)

- تجيب تودد عن اللغز المعجز.

وهكذا تصبح البطلة أذكى الناس بينما يتساقط الخصوم.

إن مثل هذه الألغاز التي تصنع الأبطال، في أغلب الأحوال، من صنع الخيال، سواءٌ أكان أبطالها حقيقيين كابن عباس أو الشافعي أو خياليين كتودد، والهدف منها:

- إشباع حاجة نفسية لدى الأمة بتميز نخبة من أهل الذكاء بين أفرادها.
- تحقيق جانب معرفي لمن يطلع على اللغز.

ولعله من المناسب هنا أن نقدم طرفًا يسيرًا من ألغاز هذه القصة لطولها.. يقول أحد الفقهاء في معرض سؤاله لتودد:

«ـ اخبريني عن ثلاث تمنع ثلاثًا.

قـالت: نعم، رُوي عن سفيان الثـوري أنـه قال: ثـلاث تُـذهب ثلاثـا، الاستخفاف بالصـالحين يذهب الآخرة، والاستخفاف بالملـوك يذهب الروح، والاستخفاف بالنفقة يذهب المال.

قال: أحسنت، فأخبريني عن مفاتيح السموات وكم لها من باب؟

قالت: قـال الله تعالى «وَفُتِحت السَّمَاءُ فَكَـانَتْ أبوابًـا» وقال عليـه الصلاة والسلام «وليس يعلم عدَّة أبواب السماء إلا الذي خلق السماء، وما من أحد من بني آدم إلا وله باب في السماء، بـاب ينزل منه رزقه، وباب يصعـد منه عمله. ولا يغلق باب رزقه حتى ينقطع أجله، ولا يغلق باب عمله حتى تصعد روحه»

قال: أحسنت، فأخبريني عن شيء، وعن نصف الشيء، وعن لا شيء.

قـالـت: الشيء هـو المؤمن، ونصف الشيء هـو المنـافـق، ولا شيء هـو الكافر»(٥)

و تقول تودد في أسئلتها للشيخ نفسه:

«ـ اخبرني عن فرض الفرض، وعن فرض في ابتداء كل فرض، وعن فرض يحتـاج إليه كل فـرض، وعن فرض يستغـرق كل فـرض، وعن سنّة داخلـة في الفرض، وعن سنّة يتم بها الفرض؟

فسكت ولم يجب بشيء، فأمرهـا أمير المؤمنين بأن تفسرها، وأمـره بأن ينزع ثيابه ويعطيها إياها، فعند ذلك قالت:

ـ يا فقيه، أما فرض الفرض فمعرفة الله تعالى..

وأمـا الفرض الـذي في ابتـداء كل فـرض فهي شهادة أن لا إلـه إلا الله وأن محمدًا رسول الله.

وأما الفرض الذي يحتاج اليه كل فرض فهو الوضوء.

وأما الفرض المستغرق كل فرض فهو الغسل من الجنابة.

وأما السنـة الداخلة في الفرض فهي تخليل الأصـابع (أي أن يتخللها الماء) وتخليل اللحية الكثيفة.

وأما السنة التي يتم بها الفرض فهي الاختتان.

فعند ذلك تبين عجز الفقيه، وقام على قدميه، وقال:

ـ أشهد الله يا أمير المؤمنين أن هذه الجارية أعلم مني بالفقه وغيره. ثم نزع ثيابه وانصرف مقهورًا»(٦)

○ ألغاز الاختيار

ونعني بالاختيار هنا: اختيار الزوج أو الزوجة..

ومن أمثلة هذا النوع من الألغاز اللغز الخاص بامرئ القيس في صدر هذه الدراسـة.. ومن أمثلته أيضًا اللغز الـوارد بحكاية «رين يـا رين» الذي أورده الدكتور عزالدين إسماعيل في كتابه عن القصص الشعبي في السودان(٧).

وألغاز الاختيـار تتضمن مـوقفًا صعبًا يُختبر فيـه البطل، تمامًـا كما في ألغاز التعجيـز، والفـارق الأسـاسي بينهما أن قصص الاختيـار يكـون محورهـا الفـوز بعروس أو عريس، بينما ألغاز التعجيز يكون هدفها انتصار البطل على خصمه في مجال العلم والمعرفة.

○ ألغاز الجريمة

وفي تراثنا العـديد من الألغاز القصصية المتعلقة باكتشـاف لغز القاتل كما هو الحال في القصص البوليسيـة المعاصرة، وسنقدم هنا نمـوذجًا لهذا النوع من الألغاز لنبين أن القصة البوليسية لها في أدبنا تاريخ:

«كان للخليفة المعتضد بالله خادم من خدمه جاءه يومًا فأخبره أنه كان قائمًا على شاطئ دجلة في دار الخليفة، فرأى صيادًا وقد طرح شبكته فثقلت بشيء، فجذبها فأخرجها فإذا فيها جراب، وأنه قدّره مالا فأخذه وفتحه، فإذا فيه آجر، وبين الآجر كفّ مخضوبة بحناء. قال، فأحضر الجراب والكف والآجر، فهال المعتضد ذلك، وقال: قل للصياد يعاود طـرح الشبكة فوق الموضع وأسفله وما قاربه، قال: ففعل، فخرج جراب آخر فيه رجل. قال؛ فطلبوا فلم يخرج شيء آخر، فـاغتم المعتضد، فقال: معي في البلـد من يقتل إنسانًـا ويقطع اعضاءه ويفرقه، ولا أعرف به. ما هذا مُلك.

قال، وأقام يـومه كله ما طعم طعـامًا، فلما كان من الغـد أحضر ثقة له، وأعطاه الجراب فارغًا وقال له: طف به على كل من يعمل الجُرُب (جمع جراب) ببغـداد، فإن عرفـه منهم رجل، فسله على من بـاعه، فإذا دلّك عليـه، فسل المشتري من اشتراه منه ولا تقر على خبره أحدًا.

قـال، فغاب الـرجل وجاءه بعـد ثلاثـة أيام، فـزعم أنه لم يـزل يتطلّب في الدباغين، وأصحاب الجرب، إلى أن عرف صانعه، وسـأل عنه فذكر أنه باعه على عطار بسوق يحيى، وأنه مضى إلى العطار وعرضـه عليه، فقال: ويحك، كيف وقع هذا الجراب في يدك؟

فقلت: أو تعرفه؟

قال: نعم، اشترى مني فلان الهاشمي منذ ثلاثة أيام عشرة جرب لا أدري لأيّ شيء أرادها وهذا منها.

فقلت له: ومن فلان الهاشمي؟

فقال: رجل من ولد علي بن ريطة من ولـد المهدي يقال له فلان، عظيم، إلا أنـه شر النـاس وأظلمهم وأفسـدهم لحرم المسلمين، وأشـدهم تشـوّقـا إلى مكائدهم، وليس في الـدنيا من ينهي خبره إلى المعتضـد خوفـا من شره، ولفرط تمكنه من الدولة والمال.

ولم يزل يحدثني وأنا اسمع أحاديث له قبيحة إلى أن قال: فحسبك أنه كان يعشق منذ سنين فلانة المغنية، جارية فلانة المغنية، وكانت كالدينار المنقوش، وكالقمر الطـالع في غاية حسن الغناء، فساوم مولاتها فيهـا، فلم تقاربه، فلما كان منذ أيام بلغـه أن سيدتها تريد بيعها على مشترٍ قد حضر، بـذل فيها ألوف دنانير، فـوجه إليهـا «لا أقلّ من أن تنفذيها اليّ لتـودّعني» فأنفذتها إليـه بعد أن أنفذ إليها جذرها لثلاثة أيام، فلما انقضت الأيام الثلاثة غصبها عليها، وغيّبها عنها، فما يُعرف لها خبر، وادّعى أنها هربت من داره. وقالت الجيران إنه قتلها، وقـال قوم: «لا، بل هـي عنده» وقـد أقـامت سيدتها عليهـا المأتم. وجـاءت وصاحت على بـابه. وسـوّدت وجهها، فلم ينفعهـا شيء، فلما سمع المعتضد سجـد شكرًا لله تعـالى على انكشـاف الأمر لـه، وبعث في الحال من كبس على الهاشمي وأحضر المغنيـة، وأخرج اليـد والـرجل إلى الهاشمي، فلما رآهما امتقع لونه وأيقن بالهلاك واعترف»(٨)

ونـلاحظ أن هـذا النـوع من الألغـاز لا يـرتبط بـالألفـاظ، بل بـالسلـوك والأفعال، فهو يبدأ بحادث غامض، يلي هذا مرحلة من الحيرة، ثم تبدأ الحركة

الألغاز في التراث العربي "٣"

الألغاز القصصية

لكشف الغموض، ويأتي دور الذكاء في كشف السر من خلال شيء عارض وأخيرًا ينتهي الأمر بالقبض على المذنب وإحقاق الحق، تأكيدًا للجانب الأخلاقي.

○ ألغاز الكشف عن المهارة الحسابية

ومن أمثلتها ما رُوي عن المأمون من أن أمرأة دخلت عليه وفي مجلسه الأمراء والعلماء لتتظلم «فذكرت أن أخاها توفي وترك ستمائة دينار، فلم يحصل لها سوى دينار واحد. فقال لها المأمون على البديهة: قد وصل إليك حقّكِ، كان أخوك قد ترك بنتين وأمًا وزوجة واثنى عشر أخًا وأختًا واحدة وهي أنت.

قالت: نعم يا أمير المؤمنين.

فقال: للبنتين الثلثان أربعمائة دينار.

وللأم السدس مئة دينار.

وللزوجة الثمن خمسة وسبعون دينارًا

بقي خمسة وعشرون دينارًا..

لكل أخ ديناران

ولك دينار واحد.

فعجب العلماء من فطنته وحدّة ذهنه وسرعة جوابه»(٩)

نخلص مما سبق إلى أن للألغاز وظائف عديدة، مثل التعليم، وتعظيم الأبطال، وخلق جو سحري محلّق حول اختيار الأزواج والزوجات، وتحقيق الخير وهزيمة الشر، وتمجيد الذكاء، بالإضافة إلى تحقيق نوع من الغموض الفني المحبب، الذي يكسب القصة ثوبًا من التشويق والإثارة.

نخلص أيضًا إلى أن الألغاز لا تعني الأقوال الغامضة فقط، بل تعني أيضًا الأفعال الغامضة التي تحتاج لكشف كما رأينا في اللغز التعليمي ولغز الجريمة.

وسنجد أن الألغاز القصصية بالمعنى الأخير تنقسم أيضًا إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: عمل قصصي يعتمد على عدد كبير من الألغاز المتتالية (كما هو الحال في قصة تودد مثلاً).

القسم الثاني: عمل يقوم على لغز واحد محوري تدور حوله القصة كلها (مثل لغز الجريمة الذي ذكرناه واللغز الحسابي الذي حلّه المأمون).

القسم الثالث: في منزلة بين المنزلتين، أي يجمع بين أكثر من لغز، وقد يكون أحدها محوريًا (كما في قصة يوسف حيث تكون ألغاز زميلي السجن تمهيدية، بينما لغز الملك بعد ذلك محوريًا).

أي إن العلاقة بين اللغز والقصة ليست دائمًا على النمط نفسه، بل تتبع أنماطًا متباينة، تختلفُ من عمل إلى آخر.

(٢)

وليس هناك شكل محدد لبناء اللغز القصصي، بل إننا قد نجد أكثر من طريقة للبناء داخل النوع الواحد. وعلى سبيل المثال فإن ألغاز التحدي والتعجيز قد تنتهي بالرد عليها وحسب، وقد تمتد لتشمل جزءًا ثانيًا يقوم فيه بهجوم مضاد لإثبات عجز الخصم.

وبعض الألغاز يكون الرد فيها فوريًا، لكن البعض الآخر يتطلب حركة وتفكيرًا واستنتاجًا كما في ألغاز الجريمة.

وبعض الألغاز يقوم البطل بحلها بنفسه، وبعضها يلجأ البطل لمساعد يساعده كما هو الحال في قصة «وفاء وغرام» التي ذكرناها في دراسة سابقة.

(٣)

ومن الملاحظ أن محتوى بعض الألغاز ينتقل عبر الأجيال والأقطار لنراه متجددًا في ألغاز أخرى تنتمي لعصور وبلاد غير التي رأيناها أول مرة. وعلى سبيل المثال فإن بعض الأسئلة التي توجه لعبد الله بن عباس (المعاصر لمعاوية/ في الشام) تظهر مرة أخرى في مباراة تودد وخصومها (العصر العباسي/ أيام هارون الرشيد/ في العراق) ثم تتجدد مرة ثالثة في السيرة الهلالية المكتوبة بالعامية المعاصرة.. وهذا يدل على قدرة الألغاز على الاستمرار.

وحسبنا أن نقارن المقطع التالي من الألغاز الواردة في قصة تودد بالألغاز الموجهة لابن عباس.. يقول السائل لتودد:

«أخبريني عن خمسة أكلوا وشربوا وما خرجوا من ظهر ولا بطن

قالت: هو آدم وشمعون وناقة صالح وكبش إسماعيل والطير الذي رآه أبو بكر الصدّيق في الغار.

قال: فأخبريني عن قبر مشى بصاحبه.

قالت: هو حوت يونس بن متى حين ابتلعه.

قال: فأخبريني عن بقعة واحدة طلعت عليها الشمس مرة واحدة ولا تطلع عليها بعد إلى يوم القيامة.

قالت: البحر حين ضربه موسى بعصاه...»(١٠)

إنها الألغاز نفسها.. مما يؤكد أن الألغاز مثلها مثل بقية أجناس الأدب الشعبي، لها القدرة على عبور العصور والحدود، ما دامت تحمل مضمونًا مناسبًا للعصر والظروف الاجتماعية.

ولعل من أسباب بقاء هذه الألغاز وانتقالها هو مضمونها الديني، الذي كان ولا يزال يمثل ملمحًا مهمًا من ملامح الثقافة العربية.

الهوامش:

١ ـ أبو الفرج الأصبهاني: الأغاني (تحقيق إبراهيم الإبياري) القاهرة، ١٩٦٩ م، المجلد ٩ ص ٣٢٢١-٣٢٢٣.

٢ ـ ابن كثير: البداية والنهاية (تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرين) القاهرة، ١٩٨٨ م، حـ ١، ص ٢٧٦ ـ ٢٧٧.

٣ ـ البداية والنهاية، ج ٨، ص ٣٠٦ ـ ٣٠٧.

٤ ـ ألف ليلة وليلة، (ط. دار العودة) بيروت، دون تاريخ، المجلد الثاني، ص ٨٣٨ ـ ٨٣٩، والقصة كاملة تستغرق الصفحات من ٨٣٦ ـ ٨٧١.

٥ ـ المرجع السابق، ص ٨٤٧.

٦ ـ المرجع السابق، ص ٤٤٨.

٧ ـ عزالدين إسماعيل: القصص الشعبي في السودان، القاهرة، ١٩٧١ م، ص ٤٠.

٨ ـ ابن الجوزي: الأذكياء، بيروت (دار الكتب العلمية) ١٩٨٥ م، ص ٥٤ ـ ٥٥.

٩ ـ البداية والنهاية، جـ ١٠، ص ٢٨٨ وقد ذكر ابن كثير أن هذه القصة قد رويت أيضًا عن علي بن أبي طالب.

١٠ ـ ألف ليلة وليلة، المجلد الثاني، ص ٨٦٥ ـ ٨٦٦.

الطفولة في عالم اليوم

بهاء الدين الزهوري



أخـذت الطفولـة في الآونة الأخيرة تحظى بـاهتمام عدد كبير من العلماء، في مختلف فـروع المعرفة والعلوم الإنسانية، وكل فريق منهم يحاول أن يفهم الطفل، ويسعى إلى تحقيق التوافق بين حاجاته والحياة الاجتماعية العامة.

هذا الاهتمام بـالطفل والطفولـة، من الباحثين والمفكـرين، يبشرنا بأمل في تقـدم حقيقي لتحقيق مزيد من الرفاهية الإنسانية، فـالمعرفة العلمية لسلوك الأطفال وكيفية نموهم تسهم في تحسين مستوى الإنسان، وتساعد على تقدمه من ناحية، والفهم الواضح السليم للطفل، يعد الخطوة الأولى في تكوين نظرية واضحة عن السلوك الإنساني من ناحية أخرى.

لكن الـدراسات التي تهتم بـالطفل، لا تسير على أرض معبدة، فهي تواجـه مشكلات عديدة، تتطلب مزيدًا من البحث والاستقصاء، ابتداء من النمو الجسدي والنفسي والاجتماعي للطفل، مرورًا باكتسابه المفردات اللغويـة، وانتهاء بنمو اتجاهاته الاجتماعية والسياسية والثقافية.

الطفل والمجتمع

إن المهتم بالطفولة، كما يدرس الأطفال في البيئة السوية، ، لا يستطيع أن يتجاهـل ما تفرزه البيوت المفككـة من مشكلات، ولا أن يغمض عينيـه عن الآثار التي تترتب على انصراف الـوالدين وانشغالهما عن تنشئـة أولادهما، أو إغفال تـوجيههم التوجيـه السليم، كما لا يستطيع أن يتغـاضـى عن النتـائج التي تنجم عـن التفكك الأسري، فقـد أظهـرت بعض الـدراســات أن الاستقـرار الأسري في طـور الـرشـد يعتمـد إلى حـد كبير على أنماط التـوافق والتكيف التي تتكون في طور الطفولة، كما أوضحت

○ لاتزال أدوات البحث في مجال الطفولة تفتقر إلى الدقّة والموضوعيّة

دراسات أخرى، أهمية التدريب على تنمية السلوك الحركي والتفكير المجرد المناسب، باعتبارهما أمرين مطلوبين في عصر التقنية (التكنولوجيا)(١).

وقد درج المجتمع الإنساني، على التفرقة بين فئات الأعمار المختلفة داخل النسق القرابي، وفي مراحل التعليم، وخلال المشاركة الجمعية، كما يميز بين فئات السن داخل النسق المهني. وعلى الرغم من أن حدود السن ليست جامدة، بل هي تقريبية إلى حد ما، فإن ذلك لا يقلل من أهميتها البنائية، وأول مركز يشغله الشخص العادي، في البناء الاجتماعي، هو مركز الابن الطفل في نسق الأسرة، ويحدد المجتمع لهؤلاء الأبناء الأطفال حقوقهم وامتيازاتهم وواجباتهم، كما أنهم يتميزون بألعابهم المفضلة، وطرقهم الخاصة في التعامل مع الآخرين، ولهم أغنياتهم وحكاياتهم وقصصهم ونوادرهم.

وقد حدد المجتمع بوضوح **ملامح مجتمع الأطفال** على هذا النحو، إلا أن المسؤولية ليست من السمات التي يتميز بها عالم الأطفال، **فهم يتميزون بعدم المسؤولية، وبالاعتماد على الكبار، وعدم الاكتراث بالنظام، لكنهم ينفردون بالتعاون التلقائي العفوي بينهم**. ومن الحقوق التي حددها المجتمع للأطفال حديثًا، القوانين التي تلزم بتعليمهم، والقوانين التي تحرم تشغيلهم قبل سن معينة، والتي لا تسمح لهم بالدخول في أماكن العمل، وحتى إذا سمح لهم بالعمل، فقد حدد المشرع عدد ساعات تشغيلهم، والفترة التي يعملون فيها.

ويولي معظم العلماء السلوكيين اهتمامًا زائدًا لدراسة مهامَّ عملية التنشئة في طور الطفولة، أثناء عملية التفاعل بين الطفل ووالديه، والمسؤوليات الوالدية في طور الطفولة، ومن بعدها مسؤوليات المدرسة الابتدائية، التي تحدد بدورها المعايير الاجتماعية.

المسؤوليات الاجتماعية للوالدين

وقد حدد علماء التربية، **المسؤوليات الاجتماعية**، التي يتعين على الوالدين أن يحققاها إذا ما أرادا لابنهما الطفل أن يعيش مقبولاً من أبويه ومن الآخرين، وهذه المسؤوليات هي:

أ ـ توفير العون والتربية للطفل.

ب ـ إعلاء الحاجات الفيسيولوجية وتوجيهها، مثل الحاجة إلى الطعام، والحاجة إلى الإخراج، ليحقق التكيف مع الوالدين ولمواجهة المعايير الثقافية.

ج ـ تعليم الطفل وتدريبه على المهارات، وإتاحة الفرصة لممارسة المهارات الحركية والقدرات العقلية، والمهارات الاجتماعية، بما يكفل له الحماية وتعزيز الأمان، وتنمية القدرات والإمكانات على أداء السلوك المستقل.

د ـ توجيه الطفل إلى عالم الأصدقاء توجيهًا مباشرًا، وإلى المجتمع المحلي والمجتمع الأكبر، من خلال مجموعة من المواقف الاجتماعية.

هـ ـ نقل مجموعة من الأهداف الثقافية والقيم، ودفع الطفل نحو الأهداف الوالدية والاجتماعية.

و ـ إبراز المهارات الشخصية وصقلها، والاهتمام بمشاعر الآخرين والاستجابة لها.

ز ـ ضبط مجال سلوك الأطفال، وتحديد الأخطاء وتصويبها، وتقديم النصح والتفسيرات لهم.

وتحدد معايير كل مجتمع أغلب هذه المسؤوليات والمهام، فالمجتمع عادة يحدد كيف ومتى يقوم الوالدان بهذه المهام؟ ومن منهما يؤديها؟ فمثلاً على الأم أن ترضع صغيرها وتغذيه، وعلى الوالدين معًا أن يستثمرا الوقت والجهد لمراعاة أولادهما، ويتأكدا من أنهم يتعلمون مهارات خاصة مقبولة، ويتحاشون أنماطًا معينة من السلوك الخاطئ، في سن معينة.

وتبدأ هذه الجهود للوالدين، في فترة مبكرة جدًا، قبل أن يعيها الطفل، إذ يبدأ الوالدان في التحدث إلى طفلهما، بلغة يحددها إدراك الطفل للعالم الخارجي، ليعرفاه بوضوح: من نحن؟ وماذا نريد؟ وما يجب علينا أن نفعله؟ فعلينا أن نسلك مع الآخرين سلوكًا لائقًا، تحكمه الأمانة والصدق والخير والوفاء، وضرورة أن يعمل الإنسان بكد وجد، وما إن يبدأ الطفل يعي العالم الذي حوله حتى تبدو تعليمات والديه أكثر تحديدًا، وأكثر دلالة.

مراحل الطفولة

وثمة تحديدات كثيرة لمراحل الطفولة، وتقسم مرحلة الطفولة إجمالاً إلى خمس مراحل فرعية، هي:

أ ـ مرحلة ما قبل الميلاد (الجنينية): وتمتد من بداية الحمل حتى الولادة.

ب ـ مرحلة المهد (الفطام): وتمتد من الولادة حتى نهاية السنة الثانية.

ج ـ مرحلة الطفولة المبكرة: وتمتد من سنتين إلى ست سنوات.

د ـ مرحلة الطفولة المتوسطة: وتمتد من ست سنوات إلى تسع سنوات.

هـ ـ مرحلة الطفولة المتأخرة: وتمتد من تسع سنوات إلى بداية سن المراهقة(٣).

ونستطيع أن نقول بأن الطفولة تضم الأعمار، التي تمتد ما بين المرحلة الجنينية ومرحلة الرشد، وهي مرحلة الاعتماد على النفس، وتعبر الطفولة بالفرد من مرحلة العجز والاعتماد على الآخرين، بدءًا بأولياء الأمور إلى مرحلة الاعتماد على النفس، تبعًا لقدراته واستعداداته وتنشئته الاجتماعية، وهذا يعني أن الطفولة تختلف وتتباين من جيل إلى جيل، ومن ثقافة إلى أخرى، ومن مجتمع إلى آخر، طبقًا لمتطلبات بيئة الفرد.

وعلى الرغم من أن الاهتمام بالطفولة قديم، لكن الدراسة العلمية لها حديثة العهد، فقد كانت الدراسات الأولى كشفية ووصفية، فمثلاً كان الاهتمام منصبًا على مراحل نمو الطفل، وصفات كل مرحلة من هذه المراحل، لكن الدراسات التي تلت ذلك تجاوزت مرحلة الكشف والوصف، إلى البحث في العلاقات السببية، أي علاقة ظاهرة بأخرى أو علاقة متغير بآخر، وظهرت إلى جانب هذا كله؛ الدراسات الميدانية، التي اعتمدت أساليب أخرى، إضافة إلى أسلوب الملاحظة.

اعتمدت الدراسات الميدانية طرقًا قادت إلى الموضوعية، وإلى إيجاد بعض المقاييس التي وفرت معرفة علمية موضوعية عن الطفولة، كما تناولت دراسات الطفولة بالبحث والتمحيص **الجانب النفسي** الذي يتعلق **بشخصية الطفل**، والجانب الذي يتعلق **ببناء المجتمع** من خلال بعض مؤسساته وجماعاته، مثل **الأسرة ومجموعة الرفاق ووسائل الإعلام**. وعلى هذا الأساس فقد ظهرت دراسات تعنى بالطفل ضمن الأسرة، وأثر ظروف الأسرة من الناحية الاجتماعية والاقتصادية والثقافية فيه، ولم تقتصر الدراسات على الأسرة فحسب، بل تجاوزت ذلك لتشمل **دار الحضانة والمدرسة والبيئة**،

وأثرها جميعًا في الطفل . ولهذا **فإن دراسة الطفل ليست من اختصاص علم أو فرع من فروع المعرفة ، وإنما هي مجال اهتمام جميع العلوم الإنسانية .**

أهمية الطفولة

ومع تطور الأبحاث في علم نفس الطفل ، وطرائق تربيته ، وأساليبها ، أصبحت النظرة إلى الطفل في العصر الحاضر ، أعم وأشمل . وأصبح الطفل خلافًا لكل النظريات أو النظرات السابقة التقليدية ، كائنًا حيًا يولد مزودًا ببعض الخصائص



العضوية والفيسيولوجية ، وله حاجاته البيولوجية والنفسية ، التي يعد إشباعها ضروريًا لبقائه ونموه ، وهو يعيش في وسط اجتماعي لا غنى له عنه ، عليه أن يتعلم كيف يتوافق معه كي يسد حاجاته النفسية والاجتماعية .

وضمن هذه النظرة المتقدمة إلى الطفل ، ومفهوم عالمه ، فقد احتلت الطفولة أهمية كبيرة لدى المعنيين بشؤون الطفل وتربيته خاصة ، ولدى الجهات الرسمية والشعبية عامة . هذه المرحلة التي تعد من أخطر المراحل وأدقها في وضع السمات العامة ، النفسية والاجتماعية والعقلية ، لشخصية الفرد ، وتكوين اتجاهاته وقيمه وأساليب سلوكه في الحياة .

وتشكل الطفولة مرحلة مهمة لذاتها ، لا بل مهمة وضرورية لما بعدها . فهي مهمة لذاتها ؛ لأنها تعد مرحلة متميزة في حياة الفرد ، وهي مهمة وضرورية لما بعدها ، نظرًا ؛ لأن الأساس المتين يؤدي إلى بناء متين . وبما أن طفل اليوم ، هو رجل المستقبل ، كان من الطبيعي أن تكون الخبرات التي يتلقاها ، والمهارات التي يكتسبها ، ذات أثر بالغ في تكوين شخصيته من جوانبها المتعددة . هذه الشخصية ، التي ستلعب دورًا فعالاً في حياته اللاحقة كلها .

«فعالم الأطفال عالم خاص يعرف بالعالم المغلق ، ونحن إذا ما أدركنا أن تركيبنا النفسي والاجتماعي والبيولوجي ينشأ من هذه المرحلة ، أدركنا سر اهتمام الدول المتقدمة بالأطفال وعنايتها بها»(٤) . ذلك **لأن الطفولة تمثل أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته ، حيث يكون الطفل فيها «أكثر استعدادًا وميلاً للتقبل والتعلم والابتكار ، فهو يرى ويسمع ويفهم ويتذوق ، ويحاول اكتشاف العالم الذي يعيش فيه ، من خلال الأدوات والوسائل التي تتوافر له وتكون في مستوى تفكيره»**(٥) .

الخاتمة

لقد أخذت الدول التي تعمل في اتجاه التقدم والازدهار تضع في حساباتها الأولى أولوية العناية بالطفولة من جميع جوانبها ، وأصبحت العناية بالطفل تحظى باهتمام الأفراد والمؤسسات الاجتماعية والرسمية . ولكي يكون التوجه إلى الطفل صحيحًا ، يجب أن ينطلق هذا التوجه من المعرفة الدقيقة لظروف هذا العالم المتميز ، النفسية والاجتماعية والتربوية ، في إطار يسهم في بناء شخصية متكاملة .

وأخيرًا ، تعد دراسة الطفولة من الدراسات الصعبة ، نظرًا لأنها تواجه مشكلات منهجية وموضوعية ، إذ لا تزال أدوات البحث في مجال الطفولة تفتقر إلى كثير من الدقة والموضوعية ، بسبب صعوبة إخضاع الأطفال ، إضافة إلى عدم قدرة الباحث على ضبط جميع العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة المدروسة .

وثمة عوامل كثيرة ، دفعت الباحثين والمختصين لدراسة الكيفية التي ينمو بها الأطفال ، والشروط اللازمة لنموهم والسلوك الصادر عنهم ، ومن هذه العوامل ما يلي :

أ ـ الحركة العلمية في ميدان علم النفس ، التي بدأت بطابع فلسفي وانتهت بمنهج يعتمد على التجربة والبحث والملاحظة .

ب ـ اهتمام علماء النفس بالدوافع البشرية وأثرها في عملية التعلم .

ج ـ التقدم العلمي في مجال البحث والقياس النفسي وما رافق ذلك من تقدم في مجالات مقاييس الذكاء والاستعدادات والقدرات .

د ـ توجه التربية الجديدة وتركيزها على الكائن البشري من حيث إنه كل متكامل ، وَبَدْءُ الاهتمام بهذا الكل الذي يشمل الجوانب الجسمية والعقلية والاجتماعية والانفعالية(٦) .

وبناء على ما تقدم ، فقد أصبح الطفل القاعدة الأساس ، في كل عملية اجتماعية تربوية ، من شأنها إعادة بناء المجتمع وتقدمه ، ذلك ؛ لأن الطفل هو رجل المستقبل ، وعليه مسؤوليات البناء والتطور ، ومن هنا احتلت الطفولة مكانة بارزة في عالمنا المعاصر ، وفي الدراسات التربوية الحديثة .

الهوامش :

١ ـ د . محمد سعيد فرح : الطفولة والثقافة والمجتمع ، منشأة المعارف بالاسكندرية ، ط (١) ١٩٨٠ م ، ص ١٥ .

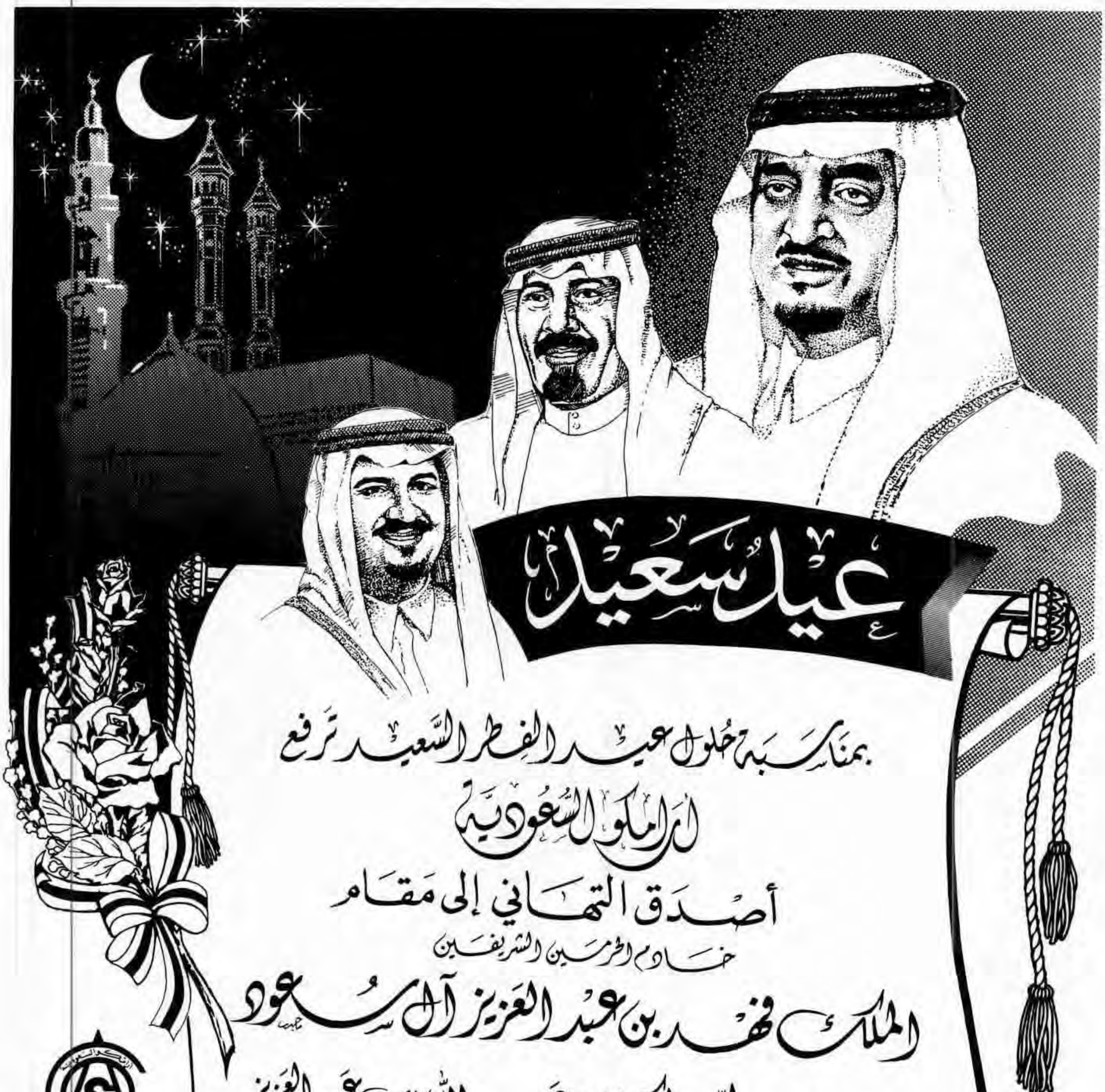
٢ ـ المرجع السابق نفسه ، ص ٢٢ .

٣ ـ د . نايفة قطامي ، و د . محمد برهوم : طرق دراسة الطفل ، دار الشروق ، عمان ط (١) ١٩٨٩ م ، ص ١٦ .

٤ ـ راجع بحث : ثقافة الأطفال في الوطن العربي : بهاء الدين الزهوري ، مجلة (المعرفة) السورية ، العدد (٢١٤ ، ٢١٥) ، (كانون الأول ـ ديسمبر ١٩٧٩ م ، كانون الثاني ـ يناير ١٩٨٠ م) ، ص ١١٠ .

٥ ـ محمد الجزائري : أدب الأطفال في المواجهة ، كراس المؤتمر الثاني عشر للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب المنعقد بدمشق ١٩٧٩ م ، الجزء الثاني ، ص ٢٤٤ .

٦ ـ د . نايفة قطامي ، ود . محمد برهوم : طرق دراسة الطفل ، ص ٢١ .

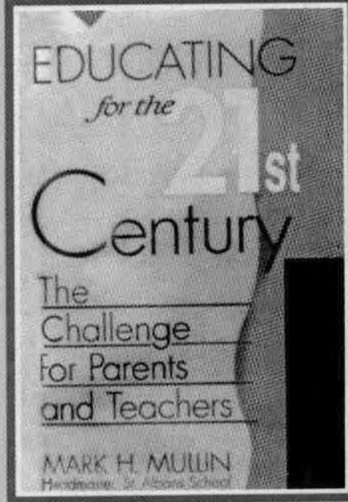

عيد سعيد
بمناسبة حلول عيد الفطر السعيد ترفع
أرامكو السعودية
أصدق التهاني إلى مقام
خادم الحرمين الشريفين
الملك فهد بن عبد العزيز آل سعود
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله بن عبد العزيز
ولي العهد ونائب رئيس مجلس الوزراء ورئيس الحرس الوطني
وإلى صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز
النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام
وإلى الحكومة الرشيدة والشعب السعودي الكريم
سائلين المولى أن يعيده على الأمة الإسلامية بالخير واليمن والبركات
SAUDI ARAMCO

التعليم
من أجل القرن الواحد والعشرين

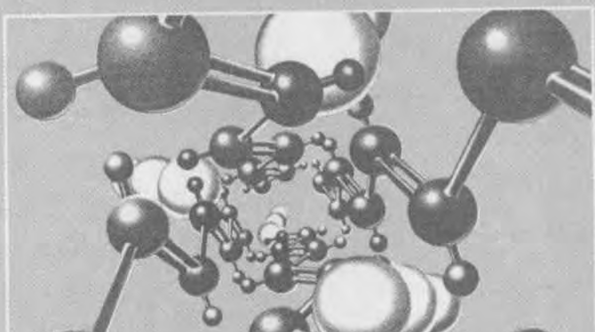
قد يوحي عنوان هذا الكتاب التربوي المهم، الذي ظهر خلال عام ١٩٩٢ م في الولايات المتحدة باللغة الإنجليزية، بأن موضوعه يدور حول التعليم في القرن الواحد والعشرين. لكن الحقيقة أن الكتاب يتصدى للطريقة التي يجب أن نعلّم بها طلابنا منذ الآن وخلال السنوات المتبقية من القرن الحالي، حتى يصبحوا مهيئين للتكيف مع الظروف والأوضاع التربوية والحياتية التي سوف تسود في القرن الواحد والعشرين. ويقدم لنا مارك مولين في كتابه هذا خلاصة خبرته وأفكاره وآماله التربوية حول طلاب اليوم الذين يختلفون عن جيل الأمس.

فأولئك هم طلاب الكومبيوتر والفيديو والليزر والاستكشاف الفضائي، ويجب أن يتلقوا تعليمًا مغايرًا للتعليم الذي خضع له أسلافهم.

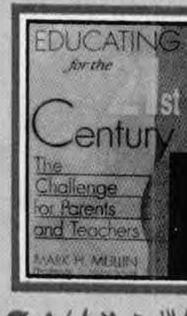
نافذة على ثقافة الغرب



تأليف:
مارك مولين
عرض وتحليل:
ياسر الفهد



يبين المؤلف أن المهمة التربوية الكبيرة اليوم تتجلى في إيجاد برامج تهيئ بعض طلاب المدارس الثانوية العامة لمرحلة التعليم العالي، وبعضهم الآخر لدخول معترك الحياة المنتجة دون الحاجة إلى الحصول على تعليم إضافي. مثل هذه المهمة تنطوي على صعوبات عديدة، مثل قضايا الحافز والموارد المالية والإعداد المهني وتساوي الفرص. وقد نشأت الآن مشكلات أخرى جديدة مثل مشكلة التوسع الهائل في المعرفة، ولا سيما المعرفة العلمية التي تتضاعف مرة واحدة في أقل من سنتين، وتجعل النسبة المئوية لامتصاص طلاب المرحلة الثانوية الحاليين مجمل المعرفة البشرية أقل ممّا كانت عندما التحقوا لأول مرة بالمدرسة. والمشكلة أن التعليم ليس مطالبا بمواجهة الانفجار المعرفي الذي يأتي في المرتبة الثانية من حيث الأهمية بعد الانفجار السكاني فحسب؛ وإنما أيضا بالتصدي للتغييرات الاجتماعية والثقافية الناجمة عنه. وهناك أيضا مشكلة تداخل العلاقات وتشعبها بين مختلف أمم الأرض، مما يجعل من واجب التعليم أن يقرر كم من الوقت ومن المقررات الدراسية يجب أن يكرس الطالب لفهم ثقافته الخاصة المحلية، وكم منه لدراسة ثقافات الشعوب الأخرى. وينتقل الكتاب بعد ذلك إلى مشكلة هشاشة البيئة الأرضية التي تشكل خطرًا كبيرًا، يُضاف إلى خطر التدمير



التعليم
من أجل القرن الواحد والعشرين

النووي. وعلى التعليم أن يواجه المشكلتين معا عن طريق حفظ الموارد وترشيد استخدامها، وكذلك منع الحروب النووية. فهذه تعد من أهم مهام التعليم في العقد الحالي. ومن واجب المدارس أن تتخذ قرارات أخلاقية حاسمة في هذا المجال. ويدعو المؤلف إلى تعديل المناهج حتى تصبح متماشية مع التطورات المرتقبة في السنوات القادمة وحتى يكون لها نصيب في التوجيه الأخلاقي، أكبر مما كان لها في الماضي. ولا ينسى الكتاب أهمية دور الآباء والأمهات في التعليم وضرورة تعاظم هذا الدور في التعليم المستقبلي، فحب الوالدين لأبنائهما يشكل حافزًا قويًا جدًا كي يفعلا ما في وسعهما لمساعدة أبنائهما ولإقامة جسور الاتصال بينهم وبين أساتذتهم. وكلما كان الوالدان أكثر ثقافة وعلما، ازدادت أهمية مشاركتهما في نشاطات المدرسة.

ويتناول المؤلف في فصل خاص أخطار التلفاز على المتعلمين الذين يقضون أوقاتا طويلة في مراقبته. ويعد الفيديو أقل خطرا وأكثر فائدة علمية؛ لأن المشاهد يستطيع أن يختار بواسطته أية مادة علمية يهمه عرضها. ولكن تظل هناك - كما الحال مع التلفاز - مشكلة إضاعة الوقت والتأثر بمشاهد العنف. ويستعمل بعض الطلاب الكومبيوتر، بدلا من ذلك، لكن هذا أيضا كثيرا ما يصرف الطفل عن تطوير علاقاته الاجتماعية وتحسين مهاراته العامة.

وفي فصل (العالم غير المستقر)، يتعرض الكتاب لبعض تطورات المستقبل المحتملة، مبينا أن تعليم الأطفال من دون وجود فكرة عن مستقبل العالم، يشبه السفر في الظلام. وعندما يشرع مستقرئ المستقبل في التنبؤ، فإنه يعتمد عادة على ملاحظة الاتجاهات الحالية التي يعتقد أنها سوف تستمر، فإذا لم تتطور هذه الاتجاهات، وإذا برزت بدلا من ذلك اتجاهات أخرى غير متوقعة، فإن تنبؤات المستقرئ تكون غير دقيقة. ويقدم لنا المؤلف في هذا الفصل المهم صورة واضحة عن الأوضاع التربوية القادمة التي سيصبح طلاب المدارس الثانوية الحاليين في ظلها كبارا. فهناك، مثلا، ظاهرة نمو المعلومات التي ستجعل المتعلمين بحاجة إلى استخدام الثقافة القادرة على التعامل مع كميات كبيرة من المعلومات بسرعة فائقة. وهناك، أيضا، ظاهرة الانتقال من اعتماد الناس، بعضهم على البعض الآخر، ضمن النطاق القطري، إلى الاعتماد المتبادل، على مستوى عالمي. ولاشك أن من شأن هذا التحول أن يغير طريقة تفكيرنا حول العالم وحول أنفسنا، وأن يؤدي إلى تطوير المهارات والفهم اللازم لإنجاز صفقات العمل مع أناس ينتمون إلى شتى بقاع العالم.

ونذكر في هذا المجال المؤسسات متعددة الجنسيات، فالفرد الذي يتعامل مع جنسيات كثيرة، لابد أن يحتاج إلى تعليم جديد. وينبه الكتاب أيضا إلى ظاهرة ازدياد الخيارات وتوسعها.

ويحدث هذا في مجال اختيار المهنة وطراز المعيشة، كذلك في المجال العائلي. ففي الماضي، مثلا، كان الأب يعمل والأم تبقى في المنزل، أما اليوم، فإن الأم كثيرا ما تعمل في السلك الوظيفي والمهن المختلفة.

وقد يأتي وقت تعمل فيه الأم في الوظيفة والسوق ويبقى الأب في المنزل. وهناك أيضا الخيارات في مجالات إكمال الدراسة وفروع التخصص والدورات الدراسية والقضايا الأكاديمية المختلفة، وكذلك في طرق العمل، فمثلا، هناك ظاهرة جديدة بدأت تبرز في عالم العمل، إذ إن بعض العمال أخذوا يربطون مصائرهم بمصائر بعض المؤسسات أو الشركات، فيعملون من أجلها وحدها، ويكرسون حياتهم في سبيلها. وهذه، بدورها، تقدم لهم بقدر ما يقدمون لها. وهذا الوضع يخلق حافزا قويا للإنتاج والتفاني في العمل. ومثل هذا الولاء يمكن أن ينطبق أيضا على ولاء المعلم لإحدى المدارس الخاصة، مثلا.

> ❞ حرية الاختيار في الفيديو تجعله أقل خطرًا من التلفاز وأكثر فائدة علمية ❝

ومن القضايا المهمة التي طرقها الكتاب موضوع ما يسمى بالمنهاج المفتوح. إن أي منهاج لا يستطيع أن يوفر معلومات مشتركة ثابتة لجميع الناس، نظرا لأن المعرفة تتوسع باستمرار، ولا سيما في مجال العلوم. لذلك فإن المؤلف يدعو إلى تعديل المناهج في جميع دول العالم وإدخال مقررات دراسية عن الشعوب الأُخرى وثقافاتها وعاداتها وآدابها،

وإلى جعل هذه المناهج حرة بحيث تختار كل جهة ما تريد أن تعلّمه للطلاب التابعين لها. ويسوق الكتاب مثلا حول ذلك مما يتعلق بمنهج التاريخ، فليس القصد من هذا المنهج تعليم الطلاب إحصاءات وأسماء وتواريخ، أو تعريفهم بالأحداث والأسباب، بل مدهم بالقدرة على امتصاص المعلومات التاريخية واستخلاص العبر والنتائج من هذه المعلومات. وهذه القدرة يمكن تطويرها بواسطة مادة دراسية من أية فترة تاريخية. وهذا يعني أنه لا حاجة لتخصيص مقررات في مادة التاريخ تغطي بالضرورة فترات وعهودًا زمنية معينة، فأي مقررات في مادة التاريخ يمكن أن تحقق الهدف نفسه، ويؤكد المؤلف أن التربية الحديثة يجب أن تتيح للطالب حرية اختيار ما يريد دراسته، مما يوفر له حياة مليئة بفرص اتخاذ القرارات. إن المنهاج الحر يدفع الطالب إلى إطلاق أحكام مفيدة بالنسبة له تبين ما إذا كان هذا المقرر أو ذاك ينطوي على أهمية أساسية أم لا. ومما لاشك فيه أن جميع المعارف لا يمكن أن تكون على درجة واحدة من الأهمية. ومن جهة ثانية، فإن المقرر

الاختياري أكثر جذبا للتلميذ من المقرر المفروض. كما أنه يتيح للمعلم أن يقترح ما يشاء من المقررات وأن يعمل وفقا لما يهمه منها. كذلك المدرسة التي يمكنها بفضله أن توفر مقررًا ملائمًا لكل تلميذ حسب مقدرته ومستواه الخاصين.

منهاج مقترح

يقترح المؤلف ثمانية عناصر لمنهاج محتمل يعده ضروريا لطلاب التسعينيات الذين سيصبحون راشدين في القرن الواحد والعشرين. وهذه العناصر هي:

أولاً: الاتصال الشفهي:

فبدون إحراز مهارة في الاتصال، سيكون من غير الممكن اكتساب المعرفة واستعمالها بفعالية. ومن بين ما يتضمنه الاتصال القدرة على القراءة بفهم وعلى الإدراك والتمييز والملاحظة، فالطالب يجب أن يتعلم مهارة التعامل مع المناهج الدراسية وتقرير ما هو الأهم بالنسبة لأهدافه الحالية.

فمثلا، عندما يقدم معلم التاريخ لتلاميذه قائمة بالأسماء التي عليهم أن يحفظوها، فإن ذلك لن يساعدهم بقدر ما يساعدهم الطلب منهم أن يطوروا مقدراتهم بأنفسهم، وبالتالي أن يقرروا أي أسماء تستحق أن يستذكروها وأيها يمكن نسيانها. إن الطالب في عصر المعلومات يتعامل مع كمية كبيرة جدا من المعلومات، وعليه أن يطور المهارة الخاصة التي تمكّنه من معرفة المعلومات الأكثر ضرورة من غيرها. وتتضمن مهارة الاتصال أيضا القدرة على الانتباه والمشاركة والكتابة بفعالية.

ثانيًا: التركيز على الرياضيات والحساب والإحصاء. وهذا ضروري في عالمنا الثقافي المعاصر. فالرياضيات تعد لغة العلوم الطبيعية والاجتماعية، ولا غنى عنها في العصر الحديث، فهي تساعد على التفكير العقلاني والدقة العلمية والمنطق التحليلي.

ثالثًا: وضع مقررات دراسية في الثقافة القومية تبين من هم أفراد أمة ما، ومن هذه الأمة وكيف نشأت وتطورت وما الفئات العرقية التي تتشكل منها... الخ.

رابعًا: تعليم مبادئ الكومبيوتر. وهذا يهم الذين يعتزمون دخول الجامعة، وكذلك من يودّون الالتحاق بموكب العمل بشتى أشكاله.

خامسًا: التوسع في العلوم الحديثة والتعريف بمبادئها وتطبيقاتها وتطوراتها، وكذلك تشجيع العقلانية والحض على الابتعاد عن العاطفية والمزاجية، بالإضافة الى مساعدة التلاميذ على اختيار مهنة معينة.

سادسًا: تخصيص مقررات في المعرفة العالمية للتعريف بتاريخ العالم وثقافاته. وهذا يستدعي أيضا، تدعيم اللغات الأجنبية التي تساعد على الاتصال والتواصل بين مختلف الأمم.

سابعًا: وضع مناهج متقدمة للفنون كالموسيقى والدراما والحرف، وغيرها، بهدف تطوير المهارات التقويمية والنقدية والحس الجمالي عند الطلاب حتى يصبحوا أكثر تقبلاً للفن. وهذه المهارات يتم تعلمها بالتحاق التلاميذ بدورات تركّز على تاريخ الفنون وطرق تقويمها، كما يمكن تطوير المهارات المذكورة بالخبرة المباشرة والمشاركة العملية.

ثامنًا: تعليم التلاميذ كيفية اتخاذ القرار، فنظرًا لكثرة الخيارات في مجالات المناهج الدراسية والمهن وطرز الحياة، وغير ذلك، فقد بات من الضروري تدريب التلاميذ على تقرير ما هو الأفضل بالنسبة لهم في كل مجال من المجالات.

تحديات المستقبل

وفي الفصل الأخير، ينتقل المؤلف إلى إلقاء نظرة أخيرة على مستقبل التعليم والتحديات التي تواجهه خلال السنوات المقبلة، وفي بدايات القرن الواحد والعشرين. ومن بين هذه التحديات على سبيل المثال:

أ ـ التحدي المالي المستمر، فمهنة التعليم لا تستطيع أن تزوّد المعلمين بأُجور تعادل أُجور المهن الأخرى كالمحاماة مثلا، مما يجعل كثيرًا من الناس يتجنبون الالتحاق بها.

ب ـ ضرورة إعداد التلاميذ للتوسع السريع المستمر في المعلومات التي تتضاعف في أقل من سنتين، وتزويد هؤلاء التلاميذ بنوعين منها، واحدة منوعة وأخرى متخصصة.

جـ ـ الاستخدام الكيفي للثقافة الجديدة مثل الكومبيوتر بهدف تحسين مردود التعليم.

د ـ توفير مناهج تلائم جميع الطلاب مهما بلغت مستوياتهم ومقدراتهم، سواء منهم الموهوبون أو المعوّقون.

هـ ـ وضع مناهج تساعد الطلاب على التحول إلى رجال ونساء يتمتعون بخلفية أخلاقية وشجاعة أدبية وشخصية قوية. وهناك بالطبع تحديات أخرى كثيرة يصعب التكهن بمداها.

> **المعلومات تتضاعف في أقل من عامين، والتطورات المتلاحقة تدهمنا، فما العمل؟!**

كلمة أخيرة

إن الكتاب الذي عرضنا أهم أفكاره ينطوي على أهمية واضحة، نظرا لأنه يحاول استباق الزمن قبل أن تدهمنا التطورات التربوية المتلاحقة، فنجد طلابنا في أوضاع لا يستطيعون معها التكيف مع مستجدات العصر. ومن ميزات الكتاب أنه يحاول استشفاف المستقبل التربوي العالمي على المديين القصير والبعيد، في آن واحد. وقد استفاد مؤلفه مارك مولين من خبراته الطويلة في سلك التعليم، فأغنى الكتاب بتجاربه القيمة مُكثرا من الأمثلة والحكايات العملية المرافقة للتحليل النظري العميق.

إن عقارب الساعة تسير بسرعة فائقة إلى الأمام. وما لم نعد العدّة منذ الآن لاحتواء التطورات القادمة، فإننا سنتخلّف عن ركب التقدم التربوي، وسنغدو عاجزين في المستقبل عن التعامل مع الأوضاع والمواقف الجديدة. وهذا ما يجعل الاطلاع على كتاب (التعليم من أجل القرن الواحد والعشرين)، مفيدًا، ليس للمربين فحسب، وإنما لكل إنسان مثقف يشعر بالقلق على مستقبل الأجيال القادمة.



قصة قصيرة

الاستسقاء

عبد العزيز المشري

انطلقت من عينيه نظرة حاسرة إلى حقل القمح، وقد تطاول بالسنابل كالشهب ثم صعَّد النظرة إلى سقف بعيد من الغمام.. نحو المشرق الذي ولد شمس الصيف منذ ما قبل الظهيرة، وقال:

هذا نحن نُنقِّي الأرض من الغثاء والحصىٰ، ونبذر «ذَرَوَنا»، ونخطّ بالمحاريث ونرعىٰ باليد واللسان والقلب بذرًا بذرناه، وتجيُّ حوافل الغيم المقتم... فتلقي بنثار البرد على كل سنبلة تسنبلَت بالحَبّ المسهَم، فيغدو في حضيض الأرض.. تأكله لاقطات النّمْل والطير، فلا تبقي ولا تذر.

فلما فرغ «ابن ركبة» من هذا الحسيس في الخاطر؛ لمع في السماء برق، وصعقت ملء الآذان صواعق قصيرة، ونضحت على الأرض أول أخبار البرد.. فصاح كما يصيح بالصوت المرتفع كل سامع في القرية لهازج السماء: **«يا كريم»**، وبقي يجرجر خاطرًا في الصدر محملاً بالغضب والحسرة والويح المرتقب.

وحيث إن الموسم قد أدلق ما يفيض به الزرع والضرع، وامتلأ بالرضى كل صدر، وهنأت كل عين.. فما بال الغيامات المذيّلة بآخر الأمطار.. تأتي على ثمر الزرع الناضج فتبيد اكتماله، وتنصبّ السِتفُ على أذرع الأشجار المورقة المثمرة بنتاجها.. فيهدّم عند الجذوع!؟.

***

صاح بأهله..؛ أن يُدخِلوا إلى الدار كل «الحلال»، وكل ما يخاف من حصب السماء عليه ففعلوا؛ وفعل معهم تحت نُثارٍ ثلجيّ كالزجاج الثقيل نقيًا كاللُقَمِ الصغيرة، صافيًا كعُيون البقر، قاسيًا، لارتطاماته على صدغ الرأس وما تحت الضلوع وجع لا تمحوه الغضبة ولا الشهقة، ولا ما يجمع بين الكفين المنبسطتين لرجوة الدعاء.

فالآن سينهمر المطر؛ على رأس كل مثمر ناضج يرتع على الخضرة النابتة والمستبنة ألا.. **(فليتول الله بفضل رحمته على عبد «كابن ركبة»، وعبادٍ في القوم ليسوا بقليل.. أفنوا جهد عنايتهم في الزراعة، وقضوا في انتظار ثمره شهورًا حتى يحين القطاف.. ويأتي برد الغمامات قاصدًا متعمدًا.. ليسويه بالأرض كالقاعِ الصفصف).**

فلما طوىٰ «ابن ركبة» حبال المرارة على طول الموسم، واستعوض الله فيما ذهب من السنابل ضحية للبرد، وذهب مع من ذهب في استعداد جديد لموسم جديد.. بقي وقتًا مع الناس ينتظرون مطر الموسم الجديد، وأحمضت أكبادهم مع البذور المدفونة تحت مدر الأرض؛ فأبطأت الغمامات وتأخرت عن سَوقها الرياح، واحترقت الشمس؛ تقطر ضوءها وحرارة لهبها من الشروق إلى الغروب، وضحكت خوافق الضلوع من عجب الأمور وقال **«ابن ركبة»** في غُدرة الظلام:

أواه.. بالأمس كنا نستعيذ برب الأنـواء، من بـرد يهلك الأخضر واليابس، واليوم نستعيذ برب الدهر من موسم لا تُبلل في قحطته ناشفة).

***

أسر إلى زوجته تقتصد حين تقبض بالكف حفنة الطحين، وزادها بالوصيّة؛ إن البطون تعتاد نفوس أصحابها.. فإن عوّدها على الفضاضة غدت واسعة لا تشبع، وإن عوّدها على الوفارة والتدبير.. تعودت على ما عوّدها عليه.

أومأت بالطاعة والصبر إليه الزوجة، وأغمضت عينيها على ذراري بطنها الأربعة، وكبيرهم لا يكاد يبلغ الوادي وحيدًا، وهي في بالغ الحاجة الى معين في تعب الأيام التي لم يستح منها حضور تعبها وشقائها.

تدفقت الأيام في أذيال الليالي، وشحبت مكامن المؤنة الصغيرة،

وبلغ سعر «رُبع» الحنطة ثمنًا لا يطاق.

ولكـــن . .

(ما بك يا ابنة فلان؟؛ وكأنكِ عدمتِ الحيلة وقلة الجهد وخطة البصيرة؟؛ أليس في البئر ماءٌ؟، وإلى قُرب البئر منبت طيب من الأرض فيه البقل وما يصلح من الخضار للأدم والأكل؟، وقُربه ما يشبع بقرتين حلـــوبتين من البرسيم . . عليك



الحوطة من الله!، جُـــزّي البرسيم الأخضر النابت واطحنيه مع قليل الطحين، وانتقي اللائق من الخضار واسكِتِي فراغ المعدة، وجوع الزوج والذراري. . يوم، ويومان وشهر، وآخر. . يغيّر الله الحالـــة إلى خير حـــــال. . وكل النـــــاس مثلكِ يفعلـــون . . فلتفعلي . . فلتفعلي من بُكرة الغد).

***

عندما قعد «ابن ركبة» مع ذراريه قرب ركبة زوجته؛ ينفث دخان سجائره التي وجد وقتًا فائضًا ليلفها من الدخان الأخضر ويهذّبها؛ وفي حضرة الشاي المعتّق بورق «الحبَق». . نفضت غبطة وامضة نبض صدره، فألقى بعقب تلك الملفوفة البيضاء على طرف من مقعده، وبقيت تُناسِل على بطء ذؤابـــة رقيقـــة من دخـــانها الأزرق . . جانَبَ عينيهِ النظر اليها؛ وحوّلها بأسرع من بصرها إلى زوجته، وقد بالغت كعادتها في وصف أمور العشاء بعد همّ الغداء وفتافيت البيت والذراري، وماذا ستكسب في الغد من أكلٍ للبطون الصغيرة وكيف أنها تخاف على دجاجاتها في البرْد المتثائب هذا الشتاء من اعتداء الكلاب، ودحرجت كلامًا آخر عن أشياء لم تكن لتغير الزوج الذي استمع إلى كل هاربة من قولها، وقال:

كأنكِ تحملين جبل الوادي على رأسك خوفًا على دجاجاتك، وكأنك نسيتي مـــا يتوعدهـــن . . أذَيْننـــا، وقذرن سكننا، ولو صحّ لهن لنهبن ما في أيدي أطفالنا . . ويأتي في غياب رعايتك ضالـــة الكلاب فتهنأ بها، ونحن بالندم ينـــدى فينا الصـــدر والجبين . . اسمعي يا ابنة فلان . . إنّ كنت في عين عقلك؛ فهـــــاتي السكين نحدّها على رقبة إحداهن . . لنا ولأطفالنا الغذاء والطعم اللذيذ.

ما أبطأت الفكرة عن رأسها من قبل، وهي العارفة بحال دجاجاتها، والبالغة في المعرفة ليوم يأتي تحدّ على رقباتها سنّ السكين، وتلك حادثة لا تنقضي بقضائها ناسلات البيض من الدجاج . . وليس عزيزًا أن تعوّض عنهن بأجمل مما فقدت.

ولما كان الرد منها يأتي في فرك حدّ السكين . . كانت الدجاجة الموعودة تُقاسم أخواتها في الساحة الحركة والضجيج . . إذ عمدت إلى قدميها يد الزوجة، وحملتها كما تحمل غرضًا عتيقًا، فراحت الدجاجة المقلوبة تقطّر من ملاقطها بالصوت المستغيث . . وأجـــرى الـــزوج على الـــرقبة المستسلمـــة بين أصابعـــه بالسكين، وتولت الزوجة المحاطة بفزع الذراري بقية شأنها.

***

كـــاد الموسم يفنـــىٰ إلا قليـــلا، وهبّت في قحط الأيام رياح جافة . . شنّت بكل ذي جلد على عظمـــهِ، وامتدت اليد في العشيات إلى رقاب جميع دجاجات الزوجة، وتمنى «ابن ركبة» لو أنه تدبّرَ أيام الوفرة فاشترىٰ بقرة كما أشارت عليه بالرأي زوجته، وكاد ينتف من الندم ذؤابة لحيته . . ثم استعـــاذ بـــالله من هـــواجس الشيطان، كارهًا «لو أن»، وهزّ علبة الصفيح الفضيـــة الـــرابضـــة عنـــد مقعده، فوجدها محقونة بالدخان الأخضر، فاغتبط، وذهب يوضب بأصابع يديه التي اصفرّت أظافرها سيجارة حبلى . . مرّر برأس لسانه من طرف الورقة إلى طرفها؛ وكواها بالنار و . . سرح مع الـــدفء الخامل يلفح من مشبّ النـــار، وشرب عـــددًا من فناجين الشاي المبهّرة **بالزنجبيل** مع الزوجة والذراري، وكانوا جميعًا يهطعون في البرد والرياح المتقلبة؛ إلى حُجر الدار . . ينتظرون يومًا يقول لهم فيه أبوهم . . **اليوم سنفعل كذا،** ولايدرون ما هو «**كذا**» وماذا سيكون.

***

و . .

اليوم بقي من حلال الماشية حمارة غبراء تكاد تنوء بالحمل، وقطة ولود بثلاثة هررة لم تر عيونهم النور، وفي الساحة أظلاف قوائم الثور الوحيد الذي جاءت إلى لحمه حاجة الجيب والبطن . . فباعه «**ابن ركبة**» لأهل القرية . . أخذ كل مشترك في شرائه منه «**ساديًا**» من اللحم، أما بقايا الدم والأظـــلاف بقوائمهـــا . . فما برحت تمتص الـــريـــاحـــات الجافة والشمس وثكنات النمل الصغير.

***

كانت ساحة المسجد بعد خطبة الجمعة؛ تجمع نثار القوم، وكان من بين القـــاعـــدين على **رؤوس** أصابع القـــدمين . . رجل مجعّـــد الجفنين مستقيم الأنف، وقد أركز ذقنه على قبضة كفيه المطبقتين برأس العصا . . راح يفرغ سمع أذنيه مع القاعدين الذين استفرجوا الله قُربًا بعد الانتظار والجفاف، حينما قال الشيخ:

- يا جماعة الخير . . جاءنا أمر بإقامة صلاة الاستسقاء صباح الاثنين القادم.

تداعيات نقدية
في ساحة اللغة والصوتيات والأرقام

د. أبو تمـــام أحمد مرغني

تُعَدُّ تجربة دراسة الأصوات في اللغات المختلفة مرحلة يجب الخوض فيها استنادًا للأسس التي وضعها اللغويـون القدماء، بالإضافــة إلى الجهـود العلميـة حديثًـا، ولعـل «الخليـل ابن أحمد» (١٠٠ ــ ١٧٥ هـ) أعظم نحـوي في اللغـة العـربية تنـاول اللغـة على المستـوى الصوتي، من هنـا طرح رؤيتـه الكاملـة لعلم العروض فأفـادت من جهده أجيـال وأجيال. ونذكر جهـد وليم شكسبير في اللغة الإنجليزيـة حين قرر إلقاء الضوء أمـام الأدباء الإنجليز لتفنيد الألفاظ والتعبيرات على أساس مفهوم «المهمل والمستعمل» و«الكائن والمستبعد»، فتم استبعاد الألفاظ الحوشية ذات الجرس العالي وذات المقاطع الطويلة، ليتحول المعجم اللغوي على يد شكسبير في الإنجليزية إلى المستوى الاجتماعي الملائم في انتقاء اللفظ والتعبير، بعيدًا عن استخـدام القلقلة، وبعيـدا عن «الكلاشيهـات» التعبيريـة الوعـرة. كذلك فإن جهـد فرديناد دي سوسير في الفرنسية لا ينكره العلماء واللغويون المعاصرون.

ولاشك أن النقاد اللغويين المعاصرين في العربية تمكنوا من الإلمام بالمفاهيم الصوتية للغة، على ذلك جاءت الـدراسات الصوتية متنوعـة، أفادت من التراث اللغوي العربي بـأصالته، والجهود اللغـوية الغـربية المفيـدة، لنرى في بحـوث الناقـد واللغوي الـدكتور تمام حسـان، وبخاصة في اللغة العربية: معناها ومبناها، انطلاقة تؤكد حقيقة الاستفادة في هذا المجال.

وجها العملة والدراسة الشاملة

لاشك أن جيـلاً جـديـدًا من البـاحثين في اللغويات والصوتيات يواجهون صعوبات جمة، إذ لم تتح لهم جامعاتنا العربية في الغالب الأعم الفرصة للدراسـة الشاملة أو الجامعة المانعـة، وتعكس لنا تجربـة قسم الصـوتيـات في جامعـة الإسكنـدريـة وجهي العملـة، أو النقيضين في الـوقت ذاتـه: الإيجابيات والسلبيات، وإذا ما خاض المرء بالنقد الموضـوعي متنـاولا الإنجـازات والمعـوقـات فإنـه بالتالي، سيتمكن في موضـوعية وصدق وأمانة، أن يعـرض الحقيقة، ويطـرح أفكـاره لتجاوز مـراحل الخطر وإحراز مزيد من النجاح.

نبـدأ الجولـة بـالتأمـل لنستنبط، ولنكتشف للمعـرفة. والـواقع في صـوره التلقائيـة يتكلم عن ذلك.

الانطلاقة منذ فكرة الإنشاء واستمرارية المتابعة!

لقد تبنى د. **بخاطره الشافعي** فكرة إنشاء قسم الصـوتيات في جـامعة الاسكنـدريـة منذ سنـوات طويلـة، وكانت عـادته ــ يرحمه الله ــ الحضور في السادسـة صباحا يـوميا إلى مبنى الشاطبي حـاملا حقيبتـه المتواضعـة الضخمـة التي تزخـر بعشرات الكتب العـربيـة والأجنبيـة بـاحثًـا بين سطـورهـا وفصولها وعناوينها عن أحدث النظريات اللغوية، في الوقت ذاته كان مبدأ الاختيار لديه دقيقا، ليس بخصـوص الـدراسـات والبحوث فحسب، وإنما يشمل ذلك نـوعيـة الطـلاب الـذين يتم قبـولهم للـدراسة بـالقسم، كـان الاختيار على يـديه لغـزًا وذعـرًا.. مئـات الطلاب والطـالبات الجدد أنهوا دراستهم الثانـوية وحصلوا على درجات مـرتفعة، يتقدّمـون أمام **بخَـاطـره الشـافعي** ذلـك «الجد» و«اللغـوي»، لينكمشوا انكماش الأحفـاد الصغـار الـذين تبـدو نعومـة أظـافـرهم ونعومـة أفكـارهم العلميـة. ومن الطـرائف التي تـذكـر أن مئـات المتقـدِّمين لم يحظ منهـم بـرضـا أستـاذهم **بخاطره الشافعي** سـوى ثـلاثـة من المتقـدمين، وكـان بين المتقدمين، فتـاة سألها: هل يمكنك قـراءة إحدى الآيات القـرآنية تجويـدًا؟ فأجابت: بـالطبع لا..

فسألها: هل يمكنك قـراءة الآيـة قراءة صحيحـة بالضبط التام، فقالت الفتـاة في سذاجة: أرجو أن تعـرف أنني لم أقرأ القرآن من قبل.. وبالـرغم من تَقَدُّمهـا العلمي في درجـات الثانويـة العامـة التي تؤهلها للالتحاق بالكليات العملية والنظرية وقتئذ كافة، قَرَّر بخاطره الشافعي استبعاد الفتاة من قسم الصـوتيـات. بكت الفتاة لكنـه لم يتراجع قـائلا: لغتنا العربية هي لغة القرآن فإذا أهملنا المصدر الأول للغة فلا قيمة لنا.

علامات استفهام؟

أحـزنني كثيرًا أن تـلامـذة الـراحل **بخاطره الشافعي** لم يحرصوا تماما على نهجه.. فنجحـوا في جـوانب وأخفقـوا في مواضع، فـانكمش النشـاط العلمي للقسم المتخصص في الصوتيات في منطقة الشرق الأوسط..

فروق جوهرية وإسهامات عالمية

يبـدو للناقـد الحيادي وجـود فروق جـوهريـة واضحـة بين القسم والجامعـات الأجنبية في إطار الاهتمام باللغـة على المستوى التطبيقي التجـريبي، فقد اهتمت الأمم بلغاتها، وتبنّت الجامعات ذلك بحثًا ووصفًا لظواهر لغتها الصـوتيـة، ومازلنا ننتظر البحوث الخاصـة للإفادة من نتـائجها في المستقبل القريب.. فهل يتحقَّقُ الحُلْم؟!

والمُلاَحظ أَنَّ البحـوث بـالقسم قليلـة في مجال

إسهامات العلماء العرب في ميدان علم الأصوات الـذي يستحق عنايـة متخصصـة جـادة تتسم بالوصف الدقيق، ولا نلاحظ سوى وجود كتيبات تُعَدُّ على أصابع اليد الواحدة، منهـا تناول **الدكتور محمد الضالع** لإسهامات «ابن سينا ومكانته العالمية في تاريخ علم الصوتيات».

استرجاع!

من المعلوم وجود أقسـام خاصة بهذا المجال في الجامعـة السعوديـة والجامعة الجزائريـة، ونسترجع سويا الظروف التي صاحبت التفكير في إنشاء **قسم الصـوتيات في جـامعـة الإسكندريـة** انطلاقـا من تخصيص معمل يضم الأجهـزة الـلازمـة في مجال الأصوات، تطوَّر المعمل البسيط إلى قسم أكاديمي قام بتخـريج أول دفعـة عام ١٩٧٩ ميـلادية، **وهو أول قسم في جمهورية مصر العـربية. وأهم الأجهزة في معمل الصوتيات جهاز السـوناجراف، وفائدته أنه يمكّن البـاحثين من معرفـة العناصر الأسـاسية التي يحتـوي عليها الصـوت المسجل، أي: حـدّة الصوت، وشـدَّته والفترة الـزمنية التي يستغـرقها، والتردُّد الأسـاسي للصـوت.** بالإضافـة للأجهزة تطـورت مكتبــة القسم التي تضم مئـات الكتب المتخصصة المهداة من الجهات الأجنبية.

والهدف الـذي سعى إليـه الـراحل **بخاطره الشافعي** هـو إفـادة خـريجي القسم للتخصص الأصواتي واللغوي، والقدرة الفائقة على التعامل مع الألفاظ، والتحليل الصوتي للغـة، والاستفادة من تطويـر أعمال النحو العربي طبقـا لما للتراث العربي القديم من إسهامات خاصة، إلى جانب الأساليب الحديثة، وتطبيق القواعد الصوتية في نطق الألفاظ والحروف العربية نطقًـا سليمًا. وتمكَّن القسم، منذ الافتتاح، أن يفيد من الخبرات الأجنبية في عضوية هيئة التدريس، ومن المصريين العائدين من الخارج بعــد إتمام مـراحل التعليم العـالي والـدراسـات التكميليـة والــدرجـات العلميـــة «الماجستير والدكتوراه»، وسعى **بخاطره الشافعي** لإيجاد تطوير في علم الصوتيات وتطبيقه على اللغة العربية، بعد أن اقتصر هــذا العلم على اللغـــات الأجنبيـــة فحسب، وتُعَـدُّ **الـدكتورة مـرفت محمـد فشل** من تلامـذة القسم اللائي بـرعن في مجال تعليل عيوب النطق وعيـوب الكلام، وتخليق الكـلام الكترونيا، واستيعـاب دوائر كهربـائيـة بمـواصفات صـوتيـة معينة، والتعـرف على الأصوات عن طـريق بصمة الصوت.

> **معرفة "بصمة الصوت" يسهم في الكشف عن العديد من أسرار الجرائم المرتكبة.**

المستوى المتقدم ومزية الاستعداد

استمـرت المحـاولات لتـدعيم القسم بشتى الأجهزة الحديثة سواء السوناجراف أو الكمبيوتر أو بـرامج تحليل الصـوت التي يتم عملهـا إلكترونيـا وليس يـدويا، وإن كـانت أجهزة تحليل الصـوت نادرة بمقدار ندرة البرامج نفسها. إلا أن المحاولات المستمرة لم تواكب التطـورات القائمة في الجامعات الأجنبية، وتبدو الفـروق جوهرية في هـذه السـاحة العلميــة، ممـا يـؤدي إلى الإعـاقـة عنـد تيسير الاكتشافات الجديدة في اللغة والصوتيات بمستوى متقـدم مستمر، وعـدم ضمان سرعة الحصـول على نتائج علمية دقيقة، وإتمام البحوث العلمية في زمن قيـاسي، وإن تحققت مـزية وجـود الاستعـدادات العلمية والكوادر الموهوبة.

الجهود المشاركة في مواكبة إسهامات اللغويين

أثمـرت الجهــود المشتركـة للقسم مـع معهـد الصـوتيــات في ألمانيـا، واستـوعبت تحليل المادة العلمية للغة العـربية العظمى بواسطـة الكمبيوتر، تطبيقا على عينات لنشرات إخبارية لمذيعي الإذاعة المصرية. اشتركت **الدكتـورة مرفت محمـد فشل** في الجهـود المذكـورة، وتم تحضير بـرامج مشتركـة بين جامعـة الإسكندرية وجـامعات ألمانيـا، وفي إطار البحوث التقابليـة تؤكد أحدث المكتبـات في ألمانيا وجود ثروة علمية، بالإضافة إلى المقالات الصحفية التحليليـة التـي تشيـد بفضل اللغــويين العـرب القدامى في دراسة الصـوت واعتبار هؤلاء اللغويين أول من درسـوا الصوت اللغـوي، ولا ينكر العلماء الأوربيون فضل العرب القدامى.

باحثة على الطريق

صـارت استخـدامـات بصمـة الصـوت أمـرًا رياديا مهمًا، تكمن فيه جِدَّةُ التوظيف العملي لعلم الأصـوات، بما يُحَقِّقُ فـوائد جمة. ويأتي التنـوع في التوظيف، لصالـح «المخابرات»، **وتوظيف بصمة الصوت في الكشف عن أسرار كـامنة وراء العـديد من ألوان الجريمة**، وذلك بأخذ نسخـة من صوت المتهم وتحليلهـا، بهدف تحديـده خـلال عمليـات حصر المشتبه فيهم، ومقارنـة الأصوات، وعرضها على شهـود العيـان، والتأكد من صحـة الفـروض المطـروحـة أثنـاء التحقيقـات، عن طـريق جهـاز السـوناجـراف وأجهـزة التحليل، وأجهزة تـوصيل الكمبيـوتـر، وتحويل الصـوت إلى أرقـام، وتحويل الأرقـام إلى أصـوات، بنفس تـوظيف العمليـة في البنـوك للتأكد من صحـة الشيكـات وسلامتهـا، والتحقق من إرسـال صاحب الشيك لشخص مـا لاستلام المقابل المالي الذي يحتويه الشيك، والتأكد عن طريق استعمال بصمة الصوت المميزة لصاحب الرصيد.

وفي هـذا المضمار قدمـت الباحثـة **هالة النيال** مجهودًا علميًا يدخل في نطاق المقدرة العلمية.

والحقيقة أن الصـوت يعكس المعنى بـدلالته، ويعبِّرُ عن الشخصيــة، ويُــوَضِّـحُ معنى المعنى، وتندرج الشخصية على المستوى الاجتماعي والجنسية تحت نطاق اللهجة المميِّزة للصوت؛ ومن المعلوم أن للصوت بصمة خاصة يتميز بها الفرد من الآخر.

تتعدد القضايا ما دامت المعايير راسخة في الأذهان

حـاولت المتخصصـات بقسـم الصـوتيــات الإسهام في مجالات علمية متنوعة، وتبنت **الدكتورة سهام محمد القـارح والدكتورة سناء إبـراهيم غويل** قضايـا علمية متعددة بهدف دراسة أصـوات اللغة العربية وتوصيفها توصيفًا معياريًا دقيقًا، للإفادة في

تداعيات نقدية

في ساحة اللغة والصوتيات والأرقام

تعليم اللغـات الأجنبية للعـرب، وتعليـم اللغـة العربية للأجانب، ومتابعـة تطوُّر اللغة، بالإضافة إلى المحاولات المتنوعة في مجال عيوب الكلام بأنواعه المختلفـة، وينـدرج تحت إطـاره عيــوب النطق، وتشارك المتخصصات بالقسم في مجالات علم اللغة والحاسب الآلي.

محاولات جريئة نحو ممارسة علمية قادمة

صارت مسألة توظيف الحاسوب للإحصاءات والجداول المطلـوبـة في مجال اللغــة، ســواء على المستـوى النحوي أم الصرفي، أمرًا لابد منـه، كي يتسنى للمتخصصين والبـاحثين، تحقيق انطلاقـة علميـة في إطـار دقيق، ويُعَـدُّ الحاسـوب الأداة الدقيقة لتحقيق التقدُّم العلمي بكفاءته في التعامل مع الأرقام.

ولاشك أن تطبيق الإحصـاء على اللغــة لــه مجالات كثيرة، ويُعَدُّ أسلـوبًا قـويًا، وأداة تسـاعد البـاحثين على التحليل اللغـوي، ويأتي تـوظيف استخدامات الحاسوب في اتجاهات عديدة، أهمها إنجـاز العمل كـامـلا، واتخاذ القـرار العلمي فيـه بمجرد تغذيتـه بالبيانات، فيـؤدي النتائج العلمية دون تـدخـل من البـاحث. لا يتطلـب الأمـر إذن سوى وضع برامج قوية تحوي الاحتمالات العلمية، ولا تستبعـد إحـدى نقـاط البحث، ويتم تفـادي مخاطـر استخـدام الحاســوب بـالحفـاظ على إتمام تغطيات البرامج دون وجود نقاط ضعف، وتحديد القوانين التي تحكم البرامج في سلامة مؤكدة.

المكونات الأساسية والشجرة التوضيحية

يتم في مجال التحليل النحــوي عن طــريق الحاسوب عمليـات لتحديـد المكونـات الأساسيـة التي يمكن أن تحتــوي عليهـا الجُمَلُ، بتــوضيح التركيب النحوي لها، بإخـراج التراكيب اللغوية في صورة «الشجرة التوضيحية» لبيان عناصر التركيب، ويعتمد تنفيذ الحاسوب للعمل على الوجه الأكمل وإخــراج «شجـرة تــوضيحيـة»، بـالــرغم من صعوبتها، للوصول إلى حلول جذرية للمشكلات اللغوية والنحوية، وليس الناتج عن «السياق».

وتجرى أعمال الحاســـوب في مجال التحليـل اللغوي، فيـؤدي الحاسوب دوره عـاملا مسـاعدا للتحليل، دون أن تكـون مـراحل العمل إنجـازا كاملا للجداول والإحصاءات المطلوبة، وعلى ذلك يتم تغـذيته بـاستفهـامـات معينة لإتمام عمليـات التحليل اللغوي، ويؤدي الحاسوب عمله بإخراج معلومات وبيانات ونتائج لم يحصل الباحث عليها في أسلـوب يشهد تقـدمًـا ملحـوظًا دون أن تعتـور الحاسوب المشكلات اللغوية الحادة.

تنوع البرامج في خصوصية مع التواتر الملحوظ

تتنوع البرامج الخاصة باستخـدامات وتوظيف الحاسـوب في النطـاق اللغـوي، وتأتي في المقـدمـة **برامج التعداد اللغوي للنص**، وإن بدت صعوبة التعداد بوجود اللبس الواضح نتيجة تشابه الكلمات التي تُمَثِّل شكـلا متماثـلا وتـؤدي معنـى مختلفـا، وبـالرغم من ذلك يكـون البرنـامج في هذا المجـال صحيحا بمعـدلات تتراوح بين (٨٥٪ و٩٠٪) على الأقل، ويسعى اللغـويـون المتخصصون لتجـاوز نسبة الخطأ الواردة نتيجة آلية عمل الحاسوب.

> دراسة أُصوات اللغة العربية يفيد في مجال علاج عيوب الكلام.

ويندرج ضمن البرامج ما نطلق عليه التكثيف السيـاقي للكلمات، والأداة المتميـزة في عمليـات التحليل اللغوي يؤديها الحاسـوب عند استخـراج كلمة معينة في السياقات التي وردت فيها الكلمة في النصـوص، مما يفيـد البـاحثـون منه في البحـوث التطبيقيـة، فتتم إجــراءات في مجال تعليم النحـو والصرف من خلال النصـوص الأدبية. على سبيل المثال فور تغذية الحاسـوب بنموذج مناسب لقصة أدبية أو أقصوصة أدبية للتـلاميذ في مرحلة تعليمية بعينها، يتم اختيار ألفـاظ وعبارات وجمل تتكرر في تـواتـر ملحـوظ، وتقديمهـا في إطـار السيـاقـات الأسلـوبية الخاصـة، لتحقيق الاستفـادة اللغويـة لصالح التلاميذ في مرحلة التَعَلُّمِ المُناسِبَة.

تؤتي الجهود ثمرة علمية فيما بعد

يُوَاجِهُ الباحثون ـ وبخـاصة الجدد ـ صعوبات عديدة، تعتور جهدهم في مجال التخصص الصوتي نظريًا وعمليًا، ويشارك المتخصصون المسؤولون في عدم إمـاطة المعـوِّقات إمـاطة بينـة، وتبدو المَزَالِقُ عنـدئذ لصيقـة بجهودهم المتـواضعـة، في مجالات الحاسوب وإعـداد البرامج اللغويـة وبرامج تحليل الصيغ الصرفية العربية، وبرامج تعليم الاشتقاق.

وتَتَقَلَّصُ جهود الباحثين في إطار محدود، حين يُدْرِكُون أن الحاسوب مخصص أسـاسا للتعامل مع الحسابات الـرياضية، وتبدو الصعـوبات واضحة عند التعامل مع الرموز اللغوية، وتَبْرُزُ على المستوى الـدلالي قضـايـا ارتبـاط اللغـة بـالمعاني المجردة، والدلالات النفسيـة التي يفسرها المرء بعقلـه وحسه ووجدانـه، أمـا الحاسوب فيفتقـر إلى إمكـانـات التفسير، ويتعذَّرُ عليه التعامل مع المعاني البلاغية، ونقصد بـذلك معنى المعنى، المرونـة المفتقدة، إذن أمر مثير!

وتبـدو المزالـق لـدى البـاحثين الجدد نتيجة القـدرات المحـدودة للحـاســوب في التعـامل مع تـراكيـب اللغـة وصيغهـا على المستـوى النحـوي والصرفي، إلى جـانب تعـذُّر استقبال الحاسـوب في ذاكـرته للغـة المنطوقة، مما ينجم عنـه وجود هـوة واضحة بين اللغـة المنطوقة واللغـة المكتوبـة، وهنا يبدو البـاحثون الجدد ــ في محاولاتهم للتخلص من المزالق المذكورة ـ بمثابـة أقلام صغيرة في أيدٍ ناعمة! لا يزالـون يحاولون الخروج مـن الحصار بجهـد جاد متـواضع تشهد مـزالقهم بنعومـة أظافـرهم! إلا أن مزيدًا من الجهود العلميـة يحقق الخطوات الناجحة على الدرب حين تؤتي المحاولات ثمارها.

إعداد: م. مروان حمدي المسالمة

نباتات الزيوت الغذائية والطبية

أ

إكليل الجبل Rosmararinus officinalis

نبات عطري من الفصيلة الشفوية Labiatae ، كل أجزائه ذات رائحة قوية تشبه رائحة الكافور، والنبات نفسه لايستعمل، بل يستخرج منه زيت عطري طيار منبه وطارد للغازات، وجرعته من نقطة إلى ثلاث نقط، ويستعمل هذا الزيت في صناعة العطور ومركبات الشعر، وأزهار النبات تطبخ مع العسل ويعمل مطبوخها حقناً شرجية في حالات الهستيريا وضد التشنج والمغص الانتفاخي، وأوراقه يبخر بها المنازل للتطهير خلال انتشار الأوبئة.

ب

بندق Hazel :

شجر من الفصيلة البتولية Betulaceae ، ثماره غذاء مقوّ، تحتوي بروتيناً، وأحماضًا أمينية أساسية وفيتامينات (أ، ب) وبعض المعادن ومواد دهنية، إذا أكل بماء العسل نفع من السعال المزمن، يعتصر من ثماره زيت يفيد المصابين بالسكر والرمل والصرع وطرد الدودة الوحيدة، ويقوي الشعر، ويمنع سقوطه، ويستعمل في المراهم وأدوية الجلد.

ت

تين مكي Nardus :

نبات حولي من الفصيلة النجيلية Graminaceae ، سوقه مدرة للبول، يحدث تنبيهاً شديداً للأعصاب، له زيت عطري، يستخرج منه زيت بالتقطير، ذو فائدة كبيرة إذا استعمل للتدليك للروماتيزم، ومنبه للأعصاب شربا، جرعته من (١-٣) نقط.

ج

جوز الطيب Nutmeg :

شجرته كبيرة دائمة الخضرة يطلق عليها: «أميرة الأشجار الاستوائية» من فصيلة الجوزيات Juglandaceae ، تدعى ثمرتها «جوزة الطيب» شكلها مزخرف وهي منعشة، فاتنة جميلة، يستعمل مبشورها كتابل لتطييب المآكل ولتعطير الحلوى وذلك بسحق مخلوطها مع الفلفل الأسود والبهار والقرنفل، يستخرج من البذور زيت عطري يسمى «زبدة جوز الطيب» يستعمل طبياً، فهو هاضم، طارد للريح، يضاف لبعض الأدوية لإصلاح طعمها، وفي علاج الروماتيزم المزمن تدليكا ودهنا، ويدخل في كريمات الشعر وصناعة العطور، ولكن إدمان استعمالها يؤدي إلى اضطرابات عصبية خطيرة وإلى ضعف جنسي لاحتوائها على مادة مخدرة سامة تدعى «ميرستين» لذا يجب الحذر من استعمال الجوزة وزيتها بكثرة.

ح

حبة البركة Nigella :

نبتة عشبية زراعية من الفصيلة الحوذانية Ranunculaceae ، من أسمائها أيضا «الحبة السوداء» ولها بذور صغيرة بحجم السمسم، كانت ولاتزال توضع مع الخبز والفطائر والجبن كتوابل مشهية، ذات فوائد طبية مقوية للباه، وتؤخذ مسحوقة مع العسل لعدة أمراض. . ويستخرج من بذورها زيت عطري يوضع منه بضع نقط على القهوة

فتهدأ الأعصاب، ويفيد للسعال العصبي والنزلات الصدرية ومنبه للهضم، ويدر اللعاب والبول والطمث وطرد الرياح والنفخ، ويدخل في صناعة الصابون، ذكرت المجلة العربية بعددها ١٩٠ ـ أيار ـ مايو ١٩٩٣ م أن مراكز طبية وبحوث علمية أمريكية اكتشفت أن «حبة البركة» تفيد في تقوية الجهاز المناعي للجسم، ومن المقرر أن زيتها يدخل في كثير من أدوية أمراض نقص المناعة كمرض «الإيدز» والأورام السرطانية، وقد كتبت عدة أبحاث علمية لأطباء مسلمين بينوا فيها معجزة الأثر النبوي (الحبة السوداء شفاء من كل داء).

خ

خردل Mustard :

نبات عشبي من الفصيلة الصليبية Crucianella ، من أنواعه الخردل الأبيض، والأسود، بذوره طبية، طعمها حاد لاذع، استعماله الطبي: طارد للغازات من الأمعاء، يساعد على الهضم، وتصنع من بذوره «لبخة» لعلاج الصداع العصبي وذلك بوضعها فوق مؤخرة الرأس، ولعلاج آلام المعدة والقرحة، ويفيد أمراض الشعر والجلد إذا استعمل مع الغذاء بنسب ضئيلة، وينفع كغرغرة لعلاج التهابات الفم، ويعمل منه حمامات قدمية لعلاج الصداع والدوار وإدرار الطمث، وذلك بوضع ملعقتين من البذور في ثلاثة لترات من الماء الدافئ وتغطس بها الأقدام مدة عشر دقائق.

الخروع Ricinus :

شجرة معروفة من الفصيلة الفربيونية Euphorbiaceae ، أوراقها خماسية كالكف، تعطي ثماراً كالباماياء، بذورها مبرقشة زيتية دسمة، تستعمل أوراقها ضماداً منضجاً، مدراً للطمث ومضاداً لإدرار اللبن، إذا عصرت البذور أعطت نصف وزنها زيتاً، وهو مسهل وملين للأمعاء، ويعطى للأطفال بمقدار ملعقة صغيرة، ومفيدة لفروة الرأس الجافة.

د

الدهن Greases :

الدهن في الواقع ليس نباتا، لكن هذه الكلمة كانت تطلق ـ في المعجمات والكتب الطبية والنباتية القديمة ـ على عصير النباتات الدهنية، فيقال «دهن اللوز، ودهن الخروع..» وتطلق الكلمة «الزيت» على زيت الزيتون وحده.. أما اليوم فإن كلمة الزيت (Oil) تطلق على عصير النباتات الدهنية كلها، فيقال «زيت اللوز، زيت الخروع..»، واستثنيت النباتات العطرية، فيقال لعصيرها «عطر Es-sential»، مثل عطر الورد عطر البنفسج..»، واقتصرت الآن كلمة الدهن على المواد الدسمة مثل: ١ ـ المواد الدهنية في النبات ٢ ـ المواد الشحمية في الحيوان ٣ ـ المواد الزيتية في المعادن كالنفط وغيره. وإن تناول الدهون ضروري للحياة، ولكن يجب التقيد بنسب محددة، ومصادرها هي: الزبدة، والجبن، واللحم والزيت وصفار البيض.

ذ

ذرة صفراء Maize :

نبات عشبي زراعي من الفصيلة النجيلية Graminaceae ، ويحتل هذا المحصول المرتبة الثالثة في العالم بعد القمح والرز، ثماره عرنوسية ـ كيزان ـ تحمل البذور، يتخللها أشعار ذهبية، تستعمل الأشعار المجففة بعد غليها بالماء كدواء طارد للرمال البولية وفي حالات حصر البول، يستعمل دقيق البذور في تغذية الإنسان، وهو مغذ جدا، وفي صناعة البرشام الذي توضع فيه المساحيق الدوائية ليسهل بلعها، وفي تسمين الماشية، ويدخل في صناعة القطر الصناعي والنشاء وفي اللدائن والورق. يستخرج من أجنة البذور زيت يعرف باسم «مازولا» يستخدم في الطبخ كغذاء ودواء للمصابين بتصلب الشرايين ولإزالة الكوليسترول.

ر

رجل الوزة Nural :

نبات من الفصيلة السرمقية Chenopodiaceae ، يعتبر غذاء ودواءً يشرب كالشاي، وهو منبه للهضم ومضاد للتشنج، مدر للطمث. يستخرج من بذوره زيت طيار يعطى إلى (١٠) نقط، طارد للديدان، ويعطى أيضا بشكل خلاصة في حقن.

ز

الزيتون Olive :

شجر مثمر زيتي من الفصيلة الزيتونية Oleaceae ، معمر، دائم

الخضرة، وقد ورد ذكره في القرآن الكريم، من أقـدم النباتات التي عرفها الإنسان وغرسها، واستخرج زيتها الثمين، واستعمله في الغذاء والدواء واستضـاء بـه في عتمة الليل، تخلل ثماره، وتقـدم مع الطعـام، ويعتبر غذاء ومقبـلاً شهياً. وأجـود ثماره ما كـانت صغيرة البذرة، لحميـة غنية بالزيت، ويـوصف لأمراض الكبد، أما نـوى الثمر فإن الطب الشعبي كان يصفه بخـوراً للربو والسعال، وأوراقـه تمضغ لأمراض اللثة، والفم والبلعـوم. أما زيتـه فهو من الأهميـة القصوى بين الأغـذية والأدويـة، فيـؤخذ شراباً على الـريق لتسكين المغص، وهـو ملين لـلأمعاء ولطرد الرمال وإدرار البول، ويضاف للحقن الشرجية المفرغة للأمعاء، وتصنع منه مراهم جلـدية مركبة، تدهن بها أجسـام الأطفال، ويقطر في الأذن حين ألمها بعد أن يدفأ، هذا ويستعمل زيت الزيتون على مدى واسع في صنع المآكل.

س

السمسم Sesame :

نبات حـولي زراعي زيتي، من الفصيلـة السمسمية Sesamceae ، أزهـاره بيضـاء، بـذوره صغيرة لـونها بني فـاتح، يحضر منهـا الطحينـة والحلاوة، مفيدة لعـلاج الأمراض الجلـدية، وتستعمل بـذوره في تزيين بعض الحلويـات، وتدخل في تركيب الكسبـة العلفية لتسمين المواشي، ولكن الفـائدة الكبرى منه هي في زيتـه الذي استخـرج منذ القـديم من بذوره وعرف باسم «السيرج»، يستعمل أحيـاناً في الطبخ بدلا من زيت الزيتـون، وهو ملين لـلأمعاء، ويؤخـذ لعلاج الحنجـرة الملتهبة فيشفي السعال بإذن الله، ويحول دون حدوث الجلطـة القلبية، ويستعمل قطرةً أذنيـة ودهناً جلـديـاً، ويدخل أيضـا في صناعـة الصـابون والمطـاط، وللإنـارة وتزييت الآلات، وفي تركيب اللصقات الطبيـة، ولمنع تأكسده يخلط معه السكر الناعم.

ش

شويح البان Artemisia :

شجر طيب الرائحة مـن فصيلة البانيات Moringaceae ، يستخرج من بـذوره زيت شفـاف، ثقيل، عديـم الرائحـة يسمى «زيت البـان» ويستخـرج منه أيضـا «دهن البان» الـذي يستعمل في صنـاعة العطـور وينقع في اليـاسمين ليكتسب رائحتـه، ويستعمل في تـزييت الآلات الدقيقة كالساعات، ولإضاءة القناديل، ويدخل في تركيب البخور.

ص

الصنوبر Pine :

شجـرة مـرتفعـة، جبليـة تنتشر على شكـل غـابـات من الفصيلـة الصنوبرية Coniferae ، تستعمل أخشابه في بناء السفن، وتؤكل حبوبها بعد كسر قشرتها، وهي غـذاء دسم مقوٍ غني بالفيتامينـات، يوضع مع الحلـويات، وكتـابل مع الأطعمة، يـوصف لكل علل مجاري التنفس، يقوي الباه، ومفيـد لعلاج الاسترخاء، أوراقه تحرق، ورمـادها يخلط مع السيرج ليستعمل طـلاء جلـديـا للجـرب. ويعتصر من بـذوره زيت «التربنتين» المستعمل كمطهـر للجلـد ومحلل لـلأورام ومسكن للمغص ولطرد الديدان، وتوقف نزف اللثـة ولصنع اللصقات للأطراف المرتعشة والأعضاء المسترخية ولآلام الرئية «الروماتيزم» السطحي.

ع

عباد الشمس Sunflower :

نبات حولي مـن فصيلة المركبات الأنبوبيـة الزهر Solenoglyphae ، ذو فوائد اقتصادية كثيرة، تعتبر بـذوره من المكسرات المفيدة لشد اللثة، ويستخـرج منـه زيت مغـذ لـلإنسـان لاحتـوائه على أحماض أمينيـة وفيتـامينـات وبـروتين وعناصر فـوسفـوريـة، يعمل على خفض نسبـة الكـوليسترول والـدهـون في الـدم، ويقلل من تصلب الشرايين، وقـد أصبح مرغوبـاً في الطعام، وبذوره غذاء جيد للطيـور والدواجن وكسبة علفية للمواشي.

غ

غار Laurus :

شجر من الفصيلـة الغارية Bayceae ، أوراقه دائمـة الخضرة، كان يرمز به قـديما للانتصار، فيتوج به الأبطال والشعراء، وهـو يشبه الزيتون بـورقه وثماره، أوراقـه مرة الطعم، طيبـة الرائحـة، مغلّيها مخدر قـوي، تستخـدم الثمار لإكسـاب الأطعمـة والحلـوى والأشربـة نكهـة طيبـة. يُستخرَج مـن ثماره زيت تطلى به المفاصـل لعلاج الرثيـة، ويستعمل في صناعة أنـواع من الصابون العطر «صابـون الغار»، ويستعمل في أدوية الطب البيطري.

ف

فستق Pinda :

نبات زاحف من فصيلة القرنيات Leguminoceae ، يسمى أحيانا «فول سوداني» وهو أحد المحاصيل الزيتية المهمة لفوائده العديدة، يحتوي على نسبة عالية من البروتين والدهن والسكريات، والأملاح المعدنية، والفيتامينات، تستعمل حبوبه في تغذية الإنسان، نيئة أو محمصة بالملح، ومن أوراقه ونفاية زيته يصنع علف جيد للماشية ويدخل في صناعة الحلويات.

فول الصويا Soybean :

نبات حولي من فصيلة القرنيات Leguminoceae ، يحمل قروناً تحوي البذور، ذات تركيب مشابه للفستق، وقد وصف هذا المحصول بأنه غذاء كامل وسهل الهضم ومنشط قوي للجسم، يمكن تناوله «كالفول العادي» مع صلصة شهية، أو سلطة، كما يضاف إلى الأطعمة، ويصنع من دقيقه أنواع من الحلويات. ويستخرج من حبوبه زيت ذو قيمة غذائية كبيرة، تجعله أعلى زيت مغذ من بين الزيوت (عدا زيت الزيتون)، وإنه يخفض الكوليسترول في الدم، ويستعمل زيته في صناعة الصابون والشموع والدهان وحبر الطباعة وغيرها. .

ق

قطن Gossypuim :

نبات زراعي من فصيلة الخبازيات Malvaceae ، أصله من البلاد الحارة، تصنع منه أنواع من الجلود والأقمشة الدافئة، ويستفاد من القطن المعقم في الطب والجراحة، تستعمل جذوره لقطع نزيف الرحم، يستخرج من بذوره زيت مغذ، طعمه مميز قوي، وفيه أحماض دهنية بسيطة وأنواع من الصموغ ونسبة قليلة من المعادن، سهل الهضم، يستعمل في الطهي وفي صناعة الصابون.

ك

كتان Flax :

نبات حولي من الفصيلة الكتانية Linumceae ، يزرع للحصول منه على ألياف، صنعت منه أول ثياب قماشية للإنسان، تستعمل بذوره بعد نضجها وتجفيفها، تحوي مادة هلامية ملينة ومسكنة للالتهاب، مدرة للبول، ومفيدة لعلاج النزلات الصدرية والبرد بإضافة فنجان منها إلى لتر ماء في درجة الغليان، ويترك نهاراً كاملا، ثم يصفى ويضاف إليه السكر. ويحضر منه منقوعات للأورام وحقن شرجية، يستخرج من البذور زيت معروف يستعمل مع ماء الكلس أو مع بياض البيض مرهما للحروق، ويستخدم في صنع الدهانات.

ل

اللوز Alomond :

شجر مثمر من الفصيلة الوردية Rosaceae ، أكْثَرَ الأطباءُ القدماءُ من ذكر فوائده الغذائية والعلاجية، يؤكل أخضر ويابسا، وهو غذاء متوازن ومغذٍ جدا، مفيد للحوامل والمرضعات ولمرضى الأعصاب والسكر والحصى، يقوي الباه، ومنبه للدماغ والأعصاب. يستخرج منه زيت يعطى ضد الخناق الصدري والسعال المتناوب ولإنزال الرمال البولية، ولمعالجة الحروق، وأمراض الجلد وتخفيف آلام البواسير بخلطه مع البيض.

هـ

الهيل Cardamom :

نبات من الفصيلة الخيمية Umberlliferae ، يطلق عليه أيضا اسم حبهان، يزرع لبذوره ذات الرائحة العطرية، يستعمل كتابل للأطعمة والمقبلات، منشط للهضم ومسكن للمغص المعوي، ومدر للطمث ومنبه للقوة الجنسية، وتؤخذ بذوره مغلية أو مع القهوة، وتحتوي زيتاً طياراً، يدخل في تحسين طعم كثير من الأغذية، وتبخير الفم به يكسبه رائحة عطرية، يدخل في صنع الفطائر وبعض الحلويات والمخللات.

ردود خاصة

○ **الأخ عبد العزيز محمد ـ الخرطوم ـ السودان :**

بإمكانك مراسلة سفارة جزر القمر في الخرطوم أو القاهرة للحصول على المعلومات التي تريدها، وشكرا.

○ **الأخ محمد سعيد محمد بكير ـ المكلا ـ حضرموت ـ اليمن :**

نرحب بما لديك من إسهامات شعرية ونثرية، وسيرد عليك قسم الاشتراكات فيما يخص الاشتراك في المجلة.

○ **الأخ بلحاج محمد ـ تطوان ـ المغرب :**

المجلة لا تحدد نوعًا معينًا من المقالات التي يرغب الكتّاب أو القراء في إرسالها، سواء علمية أو أدبية، فهذا متروك لهم. وليست هناك شروط معينة للكتابة، غير أننا نفضل أن يضعوا في الاعتبار «الملاحظات العامة» المنشورة في الصفحة الثالثة من كل عدد.

○ **الأخت فلسطين عبد الرحمن محمود ـ الزرقاء ـ الأردن :**

مشاعرك الكريمة محل التقدير، والعدد المطلوب في طريقه إليك إن شاء الله.

○ **الإخوة : وفيق نعيم إبراهيم وعبد الله يوسف السلاق ـ عمّان ـ الأردن، يحيى هلامي ـ دير الزور، محمد الحمود السومة ـ دمشق ـ سورية، صادق عبد الرزاق مقيل ـ القاعدة ـ اليمن، عثمان حسان أحمد وأبو زيد الحسن أحمد ـ الحمضلاب، محمد الطيب علي إدريس ـ الخرطوم، مؤمل بشير الحاج ـ تمبول ـ السودان، رمضان عبد الخالق عبد الرازق ـ البحيرة، عثمان الشافعي ـ القليوبية ـ مصر، لطفي عبد الرزاق شريحة ـ صفاقس، محمد الطيب بلال ـ تونس، أبوري الحسين والمأمون سي محمد ـ أغادير ـ المغرب :**

الأعداد التي طلبتموها في طريقها إليكم، ونأمل أن تكون قد وصلتكم بصدور هذا العدد، وشكرا.

○ **الإخوة : الما سيلا ـ الدوحة ـ قطر، محي الدين محمد التبريزي ـ تبسة، الصيد أمحمد ـ الجلفة، طويري بوزيد ـ عين وسارة، عادل عزوز ـ قسنطينة، أحمد مخاتي ـ مليانة ـ الجزائر، فراس محمد سلوم ـ دمشق ـ سورية :**

طلباتكم أحيلت إلى قسم الاشتراكات الذي سيرسل لكم الإيضاحات اللازمة، أما الأعداد التي طلبتموها فسوف ترسل لكم كذلك في حالة توافرها لدى قسم التوزيع، وشكرا.

○ **الإخوة والأخوات : محمد حمد الحميقاني ـ البيضاء ـ اليمن، الركراكي سلامة ـ العيون ـ المغرب، محمد بوراس ـ الجزائر العاصمة، فاروق ظافري ـ أم البواقي، لحرش سفيان ـ بسكرة، عبد الرحمن بن دحان وقدوري عبد الله ـ بشار، عليان رياض ـ البويرة، حكيم بن سعد ـ تيبازة، قمري مصطفى ـ الجلفة، حماش السعيد ـ سطيف، بوريوش إبراهيم ـ الشقفة، حمدان السعيد ـ غرداية، بوراس الطيب ـ غليزان، عبد الرؤوف بن عميرة ـ قالمة، سليم بلباي ـ المسيلة، جاب الله عبد الحق العواشير ـ الوادي، سفيان باديس وخديجة دليمي ـ ورفلة ـ الجزائر، إبراهيم سليمان بنغالي ـ بماكو ـ مالي :**

سيوافيكم قسم الاشتراكات بمعلومات حول كيفية الاشتراك في المجلة، وشكرا.

○ **الإخوة : يحيى عمار فتيني هبل ـ الحديدة ـ اليمن، نايلي أحمد ـ سطيف ـ الجزائر، أبو بكر رحماني ـ أكرا ـ غانا :**

المساعدات التي تنشدونها من المجلة يصعب علينا تقديمها لكونها بعيدة عن اختصاصاتها. مع تمنياتنا لكم بالتوفيق.

○ **الأخ حنيش نجيب ـ بوزريعة ـ الجزائر:**

سوف تصلك رسالة خاصة بشأن موضوعك. والمجلة ترحب بما لديك من مقالات، فأهلا بك.

○ **الإخوة : عواد حمد الجهني ـ جدة، عامر أحمد عبد الله الشهري ـ المجاردة ـ أبها، حسين الحسب حسين ـ الولاية الوسطى ـ السودان، بايا عبد الرحمن ـ لرجام، نعاس هرماس ـ حاسي بحبح، حماش السعيد ـ سطيف، مليح محمد ـ تلمسان ـ الجزائر، عمر الفاروق غصن ـ دمشق ـ سورية.**

ستصلكم بالبريد إيضاحات حول كيفية الحصول على مجلدات «الفيصل»، وأهلا بكم.

○ **الأخت مريم وردة ـ حلب ـ سورية :**

نشكرك على ما جاء في رسالتيك الأولى والثانية، وأهلا بك صديقة دائمة.

○ **الأخ علي أحمد الرفيدي - بلجرشي :**

قسيمة الاشتراك التي افتقدتها في بعض الأعداد السابقة تجدها داخل هذا العدد، علما بأننا ننشرها من حين لآخر.

○ **الأخ عمر محمود - الزرقاء - الأردن :**

القصيدة التي ترغب في نشرها في إحدى الصحف اليومية يمكنك إرسالها إليها مباشرة، مع اعتزازنا وتقديرنا لك ولمراسلتك إيانا.

○ **الأخ سعيد محمد مولود - بوسعادة - الجزائر :**

يمكنك الحصول على عناوين دور النشر والمؤسسات الثقافية في المملكة العربية السعودية من الملحق الثقافي في السفارة السعودية بالجزائر.

○ **الأخت حنان إبراهيم محمد - الفيوم - مصر :**

اقتراحك الذي كتبتِهِ حول باب «مناقشات وتعليقات» سينظر فيه، مع الشكر على اهتمامك.

○ **الأخ فيصل محمد السيد علي - سوهاج - مصر :**

نأمل أن يتجاوب مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية مع طلبك الذي أحلناه إليه بحكم الاختصاص.

○ **الإخوة والأخوات : محمد علي أحمد داود - صنعاء - اليمن، عباسبة ياسين - خنشلة، عبد الله نوري - سطيف، غاني محمد - غليزان، عبد الله كوميش - معسكر - الجزائر، محمد عماد العلبي وسوسن سويد - دمشق، كامل خطيب بن أحمد خليل - حلب - سورية :**

الأعداد التي طلبتموها في طريقها إليكم.

○ **الأخ رحايمي عبد الله - أغادير - المغرب :**

نرحب بك وبإسهاماتك، سواء أكانت من إنتاجك أو بالاستناد إلى مراجع، ونأمل أن تكون في المستوى الذي يتطلع إليه قراء «الفيصل».

○ **الأخت فايزة محمد مفتن عليهادي - المحايشة - اليمن :**

ملاحظتك حول اهتمام المجلة بالأدب والأدباء في اليمن في محلها وسنعمل بها إن شاء الله، أما التحقيقات العلمية فهي تُنشر باستمرار. أما الكتب المنشورة في باب «كتب وردت إلى المجلة» فيمكن طلبها من ناشريها أو من المكتبات التجارية، وأما إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية فيرجى طلبها منه مباشرة. وملاحظتك بشأن توزيع المجلة في قريتك أبلغناها لشركة التوزيع، وسيصلك إيضاح حول الاشتراك في المجلة.

○ **الأخ وائل حنفي محفوظ - الجيزة - مصر :**

سنلبي طلبك إذا كانت الأعداد التي تريدها متوافرة. أما الباحث الذي ذكرته في رسالتك فليس لدينا عنوانه. ويمكنك الكتابة مباشرة إلى قسم المخطوطات في مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية للاستفسار عما تريد، وشكرا.

○ **الأخت مليكة رابحي - وجدة - المغرب :**

نعتذر من عدم مساعدتك على إيصال رسالتك إلى الجهة المقصودة، إذ إن هناك قنوات رسمية يمكن أن يتم ذلك عبرها. مع الشكر على ثقتك فينا.

○ **الإخوة : سعد عبد العزيز القرناس - الرس - القصيم، عوماري أحمد بن محمد - أدرار، أسعيداني مراد - بسكرة، عبد الحميد كسري وبابكر محمد - تمنراست، محمد بن حجة - عين الدفلة، سمير لاوتي - المسيلة، جابر سليمان - الوادي، سكلال مختار - وادي الصباح، بوخشبة قدور وبوبكري نبيل - ورفلة - الجزائر، ياسين عزالدين - دمشق - سورية، أحمد براء العلي - الزرقاء - الأردن، أحمد عبود عبد المجيد - سوهاج - مصر :**

استفساراتكم حول الاشتراك في المجلة سيجيب عليها القسم المختص بريديًا، وأهلا بكم.

○ **الإخوة والأخوات : عبد العزيز العبد الهادي وجاسم محمد الزويد - الأحساء، جودت أحمد الحمد - إربد - الأردن، محمد علي بامقيشم - شبوه - اليمن، نوال لعوادي - الجزائر العاصمة، معطالله العربي - أدرار، جمال الدين أحمد راشدي - بشار، أبو سعود لخضر - الجلفة، بوعريسة عبد الحق - سطيف، شيهان رضوان - الشلف، الشريف عبد القادر السائحي - المسيلة، اليعقوبي إسماعيل - وهران - الجزائر:**

نأمل أن نتمكن من الاستجابة لطلباتكم في حدود الإمكانات المتاحة، وأهلا بالجميع.

شهادة عربي من أهل الذمّة



بكلِّ فخر واعتزاز كبيرين يشمخ القلم سامياً في رحاب النبل والإيثار والإنسانية وهو يعري ـ بكلّ وضوح ـ حضارة المتطرّفين الغربيين، وإن كنا نأخذ برأي بعض المنصفين من الغرب. ولعل في ما أورده رئيس التحرير **الدكتور زيد بن عبد المحسن الحسين** في «إطلالة» **العدد ٢٠٥** ـ وهو يشير إلى محاضرة **الأمير تشارلز ولي عهد بريطانيا** ـ ما يدلُّ على سوء الفهم بين العالمين الإسلامي والغربي. وقد اعترف **الأمير** بفضل الحضارة العربية الإسلامية على مدنية الغرب دون أن يجحد فضل الإسلام الحضاري، ومن المؤكد أن محاضرة **الأمير** سوف تلقى استحسانًا من قبل المسلمين في شتى أرجاء المعمورة؛ لأنَّ التطرف يقابله تطرّف آخر وقد يزيد عليه، وبذلك تكون المعادلة غير مجدية وغير سليمة، لكن ما ذكره **الأمير** وقلة من المنصفين الغربيين لا يمنع من قول الحقيقة.

إنَّ ما يجري في يوغسلافيا تقشعر له الأبدان وتضطرب له أعماق الصخور، فمازالت حلقات المسلسل الدموي تزداد اضطرامًا، وتتأجج حقدًا وكراهية ضد المسلمين في البوسنة والهرسك دون مراعاة لأبسط ما تقرّه الشرائع السماوية والنوازع الوجدانية.

سؤال يطرح نفسه!

لو أن يوغوسلافيا تعرَّضت لغزوٍ من قبل أية دولة، هل كان مسلمو يوغوسلافيا يقفون مكتوفي الأيدي؟ ألا يحاربون عدوهم، ويدافعون عن أرضهم؟ فلماذا تنهش مخالب المكر الصربية والكرواتية في جسد المسلمين علنًا؟ وماذا فعلت الجهات المعنية القادرة على إيقاف هذه المجزرة الإنسانية؟ إن هذه الجهات ـ للأسف ـ تستمتع بهذا المشهد المأساوي، تستنكر تارة، وتارةً أخرى تنسج خيوط المؤامرة من جديد لتكتمل حلقات مسلسل العار.

أنا العربيُّ أولاً، والذميُّ ثانيًا، أشهد بملء صوتي وبسلامة حواسي أن الإسلام لم يقترف إثمًا بحقّ الذميين العرب وغيرهم، وكان وما يزال يكنُّ لهم التقدير والاحترام والمساواة، وهل هناك مدى أبلغ وأسمى وأنقى وأعذب من قول الرسول ﷺ: «من آذى ذميًا فقد آذاني»؟

وإن ما ورد من آيات قرآنية كريمة خير دليل على مواقف الإسلام المشرفة تجاه المسيحيين واليهود، وقد جاء في سورة مريم: **﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا . ذَٰلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ . مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾** مريم ٣٣ ـ ٣٥. إن الدين الإسلامي يهمي تسامحًا وودًّا وإخاء لأجناس البشرية كافة، يرعى أهل الذمة بأمانة وصدق ونقاء، حتى في فتوحاته لم يكن ظالمًا قاسيًا جائرًا بشهادة الغرب نفسه: «لم يعرف التاريخ فاتحًا أرحم من العرب»!

أما معظم الغرب فقد كشف عن وجهه القناع، ووضعنا أمام حقيقة لا تقبل النقاش أبدًا، فأية حضارة هذه التي تطعن القوانين البشرية وتجندل لواء الحق وتهزأ بمعتقدات الشعوب؟!

العالم كله يعرف أن الصليبيين عندما زحفوا نحو الشرق أرادوا من الشعار الذي رفعوه أن يستميلوا النفوس الضعيفة، ناسين أن النفوس الضعيفة موجودة في كل مكان وكل زمان، لكنّ المسيحيين العرب وقفوا إلى جانب إخوانهم


إطلالة

أجراً من الليل

المسلمين العرب، واستطاعوا معًا دحر الصليبيين وإنزال هزيمة نكراء بهم، ولم يخلّف الصليبيون في غزواتهم سوى آثار الحقد والضغينة واللؤم، ضربوا بالجانب الوجداني عرض الحائط في معاملاتهم للأسرى، على عكس المسلمين تمامًا، الذين عاملوا الأسرى معاملة إنسانية كريمة. ولقد كان النبي ﷺ يحسن معاملة الأسرى ويحض أصحابه على ذلك، **قال ابن إسحق: «وحدَّثني نبيه بن وهب أن رسول الله حين أقبل بالأسارى فرَّقهم بين أصحابه وقال: استوصوا بالأسارى خيرًا»**. فهل فعل الصّربيون ذلك؟ لقد قفزوا على المواثيق الدولية وفرّقوا بين الأم وابنها، بينما أكد الرسول الكريم على هذه الناحية بقوله: «**لا توَلّ والدة عن ولدها**»، وفي هذا الحكم من الشفقة والرحمة الشيء الكثير؛ لأنه كما هو معلوم ليس أصعب على الوالدة من فراق ولدها، فقدَّر النبي هذه الناحية الإنسانية ووفَّاها. ولم يلتزم الصّربيون بأية معاهدة إلاّ وخرقوها ضاربين بالوثائق المتفق عليها عرض همجيتهم **وتعصبهم** وحقدهم الأعمى، بينما أكد المسلمون على الالتزام بها؛ فالمعاهدات عهد الله، وفرض على النبي والمسلمين أن يفوا به ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدتُّم﴾ النحل ٩١، ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولًا﴾ الإسراء ٣٤. وكان النبي ﷺ نفسه يحضُّ على الوفاء بالعهد ويوفي بذلك عمليًا، حتى إنه لما جاءه أبو بصير مسلمًا بعد عهد الحديبية ردَّه إلى قريش وقال له: «إنا قد أعطينا هؤلاء القوم ما علمت ولا يصلح لنا في ديننا الغدر». ومما لاشك فيه أن التعامل يقوم على المحبة والإخاء والوفاء، ولم يفلح الصّربيون في ذلك؛ لأنهم لو عملوا بذلك لما هدَّموا مئات المساجد، ولما سالت أنهار وأنهار من الدماء، وسوف يبقى هذا العمل الوحشي وصمة عار في جبينهم أو في جبين البشرية الواجمة.

لكنَّ المسلمين دعَّموا أساس التعامل فيما بينهم وجسّدوا المحبة والتضامن والإخاء والوفاء، ففي القرآن الكريم: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ الحجرات ١٠، وقال الرسول ﷺ: «لا فضل لعربي على عجمي إلا بالتقوى».

وهذا يدلُّ صراحة على أن القرآن الكريم يرمي إلى إنشاء رابطةٍ واسعة بين الشعوب الإسلامية التي كان أفرادها يرتبطون بها بروابط دينية دون أي اعتبار للجنس أو الشعب أو العرق أو اللون، وكانت دار الإسلام واحدة لا يجوز وقوع الحرب بين أجزائها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً﴾ البقرة ٢٠٨، والبلاد الإسلامية مهما اختلفت حكوماتها فهي دار سلم، ويجوز لسكانها من مسلمين وغير مسلمين (ذميين أو معاهدين) التوارث والتعامل.

هل يُقدم الغرب المتحضر على ذلك؟ وهل ينظر الغرب إلى أبنائه المختلفين في بشرة الوجوه؟ الجواب لا يحتاج إلى كثير من التفكير!

إن في ما كتبه **الدكتور زيد الحسين** لفتةً ذكيةً أراد منها شموخ الصرح الإسلامي من خلال قلة ونصفةٍ تُرضي وجدانها وتقول الحقيقة دون لبس أو إبهام أو غموض، وفي ذلك مكسب إعلامي كبيرٌ ربما يقوِّض أركان التطرف والحقد الأعمى.

ولا نريد الإطالة في هذا الموضوع، وحسبنا أنَّنا قلنا كلمة الحق ولاشيء غير الحق، ولله في خلقه شؤون.

جاك صبري شماس
سوريا ـ الحسكة

هذا رأي الطب.. فما موقف الأدب؟!



المقال القيم الذي كتبه **الدكتور محمد مصطفى السمري** عن «**التدخين وأمراضه العشرون**» في **العدد ٢٠٤** من «**الفيصل**» الغراء، أثار لديَّ الكثير من مشاعر الخوف والأسى، لا سيما بعد انتشار هذا الخطر الكبير في مختلف البلاد الإسلامية، مسايرة وتقليدًا لمن هم في خارج الدائرة الإسلامية الجغرافية من الذين يصنعونه ويزخرفونه ويرابون به!

وكما يؤكد الدكتور الفاضل في مقاله المذكور بأن حالات الوفاة الناتجة عن أمراض التدخين تحتل المركز الأول قبل الحروب أو الكوارث أو الأيدز أو حوادث السيارات، فإن الحاجة تدعونا بإلحاح إلى أن نعيد فتح هذا الملف، بعد أن أخفقت جل المحاولات السابقة التي بذلت على صعيد العالم أجمع، في كبح جماح هذا (الغول) الذي تحول إلى الشراكة الكاملة في حياتنا، وغدا كأنه ابن شرعي لحضارة العصر، لا بأس بل لا بد من وجوده وإكرام الضيوف به!

إنه لأمر عجيب حقيقة أن نغض الطرف عن هذا الموضوع المهم، الذي يجب أن لا تغيب آثاره عن أذهاننا، وأن يمتد مستوى الوعي في معرفة أضراره ونتائجه ليشمل كل الأصعدة والميادين. ومن هذا المنطلق، فإني أستغرب تمامًا غياب دور الأدب العربي في التوعية والتوجيه باتجاه التحذير والترهيب من هذه العادة الرذيلة، من خلال أساليبه المتعددة، وهو ما جعلني أتساءل: ما نوعية العلاقة بين الأدب والدخان؟!

ربما يبدو التساؤل غريبًا أو مثيرًا أو حتى ساذجًا، لكنه بالتأكيد ليس طائشًا أو خبيثًا، إنه بكل بساطة تعبير تعجب واستفهام، وكناية قلق وألم لوضع الأدب العربي المعاصر، في غيابه المستمر عن ساحة الفعل والمجاهدة، بل مواقع الريادة والتوجيه! وإذا كانت البينة على من ادعى، فإن أمامي عشرات الشواهد التي تؤيد هذه الدعوى وتؤكدها، وإلا فما معنى أن يبقى الأدب بمختلف أجناسه وتنوعاته عاجزًا وضعيفًا أمام تشريح ومعالجة الكثير من الحوادث والاتجاهات، التي تهم الأمة والناس، ليس على صعيد القضايا المصيرية الكبرى فحسب، ولكن حتى في تلك الظواهر والعادات الاجتماعية التي باتت جزءًا من واقعنا اليومي!

ونأتي لموضوع الدخان و(الدخينة) كأقرب مثال لدينا؛ لأنه في الأصل موضوع هذه السطور، ولكي يزول أي إشكال قد يؤدي للتسرع في إطلاق الحكم على الحديث كهذا، عند بعض القراء، فإني أضع أمامهم هذه الأرقام الموثقة التي ينقلها د. **محمد علي البار** في بحثه القيم «**هل التبغ والتدخين من**

المحرمات؟» عساها ــ أيضًا ـ أن تكون ذكـرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد .

١ ـ مليـونان ونصف مليون إنســان هم ضحايـا التدخين سنويًـا في أنحاء العالم وفق تقارير منظمة الصحة العالمية .

٢ ـ ٣٥٠,٠٠٠ شخص هم ضحايـا التدخين سنويًا في الـولايات المتحدة وحدها، و١٠٠,٠٠٠ آخرين هم ضحاياه في بريطانيا .

٣ ـ في ألمانيـا يقتـل سنـويًا ١٤٠,٠٠٠ شخــص ويصـاب ١٤٠,٠٠٠ آخرين بسبب أمراض ناتجة عن التدخين .

٤ ـ إن ثلاثة من كل عشرة أفراد يدخنون، سيلاقون حتفهم بسبب ما يخلفه التدخين من أمراض .

٥ ـ ٩٠٪ مـن حالات سـرطان الرئــة و٧٥٪ من حالات التهـاب الشعب الهوائية والأمفيزيما بسبب التدخين .

٦ ـ ٣٣٪ من حالات الصمم في الأطفال إنما تـرجع أسبابها إلى تدخين أحد الوالدين أو كليهما .



التدخين وأمراضه العشرون

د. محمد مصطفى السمري

ليس ثمة شك أن التدخين، بكل أنواعه، رذيلة خلقية وخسارة اقتصادية، وعلة طبية، بل وكارثة إنسانية. ومع التقدم العلمي الهائل في وسط البحث العلمي والاستقصاء والإحصاء وُجِدَ أن التدخين هو أكبر سبب مفرد في العالم يؤدي إلى المرض والموت. وتشير البحوث إلى أن حالات الوفاة نتيجة لأمراض التدخين تحتل المركز الأول قبل تلك الناجمة عن أسباب أخرى مثل الحروب أو الكوارث أو مرض الأيدز أو حوادث السيارات. وكيف لا؟ وضحايا الأيدز منذ اكتشف عام ١٩٨١م وحتى عام ١٩٩١م حوالي ثلاثمائة ألف شخص، بينما ضحايا التدخين يبلغون ٢.٥ مليون سنويًا، وخلال السنوات ... الذين لقوا حتفهم بسبب التدخين يبلغون ٢٥ مليونا، أي

٧ ـ في الولايـات المتحدة الأمريكية تبيع شركـات التبغ كل عام بمبلغ يصل إلى ثلاثين ألف مليون دولار.

٨ ـ يبلغ حجم هـذه التجارة في العالم مـا معد له مائة بليـون (ألف مليون) دولار سنويا .

٩ ـ استوردت المملكة العربيـة السعودية في عام ١٩٨٤ م (٤٢) مليون كغ من التبغ بلغ ثمنه المعلن ١٢٠٠ مليون ريال .

١٠ ـ في عــام ١٩٨٥ م استهلكت مصر ٤٥,٠٠٠ مليـون سيجارة، وفي عام ١٩٨٠ م كان المصريون ينفقون على التبغ ١,٥ مليون جنيه يوميا .

١١ ـ أكثر من ٧ ملايين هكتار من الغـابات في العالم تحرق سنويًا من أجل تجفيف أوراق التبغ .

١٢ ـ ٢٥٠ مليون سيجارة يوميا استهلاك بنجلاديش، و٦٠,٠٠٠ هكتار تقوم بزراعتها تبغًا بدلاً من الطعام .

والآن تعـالوا لننظـر كيف تعـامل أدبنا العظيم مع هـذه النكبـة الإنسانيـة الخطيرة، وذلك من منظار فصولـه المتنوعة . ولنبدأ في استعـراضنا السريع هذا بنموذج **(المقالة الأدبية)** .

إننا لـو بحثنا في عمـوم المقالات الأدبيـة ، لما وجدنـا فيها أي شيئ عـن هذا الـوباء الحديث، اللهم سـوى نتف جـرائدية لا تسمن ولا تغني . وإذا سألنـا حضرات الأدباء عن هذا التقصير لأجابونـا بأن الموضوع طبي بالدرجة الأولى، وتـوعية النـاس بمخاطـر التدخين إنما تقع على عـاتق الأطباء ولا شأن لـلأدب بـذلك، ولعلنـا نقبل منهم هـذا المبرر لو أنهم شـاركـوا غيرهم، فقط في عـدم الدعاية والترويج له كما سيتبين لنا لاحقًا .

أما **(القصة والرواية)** فهي بالنسبة إلينـا قفص اتهام الأدب؛ ذلك أن كل ما صدر من قصص قصيرة وطـويلة أو روايـات وحكايات في هـذا العصر، لا بد وأنها استعـرضت (السيجـارة) من خـلال تحليل بعض عنـاصر شخصيـاتها، ونحن لا ننسىٰ عبارات تعاد وتكرر مثل : وأشعل سيجـارته، وأخرج من جيبه علبـة الـدخان، ونفث طـويـلاً في الهواء. . . . إلخ، وكلهـا إشارات تـدعـو بأسلوب غير مباشر إلى ممارسـة هذه العادة لدى القارئ . وهذا يذكـرنا بنظرية غربية هي «الفن للفن»، دون أن يكون لهذا الفن ـ والأدب جزء منه ـ أي إحياء محتمل لمشـاعـر الإنسـان وآدميتـه وأخـلاقـه . وكما يصـدق ذلك على القصـة والرواية، فإنه يصدق أيضًا على **(النثر والخاطرة)** . بل إن بعض منتسبي الأدب لا تروق لهم صنـاعته إلا في أجـواء محمومة من سحـائب الدخـان داخل غرف محكمة الإغلاق، في وقت تنفر الطيور فيه من شجرة التبغ، فلا تقربها ولا تأنس إليها .

بقي **(الشعر)** بـاعتبـاره أفسح ميـادين الأدب وأكثرهـا أهميـة . إن بعض الشعـراء قـد تناول الموضـوع ولا ريب، منهم من تنـاولـه بـالثناء كنزار قبـاني

ومدرستـه، ومنهم من تناولـه بالهجـاء كمجموعة من الشعـراء الشعبيين ـ والشاعر الشعبيي ـ هو الذي ينظم الشعر دون إبداع وسبك، وهو أرقى منزلة من الشاعر النبطي، دون أن يتناوله أي من الشعراء الفحول. ولدي هنا بعض القصائد التي تنتمي للمجموعة الثانية وهي عبارة عن وعظ وزجر وتقريع وتفزيع! وللطرافة ليس غير أعرض لمقتطفات منها:

يقول أحدهم:

يـا خليل عـن الـدخـان أجبني ... هل لـه في كتـابنـا إيماء
قلت مـا فـرط الكتـاب بشيء ... ثـم أرّخـت يـوم تـأتي السماء

إشارة إلى قوله تعالى ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ وهي في حروف الجمل ٩٩٩، وهي السنة التي دخل فيها الدخان إلى بلاد المسلمين لأول مرة.

ومن العلماء الذين نظموا عن الدخان **الشيخ القليوبي** في حاشيته على شرح المحلى لمنهاج النووي في باب النجاسة وإزالتها **حيث يقول:**

اسمع جـوابك يا مـن جاء يسألنـا ... عن شرب نـار غدًا في النـار يقتحم
فيحـرم الشرب للـدخـان أجمعـه ... أيضًـا وفيـه خصـال كلهـا نقم

وقال الشاعر مصطفى الحدري:

أتكـرمني بسيجـار الـدخـان؟ ... ومـا في شربها إلا هـواني
أصـاحبهـا فيتركني شبـابي ... يفـارقني، ويجهل مـا أعطـاني
سأهجـوهـا بأشعـاري وأبـدي ... لها كـرهـاً، ويشتمهـا لسـاني

ونظم آخر قصيدة منها:

إيـاك من محنـة تلقيك في عطب ... لا سيما مـا فشـا في النـاس من تتنِ
مخدر الجسم لا نفـع بـه أبـدًا ... بل مـورث الضر والأسقام في البـدنِ

وجاء في إحدى القصائد:

كم من نقـود يـا فتى ومـلابس ... أنفقتهـا بشرائه، وشراره
فإن انتهيت ومـا أظنك تنتهـي ... ورغبت عنـه نجـوت من أوعـاره

ويقول أحدهم:

يـا شـارب التنبـاك مـا أجـراكـا ... من ذا الـذي في شربـه أفتـاكـا؟
أتظن أن شرابـه مستعـذب ... أم هل تظـن بأن فيـه غـذاكـا
هل فيـه نفـع ظـاهـر قُلْ يـا فتى؟ ... كـلا، فـلا فيـه سـوى إيـذاكـا
ومضرة تبـدو، وخبـث روائح ... مكـروهـةٍ تـؤذي بها جلسـاكـا

إنها صور مختلفة جمعتها في هذه العجالة، ومهما يكن الرأي في قيمتها الفنية والأدبية، فإني أقترح أن تجمع قصائدها في ديوان ثم تهدى إلى كل مدخن!

وشكـرًا للـدكتور السمـري ولمجلـة «الفيصل»، وبـانتظار (نخـوة) أدبيـة عربية، تشابه نخوة المعتصم.

عبد الله زنجير
مكة المكرمة

حول «التربية والإنماء الإنساني» ضرورة الاهتمام بالجانب العملي



المقال الذي كتبته الكاتبة د. **تماضر حسون** في مجلة «**الفيصل**» الغراء **العدد ٢٠٣** لشهر جمادى الأولى ١٤١٤هـ، بعنوان «**التربية والإنماء الإنساني**» ضمن زاوية «**آفاق اجتماعية**»، مقال شائق وممتع ومفيد، يلامس الجرح، ويعبّر عن الفهم الموضوعي السليم للعملية التربوية باعتبارها عملية مترابطة مع المجتمع في احتياجاته ومتطلباته الاقتصادية والاجتماعية.

إنني أشكر الكاتبة كثيراً؛ لنقدها الجريء والصريح للأساليب التقليدية في عمليـة التعليم المستنـدة إلى التلقين والاستيراد دون معـاينتـه ومقـاربته ـ أي التعليم ـ للواقع الاجتماعي وخصوصية كل بلد، ليتلاءم مع ظروفه وقدراته وإمكاناته. ويمكنني هنا أن أركّز على البند الثاني من كيفية سَدِّ احتياجات المجتمع (من الفنيين المتخصصين) الذي كتبته الكاتبة، ألا وهو «رسم خطة تنمية اقتصادية اجتماعية متكاملة تستهدف استثمار الموارد والطاقات المادية والبشرية إلى أقصى درجة ممكنة؛ لتطوير الأوضاع القائمة اجتماعياً واقتصادياً».

هـذا الكـلام مفيد وجميل جـداً، ولكن هـل رسْم الخطط والبرامج ووضع الأسس والوسائل لتطوير التعليم وتطوير المجتمع كـافيـة لإنهاء المشكلـة وحلّهـا؟! وهل تخرج هـذه الخطط والبرامج عن السيـاق النظـري التجـريـدي (حبر على ورق كما يقـولـون)؟! **إنّ الحل الـوحيد للخـروج من مشكلـة التعليم والتنمية الإنسانيـة ونقـائصهـا هـو في تأسيس مجلس أعلى تخطيطي وتنفيـذي للإشراف على تنفيـذ الخطط والبرامج، يتألف من البـاحثين والعلماء والدارسين والمسؤولين في أعلى مـراكز السلطـة والمسـؤوليـة ضمن البلد على نطـاق القطـر الواحد**، أما على الصعيد العربي فيمكن تكوين هيئة مماثلة لكنها موسعة تشمل مندوبين من كل دولـة، مهمتهـا تنفيـذ البرامج والخطط التعليميـة والإنمائيـة والحضارية على مستوى الوطن العربي.

إن جميع مشكلات الوطن العربي تبقى غير محلولة، وتتكرر في دوّامة الحلول المملة والترقيعية والروتين وعدم الفاعليـة والنظرية البحتة؛ لسبب رئيسي ـ وهذا مـا أشـارت إليـه الكـاتبـة مشكـورة دون تفصيل ـ هـو إهمال الجانب العملي التنفيـذي التطبيقي من المسألـة. إذن لا يمكن أن تُحَلَّ المشكلـة التربـويـة والتعليمية إذا لم تتكون لجان وهيئات ومجالس للإشراف على تنفيذ الخطط.

م. حواس سلمان محمود
قامشلي ـ سورية

استراحة العدد

ذكر مستحب

قيل لحكيم: أي الأوقات أطلب وأرغب للذكر المستحب؟!

قال: اذكر الله عند همك إذا هممت، وعند لسانك إذا تكلمت، وعند غضبك إذا غضبت، وعند حكمك إذا حكمت، وعند يدك إذا بطشت.

حاسوب فائق الذكاء

استطاعت آلة حاسبة عملاقة تدعى «باراجون» أنتجتها إحدى الشركات المكسيكية - مؤخرًا - حل نحو ١٠٣ مليارات عملية حسابية في زمن لا يتجاوز ٣٢ دقيقة!

يعد هذا رقمًا قياسيًا جديدًا، حيث تحتاج الآلات الحاسبة الأخرى إلى ٢١ ساعة لإنجاز مثل هذا العدد من العمليات الحسابية.

وقف على باب قلبه

قيل لأحد الصالحين وهو على فراش الموت: حدِّثنا عما كنت تأتيه في حياتك من أعمال. قال: لقد وقفت على باب قلبي أربعين سنة، كلما حاول شيء أن يدخله غير ذكر الله منعته من الدخول!

من أسماء الطعام

طعام العُرس: الوليمة.
طعام البناء: الوكيرة.
طعام الولادة: الخُرس.
طعام الختان: إعذار.
طعام القادم من السفر: نقيعة.
الطعام المعد لدعوة: مأدُبة.

ويأتيك بالأمثال

كلُّ أَزَبَّ نَفُورٌ

يُضرب هذا المثل في عيب الجبان.

وذلك أن البعير الأزبّ - وهو الذي يكثر شعر حاجبيه - يكون نفورًا؛ لأن الريح تضربه فينفر.

قاله زهير بن جذيمة لأخيه أُسَيْد، وكان أَزَبّ جبانًا، وكان خالد بن جعفر ابن كلاب يطلبه بذَحْلٍ، وزهير يومها في إبله ومعه أخوه أُسَيْد، فرأى أُسَيْدُ خالدَ بن جعفر قد أقبل في أصحابه، فأخبر زُهيرًا بمكانهم، فقال له زُهير: «كل أزبّ نفور»، وإنما قال هذا لأن أُسَيْدًا كان أشعر. قال زيد الخيل:

فحاد عن الطّعان أبو أثالٍ ... كما حاد الأزبُّ عن الظلال

وقال النابغة:

أَثَـرتَ الغَيَّ ثم نـزعتَ عنه ... كما حاد الأزبُّ عن الطعانِ

جزاء سنمار

صنع الإنجليزي دجون مايسون عام ١٨٢٥ م آلة تعذيب خشبية ذات ثقوب لاستخدامها في تقييد أقدام المذنبين وأيديهم، وجوزي على ذلك جزاء سنمار، حيث كان أول من عُذب على آلته عقابًا له لمطالبته بأسلوب عنيف غير لائق بأجرته عن ابتكار هذه الآلة.

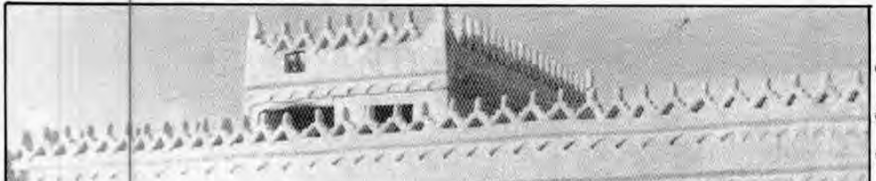
خصال القضاة

قال عمر بن عبد العزيز - يرحمه الله -: إذا كان في القاضي خمس خصال فقد كمل: علم بما كان قبله، ونزاهة عن الطمع، وحلم عن الخصم، واقتداء بالأئمة، ومشورة أهل العلم والرأي.

عمر الأرض

قدّرت أحدث الحسابات عمر الأرض بنحو ٤٥٠٠ مليون عام، واعتبرت أن التكوينات المتكررة لسلاسل الجبال محت الآثار للسنوات الأولى لوجود الأرض.

ويرجّح عمر أقدم الصخور بنحو ٣٧٥٠ مليون عام، وأقدم كائنات وجدت بهذه الصخور بنحو ٣٢٥٠ مليون عام، أما أقدم آثار اكتشفت لحيوانات فقُدِّر أن تاريخها يعود لما قبل ٧٠ مليون عام فقط.



الفناء الداخلي لقصر الأمير فيصل بن عبد العزيز «الملك فيصل» خارج سور الرياض القديمة، ويعرف بقصر «أم قبيس»، وقد تحول فيما بعد إلى قصر الضيافة، ثم مقر للمعهد العلمي عام ١٣٧٥ هـ، وبعد هدمه أقيمت على أنقاضه المكتبة الوطنية والمدرسة المتوسطة في شارع الملك فيصل ٦٩ - ١٣٧٤ هـ / ٥٠ - ١٩٥٥ م.

بين شـــاعــــريـن

أراد رائد مجددي الشعـر العربي المعـاصر الشاعـر محمـود سامي البـارودي مداعبة صديقه الشاعر إمام العبد، وكان الأخير أسود شديد السواد، فقال له: ما قولك يا إمام في قصيدة المتنبي التي مطلعها:

عيـد بأيــة حـال عـدت يـا عيـد   بما مضى أم لأمـر فيك تجديـد

وهو يريد الإشارة إلى قول المتنبي في القصيدة:

لا تشترِ العبـد إلا والعصـا معـه   إن العبيـد لأنجاس منـاكيـد

ففطن العبد لما يـريده صديقـه محمود سامي، فـرد على الفور: لا شك أنها قصيدة جيدة جدًا خاصة قوله فيها:

مـا كنت أحسبني أحيا إلى زمن   يسيئني فيــــه كلب وهو محمـود

فيتــــامين ج

لفترة طـويلـة سـاد اعتقـاد بأن تناول فيتامين ج يقلل مـن الإصابة بنوبـات البرد، إلا أن دراسة أكـدت أنـه لا يمنع مـن حـدوث ذلك، إنما يسهم في مقـاومـة المضـاعفـات الفيروسية، مما يقلل فترة الإصـابـة بالبرد ومضاعفاتها.

أثبتت الدراسة أن هذا الفيتامين تزداد حـاجة الإنسان إليـه في حالات التـوتـر النفسي والحمل والإرضـاع والحروق، وكـذلك عنـد إجـراء عمليات جراحية أو التقدم في العمر، أو التدخين بشراهة.

ويساعد فيتامين ج الجسم على امتصـاص الحديـد من المصـادر الغذائية غير الحيوانية.

لغـــات العـــالم

يبلغ مجموع اللغـات واللهجات المستعملة في العالم نحو خمسة آلاف، منهـا ٨٤٥ لغـة ولهجـة في الهنـد وحدها.

وتعـد لغة شمال الصين أكثـر اللغـات المستعملـة انتشـارًا حيث يتكلم بها قرابة ٨٠٠ مليون نسمة.

ساعة تتنبأ بالأحوال الجويـــة

أنتجت شركة يابانية ساعة مزودة بجهاز حساس للضغط الهارومتري، يمكنها التنبؤ بالحالة الجوية لمسافة قطـرهـا ٢٠ كيلـو مترًا ولمدة عشر ساعات مقدمًا.

كلمة = ٧ آلاف دولار

كـان الكـاتب والـروائي الأمـريكي الـراحل أرنست همنجـواي (١٨٩٩ - ١٩٦١ م) يتقاضى قـرابة ٣٠ ألف دولار ثمنًا لمقالـة لا تتجاوز ٢٠٠٠ كلمة، أي بواقع ١٥ دولارًا للكلمة الواحدة. فكان موضع حسد زملائه وانتقادهم.

ترى مـا سيقول هـؤلاء إذا علموا أن السيدة ديبـورا سنايـدر من مدينـة مينا بوليس في الـولايات المتحـدة الأمريكيـة قد تقاضت في وقت قـريب مبلغ ١٧٥ ألف دولار مقابل حوار إعلاني مكوّن من ٢٥ كلمـة قامت بتأليفه وإعداده عن نوع من السيارات، أي بواقع سبعة آلاف دولار عن الكلمة الواحدة!

نونُ العَيْن



حـدث في المدينـة المنـورة أن سقط أحـد المواطنين طريح الفـراش، عاجـزًا عن القيام من سريـره دون مرض ظـاهـر. كان ذلك قبل عـام ونيف، وقـد زاره الطبيب، وزاره أصـدقـاؤه، فوجدوه يتأوه من الحزن والألم. لقد استشهد ولده قبل بضع سنـوات في معـارك الجهـاد الافغـاني، واستقبل النبأ حزينًا متماسكًا.

لكنه لم يستطـع التجلد ولا التماسك، عنـدما رأى المدافع الأفغـانية في خنـادق الجهاد قـد تـوجهت لقتل المجاهـدين أنفسهم، ومن حـولهم من المدنيين الذين نجـوا من قنابل الروس والشيـوعيين المحليين، لكنهم وقعوا فيما هو أشر.

ليس عندنـا، ولا عند الأصـدقاء، ولا عنـد الطبيب، من علاج لهذا الشيخ الذي فقد فلذة كبده.

غير أن زعماء الجهاد خاسرون أيضًا، لقد فقدوا احترام المسلمين الذين آزروهم فخانوهم، ووثقوا فيهم فخذلوهم.

أما اليـوم فقد انتقلت الجماهير المسلمة إلى مـرحلة متقـدمة من الشك بفضل الصواريخ التي تدمر كـابول. ومسجدها الأزرق. والصواريخ المضادة. وقوافل اللاجئين. والضحايا. والمعوقين والجوعى. في ظل حرب ذميمة أليمة..

النقلة المتقـدمة في وعي الجماهير المسلمة هي أيضا نقلـة متأخرة، إنّهم يشكّون، ويتشكّكون في الأعمال القادمة.

إنهم يتساءلون إن كـان من الأفضل أن يتركوا كشمير للهندوس.. أم يسـاعـدوا الكشميريين على الاستقـلال؟! وهل يسـاعـدون المسلمين في الفلبين، أم يتركونهم يقاتلون وحدهم دون دعم معنوي أو مادي؟!

كان الجمهـور المسلم يشـاهد شـاشة اللبننـة، وهو الآن متسمـر أمام ظاهـرة الأفغنة، واليمننة، والسودنـة، والفلسْطنة، والبوسنـة، والجزرنة، والفلبنة!

الظواهر النـونية تجعل نون العين يمرض دون سبب ظـاهر، يبكي.. يسيل دمًا.. يصـاب بالعمى: ﴿وابيضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الحُزْنِ فهو كظِيمٌ﴾ يوسف ٨٤.

معذور أنت يا سيدي المريض في المدينة المنورة، يا من سقطت طريح الفراش في ذكرى الشهيد الشاب، الذي قاتل وقتل في أفغانستان..

أخلف الله عليك بخير..

ورحم الله ولدك.. و﴿إنّا لله وإنّا إليه راجعون﴾.

محمد علي الجفري

لا إكراه في الدين



دراسة من إعداد محمد ناصر الطويل. تتناول الحقائق التي تشهد بأن الإسلام هو دين الخلاص، وتلقي الضوء على عدم اقتناع بعض النصارىٰ بعقيدة التثليث، ووجود وسيط بين الآلهة والعباد. كما تعرض الدراسة شهادات بعض حديثي الإسلام، ومنهم المفكر العالمي رجاء جارودي، وكيف وجد ذروة الازدهار العقلي والوجداني في الإسلام الذي لم يجد له مثيلاً طوال حياته التي تميزت بالبحث والدراسة في الفكر الإنساني.

وخصص المعد فصلاً عن القساوسة والحاخامات الذين أسلموا، عرض فيه حالات مختلفة تحمل الكثير من العظات والعبر، واستقرأ نتائج دراسات للأشخاص حديثي الإسلام في المملكة العربية السعودية، تناولت الاحتياجات والخدمات التي يجب توفيرها لهم. الكتاب صدر عن دار طويق للنشر عام ١٤١٤ هـ في ٢٥٣ صفحة من القطع الكبير.

ملحمة البوسنة والهرسك والجريمة الكبرى



كتاب من تأليف د. عدنان النحوي. يعرض فيه تاريخ بلاد البلقان منذ العهود الرومانية، والديانات التي تعاقبت عليها، وأهم القبائل التي قطنت المنطقة، والدول المتعاقبة من السلافيين والبشناق والبوغومول والصرب. ويسرد سيطرة الدولة العثمانية وفتوحاتها في أوربا حتى تم لها فتح بلاد البلقان على يد محمد الفاتح، وكيف دبَّت الفرقة بين الأقطار الإسلامية، حتى تساقطت الواحدة تلو الأخرى. وكيف تراجعت الدولة العثمانية في أوربا، وما تبع ذلك من أحداث أذنت باندلاع الحرب العالمية الأولى وانحسار الإسلام في أوربا وبروز روح الإجرام والانتقام من مسلميها باستخدام أبشع وسائل التعذيب والإبادة ضدهم. وأشار ضمن ذلك الى الواقع الأليم الذي يسود الخارطة الإسلامية.

واختتم المؤلف الكتاب بمجموعة من قصائده التي تشكو ما آلت إليه أحوال المسلمين في البوسنة والهرسك، ومدى الظلم والاضطهاد الذي طالهم. صدر الكتاب عن دار النحوي للنشر عام ١٤١٣ هـ في ١٩٩ صفحة من القطع المتوسط.

الانتقال إلى الحكم الذاتي الفلسطيني



دراسة أعدها مجموعة من الباحثين الفلسطينيين والإسرائيليين والأمريكيين. تبحث في قضية السلام في الشرق الأوسط، وتقترح لها حلولاً تختلف باختلاف وجهات نظرهم، وتتناول بصورة خاصة الحكم الذاتي الفلسطيني من منظور عملي، يهدف إلى تحديد ما تسميه «بالقضايا الصعبة» التي تعترضه، والتي تندرج تحت المؤسسات المدنية والسياسية؛ كالأمن الخارجي والداخلي والمسائل الاقتصادية والموارد الطبيعية. وتتخلل الدراسة مجموعة من الخرائط والجداول السياسية والطبيعية.

الدراسة من إصدار مؤسسة الدراسات الفلسطينية بدعوة من الأكاديمية الأمريكية للفنون والعلوم عام ١٩٩٣ م في ٢٠٣ صفحات من القطع المتوسط.

الإعلام الإسلامي ووسائل الاتصال الحديثة



دراسة من إعداد إبراهيم إسماعيل. تتطرق إلى الحديث عمَّا كان عليه إعلام الدعوة في عهد الرسول ﷺ ومفهومه ووظيفته والأسس التي قام عليها، وكفلت احترام الجمهور بالدقة في استقاء الأنباء ونشرها وتوفير قنوات الاتصال، ليكون لكل فرد في المجتمع حق استعمالها. كما تستعرض الدراسة وسائل الإعلام الإسلامي ونماذج من رجاله ودورهم في إثراء الحركة العلمية، وتثير موضوع الدعاية والإعلان من خلال المفهوم الإسلامي والتدهور الذي وصل إليه. وتنقضي بإلقاء الضوء على دور وسائل الإعلام الإسلامية في الصحافة الحديثة ومسؤولياتها وما تواجهه من مشكلات ومصاعب. الدراسة ضمن سلسلة دعوة الحق الصادرة عن رابطة العالم الإسلامي عام ١٤١٤ هـ في ١٠٨ صفحات من القطع المتوسط.

مشوار



مشاهدات وأحداث وأفكار، للدكتور عبد العزيز النهاري. تصور انفعالاته التي كتبها من واقع عاشه، وتناقش تقلبات النفس الإنسانية وتضارب رغباتها. من ضمن ذلك من يتنكر لماضيه فيعيش حالة من الزيف والكذب، ويشير إلى تسابق الناس إلى كنز المال وتكالبهم عليه نابذين خلف ظهورهم أي مبدأ أو سلوك تشدقوا به. الكتاب من إصدار دار البلاد للطباعة والنشر عام ١٤١٣ هـ في ١٦٦ صفحة من القطع المتوسط.

تعليم الكبار في الدول النامية



دراسة اجتماعية من إعداد أدوين. ك. تاوتسند كولز، وترجمة ياسر الفهد ود. عدنان الأحمد. تتناول التطورات التي شهدها قطاع تعليم الكبار من خلال متابعة أجراها المؤلف لفترة ثماني سنوات في ما كان يعرف بإفريقيا الوسطى.

وتعرض الدراسة الأغراض والأهداف العامة لتعليم الكبار،

والبرامج والمقترحات لتطويره، والهيئات المساهمة فيه، وطرق التدريس والوسائل التعليمية والأبنية والكوادر اللازمة والمدربة وسبل تقويمها. الدراسة من منشورات وزارة الثقافة السورية عام ١٩٩٢ م في ١٩٩ صفحة من القطع الكبير.

على شفا حفرة من البوح



مجموعة شعرية للدكتورة زكية مال الله، من إصدارات دار حسان عطوان للإعلام والنشر بدمشق. تضم أربع مجموعات: «أتبرك بي، دنا فتدنى، استرحي فوق رذاذك، جنين في مشيتي»، ضمت اثنتين وستين قصيدة، تناولت الطبيعة وسحرها ومناجاة الطير والذكرى والحنين إلى الماضي وبعض القصائد الإخوانية التي كتبت بين عامي ١٩٩١ و١٩٩٣ م. الكتاب في ١١١ صفحة من القطع الصغير.

خواطر من وحي الإدارة العامة التطبيقية



من تأليف عبد الرحمن بن عبد المحسن العبد القادر. تنطلق من تجربته الذاتية، وتتناول تطبيق مبادئ الإدارة العامة؛ كحسن انتقاء القوى العاملة، وتوفير البيئة المناسبة للعمل، ورصد عوامل التنظيم وأساسياته، والإشراف الإداري وأهمية توافر الصفات القيادية لدى المشرف، والديناميكية التي يوجه بها فريق العمل، وأثرها في مجريات الإنجاز لدى الفريق.

وخصص فصلاً عن العوامل النفسية المؤثرة في سلوك الموظف وأهمية بناء الثقة بالنفس لديه والانعكاسات التي السلبية التي قد ينزلق فيها.

وانتقل إلى أهمية محاسبة الموظف نفسه عن أي تقصير، والحياد في كتابة التقارير لكي يتحقق دورها كأداة استبيان ومنطلق للتقويم والتطوير. الكتاب صدر عام ١٤١٣ هـ عن دار مرامر للطباعة في ٢٤٦ صفحة من القطع المتوسط.

التشريع الجنائي الإسلامي



بحث للأستاذ عبد الله ابن سالم الحميد. يعرض مقارنات بين القوانين الوضعية والتشريع الجنائي الإسلامي، ويحدد الأركان العامة للجريمة، والنظرة القانونية للجريمة والجناية، وميزة الشريعة الإسلامية التي تكمن في أنها من تنزيل الخالق - عز وجل - الذي لا تخفى عليه خافية، وأنها أسبق من غيرها في التشريع والتطبيق، ونظرتها إلى الأخلاق وعنايتها بالسلوك القويم في قيام الدولة وصلاحية الفرد والمجتمع والأمة، واستعرض أصنافًا من الجرائم وعقوبتها كالقتل وأنواعه وجرائم الحدود وعقوبات الكفارات والتعزير. والكتاب ضمن إصدارات دار طويق للنشر عام ١٤١٣ هـ في ١٤١ صفحة من القطع الكبير.

سطور فوق السحاب



ديوان شعر صدر هذا العام للشاعر علي أبو العلا، ضم مجموعة كبيرة من القصائد الشعرية، سبقها إهداء من الشاعر إلى روح أمير الشعراء أحمد شوقي، وتقديم للأستاذ زهير محمد جميل كتبي، واتسمت هذه القصائد باحتفائها بالمكان (أنا في أبها، جدة. أصبحت مجدًا، مكة رحاب الوحي)، والمناسبات الاجتماعية الخاصة مع تناول بعض القضايا العامة.

الكتاب في ٢٧٦ صفحة، من القطع المتوسط، وصدر عن دار الفنون للطباعة والنشر والتغليف بجدة.

زفير الناي



مجموعة شعرية للشاعر يوسف عبداللطيف أبو سعد، من إصدار مطابع الجواد بالأحساء عام ١٤١٢ هـ. تتكون من ثلاث مجموعات: «بلادي، حب وحرمان، ذكريات وخلجات»، تضم قصائد وطنية وأخرى عاطفية ووجدانية فضلاً عن موضوعات أخرى مثل الحكمة والدعاء ومآسي التشرد واللجوء.

صدر الكتاب في ١٤٤ صفحة من القطع الصغير.

الشفيع



كتاب لعمر يوسف باشميل، يتناول تاريخ كتاب الله عز وجل «القرآن الكريم» وعلومه، ويتضمن تعريفه وأسماءه ومراحل نزوله وجمعه في المصحف على مراحله الثلاث وآدابه في التلاوة والاستماع، كما بيّن فضل قراءته والاستماع إليه وحفظه وأيسر الطرق إلى ذلك، ومعنى قول الرسول عليه الصلاة والسلام: «إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف» وأقوال العلماء في ذلك.

كما خصص المؤلف فصلاً عن فضائل القرآن الكريم عامةً، وفضل بعض السور التي ورد الحديث النبوي بتخصيصها. وأوجز حال السلف الصالح مع القرآن الكريم وتدبرهم له وبكائهم عند قراءته وما ورد في فضل ختم القرآن الكريم من الأحاديث والآثار.

الكتاب من إصدار دار طويق للنشر والتوزيع عام ١٤١٤ هـ، في خمس وتسعين صفحة من القطع المتوسط.

مسابقة مجلة الفيصل

١ ـ الإخوة القراء الأعزاء :

جوائز عديدة تقدمها المجلة لأصحاب الحلول الفائزة على النحو التالي :

أ ـ ثلاث جوائز مالية تمنح لثلاثة فائزين (٥٠٠ ريال، ٣٥٠ ريالاً، ١٥٠ ريالاً).

ب ـ خمس جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا).

ج ـ عشر جوائز اشتراك مجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا).

د ـ خمس جوائز عبارة عن مجموعات من إصدارات مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في الرياض. قيمة كل مجموعة في حدود مائة ريال.

٢ ـ شروط المسابقة :

أ ـ الإجابة عن جميع الأسئلة، وإرفاق القسيمة الأصلية للمسابقة مع ورقة الإجابات التي يوضح فيها الاسم ثلاثيًا أو رباعيًا ـ إن أمكن ـ وعنوان المراسلة.

ب ـ ترسل الإجابات على العنوان التالي :

مسابقة «مجلة الفيصل»
ص. ب. ٣ الرياض ١١٤١١
المملكة العربية السعودية
(مع ذكر رقم المسابقة على المظروف)

جـ ـ أية إجابات تصل بعد ٤٥ يومًا (حسب التقويم الهجري) من صدور العدد لن يلتفت إليها.

د ـ من حق القارئ أن يشترك باسمه في المسابقة الواحدة أكثر من مرة على شرط إرفاق قسيمة المسابقة مع كل رسالة.

أجوبة مسابقة العدد (٢٠٥)

ج ١ : عدة الأرملة (المتوفى عنها زوجها) أربعة أشهر وعشرا، ما لم تكن حاملاً (الآية ٢٣٤ من سورة البقرة). والمختلعة تعتد بحيضة واحدة؛ ففي قصة ثابت أن النبي ﷺ قال له : «خذ الذي لها عليك وخلّ سبيلها. قال : نعم. فأمرها رسول الله ﷺ أن تعتد بحيضة واحدة وتلحق بأهلها». رواه النسائي بإسناد رجاله ثقات. أما الحامل فإن عدتها وضعها حملها، سواء أكانت مطلقة أو متوفى عنها زوجها (الآية ٤ من سورة الطلاق).

□□□

ج ٢ : إذا اضطر الإمام أن يصلي قاعدًا، فعلى المأمومين أن يصلوا قعودًا؛ لحديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «إنما جعل الإمام ليؤتم به، فلا تختلفوا عليه؛ فإذا كبّر فكبروا، وإذا ركع فاركعوا، وإذا قال سمع الله لمن حمده فقولوا : اللهم ربنا لك الحمد، وإذا سجد فاسجدوا، وإذا صلّى قاعدًا فصلوا قعودًا أجمعون» رواه الشيخان.

□□□

ج ٣ : أول دولة عرفت التقويم هي مصر؛ حيث بدأ التقويم المصري القديم عام ٤٢٤١ قبل الميلاد، وكان التقويم الثاني بعده هو التقويم الصيني الذي بدأ عام ٢٠٠٠ قبل الميلاد. وكان التقويم الذي ابتكره المصريون قمريًا بادئ الأمر؛ لكنهم سرعان ما ابتكروا تقويمًا شمسيًا حل محل التقويم القمري وكانت السنة تتألف، في هذا التقويم الشمسي، من ٣٦٥ يومًا يضاف إليها يوم واحد كل أربع سنوات.

□□□

ج ٤ : هو الحاكم بأمر الله بن العزيز الفاطمي، سادس خلفاء الدولة الفاطمية العبيدية في مصر ـ وآخرهم ـ. فرض على اليهود زيًا خاصًا يرتدونه ليعرفهم الناس؛ وذلك بسبب مؤامراتهم على دولته، إذ أقدم زعيمهم يوسف بن يعقوب بن كلس على وضع رسالة عرفت بالرسالة الوزيرية، ملأها بالحقد والتهجم على الإسلام والمسلمين، كما ثبتت عليه تهمة التجسس لصالح البيزنطيين، وأغراهم بمهاجمة مصر واحتلالها، مما جعل الحاكم بأمر الله يستشيط غضبًا على اليهود، فأمر بإعدام ابن كلس، وأصدر عدة قرارات تجارية لتحجيم نشاطهم ـ باعتبارهم القوة التجارية الأكثر ثقلاً ـ منها : ضرورة ذكر أثمان السلع المعروضة للبيع، وخضوعهم للتفتيش المستمر، وارتدائهم زيًا خاصًا يُعْرَفُون به بين الناس، كما ألزمهم بضرورة السكنى في أحياء خاصة بهم لا يغادرونها في أوقات معينة.

□□□

ج ٥ : لكي يحصل أفراد شعب الإسكيمو على الماء الصالح للشرب، إذا كانوا على شاطئ بحر متجمد بعيدًا عن الأنهار العذبة، فإنهم يأخذون الطبقة العليا من ثلج البحار ويذيبونه. وهذا الثلج ـ عادة ـ لا يكون مالحًا؛ لأن الملح يبقى في المياه غير المتجمدة تحت الثلج.



نتائج مسابقة العدد (٢٠٥)

أ ـ فازت بالجائزة المالية الأولى، وقدرها ٥٠٠ ريـال سعودي، رحاب إبراهيم حمود الزبيدي، ينبع البحر ـ المملكة العربية السعودية.

وفازت بالجائزة الماليـة الثانية، وقدرها ٣٥٠ ريـالاً سعوديًا، فتحية دادون عبد العـزيز، الدار البيضاء ـ المغرب.

وفازت بالجائزة المالية الثالثة، وقدرها ١٥٠ ريالاً سعوديًا فاطمة رزق قورة، الدقهلية ـ مصر.

□ □ □

ب ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عامين (٢٤ عددًا)، كل من:

١ ـ أسعد محمود يغمور، الظهران ـ المملكة العربية السعودية.
٢ ـ عزة محمد عماد محمد، القاهرة ـ مصر.
٣ ـ فاطمة محمد ذيب أحمد، أربد ـ الأردن.
٤ ـ اليسري حسن عمر محمد، الخرطوم ـ السودان.
٥ ـ منال عبد الباقي عثمان، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.

□ □ □

ج ـ فاز بجائزة الاشتراك المجاني في المجلة لمدة عام واحد (١٢ عددًا)، كل من:

١ ـ رمضان يوسف عبد المقصود، حائل ـ المملكة العربية السعودية.
٢ ـ علي مصطفى سيف الدين، الغربية ـ مصر.
٣ ـ عبد الرافع الزين بابكر، الخرطوم ـ السودان.
٤ ـ صديق حامد البدوي، ينبع البحر ـ المملكة العربية السعودية.
٥ ـ أحمد محمد علي العباس، ينبع البحر ـ المملكة العربية السعودية.
٦ ـ محمد إبراهيم محمد إدريس، المدينة المنورة ـ المملكة العربية السعودية.
٧ ـ أفنان محمد إبراهيم، خميس مشيط ـ المملكة العربية السعودية.
٨ ـ أحمد عبد الراضي إدريس، أسوان ـ مصر.
٩ ـ قصي معتوق بو حليقة، الظهران ـ المملكة العربية السعودية.
١٠ ـ عفاف يحيى عبد العزيز، القاهرة ـ مصر.

□ □ □

د ـ كما فاز بجائزة مجموعة من إصدارات مـركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، كل من:

١ ـ حسني حمودة عطا الله، بلجرشي ـ المملكة العربية السعودية.
٢ ـ جابر محمد الشرقاوي، الغربية ـ مصر.
٣ ـ بابكر مختار علي عيسى، الخرطوم ـ السودان.
٤ ـ عبد الحميد محمد خليل، حلب ـ سورية.
٥ ـ فتحي مرغني الرفاعي، الغربية ـ مصر.

أسئلة مسابقة العدد (٢٠٨)

السؤال الأول:

كانت لرسول الله ﷺ، علامات كثيرة على نبـوتـه قبل البعثـة تكـاد تصعب على الحصر. اذكر علامتين من عـلامات نبوته ﷺ قبل البعثة.

□ □ □

السؤال الثاني:

كـان الأنبيـاء ـــ صلـوات الله عليهم وسلامـه ـ أشد النـاس ابتلاءً. فمنهم من ابتلي بـــالمرض، ومنهم من ابتلي بـــالمال والسلطان. مَن النبي الذي ابتلي بالظلمة والوحشة؛ وما الآية التي تدل على ذلك في كتاب الله عز وجل؟

□ □ □

السؤال الثالث:

يشترط في الحاضنـة التي تتـولى تربيـة الصغير الـذي انفصل أبـواه عـدة شروط ليُسمح لها بحضانته.

اذكر ثلاثة من هذه الشروط؟.

□ □ □

السؤال الرابع:

من الثمار مـــا تلتــذ بها العين لجمال منظـرهـا، أو الأنف لطيب رائحتهـا، أو الفم لحلاوة مذاقها. وهنـاك ثمرة يلتذ بها الفم والأنف والعين معًا. ما هي؟

□ □ □

السؤال الخامس:

لم تكن القصة القصيرة، في بـدايتها، ذات قواعد فنيـة محددة؛ لكنها تطورت، في القرن التـاسع عشر، على يـدي كاتبيْن أحدهما أمريكي والآخر فرنسي. من هما؟

السعوديـة

إعلان أسماء الفائزين بجائـزة الـملـك فيصـل العالـميـة :

ـ العثيمين (خـدمـة الإسـلام)، سابق والقـرضاوي (الـدراسات الإسـلاميـة)، بنت الشـاطئ ووداد (الأدب العـربي)، انـدرسن ووليمسن (الطب) سوليفان (العلوم)



الأمير خالد الفيصل يعلن أسماء الفائزين بالجائزة في مؤتمر صحفي عالمي (الثلاثاء ٢٨/ ٨/ ١٤١٤ هـ)

أعـرب صاحب السمـو الملكي الأمير خالـد الفيصل المدير العـام لمؤسسة الملك فيصل الخيريـة رئيس هيئة جـائزة الملك فيصل العالميـة عن أسمى آيات التقـدير لـرائد العلم والمعرفـة وقائد مسيرة النهضة في المملكـة العربيـة السعودية خـادم الحرمين الملك فهد بن عبد العـزيز، وسمـو ولي عهده الأمين صاحب السمـو الملكي الأمير عبد الله بن عبـد العزيز، وسمـو النائب الثاني صـاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبـد العزيز لما قـدموه ـ ويقـدمونه ـ من رعايـة ودعم لمؤسسة الملك فيصل الخيرية .

وأكد سموه في كلمة ألقاها خلال المؤتمر الصحفي الـذي أقامته هيئة جائزة الملك فيصل العالمية ظهر يـوم الثلاثـاء ٢٨/ ٨/ ١٤١٤هـ لإعلان أسماء الفـائزين بالجائزة في دورتها السـابعة عشرة، أن الجائزة تقدم للعالم أجمع صورة مشرقـة للإنسان العربي المسلم في المملكة العربيـة السعودية، وأعرب سموه عن أمله في أن تستمـر هذه الحركة الفكرية الإبداعيـة في مجتمع المملكة . حتى تبرهن للعالم أن هذه الأمة مصدر إشعاع للإنسانية كما أراد الله سبحانه وتعالى لهذه الأمة أن تكون .

أعقب كلمة سموه قيـام الأمين العام للجائزة د. عبد الله العثيمين بإلقـاء بيان هيئة الجائزة بهذه المناسبة . وأوضح البيان أن لجان الاختيـار لجائزة الملك فيصل العالميـة بفروعهـا الخمسة قـد عقدت سلسلة من الاجتماعـات امتدت من يوم السبت الخامس والعشرين من شعبان عـام ١٤١٤هـ حتى يوم الثلاثـاء الثامن والعشرين من ذلك الشهر (٥ ـ ٨ فبراير ١٩٩٤م)، وتـوصلت خلال اجتماعاتها إلى القرارات الآتية :

الحركة الثقافية في شهر

☐ معجم لأدبـاء السـودان .

☐ ٢٢ مجلـة فلسطينيـة جـديـدة .

☐ موسوعـة قرآنيـة بالإنجليزيـة في الهنـد .

☐ تحذيـر: لغـات الأرض تنقـرض أيضـا !

☐ الخطـر يهـدد ثانـي أكبـر مكتبـة في العـالم .

□ الأمير خالد الفيصل في المؤتمر الصحافي:

● الجائزة صـــورة مشرقـــة للعـــالم العـــربي والإســـلامي.

● الإعـــلام مُقصّر في تنـــاول نشـــاطـــات المؤسســـة.

● لـو مُنِحَتْ الجائزة في مجال الشعـر النبطي فلن أحصل عليهـا.

أكد صاحب السمو الملكي الأمير خالـد الفيصل بن عبد العـزيز، المدير العام لمؤسسة الملك فيصل الخيريـة رئيس هيئة جائزة الملك فيصل العالمية، على أهمية دور الإعلام الإسلامي في التعريف بالجائزة، مشيرًا إلى أن الإعلام غير الإسلامي، غير العربي، يحاول أن يتجنب الصورة المشرقة للعالم العـربي والإسلامي، ويجب علينا في المقـابل أن نعمل على نقل ما لدينا من صور مضيئة إلى العالم.

جاء ذلك في معرض إجابة سموه على أسئلة الإعلاميين عقب إعلان أسماء الفائزين بجائزة الملك فيصل العالمية.

وكانت لفتـة ذكية من سمـوه حين أحال سـؤالاً عن المكانـة العلمية للجائزة إلى العـالم الأمريكي المصري الأصل د. أحمد حسن زويـل الفائز بجائزة العلـوم ـ بالاشتـراك ـ عام ١٤٠٩ هـ ١٩٨٩ م؛ حيـث أوضح د. زويل أن الجائزة تعد واحدة من أربع جوائز عالمية هي: جائزة نوبل، جائزة اليـابان، جائزة وولف، وجـائزة الملك فيصل العالمية. مـؤكدًا أن الجائزة بحيديتهـا وموضـوعيتها ونـزاهة القـائمين على أمر منحهـا صورة تشرف كل عربي ومسلم.

وردًا على سؤال حول مشروعات مـؤسسة الملك فيصل الخيرية، أكد سمو الأمير خـالد الفيصل أن المؤسسة استطاعت، رغم قلـة التبرعات واعتمادًا على مصادرهـا المالية، أن تسهم في مشروعـات عديدة إنسـانية وصحيـة وتعليميـة وثقـافيـة وعلميـة في مختلف أنحـاء العـالم، منهـا مشروعات الإغاثـة للصومال والبوسنة والهرسك، معـربًا عن أسفه؛ لأن كثيرًا من أبنـاء المملكة العـربيـة السعـودية لا يعـرفـون شيئًا يـذكـر عن نشاطات المؤسسة، مرجعًا ذلك إلى قصور الدعاية الإعلامية للمؤسسة، وتركيزها على النشاطات الخارجية دون الداخلية.

وتطرق سمـوه للحديث عن أجنحة المؤسسة وفـروعها مثل الجائزة، وبـرنامج المنـح الدراسيـة للطـلاب المسلمين الذي يضم أربعين منحـة دراسية إلى أمـريكا وأوربا للـدراسات العليـا لأبناء المسلمين من مختلف أنحاء العالم الإسلامي، إضافة إلى مدارس الفيصل النموذجية بالرياض التي صار طلبتها المتفوقون مضرب المثل، إلى جانب برنامج المنح والهبات الذي تنفذه المؤسسة في أنحاء مختلفة من العالم، ويشمل بناء أو الإسهام في بناء مساجد ومكتبات ومدارس ومراكز بحوث.

وحظى مـركـز الملك فيصـل للبحـوث والـدراسـات الإسـلاميـة في الريـاض بإشادة سمـوه حيث أكـد على أن آلافًا من الطـلاب والباحثين يستفيدون من خدمات المركز، وما يقـدمه من تسهيلات، ويتوافدون إلى مكتبته التي تعد من أفضل المكتبـات ليس على مستوى المملكة فحسب وإنما على مستوى العالم العربي، فهي بتجهيزاتها وإمكاناتها لا تهيئ فقط الكتب والمراجع، إنما أيضا ترشـد الباحث في حالة عـدم توافر المرجع بها إلى مكان تواجد المرجع أو الجهة التي يسأل عنه فيها.

حول إمكـانية إضـافة جائزة للبيئـة وأخرى لـلإعلام إلى فـروع جائزة الملك فيصل العالميـة، قال سمو الأمير خالـد الفيصل: إن هيئة الجائزة تقـوم كل عام بـاستعراض مجالاتها وتـدارسها، وإذا ارتأت الهيئـة في أي وقت الحاجة إلى إضافة فرع جديد سوف تفعل إن شاء الله.

قاد هذا السؤال الأخير صحافيًا لطرح سؤال عن إمكانية أن تخصص جائزة الأدب يومًا للشعر النبطي، وهل يمكن أن يفوز بها سموه باعتباره من أبرز شعراء الشعر النبطي.

إجابة على هذا السؤال، أكـد سمو الأمير أن الشعر النبطي هو شعر عربي، وأن من الخطأ إطلاق هذا المسمى عليه في وقت لا تنسحب هذه التسمية أو مثيلاً لها على الشعر الشعبي في مصر أو سورية أو لبنان، ولام سموه السعـوديين على ذلك، مشيرًا إلى انه يضع نفسـه في مقدمـة الذين يـوجه إليهم اللـوم لتسميته ديـوانه الأول «قصـائد نبطية» رغم أن كـلام القصائد فصيح.

وأوضح سموه أن مسألة تخصيص جائزة الأدب العربي يومًا لمنحها في مجال الشعر النبطي هـو أمر من اختصاص لجنة الأدب العـربي، وإذا ما ارتأت اللجنـة يـومًا تخصيـص الجائزة لهذا المجال، فإنـه لا يحق لسمـوه التقدم إليها، باعتباره رئيس هيئة الجائزة، وبالتالي يتعذر منحها له.

جائزة خدمة الإسلام للشيخ ابن العثيمين

أولا: قررت لجنـة الاختيار **لجائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام** منح الجائزة هذا العام لفضيلة الشيخ محمـد بـن صـالح العثيمين، السعـودي الجنسية، الأستـاذ في جامعة الإمام محمـد بن سعود الإسـلامية، عضـو هيئـة كبـار العلماء، لسجايـاه وجهوده المتمثلة فيما يلي:

١ ـ تَحَلِّيـه بأخلاق العلماء الفـاضلـة التي من أبـرزها الـورع، والـزهد، ورحـابـة الصدر، وقـول الحق، والعمـل لمصلحـــة المسلمين، والنصـح

لخاصتهم وعامتهم .

٢ ـ انتفاع الكثيرين بعلمه، تدريسا، وإفتاء، وتأليفا . فهو يدرس علوم العقيدة والشريعة واللغة العربيـة منذ خمسة وأربعين عامـا ؛ وذلك في جامع عنيـزة، والمؤسســات التعليميـة الحكـوميـة، وفي طليعتها كلية الشريعـة في القصيم . وهو يجمع بين غـزارة العلم وجـودة أسلـوب عـرضـه، ممـا جعل حلقـات درسـه تجتـذب طـلاب العلم من مختلف أرجاء المملكة وخـارجهـا . ولقد بذل نفسـه للافتاء بطـرق متعـددة من أبـرزهــا الكتـابـة، والهاتف، والمسجل، ووسائل الإعلام كالصحف والمجلات، والإذاعة عبر البرنامج المشهـور «نور على الدرب»، الـذي يستفيـد بـه كثير من النـاس داخل المملكـة وخـارجهـا . إلى جـانـب ذلك ألف حـوالى أربعين كتـاباً ورسـالـةً منهـا ما هـو ذو مستوى يتـلاءم مع قـدرات طلاب العلم، ومنهـا مـا هو ذو مستـوى يناسب جمهـور المسلمين لمعرفة مـا هو ضروري من مبادئ الدين الحنيف والشريعة السمحة .

٣ ـ إلقاؤه المحاضرات العامـة النافعة في بلدان ومراكـز مختلفة من مناطق المملكـة، مما كان لـه أثر طيب واضح في تـوجيــه الجمهــور؛ وبخـاصــة الشباب .

٤ ـ مشاركته المفيـدة في مؤتمرات إسلامية كبيرة مثل مؤتمر رسالـة المسجد ومؤتمر الدعـوة والدعاة، ومــؤتمر الفقــه الإسـلامـي، ومـؤتمر مكــافحــة المخدرات .

٥ ـ اتباعـه أسلوبـاً متميـزاً في الدعـوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وتقديمه مثلاً حياً لمنهج السلف الصالح ـ فكراً وسلـوكاً ـ مما جعل كثيرا من المسلمين يطمئنون إلى ما يدعو إليه ويستفيدون به .

جائزة الدراسات الإسلامية

للشيخين : سابق، والقرضاوي

ثانيا : قررت لجنة الاختيار **لجائزة الملك فيصل العالمية للدراسات الإسلامية** منح الجائزة هذا العام (وموضوعها الدراسات التي عنيت بالفقه الإسلامي تأليفـا أو تحليلا أو تيسيرا) منـاصفـة بين كل من : الشيخ السيــد ســابق محمــد التهــامي، المصري الجنسيـة، الأستـاذ بجـامعـة أم القـرى، والشيخ الـدكتـور يـوسف عبد الله القـرضـاوي، القطـري الجنسيـة، عميــد كليـة الشريعــة والـدراســات الإسلامية ومدير مركز بحوث السنة والسيرة بجامعة قطـر . وذلك لما لـلأول من جهـود علميـة رائدة في تيسير علم الفقه في كتابه «فقـه السنة» الذي توخى فيـه تسهيل عـرض هـذا العلم مقرونـا بـالـدليل، ولايـزال الشيخ يثري هـذا المجـال بحثـاً وتدريسـاً وإشرافاً . وما للثاني من جهـود علمية متصلة لربط الفقــه الإسـلامي بــالــواقع العملي للمسلمين ؛ وبخاصة في كتابه «فقه الزكاة»، الذي يتميز بشمول العـرض، وحسن المنهج، ودقـة العبارة، وتحديـد المصطلح، وتحليل المعلـومات، وترجيـح الأقوال، مع توثيقٍ جيدٍ لها من مصادرها المختلفة .

جائزة الأدب العربي

للدكتورتين : بنت الشاطئ ووداد

ثالثا : قـررت لجنة الاختيار **لجائزة الملك فيصل العالميـة للأدب العـربي** منح الجائزة هــذا العــام (ومـوضوعهـا الدراسـات التي تنـاولت فنون النثـر العـربي القــديم) منـاصفـة بين كـل من الأستـاذة الدكتـورة عائشة محمـد علي عبد الـرحمن، المصرية الجنسية، أستاذة الدراسات العليا بجامعة القرويين في المغــرب . والأستـــاذة الــدكتـــورة وداد عفيف القاضي، اللبنانية الأمـريكية الجنسية، رئيسة قسم دراسـات الشرق الأدنـى وحضـاراتـه في جــامعـة شيكاغـو . وذلك لتميز الأستـاذة الدكتورة عـائشة عبد الـرحمن بغزارة الإنتـاج ؛ وبخاصـة في التفسير البيـاني للقرآن الكـريم . وكـان تحقيقها للنصـوص النثـريـة العـربيـة ودراسـاتها حـولها جـزءا مهمّا من جهدها الكبير في الربط بين العربية والإسلام، على أساس من منهج موضوعي سليم، كما كان تحقيقها لتلك النصـوص نمـوذجاً جيـداً في خـدمـة النص وتـذليل مـا فيـه من عقبـات وتقـريبـه إلى القـارئ والباحث بتوضيح ما فيه من غموض، وتصحيح ما اعتوره من تصحيف أو تحريف . ومن أبرز ما قامت به في هذا المجال تحقيق رسالة الغفران وكتابة دراسة شـاملـة عنهـا بعنــوان «الغفـران» . أما الأستـاذة الـدكتـورة وداد عفيف القاضي فقـد نذرت معظم جهودها التأليفية لخدمة النثر العربي القديم بحثا، ونقـدا، واختيــارا، وتحقيقـا . . ويمتـاز عملهـا بالكشف عن الجوانب الفنيـة في ذلك النثر ودراسة الشكل والمضمـون معا . وهي تهتـم بإبراز جـوانب جـديــدة في ذلك النثـر . كنمط النثـر في العهـود الإسلامية الأولى . ويعد تحقيقهـا لكتاب «البصائر والذخـائر» في تسعة أجزاء نمـوذجاً عـالياً في تحقيق كتاب يجمـع بين دفتيه عشرات من النماذج النثـرية التي تمثل عصـورا مختلفـة . وقـد درست في كتـابها «بشر بن أبي كبـار البلـوي» صـورة من أوائل النثـر العـربي، تسبق عبد الحميـد الكـاتـب وابن المقفع، وبحوثها في رسائل عبد الحميد ترسم الأصول الفنية التي قـام عليها النثـر العربي . ولها بحـوث في اللغة الانجليزية إلى جانب بحوثهـا في اللغة العربية، مما يـوسع مجال التعريف بأهم مميـزات النثر العـربي في نشأته وتطوره .

جائزة الطب

للدكتورين : أندرسن، ووليمسون

رابعا : قررت لجنة الاختيار **لجائزة الملك فيصل العالمية للطب** منح الجائزة هذا العـام (وموضـوعهـا التطبيقات الطبية لهندسة الجينات) مناصفة بين كل من الأستــاذ الـدكتـور وليــام فـرنش أنــدرسن، الأمريكي الجنسيـة، أستاذ الكيمياء الحيـوية وطب الأطفـال بجامعـة جنـوب كـاليفورنيـا، والأستـاذ الـدكتــور روبـرت وليمسن رئيس قسم الكيميـاء الحيوية والمورثات الجزيئية بكلية طب سانت ميري بلندن . وذلك لتميز أعمالهما بالأصالة والغزارة . فقد نشر الدكتور أندرسن أكثـر من ٢٦٠ بحثاً، وأربعة كتب . وشــارك في تحريــر عـــدد من المجــلات والـدوريـات الطبيـة المتخصصــة . . أهمهـا مجلـة «العـلاج بـالمورثات» التي أنشـأها بنفسـه . ويعـد الرائد الأول في مجال العلاج بـالجينات «المورثات» ؛ إذ بـدأ عمله في هـذا المجـال بتجارب مكثفـة على الحيوانات المخبرية، استطـاع من خلالها استخدام فيروسـات لنقل المورثـات إلى داخل الخلية وسيلـة للعلاج بالمورثات . وكان له ما أراد . ذلك أنه تمكن

فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين

● ولد في عنيزة سنة ١٣٤٧هـ، وحفظ القرآن الكريم في سن مبكرة، ثم بدأ يطلب العلم على الشيخ عبد الرحمن السعدي حتى أدرك الشيء الكثير من علوم الدين وقواعد اللغة العربية. بعد ذلك التحق بالمعهد العلمي في الرياض، حيث درس على أساتذته الكبار أمثال محمد الأمين الشنقيطي، كما أخذ يدرس على الشيخ عبد العزيز بن باز الذي يعد شيخه الثاني بعد ابن سعدي.

● بدأ يدرس في مسجد الجامع بعنيزة قبل التحاقه بالمعهد العلمي، ثم في المعهد بعد تخرجه فيه، مع مواصلة دراسته في كلية الشريعة انتسابا حتى تخرج فيها عام ١٣٧٧هـ.

● لما توفي شيخه ابن سعدي سنة ١٣٧٦هـ خلفه في إمامة مسجد الجامع الكبير بعنيزة وفي التدريس فيه. ثم أصبح يدرس في كلية الشريعة بفرع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية في القصيم ولا يزال أستاذا فيها. وهو، إلى جانب ذلك، عضو هيئة كبار العلماء.

● **أهم أعماله في خدمة الإسلام:**

١ ـ التأليف: ألف ما يزيد على خمسة وثلاثين كتاباً ورسالة فيما يحتاج إلى معرفته المسلم من علوم الدين؛ وقد اختير بعض هذه المؤلفات مقررات في المعاهد العلمية في المملكة، فانتفع بها الطلاب كثيراً.

٢ ـ التعليم: بدأ يدرّس منذ كان طالبا في مسجد الجامع، ثم درّس في المعهد العلمي وكلية الشريعة. ولا يزال يدرّس يومياً في مسجد الجامع بعنيزة، إضافة إلى تدريسه في كلية الشريعة. ولما وفقه الله من صفات حميدة وعلم غزير فقد اجتذبت حلقات درسه عشرات الطلاب من مختلف أرجاء المملكة ومن خارجها.

٣ ـ المحاضرات: لم يدخر وسعاً في سبيل الدعوة إلى الله على بصيرة؛ وذلك بإلقاء المحاضرات العامة في بلدان ومراكز مختلفة في سائر مناطق المملكة. وكان لهذه المحاضرات، بتوفيق من الله، أثر كبير في توجيه الجمهور، وبخاصة الشباب، الوجهة الحسنة.

٤ ـ الفتاوى: بذل الشيخ نفسه لتبصير الناس بالدين بطرق مختلفة، منها الإفتاء عن طريق الهاتف، أو الكتابة، أو التسجيل، ومنها الإفتاء عن طريق وسائل الإعلام، مثل الفتاوى في الصحف والمجلات، والفتاوى عن طريق البرنامج الإذاعي اليومي المشهور «نور على الدرب» الذي يستفيد به كثير من الناس داخل المملكة وخارجها.

٥ ـ المشاركة في المؤتمرات: حضر عدة مؤتمرات إسلامية كبيرة؛ مثل مؤتمر رسالة المسجد، ومؤتمر الدعوة والدعاة، ومؤتمر الفقه الإسلامي، ومؤتمر مكافحة المخدرات. وكان له مشاركات طيبة وآراء موفقة في تلك المؤتمرات.

● ويمتاز الشيخ في كتاباته وخطبه ومحاضراته وفتاواه بالعلم الغزير، والفهم الواضح للدين عقيدة وشريعة، والأسلوب الجيد في العرض، واتباع الحكمة في أسلوب الدعوة.

من تطبيق هذا الأسلوب في الإنسان ومعالجة نقص «نازعة أمين الأدينوزين» في بعض المرضى. وبذا يكون قد حاز قصب السبق في مجال تطبيق هندسة المورثات في الطب. وأصبحت هذه الطريقة مستخدمة في أكثر من ٢٥ مركزاً متخصصاً في شتى أنحاء العالم. وله دور مؤثر في الدعوة إلى التقيد بأخلاقيات المهنة عند استخدام المورثات في العلاج.

أما الأستاذ الدكتور روبرت وليمسن، فقد نشر أكثر من ٢٧٠ بحثاً، كما حرر وشارك ونشر ٦ كتب في مجال الهندسة الوراثية، وعدة مجلات علمية متخصصة. وبحوثه في مجال المورثات الجزيئية أشمل من غيرها. وقد ساعدت الكثير من الباحثين في التوصل إلى ماهية مسببات الاعتلالات المرضية. وقد مهد اكتشافه للمورث الناقص والمسبب لمرض تلاسيميا «النوع أ» الطريق لإيجاد العلاج بالمورثات لعدة أمراض، منها أمراض صبغة الدم الوراثية، والأمراض المرتبطة بالوراثة الجنسية، وفرط دهن الدم، والتليف الحوصلي، ومرض الزهايمر. وساعدت دراساته إلى التوصل لفهم أفضل للمكونات الوراثية وتشخيص الأمراض الوراثية في الجنين، كما تمكن، عن طريق شبكة منظمة الصحة العالمية، من نشر هذه الخدمات حيث أصبح المسح الصحي حقيقة واقعة، خاصة لمرض التليف الحوصلي.

جائزة العلوم
للدكتور سوليفان

خامسا: قررت لجنة الاختيار **لجائزة الملك فيصل العالمية للعلوم** منح الجائزة هذا العام (وموضوعها الرياضيات) للأستاذ الدكتور دينيس بارنل سوليفان (الأمريكي الجنسية)، أستاذ كرسي ألبرت أينشتاين بجامعة مدينة نيويورك والأستاذ في معهد الدراسات العليا بفرنسا، وهو رياضي موهوب مرموق، عمل عملاً رئيساً في فرعين من فروع الهندسة. ففي الستينيات والسبعينيات طور كثيراً من أدوات علم المكان الجبري، وأسهم في إيضاح بنية متعددات الطيات، كما حلل الدور العظيم الذي يقوم به جبر الأشكال التفاضلية وعلاقته بنوع وحدة المكان القياسي. وفي السنوات الأخيرة قام ببحوث عميقة متصلة بتكرار التطبيقات والنظم الحركية المركبة. كما حلل أفكار إعادة التطبيع والشمولية وعممها باستخدام التطبيقات شبه المحافظة على الشكل. وقد كانت أفكاره ذات أثر عميق في تطوير هذا الموضوع.

واختتم البيان بالإشارة إلى موضوعات الجائزة في السنة المقبلة (١٤١٥هـ/ ١٩٩٥م)، والتي تقرر أن تكون كما يلي:

١ ـ في الدراسات الإسلامية: (الدراسات التي عنيت بالتفسير الموضوعي للقرآن الكريم)

٢ ـ في الأدب العربي: (الدراسات التي تناولت أعلام الأدب العربي الحديث)

٣ ـ في الطب: (المناعة الجزيئية)

٤ ـ في العلوم: (الكيمياء)

الحركة الثقافية

اختتام المسابقة الدولية للقـــرآن الكريـــم

اختتمت في التـاسع عشر من شهـر شعبـان الماضي المسابقة الدولية السادسة عشرة لتلاوة القرآن الكـريـم وتفسيره وتجويـده التي نظمتهـا في مكـة المكرمـة وزارة الشؤون الـدينية والأوقـاف والدعـوة والإرشاد.

فاز في **الفرع الأول (حفظ كامل القرآن الكريم مع تفسير الجزء الثـالث عشر) محمـد عبـد الـرحيم محمـد سليمان** (مصر)، تـلاه **خالـد محمد عبـد الله الماجد** (السعودية)، ثـم **محمد عبـد السلام حسن عثمان** (ليبيا)، **وإبـراهيم عبـد الله فيـدرا** (سفارة الصومـال بالمملكـة)، **وعبـد الـرحمن فـايـد علي العويني** (اليمن).

جاء في المركز الأول **بالفرع الثاني (حفظ كامل القـرآن الكريم مع التـلاوة والتجويـد) عمر جـوني بشير** (نيجيريا)، تلاه **محمد محمـود الحسن حافظ محمـد يحيى** (بنجلاديش)، ثـم **محمود علي مختـار الشوماني** (ليبيا)، **وياسر فرج عبد المنعم الشندويلي** (مصر)، **و زكريا محمد زكريا** (لبنان).

واحتل المرتبـة الأولى في **الفرع الثـالث (حفظ عشرين جزءًا مع التلاوة والتجويد) أحمد محسن علي القحطاني** (السعودية)، تلاه **حفيظوا أبو بكر جبريل** (نيجيريا)، ثم **ناجي بليغ علي محمد** (مصر)، **وعلي محمد تامون محمد** (أندونيسيا)، **وعبد الواحد عمر بركات** (سورية).

فاز بالفرع الرابع (حفظ عشرة أجزاء مع التلاوة والتجويـد) مشرف أحمد محمد مشرف (مصر)، تلاه **لارال خميـس** (نيجيريـا)، ثم **عبـد الله محمـد علي جعدان** (اليمن)، **وحسن عبد الله كواس** (تشاد)، **ومحمـــد وايس قـــرني ميـــا محمـــد عبـــد الملاك** (بنجلاديش).

أما **الفـــرع الخامس (حفظ خمسـة أجـزاء مع التلاوة وحسن الصوت)** فجاء في المركـز الأول **أحمد محمد قيمي إسماعيل** (مصر)، تلاه **محمد سعيد علي أبو طـار** (ليبيـا)، ثـم **محمـد محمـد حسن فحل** (سورية)، **ومسرور إخـوان عـاشق** (أندونيسيا)، **وعبد العزيز أحمد الشاهدي الوزاني** (المغرب).

مركز الأمير سلطان للبحـث العلمـي

تقـديرًا لـرعايـة صاحب السمـو الملكي **الأمير سلطان بن عبد العزيز** النائب الثاني لرئيس مجلس الوزراء ووزير الدفاع والطيران والمفتش العام الأدب والأدباء، قـرر الأديب **عبد الكـريـم نيازي** إطلاق اسم **«مـركـز الأمير سلطـان للبحث العلمي»** على الـدار التي أمر سمـوه بإنشـائهـا للنيازي في مكـة المكرمة.

وكان سموه قد أمـر بهذه الدار حين بلغه خبر مرض النيـازي، فكانت هذه اللفتة الكـريـمة التي تأتي في إطـار رعـاية سمـوه لـلأدبـاء وحرصـه على تكـريمهم وإشعـارهم بـالتقدير المادي والمعنـوي وينتظـر أن يضم الطابـق الأول من الـدار مكتبـة مفتوحة لخدمة الباحثين وطلاب العلم، إضافة إلى إصـــدار المؤلفـات والكتـب المعبرة عن النهضـــة الشاملة التي مرت بها المملكة.

وفاة أحمد عبيد

تـوفي في مطلع شهـر رمضان المبـارك الكـاتب والصحافي **أحمد عبيد** عن عمر يناهز ٨٤ عامًا.

وُلد الفقيـد في المدينة المنورة عـام ١٣٣٠ هـ، وتلقى تعليمـه في **كتَّاب ابـن سالم** في الحرم النبوي الشريف، والمدرسـة الابتـدائية ببـاب المجيـدي، **ومدرسة الشيخ عبـد القادر الشابي** الخاصة بالمدينة المنورة، ثـم المدرسة الـلاسلكية في جدة، التي عُين بعـد تخرجـه فيها عـام ١٣٤٩/ ١٣٥٠ هـ مأمـور مخابرة لاسلكـي في الطائف. ثم تـدرج في وظائف مختلفـة إلى أن شغل منصب المديـر العام للـزراعـة ورئيس مجلس إدارة البنـــك الزراعـــي، إضافـــة إلى عضويتـه في المجلس الأعـــلى لجامعـــة الملك عبد العـزيز بجـدة التي كـان أحد أعضـاء هيئتها التأسيسية ونائبًا لرئيس لجنتها التنفيذية.

يعد العبيد من أوائل الـذين أدخلوا إلى المملكة نظم الطباعـة الآلية، حيث أسس **مؤسسة الطباعة والصحافـة والنشر** في جـــدة عـام ١٣٧٣ هـــ ١٩٥٤ م.

وهو كـاتب وناشر، حيث أصدر في جدة **أول مجلة مصورة** وملونـة في المملكة هـي **مجلة «الرياض المصورة»**، وأتبعها بإصدار **مجلة «صرخة العرب»** في القاهرة، إلا أن المجلتين لم يكتب لهما الاستمرار.

كما عرف الراحل بمقالاتـه التي كان ينشرها في صحف **«المدينة»** و **«الندوة»** و **«حراء»** و **«البلاد»** تحت عنوان **«رأي مـن الشعــب»** و **«تـاريخنا في رحـاب العلم»**.

قصائـــــد لم تنشـــر بين باكثير وأدباء الحجاز

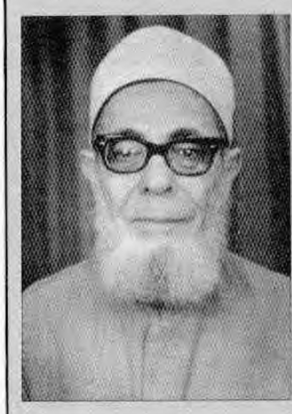

د. محمد أبو بكر حميد

كشـــف البـاحـــث **د. محمـد أبو بكـر حميد** عضو هيئـة التـــدريس بكليـة الآداب بجـامعـة الملك سعود، النقاب عن **قصائد لم تنشر لعـدد من رواد الشعر السعودي** كان قد عثر عليها في مكتبة الأديب الإسلامي الراحل علي أحمد باكثير في القاهرة.

أوضح د. حميـد في محاضرة ألقاهـا في نـادي الريـاض الأدبي بعنوان **«علي أحمد باكثير ومـرحلة مجهولة من الأدب السعودي»** أنه عثر على العديد من القصائد الإخـوانية التي تبادلها بـاكثير والشعـراء: **عبد الله بلخير، وعبد القـدوس الأنصاري، وضياء الـدين رجب، وطـاهـر زمخشري، ومحمـد سعيـد العامودي، ويـاسين خياري** وغيرهـم، لم تنشر في دواوينهم.

وألقى المحاضر ضوءًا على الفترة التـي أمضاها بـاكثير في الحجـاز عـام ١٣٥٢ هــ قبل سفـره إلى مصر، وأمـاط اللثـام عن وجـود ديـوان مخطـوط للأديب الراحل يحوي مجموعة القصائد التي نظمها في هذه الفترة تحت عنوان **«أنفاس الحجاز»**، وقصة اتصاله **بالملك عبـد العزيز** ـ يـرحمه الله ـ ووصفـه الـدقيق لمدينة الطـائف كما رآها عام ١٣٥٢ هـــ، ومـوضوعـات أخرى تكشف كثيرًا من الصفحـات المجهولـة في حياة هذا الأديب، وتثبت أنـه قد بلغ

فضيلة الشيخ السيد سابق محمد التهامي



● ولد في أسطنها ـ محافظة المنوفية (جمهورية مصر العربية) عام ١٣٣٣هـ/ ١٩١٥م

● أتم حفظ القرآن الكريم وتجويده في كتاب القرية ثم مراحل التعليم الأزهري المختلفة حتى حصل على العالمية من كلية الشريعة سنة ١٩٤٧م.

● الوظائف :

١ ـ التدريس بوزارة المعارف المصرية .

٢ ـ التدريس بالأزهر .

٣ ـ مديراً للتكية المصرية بمكة المكرمة .

٤ ـ وكيل إدارة المساجد بوزارة الأوقاف المصرية .

٥ ـ مدير إدارة الثقافة بوزارة الأوقاف المصرية .

٦ ـ مدير عام بجامعة الأزهر (كليات أصول الدين ـ الطب ـ الهندسة) .

٧ ـ عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى .

٨ ـ رئيس قسم القضاء بجامعة أم القرى .

٩ ـ رئيس قسم الدراسات العليا الشرعية بجامعة أم القرى .

١٠ ـ عضو هيئة التدريس بكلية أصول الدين بجامعة أم القرى .

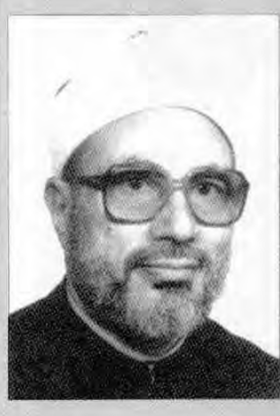
● المؤتمرات :

شارك في العديد من المؤتمرات الإسلامية، كما دُعي لإلقاء المحاضرات في دول أوربا والاتحاد السوفييتي (السابق) .

● الأوسمة :

قدرته الحكومة المصرية بمنحه نوط الامتياز من الطبقة الأولى تقديراً لمساهمته في الدعوة وإعداد الدعاة عام ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م .

الأستاذ الدكتور يوسف عبد الله القرضاوي



● ولد عام ١٩٢٦م ونشأ في مصر، وحفظ القرآن الكريم وجوّده وهو دون العاشرة، وأتم تعليمه في الأزهر الشريف .

● حصل على الشهادة العالمية من كلية أصول الدين عام ١٩٥٣م، وعلى إجازة التدريس عام ١٩٥٤م، وكان ترتيبه الأول في كلتيهما، كما حصل على الدكتوراه بمرتبة الشرف الأولى عام ١٩٧٣م .

●عمل بعد تخرجه في الوظائف التالية :

مراقبة الشؤون الدينية بالأوقاف المصرية وإدارة الثقافة الإسلامية بالأزهر، ثم مديرا للمعهد الديني في قطر، فرئيسا لقسم الدراسات الإسلامية بكليتي التربية والشريعة ثم عميداً لكلية الشريعة، ومديراً لمركز بحوث السنة والسيرة في قطر، ثم أعير إلى الجزائر لرئاسة المجالس العلمية لجامعتها ومعاهدها الإسلامية .

● جاوزت مؤلفاته الخمسين، وقد لقيت قبولاً عاماً في العالم الإسلامي، وطبع بعضها عشرات المرات، وتُرجم عدد كبير منها إلى اللغات الإسلامية، واللغات العالمية .

● عضو في عدة مجامع ومؤسسات علمية ودعوية منها : المجمع الفقهي لرابطة العالم الإسلامي بمكة، والمجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية بالأردن، ومركز الدراسات الإسلامية بأكسفورد، ومجلس أمناء الجامعة الإسلامية العالمية بإسلام آباد، ومنظمة الدعوة الإسلامية بالخرطوم . . ورئيس لهيئة الرقابة الشرعية في عدد من المصارف الإسلامية .

●زار عدداً كبيراً من الأقطار الإسلامية وغيرها؛ محاضراً ومشاركاً في ندوات علمية .

مرحلة من النضج الأدبي قبل استقراره في مصر عام ١٩٣٤م .

مسابقة نادي أبها الأدبي

أعلن نادي أبها الأدبي عن مسابقته الرابعة والعشرين في مجالات **الشعر والقصة والبحث** .

المسابقة مفتوحة للمثقفين السعوديين والعرب، ويشترط في مجال الشعر أن يقدم المشارك مجموعة شعرية لا تقل عن خمس قصائد، وفي مجال القصة مجموعة لا تقل عن خمس قصص قصيرة، وفي مجال البحث أن لا يقل عدد الصفحات عن ثلاثين صفحة، وللباحث أن يختار أيا من المجالات التالية : علمي، جغرافي، تربوي، تاريخي، وفي جميع الفروع يجب أن تكون المشاركة جديدة ومكتوبة على الآلة الكاتبة من أصل وصورة، ولا تقبل مشاركات من سبق لهم الفوز بجائزة النادي خلال السنوات الثلاث الماضية .

وتحددت نهاية شهر ذي الحجة ١٤١٤ هـ لتلقي المشاركات على عنوان النادي : ص ب ٤٧٨ أبها .

مسابقة للقصة القصيرة

بدأ **نادي القصة السعودي** بالرياض في استقبال المشاركات **لمسابقته الرابعة للقصة القصيرة** لعام ١٤١٤/ ١٤١٥ هـ .

اشترط النادي أن تقتصر مشاركة المتسابق على نص واحد جديد لم يسبق نشره، مكتوبا على الآلة الكاتبة أو بخط مقروء مع سلامته من الأخطاء اللغوية والإملائية، مع إرفاق ما يثبت أن المشارك سعودي الجنسية .

وتحددت نهاية شوال الجاري موعدا نهائيا لاستقبال المشاركات .

من ناحية أخرى يعد القاص **خالد يوسف** سكرتير النادي لإصدار **الجزء الثاني من كتابه** **البيليوجرافي «الراصد»** الذي يرصد القصة القصيرة وكُتّابها في المملكة .

ووجه اليوسف دعوة مفتوحة لكتّاب القصة القصيرة وكاتباتها لإرسال أية مادة لم تنشر في الجزء الأول ويرغبون في إلحاقها بالجزء الثاني، إلى النادي

الحركة الثقافية

على عنوانه التالي : ص ب ٣٠٦٣٢ الرياض ١١٤٨٧ .

المعرض السابع والسبعون لعبد الحليم رضوي



د . عبد الحليم رضوي

افتتح أمين مدينة جدة د . **خالد عبد الغني** في منتصف شهر شعبان الماضي المعرض السابع والسبعين للفنان **د . عبد الحليم رضوي .**

ضم المعرض نحو **ثلاثين لوحة جديدة** للفنان رضوي ، تعكس اتجاهًا جديدًا لمسيرته الفنية تمثل في استخدامه الألوان المبهجة بعد أن كانت الألوان الحزينة هي السمة الغالبة على نتاجه الفني .

معرض الصور الفوتوغرافية للبوسنة والهرسك

اختتم في الأسبوع الأول من شهر رمضان الماضي بمقر الغرفة التجارية والصناعية بالرياض **معرض الصور الفوتوغرافية لمأساة البوسنة والهرسك .**

أقيم المعرض في إطار الأسبوع الذي نظمته الهيئة العليا لجمع التبرعات لمسلمي البوسنة والهرسك ، وضم أكثر من **١٣٠ صورة** تبرز نواحي المأساة ، وتوضح جهود الهيئة في مجال تقديم المساعدات .

البحرين — جرة من حضارة دلمون الوسيطة

اكتشفت في مدينة حمد جرة فخارية رُسمت عليها أوراق شجر متشابكة مع بعضها بعضاً وخطوط دائرية عند الرقبة والعنق .

ويُعتقد أن هذه الجرة تعكس الأساليب الفنية المتبعة في فترة حضارة دلمون الوسيطة التي عبّر من خلالها أهالي تلك الحقبة عن أنفسهم وإمكاناتهم .

قطر — كتب جديدة

● النظم التعليمية عند المحدثين في القرون الوسطى ، تأليف المكي أقلاينة .

● أسباب ورود الحديث : تحليل وتأسيس ، تأليف د . محمد رأفت سعيد .

صدر الكتابان السابقان ضمن سلسلة «كتاب الأمة» عن مركز البحوث والدراسات بوزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية .

سلطنة عمان — أسبوع ثقافي نسوي

نظمت **جمعية المرأة العمانية بالبريمي** أسبوعها الثقافي الثاني تحت عنوان **«تراث أجدادنا فخر لأجيالنا» .**

شمل الأسبوع تنظيم معرض للكتاب النسوي ، وآخر للتراث ، وثالث لأدوات المكفوفين ، ورابع تشكيلي ، وخامس للعطور والزراعة ، وسادس للحلوى العمانية .

صاحب الأسبوع نشاطات ثقافية متنوعة تمثلت في محاضرات وندوات وأمسيات شعرية وقصصية .

الكويت — ملتقى القصة والرواية

يعقد في الكويت يومي التاسع والعاشر من شهر شوال الجاري (٢١ــ٢٢ مارس ١٩٩٤م) **ملتقى القصة القصيرة والرواية .**

وقد انتهت اللجان التنظيمية من وضع الترتيبات الخاصة بالملتقى ونشاطاته . من بين المشاركين : **«محمد حسن عبدالله وإدوار الخراط ومحمد دكروب والطاهر وطار ومحمد الحارثي وسلمى مطر» .**

تنظم الملتقى رابطة الأدباء وترعاه وزارة الإعلام .

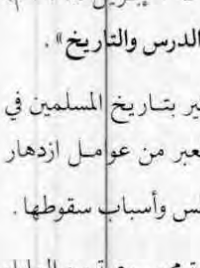
مصر — الأندلس : الدرس والتاريخ

تقيم كلية الآداب بجامعة الإسكندرية بالتعاون مع رابطة الجامعات الإسلامية خلال الفترة من ٢ إلى ٤/ ١١/ ١٤١٤هـ (١٣ـ١٠ إبريل ١٩٩٤م) ندوة عالمية عن **« الأندلس : الدرس والتاريخ » .**

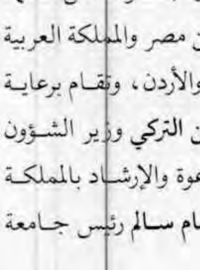
تهدف الندوة إلى التذكير بتاريخ المسلمين في الأندلس ، واستخلاص العبر من عوامل ازدهار الحضارة الإسلامية في الأندلس وأسباب سقوطها .

يشارك في أعمال الندوة مجموعة من العلماء والمتخصصين في التاريخ من مصر والمملكة العربية السعودية وتونس والمغرب والأردن ، وتقام برعاية **د . عبدالله بن عبدالمحسن التركي** وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية ود . **عصام سالم** رئيس جامعة الإسكندرية .

مسابقة أدبية وأخرى لغوية



يوسف إدريس



فؤاد حداد

تنظم لجنة الدراسات الأدبية واللغوية بالمجلس الأعلى للثقافة **مسابقة أدبية وأخرى لغوية .**

تنقسم المسابقة الأدبية إلى موضوعين ، للمتسابق أن يختار واحداً منهما ، الأول عن فن **القصة عند يوسف إدريس** ، والثاني عن **الصورة الفنية في شعر فؤاد حداد .**

كما تنقسم المسابقة اللغوية إلى موضوعين ، أولهما عن **لغة الخبر** في وسائل الإعلام ، والثاني عن **دور المجمع اللغوي في تيسير الاستعمال اللغوي .**

يشترط أن يكون البحث المقدم ملتزماً بأصول

الأستاذة الدكتورة عـائشــة عبدالرحمن
(بنت الشاطئ)



● ولدت في دمياط (جمهورية مصر العربية) في ٦/ ١١/ ١٩١٢م.

● **المؤهل العلمي :**

دكتوراه في الآداب بتقدير ممتاز من قسم اللغة العربية وآدابها بكلية الآداب - جامعة القاهرة.

● **التخصص الدقيق :**

●نصوص الذخائر العربية والإسلامية : توثيقاً وتحقيقاً ودرساً.

● الدراسات القرآنية اللغوية والبيانية.

●**مناصبها الوظيفية :**

- أستاذ التفسير والدراسات العليا بكلية الشريعة بجامعة القرويين - المغرب من سنة ١٩٧٠م حتى اليوم.

- أستاذ كرسي اللغة العربية وآدابها بجامعة عين شمس ١٩٦٣ - ١٩٧٢م.

- أستاذ منتدب بمعهد الدراسات العربية العالية، جامعة الدول العربية بالقاهرة (١٩٦٢ - ١٩٧٤م).

- أستاذ منتدب بمركز تحقيق التراث، دار الكتب القومية بالقاهرة (١٩٦٨ - ١٩٧٤م).

● **أستاذ زائر لجامعات :**

- أم درمان الإسلامية (١٩٦٧ - ١٩٧٠، ١٩٨٠م)
- جامعة الخرطوم (١٩٦٨م)
- جامعة القاهرة فرع الخرطوم (١٩٦٩، ١٩٧٠م)
- جامعة الجزائر (١٩٦٨م)
- جامعة بيروت العربية (١٩٧٢م)
- جامعة الإمارات العربية المتحدة (١٩٨١م)
- كلية التربية للبنات بالرياض (١٩٧٥ - ١٩٨٥م)

●**عضوية الهيئات العلمية :**

- المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بمصر.
- المجالس القومية المتخصصة شعبتا (الثقافة والآداب) بمصر.
- المجلس الأعلى للثقافة بمصر.
- عضو هيئة الترشيح لجائزة الدولة التقديرية للآداب بجمهورية مصر العربية.
- محررة قضايا الفكر العربي والإسلامي بجريدة الأهرام القاهرية : من سنة ١٩٣٥م إلى اليوم.
- اختيرت واحدة من عشر شخصيات عالمية لعام ١٩٩٢م.

●**الأوسمة والجوائز:**

١ - وسام الكفاءة الفكرية من جلالة الملك الحسن الثاني عاهل المغرب : ١٩٦٧م.

٢ - وسام الاستحقاق من الطبقة الأولى (مصر) : ١٩٧٣م.

٣ - جائزة الدولة التقديرية للآداب (مصر) : ١٩٧٨م.

٤ - شهادة التقدير من المنظمة العربية للتربية والتعليم والثقافة بمصر : ١٩٨٠م.

٥ - جائزة الدولة المصرية الأولى للدراسات الاجتماعية، الريف المصري : ١٩٣٦م.

● **أطلق اسمها على :**

● مدرسة بنت الشاطئ الاعدادية للبنات، بدمياط (مصر)

● قاعة درس، بمدرسة أم درمان الثانوية للبنات (السودان)

● قاعة المحاضرات بمعهد المعلمات، وادِ مدني (السودان).

المنهج العلمي، ومبتكراً، وجديداً لم يسبق نشره أو تقديمه لنيل درجة علمية أو جائزة أخرى، وألا يقل عن خمسين صفحة.

وتحدد يوم الرابع من شهر ذي القعدة المقبل (١٥ إبريل ١٩٩٤م) موعداً نهائياً لتقديم المشاركات إلى الإدارة المركزية للجان الثقافية بالمجلس.

وفاة د. جورج قنواتي

توفي في منتصف شهر شعبان الماضي ١٤١٤هـ الأب د. **جورج شحاته قنواتي** مدير معهد الدراسات الشرقية للآباء الدومنيكان الكاثوليك، عن عمر يناهز ٨٩ عاماً.

وُلد د. قنواتي ــ وهو أحد المتخصصين في الفلسفة الإسلامية - في الإسكندرية عام ١٩٠٥م، ويعد من المهتمين بدراسة أعمال **ابن سينا وابن رشد**، حيث قام بتكليف من جامعة الدول العربية في أواخر الأربعينيات الميلادية بالبحث عن مخطوطات ابن سينا في مكتبات العالم المختلفة، ونشر نتائج بحثه عام ١٩٥٠م في كتاب حمل عنوان «**مؤلفات ابن سينا**».

كما نشرت له المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم عام ١٩٨٧م قائمةببلوجرافية كاملة عن **ابن رشد**، وأختير لعضوية اللجنة الدولية لنشر مؤلفات **ابن رشد**، وشارك في تحرير كتاب عن هذا الفيلسوف نشره المجلس الأعلى للثقافة، وقام بالاشتراك مع **سعيد زايد** بتحقيق تسع رسائل طبية من وضع **ابن رشد** محفوظة في **مكتبة الإسكوريال**، وقد صدر هذا التحقيق عام ١٩٨٧م عن الهيئة المصرية العامة للكتاب.

من أعماله أيضا الاشتراك مع الباحث الفرنسي **لويس جارديه** في إعداد كتاب «**المدخل إلى علم الكلام**» باللغة الفرنسية، وقد صدر هذا الكتاب في بيروت في ثلاثة أجزاء بترجمة عربية قام بها كل من د. **صبحي الصالح**، د. **فريد جبر**، وكتب الفصل

الحركة الثقافية

الخاص بـالفلسفـة وعلـم الكـلام والتصـوف في موسوعة «**تراث الإسلام**» التي صـدرت ترجمتهـا في الكـويت بـاللغـة العـربيـة عـام ١٩٨٧م، وألف بـاللغـات العربيـة والفرنسيـة والإيطاليـة كتـاب «**المدخل إلى التصوف الإسلامي**».

السودان — معجم لأدباء السودان

تعد أمانة النشر بالهيئة القـومية للثقافة والفنون حـاليـاً لإصـدار الجزء الأول من معجم الأدبـاء السودانيين.

يضم هذا الجزء سيراً ذاتيـة للأدبـاء السودانيين في عهـود: **مملكـة الفونج، والتركـي، والمهديـة**. وينتظـر أن يتلـوه الجزء الثـاني المقـرر أن يضم سير الأدباء في **عهد الحكم الثنائي المصـري ـ البريطاني حتى حصـول السـودان على الاستقـلال** عـام ١٩٥٦م.

الأردن — كشف أثري

اكتشفت في مـوقع **سبيل الحوريات** في وسـط العاصمة الأردنية عمان **رأس تمثال ضخم** يعود إلى القـرن الثاني قبل الميـلاد، ويتجـاوز طولـه المترين ونصف المتر.

ويعـد هـذا ثـاني كشـف يتم في الموقع ذاتـه، وتكمن أهميتـه في كـونـه يمثل أسلـوب النحت في ذلك العصر، إضافـة إلى علاقتـه بسبيل الحوريات الذي كان مركزاً ثقـافياً ومعلماً أدبياً من معالم المدينة خلال العصر الروماني.

لبنان — وفـاة البستـاني والدويهي ونعمان


فؤاد البستاني

فقدت الحركة الثقافية والفنية في لبنان ثـلاثة من أعلامها بوفاة الكاتب د. **فؤاد أفـرام البستاني** (٨٨ عاماً)، والفنان التشكيلي **صليبـا الـدويهي** (٨٢ عاماً)، والشاعر واللغوي والمترجم **متري عبدالله نعمان** (٧٧ عاماً).

وُلد د. **فؤاد البستاني** في ١٥/٨/١٩٠٦م في دير القمر بلبنـان، وهو كـاتب موسوعي جمع بين الأدب والتأريخ والنقـد والشعـر والقصـة واللغـة والصحافة، يحمل شهادات دكتوراه من جامعات: ليون بفرنسا ١٩٥٧م، وإدوار بتكساس في الولايات المتحـدة ١٩٥٨م، وجـورج تـاون بـواشنطن في

الأستاذة الدكتورة وداد القاضي



● ولــــدت في بيروت بلبنــــان في ٢٣/١١/١٩٤٣م، وتحمـــل الجنسيتين: اللبنانية والأمريكية.

● **المؤهلات العلمية:**

١٩٧٣م: الـدكتـوراه في الأدب العـربي والدراسات الإسلامية من الجامعة الأمريكية ـ بيروت.

١٩٧٠ ــ ١٩٧١م: طـالبـة دكتـوراه بجامعة توبنجن بألمانيا.

١٩٦٩م: شهادة الماجستير في الأدب العربي ـ الجامعة الأمريكية ببيروت.

١٩٦٥م: شهـادة البكـالـوريـوس بـامتيـاز في الأدب العـربي ــ الجامعـة الأمريكية ببيروت.

● **الخبرة الأكاديمية:**

١٩٨٨م: أستاذة دكتورة للفكـر الإسلامي ـ جامعة شيكـاغو، قسم اللغة العربية والشرق الأدنى للغات والحضارات.

١٩٨٦ ـ ١٩٨٧م: أستاذة دكتورة للغة العربية ـ الجامعة الأمريكية ببيروت ـ قسم اللغة العربية ولغات الشرق الأدنى (إجازة).

١٩٨٦ ـ ١٩٨٨م: أستاذة مشاركة للغة العـربية جامعة ييل ـ قسم الشرق الأدنى للأدب العربي واللغات.

١٩٨٥ ـ ١٩٨٦م: أستـاذة مشاركـة زائرة جامعة كـولومبيـا ـ قسم الشرق الأوسط للغات والحضارات.

١٩٨٠ ـ ١٩٨٦م: أستاذة مشاركة بالجامعة الأمريكية ببيروت قسم العربي ولغات الشرق الأدنى.

١٩٧٨ ــ ١٩٨٠م: أستاذة مسـاعـدة بـالجامعـة الأمـريكيـة ببيروت قسم العربي ولغات الشرق الأدنى.

١٩٧٥ ــ ١٩٧٧م ــ ١٩٧٧ ــ ١٩٧٨م: أستـاذة مسـاعـدة بـالجامعـة الأمريكية ببيروت ـ برنامج التسلسل الحضاري.

١٩٧٦ ــ ١٩٧٧م: محاضرة زائرة وزميلة بجـامعة هـارفـارد ـ قسم لغـات الشرق الأدنى والحضارات لمركز دراسات الشرق الأوسط.

١٩٧٣ ــ ١٩٧٥م: محاضرة بالجامعـة الأمـريكيـة ببيروت ـ قسم الثقافـة الإسلامية ـ شعبة (الدراسات الإسلامية).

● **الخبرة الإدارية**

جامعة شيكاغو:

١٩٩١م: رئيسة قسم لغات الشرق الأدنى والحضارات.

١٩٨٨م: عضو جامعة سينت.

١٩٨٩ ـ ١٩٩٢م: عضو مجلس جامعة سينت.

١٩٩١م: عضـو (دون خـدمات) لجنـة شـؤون قسم لغـات الشرق الأدنى والحضارات.

١٩٩١م: عضو (دون خدمـات) لجنة سياسة الطـلاب قسم لغات الشرق الأدنى والحضارات.

الولايات المتحدة ١٩٥٨م.

بدأ البستاني حياته العملية بتعليم اللغة العربية وتاريخ الحضارة العربية بمعهد الآداب الشرقية عام ١٩٣٣م، كما مارس التعليم في عدة معاهد وكليات لبنانية وفرنسية، وكان من الذين أسسوا عام ١٩٣٦م مجلة «**المكشوف**» الأدبية، كما أسس صفحة ثقافية في جريدة «**البشير**» عُدت من أوائل صفحات الأدب في الوطن العربي. وأسهم في تأسيس جمعيات أدبية وتاريخية ودينية واجتماعية كثيرة.

إلى جانب ذلك كان من الذين أسسوا معهد الآداب الشرقية في جامعة القديس يوسف، ودار المعلمين والمعلمات في عهد الرئيس الأسبق ألفرد نقاش، والجامعة اللبنانية في عهد الرئيس الأسبق كميل شمعون.

وله أكثر من مائة كتاب وبحث ومقالة في اللغتين العربية والفرنسية، أشهرها سلسلة «**الروائع**»، و«**معاني الأيام**» و«**المجاني الحديثة**»، و«**أحاديث الشهور**» وغيرها. كما عمل على استكمال «**دائرة المعارف**» التي أسسها عام ١٨٧٦م **بطرس البستاني**، حتى توقف به الأجل وهي في الجزء الخامس عشر.

أما الفنان التشكيلي **صليبا الدويهي** فهو من رواد الحركة الفنية اللبنانية، وقد اتجه في مراحله الفنية من الكلاسيكية إلى الانطباعية ثم التبسيطية فالتكعيبية، وتأثر بمدارس شتى بدءاً من الفنون الشرقية والبيزنطية إلى التجريدية.

وقد وُلد عام ١٩١٢م، وهاجر في ١٩٥٠م إلى الولايات المتحدة الأمريكية واستقر بها، وأقام العديد من المعارض الفنية في بيروت وباريس وواشنطن ونيويورك ومكسيكو وروما ونيودهلي، وحاز على جوائز وأوسمة كثيرة.

وولد **متري نعمان** عام ١٩١٧م، وهو شاعر ولغوي ومترجم، له العديد من المؤلفات منها: «**التلاقي بعد الفراق**» مسرحية شعرية، «**في سبيل الثأر**» مسرحية شعرية، «**هينمات**» قصائد، «من الجحيم إلى النعيم» قصة، «**أنقذوني من أهلي**» لغة، كما ترجم رواية «**الأمل**» **لأندريه مالرو**، و«**العلاقات الإنسانية**» **لفرنسيس بو**. وله كتب أخرى ما تزال مخطوطة لم تطبع رغم الانتهاء منها.

ونعمان حاصل على وسام المعارف اللبناني ١٩٥٨م، ووسام فارس في الفنون والآداب من فرنسا ١٩٨٩م.

سورية كتب جديدة

● **الدعاء في الإسلام وأثره في العقيدة والحياة**، تأليف **سعيد البستاني**، صدر عن دار المعرفة في دمشق.

● **بيت من البازلت**، رواية لمسعود الجوني،

١٩٩٢م: عضو لجنة سياسة مركز دراسات الشرق الأوسط.

١٩٨٨م: عضو اللجنة التنفيذية لمركز دراسات الشرق الأوسط.

١٩٩٠ ـ ١٩٩١م: رئيس قسم دائرة اللغات ولجنة سلسلة المحاضرات لمركز الشرق الأوسط للدراسات.

١٩٨٩ ـ ١٩٩١م: رئيسة لجنة المكتبة لمركز الشرق الأوسط للدراسات.

١٩٨٩م: رئيسة/ عضو لجمعيات مختلفة قسم دراسات الشرق الأدنى للغات والحضارات.

● **الجامعة الأمريكية بيروت:**

١٩٧٨ ـ ١٩٨٥م: مساعدة المدير ـ المركز العربي ودراسات الشرق الأدنى.

١٩٨٤ ـ ١٩٨٥م: عضو جامعة سينت.

١٩٨٣ ـ ١٩٨٥م: عضو مجلس الجامعة لشؤون الخريجين.

١٩٨٢ ـ ١٩٨٤م: عضو لجان البحث للآداب والعلوم.

١٩٨١ ـ ١٩٨٣م: رئيسة لجنة القبول للآداب والعلوم.

١٩٨٠ ـ ١٩٨٢م: عضو لجنة شؤون مكتبات الجامعة.

١٩٧٨ ـ ١٩٨٠م: عضو لجنة المناهج للآداب والعلوم.

١٩٧٧ ـ ١٩٧٩م: عضو لجنة المكتبة للآداب والعلوم.

● **اللغات التي تجيدها:**

ـ اللغات العربية والإنجليزية والألمانية والفرنسية مع معرفة القراءة للغتين الإيطالية والفارسية.

● **الجمعيات المهنية:**

ـ الجمعية العالمية للدراسات الشرقية والآسيوية.

ـ الجمعية الأوربية للدراسات العربية والإسلامية.

ـ جمعية الدراسات الشرقية الأمريكية.

ـ الجمعية العالمية لدراسة التاريخ والعلوم والفلسفة والأدب والإسلام.

ـ جمعية الدراسات الشرقية الألمانية.

ـ حضارة القرون الوسطى للشرق الأوسط.

ـ المعهد الأمريكي للدراسات اليمنية.

ـ الحلقة الدراسية الأمريكية للدراسات العربية.

ـ نادي ييل للدراسات الشرقية.

● **الجوائز والامتيازات:**

١٩٩٣م: انتخبت نائبة لرئيس الجمعية العالمية للدراسات الشرقية الآسيوية.

١٩٩٣م: عينت عضوا للجنة تحرير مجلة الأبحاث ـ مجلة كلية الآداب والعلوم بالجامعة الأمريكية ببيروت.

١٩٨٦م: ضمت لقائمة الأسماء بالمرجع العالمي للمشاهير الذي يصدر بمركز البيليوغرافيا العالمية كمبردج ـ بريطانيا عام ١٩٨٤م.

١٩٨٤م: ضمت بالمرجع العالمي لمشاهير النساء الذي يصدر بمركز البيليوغرافيا بكمبردج، بريطانيا، ١٩٨٤م.

١٩٨٢م: حصلت على جائزة عبد الحميد شومان لأصغر الطلاب العرب النوابغ (دراسات عربية)، عمان، الأردن.

الحركة الثقافية

صدرت عن اتحاد الكتّاب العرب في دمشق .

فلسطين — مجلات جديدة

تأسست منذ اتفاق الحكم الذاتي بين منظمة التحرير وإسرائيل، **٢٢ مجلة فلسطينية جديدة** .

تنوعت هذه الإصدارات ما بين مجلات أسبوعية ونصف شهرية وشهرية، من أهمها مجلة «**فلسطين**» في مدينة رام الله، ومجلتا «**المهد**» و«**الكرمل**» في مدينة بيت لحم وهما مجلتان شهريتان، وتعد الأخيرة أول مجلة فلسطينية للرسوم.

وينتظر أن تصدر قريباً صحيفة يومية جديدة تحت مسمى «**مساء الخير**» .

تونس — معرض المبدع وحقوق الإنسان

أقيم في تونس ـ مؤخراً ـ معرض تشكيلي جماعي تحت عنوان «**المبدع وحقوق الإنسان**» .

نظمت المعرض وزارة الثقافة، وأشرف عليه الفنان **علي الزنايدي** .

المغرب — صورة الشرق الإسلامي في الأدب الإمريكي

تناولت ندوة نظمتها ـ مؤخراً ـ كلية الآداب بجامعة فاس تحت عنوان «**ظاهرة الاستشراق في الأدب الأمريكي**» موضوع تداخل الثقافات وصورة الشرق الإسلامي والعربي في الأدب الأمريكي .

تطرقت الندوة إلى تأثيرات الشرق في الأدب الأمريكي خلال القرن التاسع عشر الميلادي، موضحة سطحية ما كتبه أغلب الأدباء الأمريكان عن الشرق الإسلامي، الناتجة من تأثرهم بالجو الخيالي لـ «**ألف ليلة وليلة**». كما حلل المؤتمرون كتاب «**في المغرب**» الذي ألفته الأمريكية لاديث ورتن، وقصة «**طالب في تمبكتو**» للكاتب هنري إليوز التي عالجت معركة «**وادي المخازن**» التي وقعت بين المغاربة والبرتغاليين في عهد الدولة السعدية، حيث رأى المغاربة أن القصة لم تعبر عن الواقع الحضاري للمغرب أو تاريخه وشخصيته .

معرض لفنان بوسني

استضافت قاعة المعارض في مسرح محمد الخامس بالرباط ـ مؤخراً ـ **معرضاً تشكيلياً للفنان البوسني عابد موسى**، أقيم تحت عنوان «**قوى الشر والدمار**» .

ضم المعرض مجموعة من اللوحات الزيتية تمحورت موضوعاتها حول حرب الإبادة الوحشية التي يتعرض لها مسلمو البوسنة والهرسك .

ويذكر أن المعرض سبق أن طاف بعدة دول منها تونس وتركيا، كما عرض في مدينتي سراييفو وموستار البوسنيتين .

الجزائر — معرض للحلي التقليدية

أقيم ـ مؤخراً ـ في **متحف الباردو** بالعاصمة الجزائرية معرض للحلي التقليدية .

تضمن المعرض قطعاً نادرة مصنوعة من الذهب والفضة تمثل الاتجاهات التقليدية في صناعة الحلي بالجزائر.

تركيا — نعي جماعي لمفكرين عراقيين

أصدرت **لجنة الدفاع عن الكتّاب العراقيين** بياناً في مطلع شهر رمضان المنصرم نعت فيه الأديب العراقي **يوسف ثروت** الذي توفي في السابع من شهر شعبان الماضي عن عمر يناهز ٧٠ عاماً، بعد أن أسهم في الساحة الثقافية بمترجماته .

كما نوه البيان بالغياب المماثل للأديب القاضي **عبد المجيد لطفي**، الذي توفي قبل ستة أشهر، وهو في حالة اقتصادية سيئة دون أية رعاية .

ونعى البيان أيضاً المؤرخ د. **جعفر حسين خصباك** أستاذ التاريخ الإسلامي بجامعة بغداد الذي توفي إثر مرض عضال .

الهند — موسوعة قرآنية

يعد المركز الإسلامي الهندي لإصدار **موسوعة باللغة الإنجليزية هي الأولى من نوعها في العالم حول القرآن الكريم** .

تتضمن الموسوعة التي تتكون من مجلد واحد كل ما يهم عن الأنبياء والأمم والقبائل والأشخاص والأماكن والتواريخ التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، إضافة إلى معجم لألفاظ القرآن وعلومه .

بنجلاديش — الأدب الإسلامي في الآداب الشرقية

أقيمت ـ مؤخراً ـ في مدينة شيتا جونج ندوة عن **الأدب الإسلامي في الآداب الشرقية**، شارك فيها أدباء ونقاد ومبدعون من مختلف بلدان العالم الإسلامي يتقدمهم الشيخ **أبو الحسن الندوي** رئيس رابطة الأدب الإسلامي العالمية .



أبو الحسن الندوي

مثّل مكتب الرابطة بالبلدان العربية في الندوة **د. حلمي محمد القاعود** ببحث عنوانه «**الأدب الإسلامي في اللغة العربية**» .



د. حلمي القاعود

الأرجنتين — مركز ثقافي إسلامي بتمويل سعودي

يبدأ قريباً العمل في تنفيذ **مركز ثقافي إسلامي**

أ. د. وليام فرنش أندرسن



● يبلغ من العمر ٥٨ عاماً، أمريكي الجنسية.

● يشغل منصب أستاذ الكيمياء الحيوية وطب الأطفال بكلية الطب بجامعة جنوب كاليفورنيا، كما شغل عدة مناصب أخرى علمية وبحثية في المعهد الأهلي للصحة، وجامعة جورج واشنطن بالولايات المتحدة الأمريكية.

● حصل على درجة البكالوريوس من كلية هارفارد عام ١٩٥٨م، والماجستير من جامعة كامبردج عام ١٩٦٠م، ودرجة دكتور في الطب من كلية طب هارفارد عام ١٩٦٣م.

● له أكثر من ٢٦٠ بحثاً منشوراً وأربعة كتب، كما أنشأ وشارك في العديد من المجلات والدوريات الطبية المتخصصة، أهمها مجلة «العلاج بالمورثات» التي أنشأها بنفسه.

● يعد الرائد الأول في مجال العلاج بالجينات «المورثات». بدأ عمله في هذا المجال بتجارب مكثفة على الحيوانات المخبرية، استطاع من خلالها استخدام فيروسات لنقل المورثات إلى داخل الخلية كوسيلة لاستخدامها في العلاج بالمورثات وكان له ما أراد. حيث تمكن من تطبيق هذا الأسلوب في الإنسان ومعالجة نقص «نازعة أمين الأدينوزين» في بعض المرضى، وبذا يكون قد حاز قصب السبق في مجال تطبيق هندسة المورثات في الطب وأصبحت هذه الطريقة مستخدمة في أكثر من ٢٥ مركزاً متخصصاً في شتى أنحاء العالم. وللدكتور أندرسن دور مهم ومؤثر في الدعوة إلى التقيد بأخلاقيات المهنة عند استخدام المورثات في العلاج.

أ. د. روبرت وليمسن



● يبلغ من العمر ٥٦ عاماً، بريطاني الجنسية.

● يشغل منصب رئيس قسم الكيمياء الحيوية والمورثات الجزيئية بكلية طب سانت ميري بلندن، كما شغل عدة مناصب علمية وبحثية في عدة جامعات بالمملكة المتحدة والولايات المتحدة وأوربا.

● حصل على البكالوريوس في الكيمياء عام ١٩٥٩م والماجستير في الكيمياء الحيوية عام ١٩٦٠م والدكتوراه عام ١٩٦٣م من جامعة لندن. كما حصل على عدة شهادات فخرية من عدة جامعات أوربية.

● له أكثر من «٢٧٠» بحثاً منشوراً، كما حرر وشارك ونشر ستة كتب، كلها في مجال الهندسة الوراثية وعدة مجلات علمية متخصصة.

● تعتبر أبحاثه في مجال المورثات الجزيئية هي الأشمل، وقد ساعدت الكثير من الباحثين في التوصل إلى ماهية مسببات الاعتلالات المرضية. وكان اكتشافه للمورث الناقص والمسبب لمرض ثلاسيميا «النوع أ» قد مهد الطريق لإيجاد العلاج بالمورثات لعدة أمراض منها أمراض صبغة الدم الوراثية، الأمراض المرتبطة بالوراثة الجنسية وفرط دهن الدم والتليف الحوصلي ومرض «الزهايمر». وقد ساعدت دراساته في التوصل لفهم أفضل للمكونات الوراثية وتشخيص الأمراض الوراثية في الجنين. وقد تمكن من خلال شبكة منظمة الصحة العالمية من نشر هذه الخدمات، حيث أصبح المسح الصحي حقيقة واقعة وخاصة لمرض التليف الحوصلي.

في بيونس أيرس بتمويل من حكومة المملكة العربية السعودية.

يتضمن المشروع الذي انتهت مرحلة دراسته ووضع تصاميمه، روضة للأطفال، ومدرسة ابتدائية وأخرى متوسطة، وقاعة للمؤتمرات، ومسجداً، ومكتبة.

يقام المشروع على قطعة أرض مساحتها ٣٣ ألف متر مربع قدمتها الحكومة الأرجنتينية لهذا المشروع.

بريطانيا ◄ معرض تشكيلي سعودي

شارك **٥٢ فناناً وفنانة سعوديين** في معرض للفن التشكيلي السعودي المعاصر ضم ٨٤ لوحة، افتتحه في قاعة الفنون بوسط لندن السفير السعودي في بريطانيا د. **غازي القصيبي**، بحضور عدد من السفراء والمهتمين بالفن التشكيلي.

عكست اللوحات المعروضة البيئة والتراث السعوديين، وشملت مختلف المدارس الفنية من سريالية وتعبيرية وواقعية وتقليدية.

أقيم المعرض في إطار البرنامج الثقافي السعودي الذي تنظمه في بريطانيا الجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون بالتعاون مع السفارة السعودية في لندن.

لغات الأرض تنقرض أيضا!

أوضح «**أطلس لغات العالم**» الذي صدر - مؤخراً - عن دار روتلج في لندن أن العالم يتحدث بحوالي **ستة آلاف وخمسمائة لغة**، عدا اللهجات المحلية للغات المختلفة.

وأشار الأطلس - في أول مسح من نوعه - إلى أن هناك قرابة ثلاثة آلاف لغة نادرة تتحدثها مجموعات سكانية قليلة لا يتجاوز مجموع تعدادها عشرة آلاف شخص، معرضة لخطر الاندثار؛ ففي أستراليا - على سبيل المثال - هناك **٢٠٠ لغة أسترالية أصلية باقية، نصفها يتحدث بها أقل من عشرة أشخاص، و٢٤ لغة يتحدث بها شخص واحد فقط هو عجوز من سكانها الأصليين!**

كما يوجد في ألمانيا - حسبما ذكر الأطلس - عشرة آلاف شخص يتحدثون اللغة الفريزية الشمالية، و٧٠ ألفاً يتحدثون السوربية.

الحركة الثقافية

وكشف الأطلس عن أن **أكثر اللغات تعرضاً لخطر الاندثار توجد في الأمريكتين وأستراليا**، بل إن عدة مئات منها اندثرت بالفعل، ومئات أخرى على قائمة الخطر.

عبّر الخبراء عن مخاوفهم من أن يؤدي انتشار وسائل الاتصالات والإعلام وتطورها مع تنامي الضغوط الاقتصادية إلى **اندثار ثلث اللغات الموجودة حالياً خلال القرن الميلادي المقبل**.

تطوير أشهر مجلة علمية

يعتزم المسؤولون عن مجلة «**المعلم**» (**تيتشر**)، التي تعد أشهر المجلات العلمية في العالم وأقدمها، إجراء تطويرات أساسية على تحريرها وتبويبها **بمناسبة مرور ١٢٥ عاماً على بدء صدورها**.

يشمل التطوير إضافة ملخص للموضوعات العلمية المطروحة في المجلة باللغة الإنجليزية وترجمتها إلى الفرنسية، فضلاً عن افتتاح مكتب لها في باريس يتولى جمع الأحداث العلمية التي تجري في القارة الأوروبية.

جائزة وايت بريد لـ «نظرية الحرب»

منحت الكاتبة الأمريكية **جوان برادي** جائزة «وايت بريد» الأدبية عن روايتها «**نظرية الحرب**» المستوحاة من قصة حياة جدها الذي عاصر أحداث الحرب الأهلية في الولايات المتحدة.

تعد برادي — وهي روائية من أصل أمريكي عاشت في بريطانيا أكثر من عشرين عاماً - أول امرأة تنال هذه الجائزة التي تبلغ قيمتها ٢٠ ألف جنيه إسترليني.

أحدث الكتب

● **كيمياء المرض**، تأليف **كات داف**، صدر عن دار نشر فيراجو.

● **ناصر: السنوات الأخيرة**، تأليف د. **عبدالمجيد فريد**، تقديم محمد حسنين هيكل، صدر عن دار نشر إيثاكا برس.

روسيا: ثاني أكبر مكتبة عالمية تستغيث لإنقاذها

تعاني **مكتبة الحكومة الروسية** (**مكتبة لينين سابقاً**)، التي تعد ثاني أكبر مكتبة في العالم بعد مكتبة الكونجرس، من تدهور كبير يهدد موجوداتها من كتب ومخطوطات تزيد على ثلاثين مليوناً.

وقدرت مصادر منظمة اليونسكو أن المكتبة تحتاج إلى عمليات ترميم وتحديث تبلغ تكاليفها قرابة ٢٥٠ مليون دولار.

وكان وزير الثقافة الروسي **سيدرو روف** قد توجه أثناء زيارته لفرنسا عام ١٩٩٢م بنداء للعالم للإسهام في إنقاذ المكتبة من واقعها الذي ينذر بالخطر.

النمسا: فهرسة لمخطوطات عربية وتركية وفارسية

تم - مؤخراً - الانتهاء من فهرسة نحو **ثلاثة آلاف مخطوطة عربية وفارسية وتركية** نادرة من مقتنيات المكتبة الوطنية في فينيا.

موضوعات هذه المخطوطات هي: الطب والفلك والرياضيات والطبيعيات والفلسفة والموسيقا.

ألمانيا: جمعية للحوار الثقافي وناد للكتاب العربي

أسست مجموعة من المستشرقين والجامعيين والمهتمين بالثقافة والأدب العربي في برلين - مؤخراً - «**جمعية الحوار بين الشرق والغرب**».

تهتم الجمعية بتشجيع الحوار بين الشرق

محاضرات وندوات

○ «**حكم صيام المسلمين برؤية هلال واحد**» عنوان محاضرة ألقاها في جامع الملز في الرياض الشيخ د. **صالح بن سعد اللحيدان**.

○ «**دور ثقافة المرأة في خدمة المجتمع**» عنوان ندوة نظمتها لجنة المكتبة بالجمعية النسائية الخيرية للخدمات الاجتماعية في الدمام، شارك فيها د. **علي العبد القادر**، د. **ثريا العريض**، وأدارتها **شريفة الشملان**.

○ «**الأعراف الأدبية والإبداع في الشعر العربي قديماً وحديثاً**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جدة الأدبي د. **حسين الواد**.

○ «**مفهوم الإبداع وسمات شخصية المبدع**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي جازان الأدبي د. **عبد الله طه الصافي**.

○ «**حالات الحول الأنسي المكتسب والحاجة إلى تشخيصها بدقة وعلاجها العاجل**» موضوع محاضرة ألقاها في مستشفى المغربي للعيون في جدة د. **فون نوردون**.

○ «**وفي أنفسكم أفلا تبصرون**» عنوان محاضرة ألقاها في مكتب الجمعية السعودية لطب الأسرة والمجتمع في مكة المكرمة د. **زهير أحمد السباعي**.

○ «**نظرية الأصول اللغوية عند ابن فارس**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي مكة الثقافي الأدبي **أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري**.

○ «**العلاقات الثقافية الدولية في ظل النظام العالمي الجديد**» موضوع محاضرة ألقاها في مقر جمعية الأمم المتحدة في القاهرة **نبيل بدر**.

○ «**مراوحات منهجية النقاد العرب والغرب**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي القصيم الأدبي د. **سعد البازعي**.

○ «**دور علي مبارك في بعث النهضة التعليمية في مصر**» عنوان محاضرة ألقاها **سليمان عبد الغفار**.

○ «**دور الإمام عبد الحميد بن باديس في بعث الحركة التعليمية في الجزائر**» عنوان محاضرة ألقاها د. **عبد الله قسوم**.

والغرب وتطويره، من خلال العمل على تعميق العلاقات الثقافية والحضارية بينهما، ووضع مشروع لإنشاء «**نادي الكتاب العربي**» الذي سيعمل على تشجيع نشر الترجمات الألمانية للمؤلفات العربية والترويج لها.

فرنسا

معرض «الهوس بمصر»

افتتح ـ مؤخراً ـ في جناح نابليون بمتحف اللوفر معرض «**الهوس بمصر**» الذي يتناول أثر الحضارة المصرية في الفن الغربي خلال الفترة من ١٧٣٠م إلى ١٩٣٠م من خلال عرض أكثر من **أربعمائة قطعة فنية مستوحاة من الحضارة المصرية القديمة جُلبت من أوربا وأمريكا**.

استقطب المعرض اهتماماً واسعاً من مختلف فئات المجتمع الفرنسي، بما قدمه من منظور شامل للحضارة المصرية التي اجتذبت خيال العديد من الفنانين التشكيليين العالميين فاستوحوا رموزها في أعمالهم.

قسمت المعروضات طبقاً لتسلسل تاريخي يحكي أطوار الحضارة المصرية وعصورها عبر التاريخ، من خلال القطع الأصلية والمقلدة، كما أقيمت على هامش المعرض ندوات عن الحضارة المصرية شارك فيها عدد من المهتمين، وعرضت أشرطة سينمائية موضوعها الأساسي مصر. من المقرر أن يستمر المعرض حتى السابع من شهر ذي القعدة المقبل (١٨ أبريل ١٩٩٤م)، ينتقل بعدها إلى مدينة **أوتاوا** في كندا ثم **فيينا** في النمسا.

مجلة «الطلاق»!

صدر ـ مؤخراً ـ في باريس العدد الأول من مجلة «**الطلاق**» وهي مجلة شهرية تصدر أيضا في سويسرا وبلجيكا في الوقت نفسه.

تهتم المجلة بدراسة العلاقات الأسرية، ومحاولة إيجاد الحلول لمشكلاتها من خلال الدراسات والأبحاث الحديثة المعنية بالخلافات الزوجية وتأثيراتها على الأسرة بعامة والطفل بخاصة.

وفاة نافار

غيّب الموت الكاتب الفرنسي **إيف نافار** (٥٤ عاماً) الذي توفي في منزله بباريس في ظروف غامضة.

وُلد نافار في ٢٤/ ٩/ ١٩٤٠م في جنوب فرنسا، وانتقل للإقامة في كندا، إلا أنه عاد إلى باريس قبل قرابة نصف عام، وهو حاصل على جائزة **جونكور الأدبية** عام ١٩٨٠م التي تعد أكبر جوائز فرنسا الأدبية، كما منحته الأكاديمية الفرنسية جائزتها عام ١٩٩٢م عن مجمل أعماله.

وأفاد جيرانه حين عُثر عليه ميتاً أنه كان يبدو منهاراً، ولا يستبعد أن يكون قد انتحر.

وفاة ألين دانيلو

توفي ـ مؤخراً ـ الكاتب **ألين دانيلو** عن عمر يناهز ٨٦ عاماً.

يعد **دانيلو** أحد الكتاب المتخصصين في ثقافة الهند وعاداتها، ومن أهم أعماله: «**طريق المتاهة**» و«**أساطير الهند**» و«**المعاني الأربعة للحياة**».

من أحدث الكتب

● **أحاديث نساء صينيات**، تأليف **دينيز فيرشورباس**، صدر عن دار لارمتان للنشر في باريس.

كوريا الجنوبية

معرض لآثار العصر الحجري الحديث

احتضن المتحف التاريخي في سيؤول ـ مؤخراً ـ **معرضاً لأهم الآثار والأدوات التاريخية في العصر الحجري الحديث**.

ضم المعرض نحو ألفي قطعة وأداة استخدمت في ذلك العصر الذي كان يطلق عليه عصر الزراعة، مثل الملابس التي كان يدخل القش في صناعتها، والأدوات الزراعية.

ألقيت المحاضرتان السابقتان في المركز الثقافي المصري في الجزائر.

○ «**التكنولوجيا الحديثة في معالجة الخرسانة**» عنوان محاضرة ألقاها في جمعية المهندسين الأردنيين **جمال عنبتاوي**.

○ «**دور الجامعات العربية في العصر**» موضوع محاضرة ألقاها في المنتدى العربي بعمان في الأردن د. **محمد نوري شفيق**.

○ «**مستقبل المجتمع الدولي**» عنوان محاضرة ألقاها في منتدى جامعة العلوم التطبيقية في الأردن د. **محمد أبو هنطش**.

○ «**نحن والغرب**» عنوان محاضرة ألقاها في نادي العروبة الثقافي في المنامة د. **فؤاد زكريا**.

○ «**نداءات الرحمن**» عنوان محاضرة ألقاها في مسجد الإسكان الجنوبي في جدة الشيخ **أبو بكر الجزائري**.

○ «**الدعوة إلى الله**» موضوع محاضرة ألقاها في مسجد الأمير متعب في جدة الشيخ **عبد الله الفريان**.

أ. د. دينيس بارنل سوليفان



● أمريكي الجنسية، وهو رياضي موهوب مرموق، عمل عملاً رئيساً في فرعين من فروع الهندسة. ففي الستينيات والسبعينيات طور كثيراً من أدوات علم المكان الجبري، وأسهم في إيضاح بنية متعددات الطيات، كما حل الدور العظيم الذي يقوم به جبر الأشكال التفاضلية وعلاقته بنوع وحدة المكان القياسي.

● في السنوات الأخيرة قام بأبحاث عميقة متعلقة بتكرار التطبيقات والنظم الحركية المركبة. كما حل أفكار إعادة التطبيع والشمولية وعممها باستخدام التطبيقات شبه المحافظة على الشكل. وقد كانت أفكاره في هذا المجال ذات أثر عميق في تطوير هذا الموضوع.

على موعد

الغزو الفكري.. كيف يُوَاجَه؟

يعد مصطلح «الغزو الفكري» أحد المصطلحات التي تتردد كثيرًا في حياتنا الثقافية، وبخاصة على امتداد العقود الماضية، التي بدأت تشهد انحسار الغزو بمعناه التقليدي المباشر، الذي عرف تاريخيا باسم «الغزو العسكري»، أو الاحتلال العسكري المباشر، الذي تعرض له كثير من أرجاء العالم العربي والإسلامي. فالاستعمار، في مفهومه القديم، كما عرّفه المتخصصون، هو العمل العسكري، أو مجموعة الأعمال التي من شأنها السيطرة، أو بسط النفوذ بواسطة دولة، أو جماعة منظمة من الناس، على قطعة من الأرض، أو على سكان تلك الأرض، أو على الأرض والسكان في وقت معًا.

وهذا السياق التاريخي، ضروري لتحديد مفهوم الغزو الفكري أو الغزو الثقافي. ويلاحظ في هذا المجال أن الغزو العسكري نجح في البداية، إلا أنه فشل في النهاية، نتيجة لرفضه من قبل الشعوب العربية والإسلامية، وقيامها بالثورة عليه، فضلا عما تكبده الغازون من تضحيات جسيمة، في المال والعتاد والأرواح. من هنا نبتت فكرة أن يستبدل به غزو آخر، فظهر ما يعرف بالغزو الاقتصادي، ومن ثم الغزو الفكري، الذي يرمي إلى غزو الإنسان في عقيدته ولغته، وسلوكه وأخلاقياته، ونمط معيشته، من خلال إحلال نماذج معينة من التفكير والنظر إلى الحياة والسلوك، محل النمط السائد النابع من دين الشعب المستهدف وقيمه وعاداته وأخلاقياته، وهذا بالفعل ما أصاب كثيرا من الشعوب العربية والإسلامية.

وقد اتخذ الغزو الفكري للبلاد العربية و الإسلامية مظاهر عدة، وتمثل في مجالات مختلفة، منها — على سبيل المثال ـ التعليم بمستوياته المختلفة، العامة والجامعية، فدخله الأسلوب الغربي، ونمط التفكير الغربي، بعيدًا عن القيم العربية والإسلامية. وعلى المستوى الاجتماعي، وضعت الحضارة الغربية بماديتها الجامحة، أمام الشعوب العربية والإسلامية، نمط الإغراق في الترف والمتع والملذائذ المادية، دون النظر إلى عواقب ذلك في الحياة الآخرة، فأصبح هذا النمط يتحكم في توجيه سلوكيات الكثيرين، على المستوى الاجتماعي. كما أخذت البعثات التبشيرية والإذاعات التنصيرية تنشط نشاطًا كبيرًا في الآونة الأخيرة، مستهدفة كثيرًا من أرجاء العالم العربي والإسلامي، ومواطن الأقليات الإسلامية، مع ما يصاحب ذلك من محاولات لا تعرف الكلل، لنشر لغات الغازين، وثقافاتهم، وفكرهم الديني المنحرف. وليس بخافٍ على أحد نشاط البعثات والإرساليات، وحيلها الخبيثة الماكرة في تصيد المسلمين الشاردين، وبخاصة الأطفال، وتعهدهم منذ البداية بأضل وأخبث رعاية، هذا بالإضافة إلى حرص الغازين على فتح مراكز لهم، في عدد من بلدان العالم العربي والإسلامي، لنشر لغاتهم، ومعها فكرهم وثقافتهم ونمط حياتهم. كما أن اللغة، التي هي مستودع التراث ووعاء الفكر، تعد مجالا رئيسًا من المجالات التي توجه إليها سهام الغزو الفكري، وكلنا يعرف المحاولات الجادة الحاقدة، التي استهدفت اللغة العربية الفصحى، وإحلال اللهجات العامية محلها. كما أن العمل بالقوانين الوضعية في بعض البلدان، في معزل عن قانون السماء، يمثل صورة من الصور العديدة، التي تستهدف الأمة في صميم عقيدتها. كذلك من المعروف تاريخيا أن البلاد الإسلامية لم تكن تعرف مسألة القوميات المتعددة، فجاء الغزو الفكري لكي يقضي على وَحْدة هذه الأمة، المتمثلة في وَحْدة عقيدتها وقوميتها، فأثار كثيرًا من النعرات القومية، مثل القومية الفرعونية في مصر، والقومية الفينيقية والآشورية في بلاد الشام والعراق، والقومية البربرية في شمال أفريقيا وغربها، والقومية الطورانية في تركيا، في محاولات مخططة مدروسة، لإذكاء روح التعصب لهذه القوميات والنزعات الإقليمية الضيقة.

وثمة عوامل تساعد على التمكين لهذا الغزو، منها الفراغ الفكري، وعدم التحصن بالعقيدة الإسلامية الصافية، والقيم الأصيلة، وتأثر بعض المبتعثين إلى الخارج من أبناء العالم العربي والإسلامي بأيديولوجيات المناطق التي يبتعثون إليها، وبخاصة صغار السن منهم، الذين يتلقون معظم مراحل التعليم في الخارج، فَيُصْنَعُون على نسق المناهج الأجنبية، بالإضافة إلى تقديم عدد من المنح غير البريئة، لأبناء العالمين العربي والإسلامي.

ولابد من مواجهات حاسمة، لسد هذه الثغرات التي يتسرب منها الغزو الفكري، من ذلك إعادة النظر في مناهج التعليم، في ضوء القيم العربية والإسلامية، واستخدام الأسلوب العلمي، والبعد عن أسلوب التلقين والترديد، وإطلاق زمام الخيال والملكات المبدعة، وإعادة النظر في طرق تعليم اللغة العربية وأساليبها، كما يجب ألا يرسل إلى الخارج إلا الشباب الواعي المستنير، المحصن بالثقافة الإسلامية الأصيلة، والقيم النبيلة، المزود بالدراسات العلمية الوافية عن المجتمعات التي سينتقل إليها، بالإضافة إلى إدخال العقيدة في جميع المجالات الدراسية والتشريعية وغيرها، وأهمية التوسع في نشر اللغة العربية والثقافة الإسلامية في الخارج، وزيادة المنح في جامعاتنا لأبناء العالم الإسلامي والأقليات الإسلاميّة. وتعدّ المملكة العربية السعودية التي اصطفاها الله لتكون مهد الرسالة، ومنبثق النور للعالمين، صاحبة رسالة مشرفة، ودور مرموق، في هذا المجال.

عبدالملك عبدالرحيم